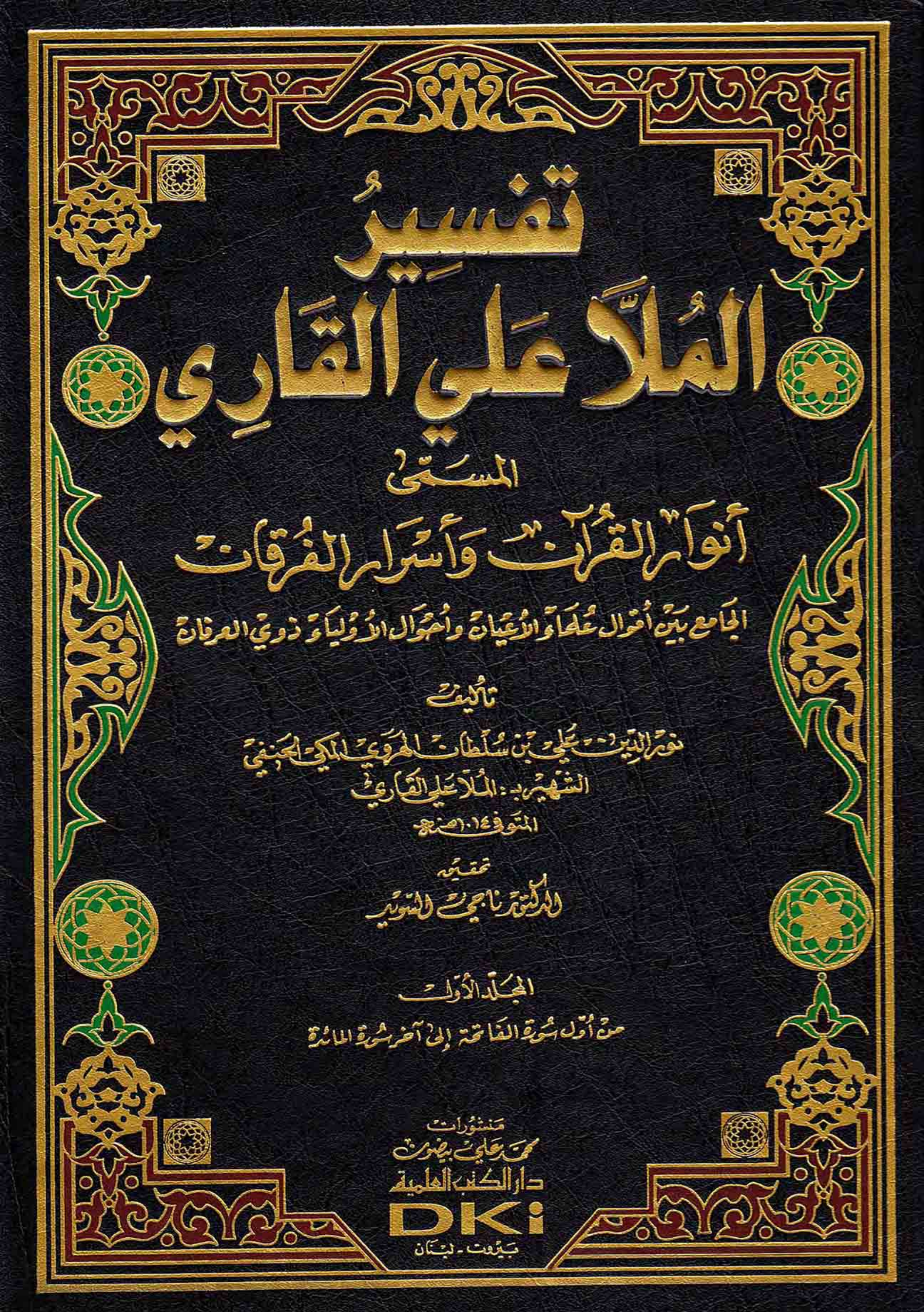

تفسير
الملا علي القاري
المسمى
أنوار القرآن وأسرار الفرقان
الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان
تأليف
نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ
تحقيق
الدكتور ناجي السويد
المجلد الأول
من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير

الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

الجزء الأول

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة



دار الكتب العلمية

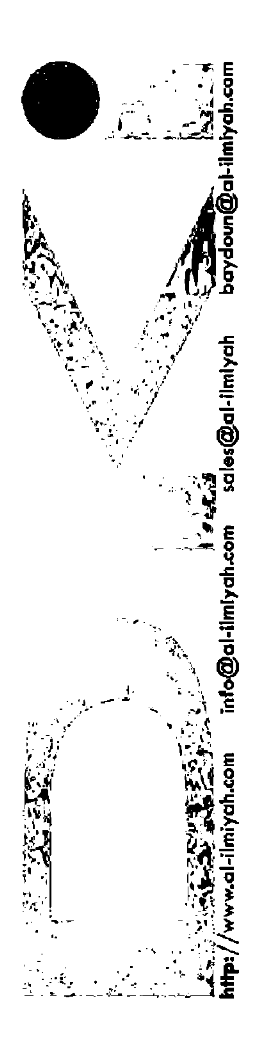
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : تفسير الملاّ علي القاري

Title : TAFSIR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاّ علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes) 2592 عدد الصفحات (٥ مجلدات)

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2013 A.D. -1434 H. سنة الطباعة

Printed in: Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition : 1st (2 Colors) الطبعة : الأولى (لونان)

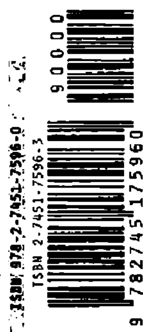
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel: +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7596-0



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

تعتبر المدرسة الصوفية جزءاً مهماً في التراث الإسلامي، ومعلماً في تطور الفكر الإسلامي، والسبب في ذلك البيئة الحاضنة والواسعة إضافة إلى الأسبقية التاريخية في نشأته، فبدايته في المائة الثانية للهجرة، مع الإشارة إلى وجود اختلاف لدى العلماء في ذلك.

وأمّا المحضن فهي بيئة واسعة مساحته انتشار الإسلام، وفي فترة ما رعاية لدى الحاكم، إضافة إلى بروز علماء تفاوتوا في شكل التصوف المتبع، فرمزية الفناء لدى بعض أقطابهم كالحلاج والسهروردي وابن الرومي شكلت عمقاً في هذا الفكر، وربما لم تكن استثناءً، وأيضاً وجود سلسلة ذهبية في هذا الفكر كالجنيد والشبلي والبسطامي والبقلي والقشيري وغيرهم.

لقد كان اهتمام المدرسة الصوفية في التزكية والتربية غالباً وكذلك ما يدعم هذا الجانب التطور الفكري الذي ظهرت معالمه في جوانب أخرى منها في تفسير القرآن الكريم.

لقد حفلت المدرسة الصوفية بكثرة وتنوع المؤلفات في تفسير القرآن الكريم ومنها:

- تفسير التستري (283هـ).
- تفسير البقلي «عرائس البيان في حقائق القرآن» (404هـ).

- تفسير السلمي «حقائق التفسير» (412هـ).
- تفسير مكي «تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية» مكي بن أبي طالب (437هـ).
- تفسير القشيري «لطائف الإشارات» (465هـ).
- تفسير القرآن لابن العربي (638هـ).
- تفسير إسماعيل حقي «روح البيان في تفسير القرآن» (1127هـ).
- تفسير ابن عجينة «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (1224هـ).

وأخيراً وليس آخراً الكتاب الذي بين أيدينا «أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان» للملّا علي القاري (1014هـ).

يعتبر تفسير الملّا علي القاري مرجعاً أساسياً ومهماً ليس في المجال الصوفي الفكري فقط، بل في جوانب عدّة. ومن مزايا هذا التفسير وأهمها:

- فقدان العاطفة والنفحة المذهبية، وخاصة العقدية، فالتعصب المذهبي عدمت معالمه لديه. ونجد التشعب في الآراء ظاهراً وبارزاً دون التمذهب البعيد أو الجانح، ومن المعلوم أن (علي القاري) على مذهب أبي حنيفة، هذا من جهة ومن جهة الأمور العقدية، فنهج منهجاً وسطياً ما بين الخلف والسلف إضافة إلى التعرج لمسائل الفرق الأخرى، وما هو الموقف الصارم منها:
- التعرض الواسع والكثير إلى الاعتماد على النقل، فتفسيره مليء بالاستناد إلى الأحاديث الشريفة والمتنوعة في الصحة، مع الإشارة أحياناً إلى ذلك، إضافة إلى أقوال الصحابة والتابعين وآرائهم.
- النقل عن أهل الكتاب، على وجه الخصوص التوراة وعن عيسى عليه السلام.
- الاهتمام بالجوانب اللغوية، فلا تخلو صفحة من استدلال ببيت شعر فهي كثيرة ومتنوعة.

- الاهتمام بعلم القراءات، فهو دائماً يذكر وجوه القراءات ويردها إلى أصحابها، فما من موضع إلا وقد أشار إليه بشكل عام.
- الاعتماد على أمهات الكتب في التفسير من السابقين أو المتأخرين، وعلى وجه الخصوص: تفسير البيضاوي وأبي السعود والكشاف والقشيري فرأي الأستاذ (القشيري) لا تخلو آية إلا ورأي الأستاذ حاضر، وكذلك تفسير السلمي والبقلي، ومن المتأخرين البحر المديد لابن عجينة.
- ذكر الرجال المتنوع والكثير والكم الهائل وعلى وجه الخصوص رجال الصوفية (الجنيد، الشبلي، ابن عطاء، المكي، القرشي، رويم، الحريري، الواسطي، الجبري، الصفوي، حمدون، أبو حفص الكرماني، السقطي، عياض، النصرآبادي، الداراني، الترمذي وغيرهم...

وجوانب أخرى تزيده أهمية ورتبة...

سيرة المؤلف[1]

اسمه ونسبه:

علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملّا الهروي المكي الحنفي القاري.

والملّا كلمة فارسية تطلق على العلامة الكبير، والهروي بلد المولد، والمكي لإقامته في مكة، والقاري لعلمه الواسع في علم القراءات.

نشأته:

ولد الملّا علي القاري في هراة وهي مدينة مشهورة من مدن خراسان في العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة، فلا يوجد تحديد لسنة الولادة.

نشأ من هراة وأخذ العلم عن علمائها، وتمذهب على فقه الإمام أبي حنيفة، المنتشر في تلك البقاع.

(1) خلاصة الأثر (3/ 185)، والبدر الطالع (1/ 446)، ومعجم المؤلفين (7/ 100)، والأعلام (5/ 12).

ثم انتقل إلى مكة المكرّمة، فنهل من علمائها، فاهتم بكافة الفنون كالتفسير والحديث، وأيضاً علم القراءات فقد اشتغل بتدريسه والتأليف فيه حتى غدا إماماً في علم القراءات ولذلك لقب بالقاري.

أخذ عن كثير من العلماء ومنهم:

- ابن حجر الهيتمي.
- علي المتقي علاء الدين بن عبد الملك بن حسام الدين ابن قاضي خان الهندي.
- عطية السلمي.
- شهاب الدين أحمد العباس.
- السيد زكريا الحسني.
- قطب الدين المكي.
- محمد بن أبي الحسن البكري.
- أحمد بن بدر الدين المصري.

وأخذ عنه جمع كثير ومنهم:

- عبد القادر الطبري.
- أبو الوجاهة المرشدي.
- ابن فروخ الموروي.
- السيد معظم الحسيني البلخي.

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

تجاوزت مؤلفاته 150 مؤلفاً في شتى العلوم ومنها:

- الأحاديث القدسية الأربعينية.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.
- التبيان فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان وليلة القدر.

- الشروحات (شرح المشكاة، والشمائل الوترية، ونخبة الفكر، والشفاء، والشاطبية).
- الأثمار الجنية.
- الأدب في رجب.
- الاستدعاء في الاستسقاء.

وفاته:

توفي في شهر شوّال سنة 1014هـ في مكة المكرّمة، ودفن بمقبرة المعلاة.

وقالوا: لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه في الجامع الأزهر صلاة الغائب في جمع حافل بلغ أربعة آلاف نسمة فأكثر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه آمين.

مخطوطة الكتاب

أولاً: اعتمدت في نسخ الكتاب على مخطوطين مع الإشارة إلى وجود مخطوطات عدّة، بلغت ثمانية عشر موزعة ما بين الموجودة في تركيا (13) ومصر (3) في القاهرة والإسكندرية ودمشق (1) الظاهرية، وجامعة الرياض الملك سعود (1).

ثانياً: النسخة المعتمدة.

النسخة الأولى: جامعة استنبول رقم (615) عدد الأوراق (646) تاريخ النسخ (1049هـ)، خط نسخ أقرب للفارسي، عدد الأسطر 25 من الحجم الكبير خط واضح لا تشوبه شائبة وهي غير مكتملة.

النسخة الثانية: مكونة من ثلاثة أجزاء الجزء الثالث فيه نقص تملكها محمد بن سليمان عدد الأسطر (25) من الحجم الكبير تاريخ النسخ (1139هـ)، كتبت بخط النسخ، واضحة، خالية من الأخطاء، كتب بعض الكلمات على الهامش.

ويلاحظ في النسختين:

- حذف ألف الوصل.
- كتابة الألفات غير مهموزة وكذلك الياء.
- إغفال ألف الجماعة وأحياناً العكس صحيح.

★ منهجي في التحقيق:

- نسخ الكتاب وإخراج نصه سليماً.
- إخراج النص بترتيب مميز يسهم في سهولة قراءته.
- ترقيم الآيات وتبيان مكانها في سور القرآن.
- تخريج صحيحي الإمامين البخاري ومسلم بحسب الأصول المطبوعة بتحقيق وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.
- تخريج الأحاديث الشريفة حسب المكتبة الشاملة.
- توثيق النقول وخاصة أبيات الشعر.
- شرح بعض الكلمات المبهمة.
- التعريف ببعض الفرق.

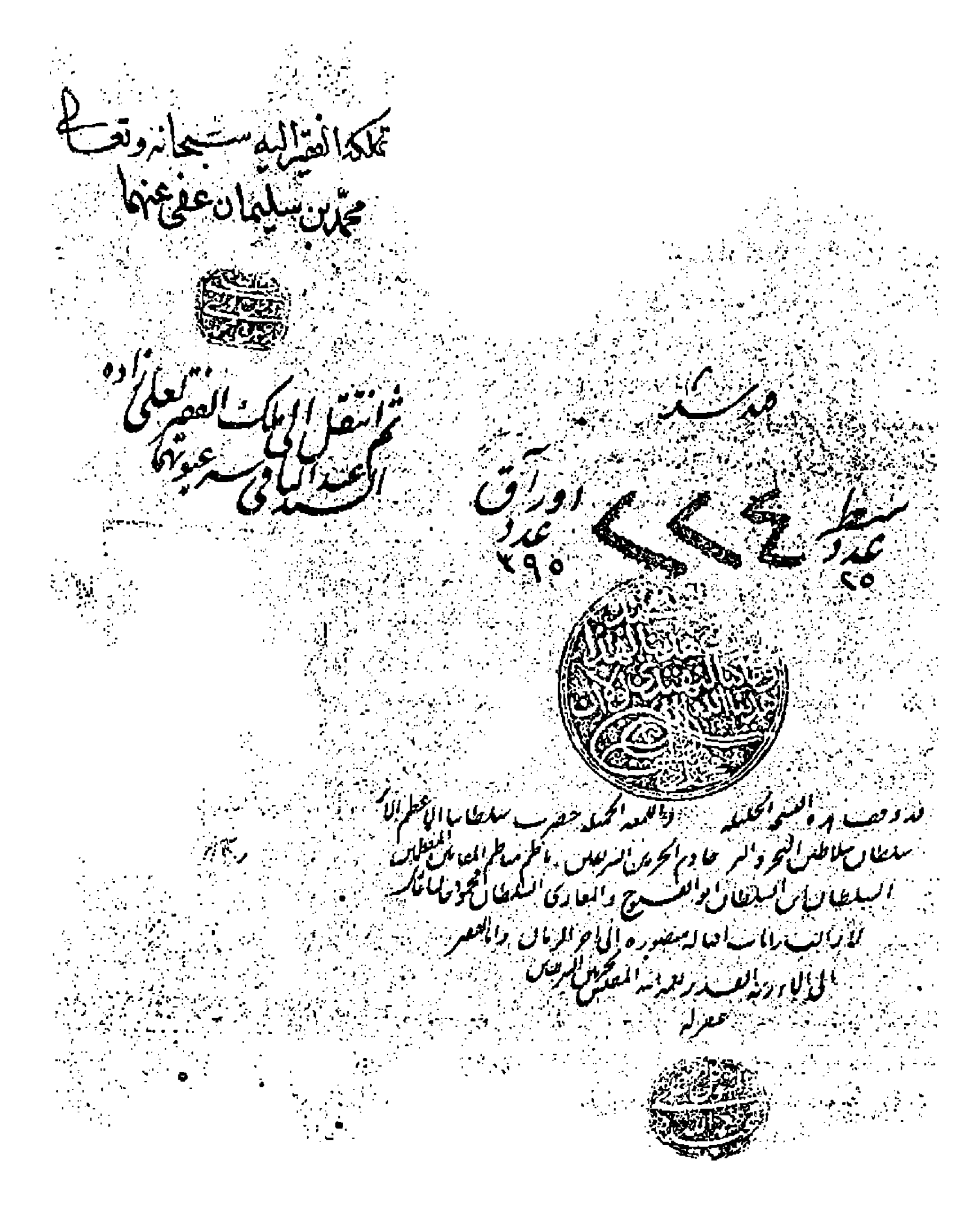
وأخيراً أسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد وأن ينفع به طلاب العلم آمين والحمد لله رب العالمين.

وكتبه د. ناجي السويد

عرمون 8 صفر 1433هـ

الموافق 2 كانون الثاني 2012م

نماذج من صور المخطوط

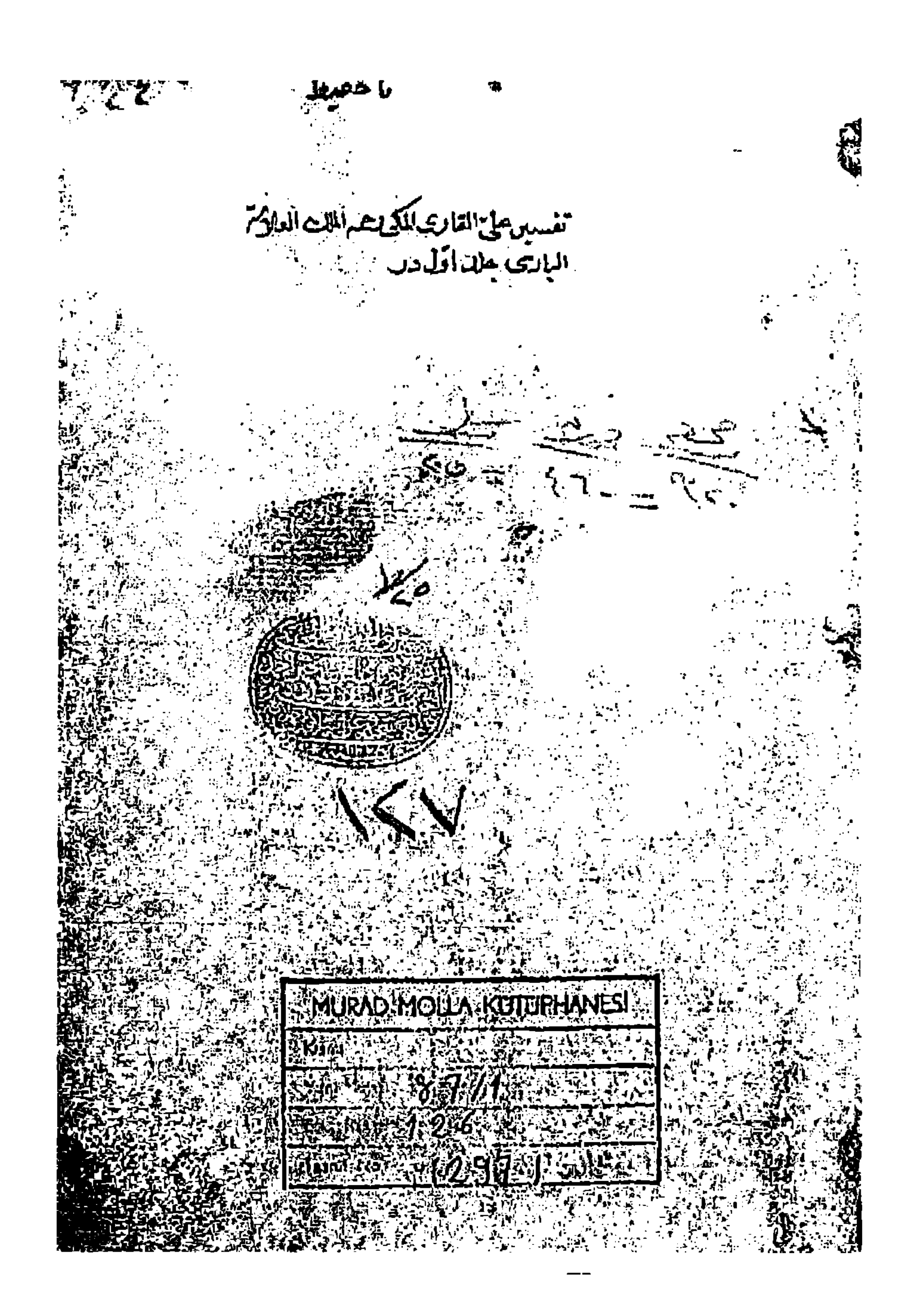


صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة أ)

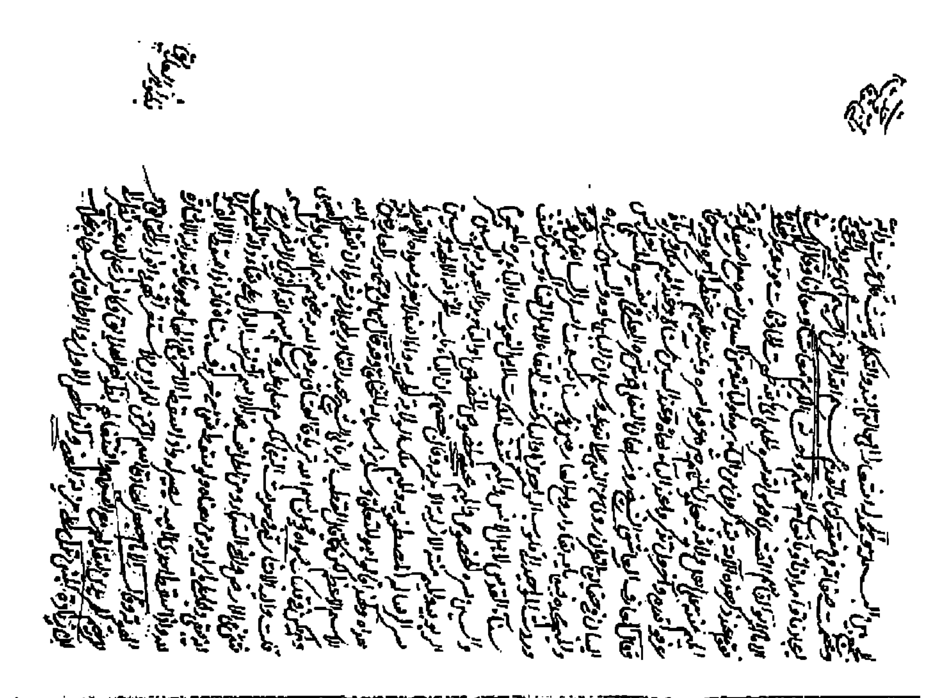
صورة الصفحة الأولى من المخطوط ــ الجزء الأول (النسخة أ)

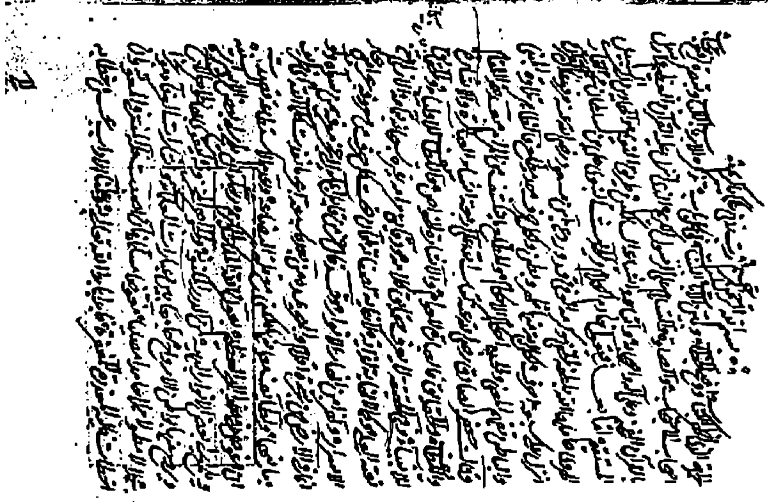
هم اياكم فان تولوا اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك لا اله الا هو كالدليل لما قبله عليه توكلت اي اعتمدت فيما اخافه وارجوه وهو رب العرش العظيم اي الملك الجسيم او الجسم الاعظم المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه الاحكام والمقدرات واقاد الاسناد انه سبحانه قال له يا ايها النبي حسبك الله ومن تبعك ... حسبي الله لقوله حسبك الله عين الجمع وقل حسبي الله ترى ... بل هو جمع الجمع اي قل ولكن بنا فنقول فنحن المتولي عنك وانت مستهلك في عين التوحيد منك فانت بنا ومحو عن غيرنا اتقي لتعبد شاكرين والشكر قاصرين في مقام تقصوننا عن مرام حضورنا صابرين وقد ختم الجزء الاول الشريف بالحمد المنيف كما ابتدايه ويبتدا ان شا الجزا الثاني من تفسير السبع المثاني المسمى بانوار الفرقان واسرار الفرقان لظهور نور العبارة وسرور حضور الاشارة وكان الفراغ من كتابته يوم الاربع المبارك ثاني عشرين جمادي اول من شهور سنة الف ومائة ... وثلا ثون من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة أ)



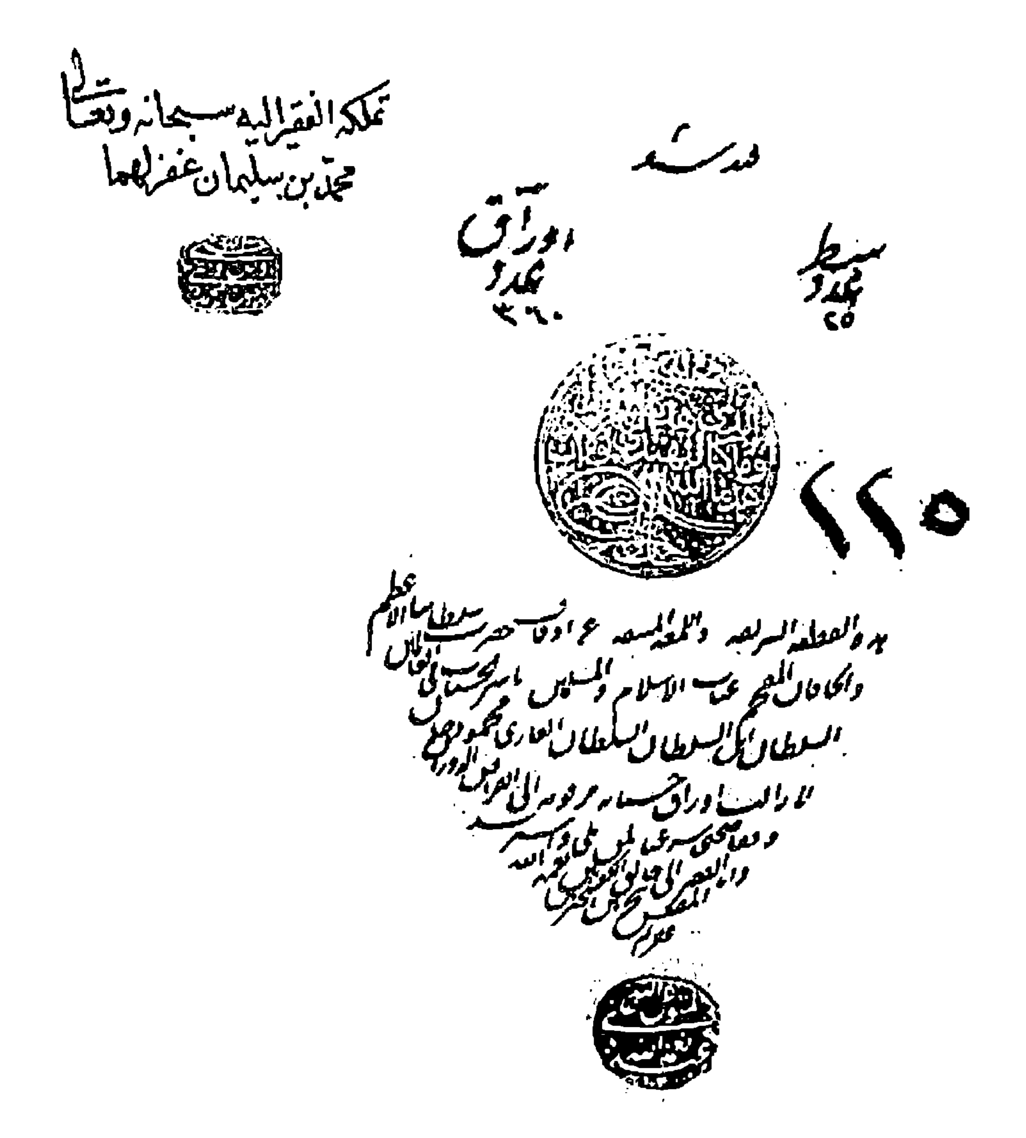
صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)



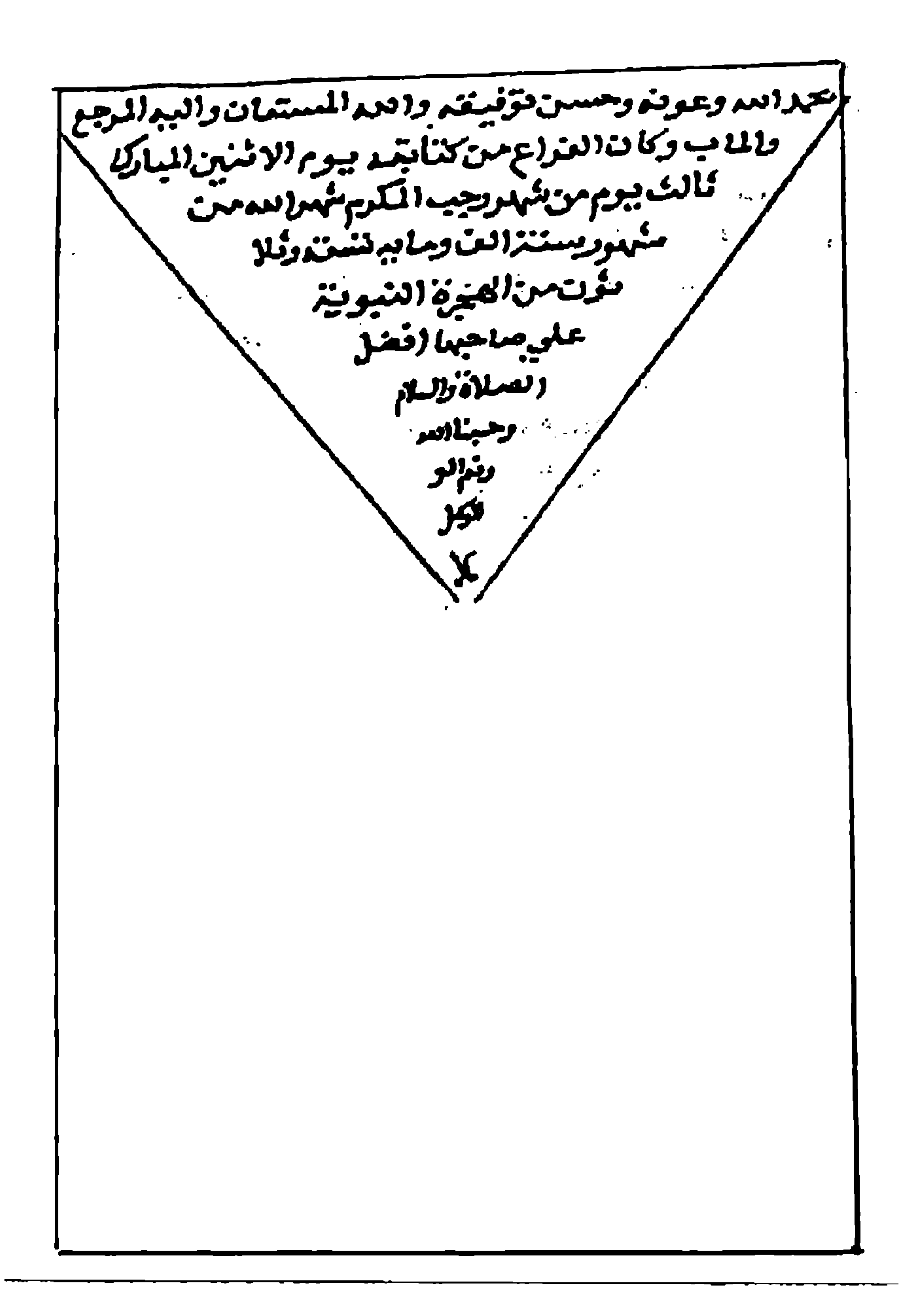


صورة الصفحة الأولى من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)

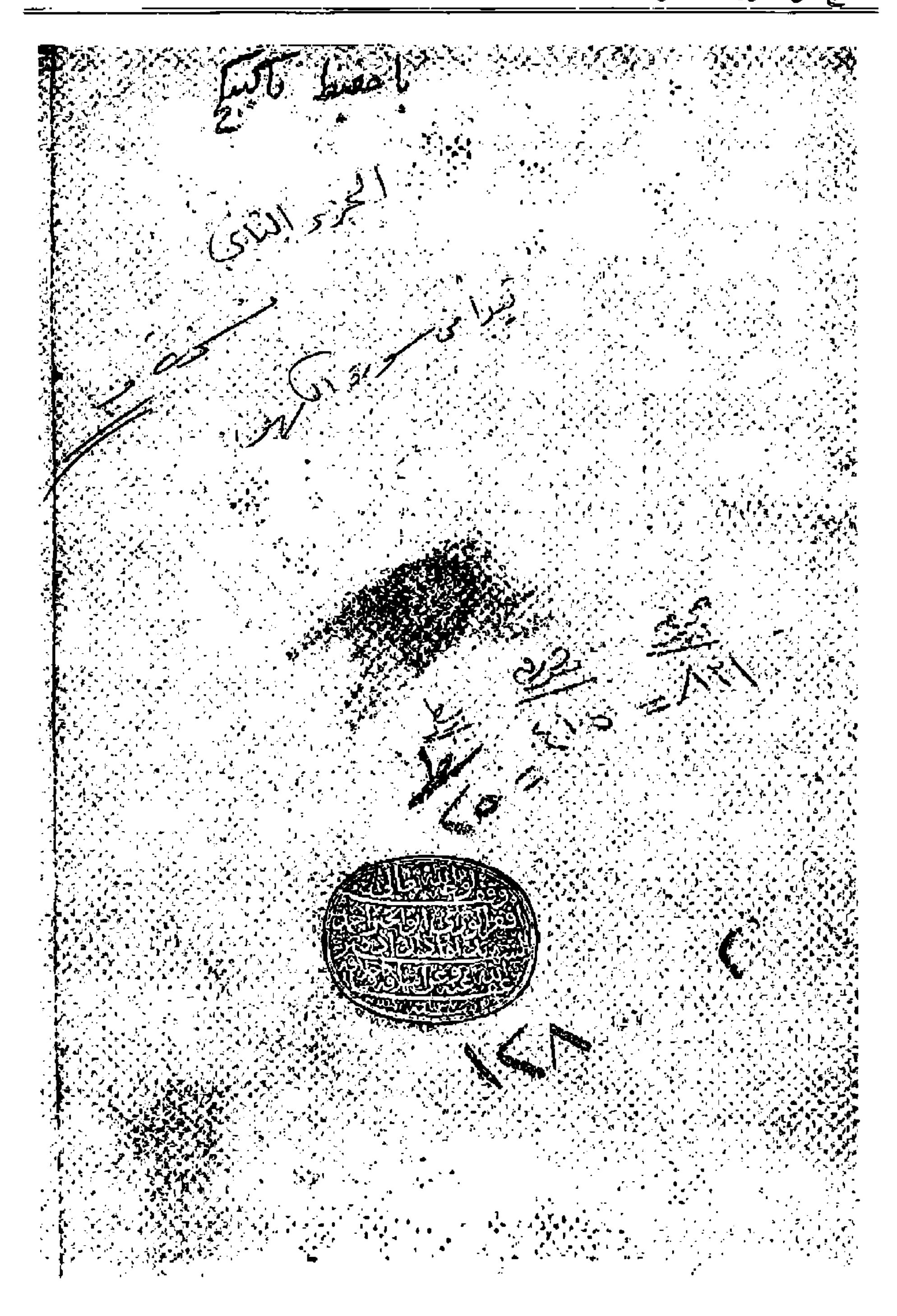


صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة أ)



بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والله المستعان واليه المرجع
والمآب وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين المبارك
ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من
شهور سنة الف ومايه تسعة وثلا
ثون من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل
الصلاة والسلام
وحسبنا الله
ونعم الو
كيل
لا

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة أ)



صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة ب)

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة ب)

سورة العنكبوت ١ — سورة الروم ١٣ — سورة لقمان ٢٣ — سورة السجده ٣٠

سورة الأحزاب ٣٤ — سورة سبا ٤٧ — سورة فاطر ٥٥ — سورة يس ٥٦

سورة الصافات ٧٦ — سورة ص ٨٦ — سورة الزمر ٩٥ — سورة المؤمن ١٠٩

سورة فصلت ١٢١ — سورة الشورى ١٣٠ — سورة الزخرف ١٤٠ — سورة الدخان ١٤٩

سورة الجاثيه ١٥٢ — سورة الأحقاف ١٥٧ — سورة محمد ١٦٢ — سورة الفتح ١٦٧

سورة الحجرات ١٧٣ — سورة ق ١٧٥ — سورة الذاريات ١٨٠ — سورة الطور ١٨٥

سورة النجم ١٨٧ — سورة القمر ١٩٢ — سورة الرحمن ١٩٧ — سورة الواقعه ٢٠٢

سورة الحديد ٢٠٨ — سورة المجادله ٢١٥ — سورة الحشر ٢٢٠ — سورة الممتحنه ٢٢٤

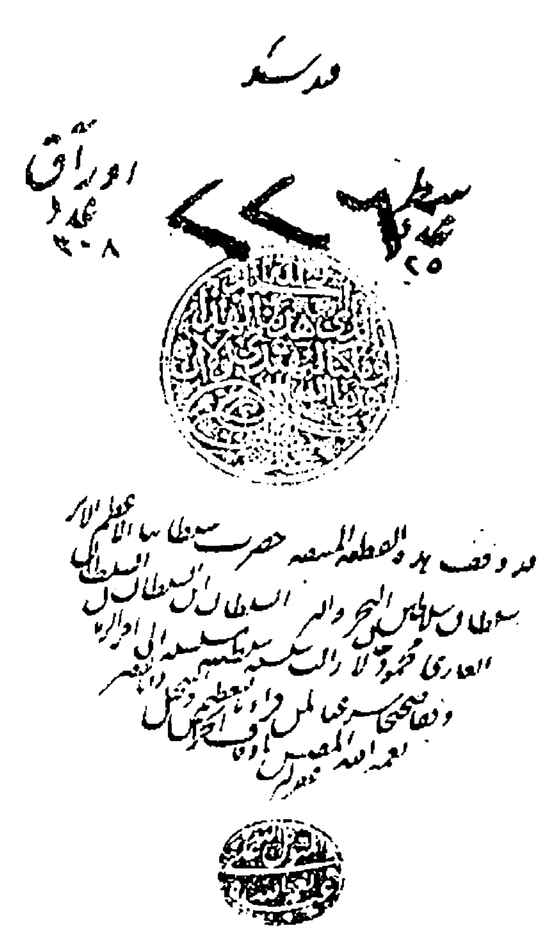
سورة الصف ٢٢٧ — سورة الجمعه ٢٣٠ — سورة المنافقون ٢٣١ — سورة التغابن ٢٣٣

سورة الطلاق ٢٣٥ — سورة التحريم ٢٣٨ — سورة الملك ٢٤١ — سورة النون ٢٤٤

صورة غلاف المخطوط ـــ الجزء الثالث (النسخة أ)

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ــ الجزء الثالث (النسخة أ)

تملكه الفقير إليه سبحانه وتعالى
محمد بن سليمان عفي عنهما



صورة غلاف المخطوط ــ الجزء الثالث (النسخة ب)

بمعنى الزلزلة اما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس
الذي عادته الخنس اي التأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس
اذا غفلوا عن ذكر ربهم واشتغلوا بحظ انفسهم من الجنة والناس بيان للوسواس او متعلق
بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة انهم يعلمون الامور الغيبية والناس كالكهان
والمنجمين في تأثير الادوار الفلكية قال يحيى بن معاذ الوسوسة بذر الشيطان فان لم تعطه
ارضا وماء ضاع بذره وبطل امره وان اعطيته الارض والماء بذر فيه فسيل الارض
بالشبع والماء قال الشبع ارضه والنوم ماؤه يعني من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه
وقال بعضهم من اراد الدنيا [illegible] من الوسوسة [illegible] وان الشيطان له تسلط على
الناس بالوساوس وان النفس من قبلها للعبد هواجس والوساوس والهواجس متقاربة
وفرقوا بينهما بان الشيطان اذا دعاك الى محظور فان خالفته يدع ذلك ويدعوك الى
معصية اخرى اذ لا فرق عنده بل لا غرض له الا ادامة دعائك الى مطلق زلة وهي لها غير مختلفة
والنفس تدعوك الى حظها وهي تلج في مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل الى مرادها
فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها الا بمجاهدة صادق في حقها
وكل من جاهد نفسه من غير استعانة بربه وتبرؤ من حوله وقوته لم يتم له الامر في مجاهدته
وعن قريب سيقع في هوة غلطة من مشاهدته واذا علم الحق سبحانه صدق الاستعانة
من عبده اعانه بل اذا اراد الحق اعانة عبد حمله على الاستعاذة بربه من شر عدوه
والتوكل عليه في جميع ما يرد عليه في الطريق وبالله التوفيق تم كتاب انوار القرآن
واسرار الفرقان الجامع بين اقوال علماء الاعيان واحوال الاولياء ذوي العرفان
والحق انه جوهرة منيعة لمعت من معادن الحقائق الربانية ودرة رفيعة طلعت
من منابع الدقائق [illegible] ليس فيه ما ينافي الطريقة من [illegible] الشريعة
والحقيقة فانه منزه عما يقول الحلولية والاتحادية من اصحاب
التفرقة بيان القراءات العارية عن صحة الرواية وكذا الاعرابات
الغريبة في مقام الدراية لا فارض ولا بكر بل بين
[illegible] ما صدر عن فضل او ظهر
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الثالث (النسخة ب)

/ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 2/أ

وبه المستعان وعليه التكلان

الحمد لله الذي أظهر الكتاب وأوضح الخطاب، وبين الآيات البينات في كل باب تذكرة لأرباب الألباب. وتبصرة لدفع حجاب أصحاب الاحتجاب، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، الذي أنزل عليه القرآن العظيم، وأرسل بالفرقان الفخيم. وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأشياعه السالكين طريق القويم والهادين إلى السبيل المستقيم.

أما بعد فيقول خادم الكلام القويم والحديث النبوي علي بن سلطان محمد القاري الهروي عاملهما الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي: قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد[1] ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد إحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه وتعالى بتمامه لأن كلامه الأزلي من نعته العلي وكما لا نهاية لذاته لا غاية لصفاته فإن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار ونهراً من أنهار الأنوار. وقد قال عز من قائل إيماءً إلى عجز معرفة من سواه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ

(1) أورده البغوي في تفسيره (1/ 46).

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان، الآية: 27] أي طرائف مبانيها ولطائف معانيها لكن مع قلة البضاعة وعدم الاستطاعة قصدت أن أغوص في هذا البحر العظيم بعون الله الملك الكريم رجاء أن يلمح لي بعض الأسرار السنيّة ويلمح لي بعض الأنوار البهية من الدرر المكنونة والجواهر المخزونة ليقوى بها ظواهر الأشباح ويروح منها بواطن الأرواح جامعاً بين عبارات العلماء وإشارات العرفاء موجزاً مجملاً لا مطولاً مملاً حامداً مصلياً مفوضاً مسلماً فإن أصبت فله المنّة في المعونة وإن أخطأت فإليه المعذرة للمغفرة فأبدأ بما بدأ الله تعالى به وعلمنا الأدب بحسن خطابه للجمع بين البسملة والحمدلة إشعاراً إلى حالتي البناء والتكملة/ حيث قال عزت ذاته وعظمت صفاته في مفتتح كتابه القديم.

2/ب



[مكيّة]

وآيها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي بجود واجب الوجود إيجادنا وإمدادنا وبإنعامه العميم وإحسانه الكريم معاشنا ومعادنا.

وقال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري قدّس الله سره الجلي: أي بالله ظهرت الحادثات وبه وجدت المخلوقات فقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء بره بأوليائه ومن السين سره مع أصفيائه ومن الميم منته على أهل ولائه فيعلمون أنهم ببره عرفوا سره وبمنّته عليهم حفظوا أمره وبه سبحانه عرفوا قدره وآخرون تذكروا عند الباء بهاءه وعند السين سناءه وعند الميم ملكه وكبرياءه.

وقال العارف العاشق الشيخ روزبهان البقلي قدّس الله سره العلي في تفسيره المسمى «**بعرائس البيان في حقائق القرآن**»: روي عن النبي ﷺ أن الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده فيها فببائه بقاء أرواح العارفين وبسنائه أسرار السابقين وبمجده وردت المعرفة إلى قلوب الواجدين أو الباء كشف البقاء لأهل الفناء والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس والميم كشف الملكوت لأهل النعوت أو الباء بره للعموم والسين سره للخصوص والميم محبَّتُه لخصوص الخصوص أو الباء بدء العبودية والسين سر الربوبية والميم منته الأزلية الأبدية[1] وقال بعضهم أن الباء باب الخزانة الإلهية. والسين سر الرسالة المصطفوية والميم ملك الولاية المحمدية وأما الله فلا يعرفه سواه إلا

(1) هذه الرواية لم تصح، وإنما جاءت هذه المعاني عند أهل التصوف. انظر: تفسير القشيري (1/1).

بقدر ما هداه ولهذا قالوا هو للتعلق وسائر أسمائه للتخلق.

وقد قال سهل وجمهور العارفين أنه الاسم الأعظم لكن كما قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني: بشرط أن تقول الله ولم يكن في قلبك سواه وقيل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [الفاتحة، الآية: 1] ترياق العشاق يدفع الله به عنهم سمَّ الدنيا وألم العقبى قلت وإليه الإشارة في حديث النبي المكرم ﷺ «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ومن لطائف هذا الاسم الشريف الدال على بقاء ذاته المنيف أنه يبقى دائماً على ما يراد به من معناه ولو سقط شيء من حروف مبناه، فإنه إذا سقط الألف يكون لله وإذا سقط إحدى لاميه/ يصير له وإذا سقط الآخر يبقى الهاء وهو غاية بداية الإشارة الهوية. 3/أ

وقال الإمام جعفر الصادق: اسم ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 1] للمرادين لاستغراقهم في أنوار الحقائق والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بظواهر العلائق، وكأنه رضي الله عنه نظر إلى أن زيادة المبنى يدل على مزيةٍ لِمعنى ولذا خص الأول في الإطلاق به سبحانه بخلاف الثاني فإنه يطلق على غيره وقد يقال أن رحمة الرحمن شاملة للمؤمنين والكافرين بخلاف رحمة الرحيم فإنها مختصة بالمؤمنين فقد يراد الرحمة ويتعلق الجذبة بالكافر والفاجر فهو إثر رحمة الرحمن وأيضاً رحمة الرحمن في الدنيا فهي سابقة على العقبى فتناسب المراد والمجذوب من العباد ولو قيل الرحمن للمريد والرحيم للمراد: له وجه في مقام المرام فإن رحمة الرحمن غاية شاملة للعوام بخلاف رحمة الرحيم فإنها خاصة للخواص الكرام.

ولذا قال الأستاذ: الرحمة إرادة النعمة أو نفس النعمة بنا على أنها صفة ذات الكمال أو أنها من صفات الأفعال فنعمة هي للأشباح والظواهر ونعمة هي للأرواح والسرائر فالرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم والرحيم وفق المؤمنين لما به حياة سرائرهم و﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 1] بما روَّح و﴿الرَّحِيمِ﴾ [الآية: 1] بما لوَّح فالترويح بالمَبَارِّ والتلويح بالأنوار والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم بما

أَسْدى من العرفان و﴿الرَّحِيمِ﴾ بما ينعم به من الغفران و﴿الرَّحِيمِ﴾ [الآية: 1] بما يمن به من الرضوان.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] أي حمده له يحق حمده لعجز عبده في حمده عن حدِّه أو الحامدية والمحمودية ثابتة له بالصفة الجامعية ولذا قيل: لا حامد لله سواه فهو الحامد والمحمود والواجد والموجود وقال بعضهم عن الله تعالى: لو عرفت ذلك عبدي لما شكرت غيري ولما حمدت أحداً بعدي ولذا يجب في جميع الأشغال أن يقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] على كل حال.

قال الأستاذ: فطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطفه وأودع سرائرهم من مكنونات بره وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم ولم يردوا من ملاحظة الفرد الكرم إلى تصفح أقسام النعم وتأمل خصائص القسم وفرق بين من يمدحه بعزِّ جلاله وبين/ من يشكره على وجوده 3/أ أفضاله وقد قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد لله فقال له أتمها كما قال الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 2] فقال له الرجل ومن العالمون حتى يذكر مع الحق فقال: قله يا أخي فإن الحديث إذا قارن بالقديم لا يبقى له أثر، قلت: وكان المريد لم يعدل بعد إلى مقام المريد حيث وقف في مرتبة الجمع بعد التفرقة فأراد الشيخ ترقيته إلى مقام جمع الجمع حيث لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة بل قيل الجمع بلا تفرقة يؤدي إلى تعطيل وزندقة بخلاف جمع الجمع فإنه مقام الحقيقة الجامعة بين الشريعة والطريقة والمعنى مربي موجوداته لما خلقهم له من مراتب تعيناته ومناصب تنزلاته بحسب مناسبات تجلياته.

قال الأستاذ: أي مربي الأشباح بِوجود النعم ومربي الأرواح لشهود الكرم وفي «**العرائس**» مربي المريدين بلوامع أنواره ولوايح أسراره ومربي المحبين بحلاوة مناجاته ولذة مناداته ومربي المشتاقين بحسن وصاله ومربي العاشقين بكشف جماله.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية: 3] أي مفيض المنن الظاهرية ومفيد المنح الباطنية أولاً وآخراً فلا يتوهم أن في الكلام مكرراً وقيل ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بالنعمة

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالعصمة وقيل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالتجلي، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالتولي وقيل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بكشف الأنوار و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بحفظ الأسرار وقيل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بذاته و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بصفاته.

وقال أبو القاسم الجنيد: روح الله روحه الرحمن إشارة إلى لطفه والرحيم إشارة إلى عطفه.

وقال صاحب «**العرائس**»: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 3] محل طلوع أنوار العناية و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: 3] محل إشراق شمس الكفاية ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 4] أي سلطان زمان ظهور جزاء الأعمال ومالك رقاب أرباب الكمال وأصحاب الجلال والجمال.

قال الأستاذ: ملك قلوب العابدين فصرفها في خدمته وملك قلوب العارفين فشرفها بمعرفته وملك قلوب القانعين إحسانه فطمعوا في عطائه وملك قلوب الموحدين سلطانه فقنعوا ببقائه.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الآية: 5] أي نخصك بالعبادة حيث لا معبود ولا مشهود ولا موجود سواك ولا مطلوب ولا مرغوب ولا محبوب إلا إياك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] لأن الاستعانة والاستغاثة من الغير المعبر عنه بالغين مع شهود الوجود المعنيّ بالعين في عين أرباب التوحيد هو عين الإشراك ففي الجملة إشارة إلى التفرقة في الجملة الأولى/ الجزيلة الجلية وإيماءً في الثانية إلى الجمع في المرتبة الجميلة العلية ولذا قال بعض أهل المعرفة الاستعانة طلب العين والمعنى نسألك أن تجعلنا لك عابدين كأننا نعاينك بعين اليقين وهو أكمل مقامات العارفين كما أشار إليه ﷺ في معرض البيان بعد تعريف الإسلام والإيمان والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[1]. 4/أ

وقال بعض العارفين: العبادة شغل كلك به وهو شغل القلب بمعرفته وشغل الروح بمجاهدته وشغل النفس بخدمته وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة انقياد الظواهر والعبودة استسلام الضمائر.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

وقال الأستاذ: والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمنّة والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمنّة وبالعبادة وجود الشرف وبالاستعانة أمان التلف وبالعبادة نزهة القاصدين ومربع الأنس للمحبين ومرتع البهجة للعارفين بها قرة أعينهم وفيها مسرة قلوبهم ومنها راحة أرواحهم إليه أشار ﷺ بقوله أرحنا يا بلال[1].

ولقد قال مخلوق في مخلوق بأحسن مقال يا قوم ثأري عند أسماء يعرفه الحاضر والنائي لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أصدق أسمائي والاستعانة إحلال رحلك بساحة كرمه وتسليم كلك إلى يد أمره وحكمه وفي «العرائس» ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالعلم ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالمعرفة وقيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بأمرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بفضلك.

وقال سهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بهدايتك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] بكلاءتك.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 6] أي أرشدنا إلى الطريق القويم القوي وثبتنا على النهج المستوي وأوصلنا إلى نهاية الجادة وبلغنا غاية السجادة الجامعة بين أسرار الشريعة وأزهار الذريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة.

وقال الأستاذ: ﴿اهْدِنَا﴾ إليك واجعل إقبالنا عليك وكن عليك دليلنا ويسر إليك سبيلنا وأقم لنا هممنا واجمع بك همومنا واقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ولوح في قلوبنا طوالع الأنوار وأفرد قصودنا إليك عن دنس الآثار وفي «العرائس» أي مل بِقلوبنا إليك وأقم بهممنا بين يديك وقيل ﴿اهْدِنَا﴾ هدي العيان بعد هدي البيان وقيل أرشدنا في الدنيا/ إلى الطاعات وفي العقبى إلى الدرجات. 4/ب

وقال جنيد: كن طالب الاستقامة ولا تَكُن طالب الكرامة فإن الرب يطلب الاستقامة والنفس تشتهي الكرامة ثم الاستقامة الظاهرة رعاية حدود الله والاستقامة الباطنة نفي خطور ما سوى الله.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 277) رقم (6215). وانظر: مشكل الآثار للطحاوي (12/ 220)، وتخريج أحاديث الإحياء (5/ 482) رقم (2782) واللفظ (أرحنا بها يا بلال).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] أي الذين أحسنت إليهم من الأنبياء والأولياء السالكين طريق الأحباء المظاهر لنعوت الجمال في مرآة الكمال على وجه برقان الصفا ولمعان الضياء في ميدان الفناء وإيوان البقاء.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] أي غير طريق السائرين لِسبيل الأعداء المتعلقين بالأغيار المشبهة بالهباء والهوى والغبار المظاهر لصفات الجلال والكبرياء الواقفين في ظلمة البيداء.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية: 7] أي في أودية الأهواء من أهل الابتلاء بأنواع الأدواء الواقعين في حضيض السمعة والرياء ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: 143].

وقال الأستاذ: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] هم الذين صدمتهم هواجم الخذلان وأدركتهم مصائب الحرمان وكبستهم سطوة الرد وغلبتهم أيدي الطرد والصد ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التقريب زماناً ثم أظهر الحق سبحانه في بابهم شأناً بدلوا بالوصل بعاداً وطمعوا في القرب فلم يجدوا مراداً أولئك الذين ضل سعيهم وخاب ظنهم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن شهود سوابق الاختيار وجريان تصاريف الأقدار وغير المغضوب عليهم في طريق الهلكى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن طريق الهدى لاتباع الهوى وقد جاء في الصحيح تفسير ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ باليهود ولا الضالين بالنصارى[1].

والظاهر أنه يراد بهما المثال لانحصار المراد بهذا المقال ولعل وجه التخصيص بهما أنهم كانوا داخلين في مَن أنعمت عليهم ثم آل مآل أمرهم إلى نسبة الغضب والضلال إليهم وإلا ففي معناهم سائر الكفرة ويلحق بهم بقية الفجرة لا سيما الناصبة[2] والرافضة[3] مع الإيماء إلى أن مدار الأمر على

---

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (13/ 101) رقم (7179)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 61) رقم (4329)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 99) رقم (237).

(2) الذين يبغضون أهل البيت ومن تبعهم من الصحابة. انظر: قصيدة ابن الأشعث (1/ 66).

(3) الذين رفضوا زيد بن علي عندما لم يتبرأ من الشيخين، فرفضوه فسموا رافضة، انظر: الفرق بين الفرق ص (29).

الخاتمة الحاكية عن السعادة والشقاوة السابقة.

ولذا ورد آمين خاتم رب العالمين قال الاستاذ وكأنه يستدعي بهذه المقالة التوفيق للأعمال والتحقيق للآمال.

وقال ابن عطاء: أي كذلك فافعل ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أي فإنه حينئذٍ وقع في الغين المشير/إلى الأين من البين. 5/أ

وقال الصادق: أي قاصدين نحوك وأنت أعز من أن تخيب قاصداً فكأنه رضي الله عنه قرأه بالتشديد أو حمله على التخفيف ولعل التقدير نسألك قاصدين نحوك في الثناء والدعاء ويجعل حالاً من الضمير في ﴿ٱهْدِنَا﴾.

وعن جعفر الصادق أن الكتب السماوية مودعة في الفاتحة وهي بجميع معانيها مودعة في البسملة وجميع أسرارها مودعة في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون وقال غيره وجميع أنوار الباء مندوحة تحت نقطتها إذ هي مركز دائرة الوجود ومدار آثار الفيض والجود.



سورة البقرة

[مدنية]

وهي، مئتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي باسمه بدأ نعماؤه وبرسمه ظهر آلاؤه.

قال الأستاذ: الاسم مشتق من السمو أو السمة فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهره بأنواع المجاهدات ويسمو بهمته إلى محالِّ المشاهدات فمن عدم سمة المعاملات على ظاهره وفقد سموّ الهمة إلى المواصلات بسرائره لم يجد لطائف الذّكر عند قالته ولا كرائم القرب في صفاء حالته والمعنى باسم من تفرد بالقوة والقدرة وتوحّد في ابتداء الفضل والنصرة، فسماع الإلهية يوجب الهيبة والاصطلام وسماع الرحمة يوجب القرب والإكرام.

﴿الٓمٓ﴾ [البقرة، الآية: 1] أي أن الله أعلم بعموم أنواع العالم وبخصوص أفراد أولاد آدم وقيل الألف ألف الواحدية واللام لام اللطف والميم ميم الملك فمعناه من وحّدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والهوى تلطفت له في إخراجه من العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك. وقال بعضهم تحير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل إلى معرفة حقائق كتابه.

وقال الأستاذ: قال قوم لكل كتاب سر وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة وعند قوم أنها مفاتيح أسمائه المعظمة وقيل الألف إشارة إلى الله واللام إلى جبريل والميم إلى محمد ﷺ أي هذا الكلام نزل من الله الملك العلّام على لسان جبريل إلى محمد عليهما السلام ويقال يطالب العبد في سره

عند مخاطبته بالألف بانفراد قلبه لربه وعند مخاطبته باللام بلين جانبه لأداء/ 5/ب حقه وعند سماع الميم بموافقة أمره.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية: 2] أي هذا الكتاب الجامع وهذا اللباب اللامع أو ذلك الصراط هو الكتاب المحيط لكل نوع من الأبواب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] أي لأهل اليقين في الدين ولا عبرة بالشاكين والمنكرين وفي «**العرائس**» هذا مفتاح خزائن أسرار الكتاب ومصباح كنوز لطائف الخطاب وبانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسنائها أنور الآيات.

وقال الأستاذ مفاتحة الأحباب بالخطاب والكتاب من أجلّ النعمى وأكرم الحسنى إذ هي سبب الوصال وابتداء تأسيس الحال وأنشد.

شعر

وَرَدَ الكتاب بما أقرّ الأعينا … وشفى القلوب فنلن غايات المنى
وتقسَّم الناس المسرَّة بينهم … قسماً وكان أجَلُّهم حظاً أنا[1]

وقيلْ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي وعدتك إنزاله عليك يوم الميثاق أيها المشتاق وقيل ذلك الكتاب الذي كتبت الرحمة على نفسي لأمتك قبل خدمتك وقيل الكتاب الذي هو سابق حكمي وقديم قضائي لمن حكمت له بالسعادة أو ختمت عليه بالشقاوة وقيل هو حكمي الذي أخبرت أن «رحمتي سبقت غضبي»[2] وقيل إشارة إلى ما كتب في قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان والمحبة والإحسان ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] لا شك فيه أنه حق ولا مرية أنه صدق أو لا تشكوا فإنه ليس من قبيل ما يشك فيه عند الموقنين بل هو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 2] أي هو هادٍ لمن أراد الله تقواه وتعلق به إخلاصه بخلاصه عما سواه فهذا الكتاب

---

(1) هذا الشعر منسوب إلى أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني. انظر: المنتحل (1/ 5).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

للأولياء شفاء ودواء وعلى الأعداء شقاء وبلاء كالنيل ماءٌ للمحبوبين ودماءٌ للمحجوبين فقوله تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185] إنما هو للاستئناس ليكون حجة على من زَلِقَ عن المحجة.

وقال الأستاذ: المتقي من اتقى رؤية تقويه ولم يستند إلى تقويه ولم يرَ نجاته إلا بفضل مولّيه والمعنى هذا بيان وحجة وضياء ومحجة لمن وفاه الله سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل وبصَّره بأنوار العقل واستخلصه بحقائق الوصل.

6/أ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية: 3] أي يصدقون/ بما غاب عن أعين العباد مما أخبر الله به من أحوال المبدأ والمعاد.

قال الأستاذ: حقيقة الإيمان التصديق والتحقيق وموجب الأمرين التوفيق فالتصديق بالعقد والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 3] أي يديمون العبادة البدنية التي هي معراج الأرواح الإنسية في مدراج الأشباح القدسية.

قال الأستاذ: نفوسهم مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة.

أراني إذا صليت يممت نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
أصلي فما أَدْري إذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا[1]

فأصحاب العموم يجتهدون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون وأرباب الخصوص يردون قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون فشتان ما بين غائب يحضر أحكام الشرع ولكن عن أوطان الغفلة وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن مع حقائق الوصلة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] أي ومن جملة ما أعطيناهم من المنن المالية وأنعمنا عليهم من المنح الحالية يصرفون في

(1) هذا الشعر منسوب إلى مجنون ليلى. انظر: الزهرة (1/ 9)، وأمالي القالي (1/ 105).

مرضات الملك المتعال ليصلوا إلى حسن المنال في المآل.

وقال الأستاذ ﴿يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] نفوسهم في آداب العبودية وقلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية والزاهدون أنفقوا في طريقة متابعة هواهم وآثروا رضى الله على مناهم والمريدون أنفقوا في سبيله ما شغلهم عن ذكر مولاهم ولم يلتفتوا إلى شيء من دنياهم وعقباهم والعارفون أنفقوا في تحصيله سوى مولاهم فقربهم الحق سبحانه وآواهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 4] أي من القرآن المنعوت بالفرقان وهو للغيب بمنزلة التبيان ﴿وَمَا أُنزِلَ﴾ [الآية: 4] أي علي من الكتب وصحف التبيان ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 4] أي على من قبلك من الأعيان والمراد الإيمان بجميع الكتب المنزلة والإيقان بجميع الأنبياء المرسلة حيث كانت كلمتهم متفقة على مسألة وحدة الألوهية المكملة ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 4] أي وبالأمور الواقعة في الحالة الآخرة من مواقف القيامة وخصت بالذكر لأنها من الأمور المهمة ﴿هُمْ﴾ [الآية: 4] أي المتقون لا غيرهم ﴿يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 4]/ أي يعلمون علم يقين ليس فيه حدث ولا تخمين بل كأنها نصب عين لهم في المرأى حيث أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على العقبى لإقبال وصال المولى فلا يغفلون عنها ساعة ويفعلون في كل ساعة منها طاعة وفيه إيماء إلى ما قال عامر بن عبد القيس تبيين لو كشف الغطاء ازددت يقيناً فنسأل الله يقينا عن غيره يقيناً ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 5] أي المؤمنون بما ذكر والموصوفون بما سطر ﴿عَلَى هُدًى﴾ [الآية: 5] أي مشتغلون على هداية عظيمة ومستولون على عناية جسيمة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 5] أي من جميل فضله وكرمه وجزيل لطفه ونعمه في الدنيا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 5] أي الناجون الفائزون الواصلون الكاملون في العقبى.

6/ب

قال الأستاذ: ولقد نال القوم البقاء في مشهد اللقاء وظفروا بقهر الأعداء هذا ولما فتح الله في الفاتحة بذكر المنعم عليهم من المؤمنين ثم عقبهم بذكر المغضوب عليهم من الكافرين وأتبعهم بذكر الضالين الشاملين للمنافقين والمرائين والفاسقين عاد في التالية إلى أوصاف المؤمنين ثم أحوال الكافرين

وأتبعهم بذكر المنافقين والمرابين إشعاراً بما ورد في الكلام القدسي والحديث الإنسي حيث قال «ربي سبقت رحمتي غضبي»[1] فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 6] أي تعلق علم الله بوجود كفرهم وكفرانهم وبعدم شكرهم وإيمانهم، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 6] أي مستوٍ إليهم ومتساوٍ لديهم ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [الآية: 6] أي إنذارك إياهم وتركهم في طغواهم ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: 176] وأما بالنسبة إلينا فلا يستوي تخويفهم وعدمه علينا لحصول أجر تبليغك لدينا سواء عليك إيمانهم وكفرانهم والحال أنهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 6] فإنهم لا يوقنون لعدم تصور قلب علمه سبحانه جهلاً ولا تبديل لخلق الله أصلاً فيما أراد بهم فضلاً أو عدلاً وإنما فائدة الإنذار منفعة الأبرار ومقمعة الحجة على الفجار لا يقال فإذن يجب عدم إيمانهم بل يجب وقوع كفرانهم فيلزم أمر نحو أبي جهل بالعلم من التكليف بالمحال وفيه إشكال عظيم من كل حال لأنا نقول ليس إيمان نحوه ممتنعاً لذاته بل لتعلق علم الله بصفاته على أن بعض العارفين من المحققين الواقفين صرح بأن أمر الإيمان لأهل الكفران إنما هو للتعجيز/ وظهور البرهان وتبيان الامتحان لأفراد الإنسان والحاصل أن شر القدر يعجز عنه البشر وقد قال الأستاذ فلما لم يؤمنوا لم يؤمنوا حكم سبق من الله وحتْمٌ وقوله له فصل وأن القدرة لا تعارض بالقوة ومن زاحم الحق في القضية كبسته سطوات العزة ويقال كما أن الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود عيه وغيه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده ويقال إن الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح المرشدين وتسويل المبطلين لأن الله سبحانه نزع عن أحواله بركات الإنصاف فلا يدرك بسمع القبول ولا يصغي إلى داع الرشاد ومن يضلل الله فماله من هاد ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 7] استباق بيان وتعليل برهان والمعنى طبع الله بالقدرة القاهرة والقوة الباهرة حتماً حسياً أو معناً معنوياً. كما قدرّه حتماً مقضياً ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ لئلا يعقلوا أسرار مطلوبهم

7/أ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [الآية: 7] لئلا يفهموا أقدار محبوبهم فهم مع مسامعهم في محافلهم ومجامعهم لئلا يفهموا إنذار محبوبهم فهم محرومون عن الأدلة العقلية ومحجوبون عن الدلائل النقلية ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 7] أي مواضع أنظارهم ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ [الآية: 7] أي غطاء عظيم مانع عن عطاء جسيم فهم ممنوعون عن رواية الآيات في الدنيا وعن مشاهدة الذات في العقبى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 7] أي حجاب ظلماني وعقاب روحاني وجسماني من كمال عظمته لا يمكن بيان كميته وكيفيته.

وقال الأستاذ: لهم عذاب عظيم بحسبانهم أنهم على شيء وسيم وغفلتهم عما منّوا به من المحنة والزوال في الحال والمآل في العاجل فرقة وفي الآجل حرقة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 8] أي ومن جملة الكفار المشبهين بالنّاس ﴿مَن يَقُولُ﴾ [الآية: 8] باللسان ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 8] بناءً على أن الاكتفاء بذكر طرفي المؤمن به عن سائر ما يتم الإيمان بسببه ﴿وَمَا هُم﴾ [الآية: 8] أي والحال ليس هؤلاء القائلون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 8] أي بالجنان أو المعنى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 8] من يتفوه بالإيمان والإيقان باللّه على حسب الظاهر ويظهر الإحسان في الأعمال المرتب على الإيمان باليوم الآخر وما هم/بكاملين في الإيمان لعدم 7/ب إخلاصهم في الإحسان أولما ذكر الله طائفة ممن سبقت له العناية وحصلت له الهداية من البداية إلى النهاية أو وصلت إليه جذبة في آخر حاله قبل انقضاء أجله وبيّن قوماً طبعوا على كفرهم في تمام عمرهم أظهر حال جمع يكونون مؤمنين في بدئ أمرهم ثم نعوذ بالله سبحانه حكم بتغيير أحوالهم في انتهاء آجالهم ولذا بعض السلف على خلاف الخلف كانوا يخافون من مضمون هذه الآية أن قضي لأحد منهم سوء الخاتمة نسأل الله العافية.

وقال الأستاذ: لما عدموا صدق الأحوال لم ينفعهم صدق الأقوال.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 9] أي بزعمهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 9] أي بمكرهم حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويحسنون الأعمال الصالحة على

قصد الرياء والسمعة أو إتيان الجلالة إجلال للمؤمنين وإعظام للمخلصين حيث نزّل ذاته الأقدس منزلة جماعتهم الأنفس وعده واحداً منهم مشاركاً معهم في الرفع عنهم والتقدير يخادعون رسول الله فإن مخادعته بمنزلة مخادعة الإله كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح، الآية: 10] وإنما أتى بصيغة المغالبة على إرادة المبالغة أي يبالغون في خدعتهم من جهة ريائهم وسمعتهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [الآية: 9] أي في الحقيقة ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 9] أي التي يلحقهم المضرة دون غيرهم من أرباب المبرة وأصحاب المسرة وفي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وما يخادعون إما للمشاكلة أو على وجه المبالغة وفيه إشعار إلى أن هذا كله بشامة أنفسهم وللعدول عن قبول نصيحة أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 9] أي وما يدركون أن وبال خداعهم عليهم ونكال فعالهم راجع إليهم.

قال الأستاذ: والإشارة في هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لي وبي ومني وأنا يقع في وهمه وظنه لك وبك ومنك وأنت وهذا التوهم أصعب العقوبات لأنه يرى سرابه فيظنه شرابه ولكن حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن المشتمل على الأخلاق الذميمة من الشك والنفاق والرياء والسمعة باعتبار/ الخلقة والفطرة حيث لا ينفعهم كلام الطبيب الموصوف بالخليل الحبيب ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن أي بإنزال القرآن الذي فيه شفاء الصدور حيث امتنعوا عن دواء الإيمان وغابوا عن مقام الحضور ودعا عليهم بزيادة عوض المرض لديهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ [الآية: 10] أي حجاب جسيم وعقاب وخيم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [الآية: 10] بالتخفيف الكوفي أي بكذبهم العنادي المؤدي إلى كذبهم في إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان وادعائهم مراتب أهل العرفان والإيقان أو بتكذيبهم الحق المطابق المنجز إلى تكذيب الرسول الصادق.

8/أ

قال الأستاذ: والإشارة تحصل لمن خلط قصده بحظه وشاب إرادته بهواه يتقدم في الإرادة بقدم ويتأخر بمتابعة النفس بأخرى فهو لا مريد صادق ولا متثبت موافق ولو صدق المريد في الإرادة لوصل بقلبه إلى حقائق الوصلة ولأدركته بركات الصدق فيما رامه من الظفر بالبغية وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين الدرجات والنجاة، ومن سقمت إرادته حيل بينه وبين المواصلات في القرب والمناجاة وإنما الحسرة إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ورأوا أنفسهم كيف خسروا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 11] أي للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 11] أي أرض قلوبكم وبلاد ربكم بالكفر والمعصية والرياء والسمعة ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [الآية: 11] أي ما نحن إلا مراعون جانب أهل الدنيا وطرف أرباب العقبى ﴿أَلَا﴾ [الآية: 12] أي تنبهوا أيها المؤمنون وبكلامهم لا تغترّون ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [الآية: 12] أي أحوالهم على أنفسهم بالعقائد الفاسدة وأعمالهم بنياتهم الكاسدة ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 12] أي لا يفهمون كساد فسادهم لسوء اعتقادهم وجهلهم بأن الدنيا والآخرة حرتين وفي مرتبة كفتين فلا يمكن الجمع بهما إلا بنقصان أحدهما فهم كالمتردد بين أهل الأرض والسماء لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي بطريق النصيحة خوفاً من الفضيحة ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [الآية: 13] أي كإيمان الصحابة ظاهراً وباطناً فإنهم الناس الذين بهم الاستئناس ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 13]أي فيما بينهم أو في أنفسهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأمور الدنيا ولم يعلموا أن البله هم أكثر أهل الحسنى في العقبى وهمزة الاستفهام مبالغة في إنكار المرام ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأحكام العلوم والأعمال وما يترتب عليها/ من المنال والمآل ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 13] أنهم يجهلون فجهلهم وقع مركباً وزيد عليهم العذاب مرتباً. 8/ب

وأفاد الأستاذ: بالإشارة أن أصحاب الغفلة إذا أمروا بترك الدنيا وصفوا

أهل الرشد بالكسل والعجز وقالوا إن الفقراء ليسوا على شيء لأنه لامال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش وفي الحقيقة هم الفقراء وأصحاب المحنة وقعوا في الذل مخافة الذل ومارسوا الهوان خشية الهوان شيدوا القصور ولكن سكنوا القبور وزينوا المهد ولكن أدرجوا اللحد وركضوا في ميدان الغفلة ولكن عثروا في أودية الحسرة وعن قريب سيعلمون ولكن حين لا ينفعهم علمهم ولا يغني عنهم شيئاً.

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار[1]

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 14] أي إذا رأوا المؤمنين المخلصين ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 14] أي ذهب الكفر والرياء عنا لانعكاس مراياهم وانجلاء مزاياهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [الآية: 14] أي إذا مضوا واختلوا إلى إخوانهم من شياطين الإنس والجن وأخدانهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 14] أي باطناً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 14] أي بإظهار الإيمان معهم ظاهراً وفيه تحذير عن مخالطة الظلمة وأرباب الغفلة وتنبيه على معاشرة أصحاب الطاعة قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة، الآية: 119].

قال الأستاذ: من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يلتئم له ذلك فالضدان لا يجتمعان «والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[2] «وإذا أقبل الليل من هاهنا أدبر النهار من هاهنا»[3] ومن كان له في كل ناحية خليط وفي كل زاوية من قلبه ربيط كان نهباً للطوارق قال قائلهم.

(1) نسب إلى بديع الزمان الهمذاني. انظر: معجم الأدباء (1/ 78)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (21/ 466).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 560) رقم (1259)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 316) رقم (20564). وعبد الرزاق في المصنف (8/ 405) رقم (15717)، ومالك في الموطأ (5/ 1146) رقم (2918)، وأبو داود في السنن (4/ 31) رقم (3928).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (1954)، وابن خزيمة في الصحيح (3/ 273) رقم (2058).

رآك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام[1]

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [الآية: 15] أي يجازيهم على استهزائهم أو يعاملهم معاملة أعمالهم باستدراجهم في أحوالهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ [الآية: 15] أي يزيد مددهم ومددهم وعددهم وعددهم أي يكثر مالهم وولدهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 15] أي في حال ضلالهم وعدوانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: 15] أي يتحيرون ويترددون.

قال الأستاذ: لما ألقى القوم أزمتهم في أيدي الشهوات استهوتهم في أودية الفرقة فلم يستقر لهم قدم على مقام وتطوحوا/ في متاهات الغيبة وكما 9/أ يمد الله المنافقين في طغيانهم يعمهون يطيل مدة هؤلاء في مخاييل الأمل فيكونون عند اقتراب آجالهم أطول ما يكونوا أملاً وأسوأ ما كانوا عملاً ذلك جزاء ما عملوا ووبال ما صنعوا وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من أشد العقوبات ورضاهم بما فيه من الفترة من أجلّ المصيبات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 16] أي استبدلوا ظلمة الضلالة بنور الهداية واختاروها عليه في البداية والنهاية ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [الآية: 16] بل ظهرت خسارتهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 16] أي في علم الله على ما قضاه للعباد أو ما كانوا قابلين للرشاد بحسب تقدير الاستعداد وفي الحديث أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى وقد قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام، الآية: 117].

وأفاد الأستاذ أن الذي رضي بالدنيا عن العقبى لفي خسران ظاهر ومن آثر الدنيا أو العقبى على الحق تعالى لأشد خسراناً.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ [الآية: 17] أي صفة المنافقين في تحير أمرهم وتردد سرهم واختيار ضلالتهم وترك هدايتهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [الآية: 17] أي أوقد ناراً وجعلها مناراً وحسب أن لها نوراً يعقب حضوراً وسروراً ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ [الآية: 17] أي أنارت تلك النار ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ [الآية: 17] أي من سفل الدار وظن

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: العقد الفريد (2/ 412)، وأخبار النساء (1/ 43).

أن لتلك النار وصف القرار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [الآية: 17] أي أذهب وأزال نور نارهم ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [الآية: 17] أي ناشئة من تلك الخيالات ودخانات الخبايات الحاصلة من الخيانات الكامنة في تلك الخانات ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: 17] أي شيئاً من أنوار الهدايات.

قال الأستاذ: هذا مثل ضربه الله تعالى سبحانه للمنافقين بمن استوقد ناراً في ابتداء ليله ثم أطفئت فبقي صاحبها في ظلم ظلمه كذلك المنافقون ظهر عليهم شيء من العوافي بظاهر ما أظهروا في الدنيا ثم امتحنوا بأليم العقوبة في العقبى أو لاح شيء من نور إقرارهم ثم بقوا في ظلمة أفكارهم والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة وعبادة جزيلة يسلك طريق الإرادة مدة ويقاسي بعد الشدة شدة ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى المرتبة الحقيقية ويعود إلى ما كان فيه من ظلمات البشرية وكان كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا ... وحسبنا من الفراق أمنّا

9/ب /بعث البين رسله في خفاء ... فأبادوا من شملنا ما جمعنا[1]

أو الإشارة إلى من له وفى بشيء من المعاني فيظهر فوق ما هو به من الدعاوي فإذا انقطع عند مادة ما له من أحواله بقي في ظلم ظلمة وغواية ضلالة.

فهم ﴿صُمٌّ﴾ [الآية: 18] عن سماع الحق ﴿بُكْمٌ﴾ [الآية: 18] عن كلام الصدق ﴿عُمْيٌ﴾ [الآية: 18] عن درك الوفق ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 18] عن ضلالتهم وجهالتهم لا بالعنف ولا بالرفق.

قال الأستاذ: إذا لم يسبق لهم الحكم بالإقلاع ولم تساعدهم القسمة بالارتداع.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [الآية: 19] أي أو مثلهم العجيب الشأن ووصفهم القريب البيان في باب تنوع التبيان كأصحاب مطر نازل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 19] أي من

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354).

جهة العلاء ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 19] أي مندرج فيه ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ [الآية: 19] أي أنواع ظلمات من الليل والسحاب وتكاثف القطرات ﴿وَرَعْدٌ﴾ [الآية: 19] وهو صوت ملك موكل بسحائب الأمطار ﴿وَبَرْقٌ﴾ [الآية: 19] يظهر من لمعان سوطه حين زجره بمقمعة النار ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ [الآية: 19] أي رؤوسها أو كلها ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [الآية: 19] للمبالغة في حفظ أسماعهم ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [الآية: 19] أي من أجل شدة صوت الرعد، وحدة ضربه المتولد منه انفصال قطعة من المقمعة ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: 19] أي للاحتراز عن الموت كيلا يموتوا من شدة الصوت أو لئلا يصيبهم الصاعقة المفيدة للغوث ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 19] أي عالم بجزيات أحوالهم وكليات أفعالهم فيجازيهم وفق أعمالهم فالمطر مثل لما في القرآن حياة القلوب والظلمات بيان لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، وسائر العيوب، والرعد مثلٌ لما خوفوا به من الوعيد والبرق مثل لما ذكر فيه من الوعد الأكيد وجعل الأصابع كناية عن عدم سماع الوعد والوعيد المؤدي إلى الإيمان الذي هو كالموت عند أهل العدوان.

قال الأستاذ: كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذ طرق أسماعهم وعظ الواعظين أو لاح بقلوبهم بعض أنوار العارفين كنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاسدة وأصَروا على أعمالهم الفاسدة وتعللوا بأعذار واهية ولو أقلعوا عمّاهم عليه من الغفلة لسعدوا بأنوار وافية.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... مل الوصال وقال كان وكانا

إن الكريم إذا حباك بوده ... ستر القبيح وأظهر الإحسانا(1)

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الآية: 20] أي يقرب أن يسلب أنظارهم الظاهرة ما في القرآن من الحجج القاهرة الباهرة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [الآية: 20] أي كلما وافق هواهم/ وصادق مدعاهم مضوا في قبوله وسعوا في حصوله ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [الآية: 20] أي وإذا لم يوافق غرضهم ومطلوبهم ولم يطابق بغيتهم ومرغوبهم وقفوا وعن السير عكفوا وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ 10/أ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26) و(2/ 426) و(4/ 309).

مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج، الآية: 11].

قال الأستاذ: وكذا أحوال بعض المريدين من أصحاب الغفلات وأرباب الشهوات إذا حضروا مشاهد الموعظة أو جنحت قلوبهم إلى الرقة أو دخلهم شيء من الوهلة يقرب أحوالهم من التوبة ويقوي رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبيرهم وشاوروا قرنائهم أشار الأهل والولد عليهم بالعود إلى دنياهم ويسطوا فيهم لسان النصح وهددوهم بالضعف والعجز فيضعف قصودهم ويسقط إرادتهم وصاروا كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى تكسبه[1]

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾ [الآية: 20] أي الظاهر كما ذهب بحواسهم الباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 20] أي تام القوة كامل القدرة.

قال الأستاذ: كذلك أرباب الغفلة والقانعون من الإسلام بظاهر الوسمة فالله تعالى قادر على سلبهم التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات كما سلبهم التحقيق فيما يستبطنونه من صفاء الحالات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 21] أي عموماً أو خصوصاً ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [الآية: 21] أي وحدوه وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب زواجره عن وفق تربيته وطبق تسويته ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الآية: 21] أي الذي أوجدكم من العدم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 21] أي وخلق من قبلكم إلى آدم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 21] أي على رجاء اتقائكم من الحجاب أو لكي تحترزوا من أليم العقاب.

قال الأستاذ: اعبدوا بالتجرد عن المحظورات والتجلّد عن أداء الطاعات ومقابلة الواجبات بالخضوع والاستكانة والتجافي عن التعريج في منازل الكسل والاستهانة.

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [الآية: 22] أي كبساط مفروش لينة هينة لا غليظة حزينة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [الآية: 22] أي كقبة مبنية بلا عمد مرئية ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية: 22] أي ما يمتزج بتراب الأرض سواء ﴿فَأَخْرَجَ﴾ [الآية: 22] أي الله سبحانه ﴿بِهِۦ﴾ [الآية: 22] أي بسبب إنزاله وبواسطة إيصاله ﴿مِنَ/ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 22] أي من أنواع المأكولات والمشتريات المستلذات الطيبات ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 22] أي: لتمتعكم ونفعكم بما يقويكم على طاعة ربكم فإن الإنسان خلق له كل شيء من المنفعة وهو مخلوق لصرف عمره في العبادة كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة، الآية: 29] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وفيه تعريض للكفار حيث أنه خلقهم ورزقهم وعبدوا غيره مما لا يرجون نفعه ولا يخافون ضيره ولذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية: 22] أي إذا كان الأمر كما سبق حيث الله سبحانه هو الذي خلق ورزق فلا تجعلوا له أمثالاً وأشباهاً فضلاً عن أن يكون له أنداداً وأضداداً ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 22] أي ما سوى الله كلهم مخلوقون ومرزوقون فهم للعبادة لا يصلحون فإنهم لأنفسهم لا ينفعون.

10/ ب

قال الأستاذ: تعرف إليهم بِذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفاً مرفوعاً وأنشأ الأرض لهم فرشاً موضوعاً وإخراج النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً فلا تعلقوا قلوبكم بالأغيار في طلب ما تحتاجون إليه فإن الحق سبحانه متوحد بالإبداع لا محدث سواه فإذا توهمتم شيئاً من الحادثات من نفع أو ضرٍ أو خيرٍ أو شرٍ من مخلوق كان ذلك، في التحقيق شركاً أي خفياً.

ولهذا أورد في الحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1] وهذا بيان لإثبات الوحدة ثم شرع في برهان النبوة بقوله:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [الآية: 23] أي شك وتردد عيب ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾

(1) أخرجه أبو داود في السنن (3/ 217) رقم (3253)، وأحمد في المسند (2/ 125) رقم (6073)، وابن حبان في الصحيح (10/ 199) رقم (4358)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 29) رقم (19615).

[الآية: 23] أي: من جهة صدق ما نزلنا من الكتاب ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الآية: 23] أي: الذي أوتي فصل الخطاب ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ [الآية: 23] أي: بقطعة من الكلام على وجه النظام ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية: 23] أي: فيهما بعض شبه به من حسن مبانيه في الفصاحة وزين معاينة في البلاغة مع ما يتضمنه من المعجزات والأخبار عن المعيبات المتعلقة بأحوال العباد من أول المبدأ إلى آخر المعاد ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [الآية: 23] أي اطلبوا خطباءكم واستدعوا بلقائكم ممن يحضر المحافل ويدعي الفضائل واستعينوا بآلهتكم التي تدعونها وللعبادة تحضرونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 23] أي من غيره سبحانه ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 23] أي: في أن محمداً من الكاذبين.

11/أ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 24] أي: في الأزمنة/ الماضية ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 24] في الأوقات الآتية إذ الإتيان بمثله من المحالات العقلية والعادية ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: 88] وأيضاً ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء، الآية: 82] وهو بحمد الله لم يصادف فيه أحد خللاً يسيراً ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [الآية: 24] أي: احذروا دخولها واجتنبوا ما يوجب حصولها ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾ [الآية: 24] أي ما يوقد به هو ﴿ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 24] أي: الكفار والفجار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [الآية: 24] أي: الأصنام التي نحتوها من الأحجار وعبدوها تبكيتاً لعابديهم في النار أو حجارة الكبريت التي هي أشد للإيقاد ولا منع من الجمع في تعذيب أهل الإبعاد ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 24] أي: هيت جزاء لهم بالأصالة وللفاسقين بالتبعية ولما كان من سنّة الله سبحانه أنه إذا خوف أعداءه بشر أولياءه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 25] أي بالعقائد الحسنة ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الآية: 25] أي: الطاعات المستحسنة والمعنى أخبرهم خيراً يظهر به أثر البشر على بشرتهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ [الآية: 25] أي: بان لهم حاصل حدائق ذات أشجار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الآية: 25] أي: من تحت أشجارها ومساكنها أو على وفق تصرف سكانها ونسبة الجري إلى الأنهار مجازية مشعرة بأن لا أنهار في

ذلك النهار ولا يبعدان اللام المعهودة للأنهار الأربعة الموجودة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد، الآية: 15].

قال الأستاذ: هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لعموم المؤمنين على الوصف الذي يشرحه لسان التفسير ويشير إلى البشارة للخواص بنعم معجلة، مضافة إلى تلك النعم يتيح اللَّه لهم على التخصيص فتلك المؤجلة جنان المثوبة وهذه المعجلة جنان القربة وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة بل تلك حدائق الإفضال وهذه حدائق الوصال وتلك رفع الدرجات وهذه روح المناجاة وتلك قضية جوده وهذه الاستقلال بوجوده وتلك راحة الإبشار وهذه نزهة الأسرار وتلك لطف العطاء للظواهر وهذه كشف الغطاء عن نزهة السرائر وتلك لطف نوال وإفضال/ وهذه كشف جمال وجلال. 11/ب

وقال صاحب «العرائس»: لأن لأهل المعرفة جناناً جنة العبودية وجنة الربوبية وجنة المعرفة وجنة المحبة وجنة القربة وجنة المشاهدة وجنة المداناة وجنة الوصلة وجنة التوحيد وجنة البقاء وجنة البسط وجنة الرجاء وجنة الانبساط وجنة الصحو وجنة الملكوت وجنة المكاشفة وجنة الحقيقة وجنة العلم ولكل جنة منها نهر يجري تحتها يطول أمر تفصيلها وبيان تعليلها ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ [الآية: 25] أي: اطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: من أي نوع واحد من الثمرات ﴿رِّزْقًا﴾ [الآية: 25] أي: مرزوقاً قدر له مخلوقاً ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 25] أي: هذا مثل النوع الذين أعطيناه من قبل هذا الوقت في الدنيا أو العقبى ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [الآية: 25] أي: جيئوا بالمرزوق مشتبهاً في اللون والصورة مختلفاً في الطعم واللذة وهذا أبلغ في مقام خرق العادة.

وأفاد الأستاذ: إن أهل الجنة كما يتجدد عليهم النعم في كل وقت فالثاني عندهم على ما يظنون كالأول وإذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم فكذلك

أهل الحقائق أحوالهم في التزايد أبداً فإذا رقي أحدهم عن محله توهم أن الذي سيلقاه في هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجده فوق ذلك بأضعاف كما قال قائلهم:

ما زلت أنزل في ودادك منزلاً تتحير الألباب دون نزوله[1]

قلت: وإليه الإيمان في قول سيد الأنبياء أنه ليغان[2] على قلبي واستغفر الله سبعين مرة[3] ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [الآية: 25] أي نساء منظفات من الأوساخ الطبيعيّة والأخلاق الدينية والتغيرات البشرية وهم فيها ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 25] أي مقيمون دائمون ولما ضرب الله مثل العنكبوت والذباب في حكم الكتاب وتعجب الكفار من هذا الخطاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [الآية: 26] أي لا يترك ترك المستحي أي: يبين أيّ: مثل كان محتاجاً إلى البيان مشتملاً على عبرة لمن اعتبر في ميدان التبيان سواء كان حقير الجانب أو عظيم الشأن ﴿بَعُوضَةً﴾ [الآية: 26] وهي صغير البق فكأنها بعضه عطف بيان لمثلاً وقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [الآية: 26] عطف عليها أي: فما زاد عليها في الجثة والكبر أو في الحقارة والصغر مما في خلقه من العبر/ . 12/أ

وقال الأستاذ: الاستحياء من الله بمعنى الترك فإذا وصف نفسه بأن يستحي من شيء فمعناه أنه لا يفعل ذلك وإذا قال لا يستحي فمعناه لا يبالي بفعل ذلك والخلق في التحقيق بالإضافة إلى وجود الحق أقل من ذرة من الهباء في الهواء لأن هذا الاستهلاك محدود في محدود فسيّان في قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش أشق وأعسر ولا خلق البعوضة أخف [عليه] وأيسر فإنه سبحانه من متقدس عن لحوق العسر واليسر فإذا كان الأمر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 31) و(4/ 239).

(2) ما يغشاه من السهو، انظر: لسان العرب (13/ 316).

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (2702)، وأبو داود في السنن (1/ 559) رقم (1517)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 116) رقم (10277)، وأحمد في المسند (4/ 211) رقم (17881).

بذلك الوصف فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحي أن يضرب بالعرش فما دونه مثلاً وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاعت قويت فطارت وإذا شبعت تشققت وتلفت كذلك ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق، الآيتان: 6، 7] وقيل فما فوقها الذباب وجهة الإشارة فيه أن الوقاحة التي في الذباب حتى أنه إن يعود عند المبالغة في الذب إذ لو كانت في الأسد لم ينج منه أحد من الخلق ولكن لما خلق القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ولما خلق الوقاحة التي في الذباب خلق فيه ضعفاً تنبيهاً منه سبحانه على كمال حكمته ونفاذ قدرته. انتهى. ولا يبعد أن في ذكر البعوضة إيماءٌ إلى قضية النمرود والمردود حيث عذبه الله أربعمائة سنة بإدخال البعوضة في دماغه حتى منعه من السِّنة وكان ضرب رأسه بالمقمعة على وجه القوة من الحسنة وقيل: هذا مثال للدنيا وأهلها فإن البعوضة تحيى إذا جاعت وتموت إذا شبعت وكذلك أهل الدنيا إذا امتلأوا مما عليها وركنوا إليها أخذهم الله وأمات قلبهم وأهلكهم لديها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 26] أي: المثل الذي مثل به هو الثابت من عند الله المربي به من سواه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾ [الآية: 26] أي: من جهلهم بالمثل والممثل به والممثل الذي ليس له مثل ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [الآية: 26] أي: أي شيء أراده بهذا المذكور من جهة المثل المسطور.

قال الأستاذ: لأنهم سكرت أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجهل والإشكال وأما من فتحت أبصار سرائرهم فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار فلا يزداد الإنفاذ/الاستبصار ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ [الآية: 26] أي بإيراد المثل ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية: 26] أي: ممن ينكرونه ويكذبونه ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [الآية: 26] ممن يصدقون به ويعرفونه قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء، الآية: 82] فهو كالنيل ماءٌ للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد سئل الشيخ أبو إسحاق الكازروني قدّس سره عن السرف أن أهل البدعة يستدلون بالقرآن كما أن أهل السُّنَّة يستنبطون الأحكام من هذا الفرقان فقرأ الشيخ هذه الآية تنبيهاً للعلامة بين

12/ ب

الرواية والدراية.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الكتاب لقوم شفاءً ورحمة ولآخرين شقاءً وفتنة فمن تعرف إليه يوم الميثاق بأنوار العناية حين سمعوا قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف، الآية: 172] تذكروا عند الواسطة صلوات الله وسلامه عليه قديم عهده وسابق وده فازدادوا بصيرة على بصيرة ومن وسمه بذل القطيعة وأنطقه ذلك اليوم عن الحسبان والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة النبوية إلا جحداً على جحد وما خفي اليوم عليهم صادق الدلالة إلا لما تقدم لهم من سابق الضلالة ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: الخارجين عن حدود المؤمنين وهم الكافرون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 67] .

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 27] أي: يهدمونه وينكثونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الآية: 27] أي: بعد استحكام عهده وما يترتب عليه من وعيده ووعده والمراد ما وثق الله به عهده من الكتب المنزلة أو ما وثقوه به التزام العهد وقبول النصيحة وقيل عهود الله ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأنهم إذا أدركوا محمداً آمنوا به وقاموا بنصرته وعهد على العلماء بأن يبنوا للعامّة ما يجب عليهم من معرفته.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ثم رجع إلى ما هو إليه أهل العادة وقال بترك نفسه ثم لم يصدق حين عزم الأمر ونزل عن إشارات الحقيقة إلى رخص الشريعة وكما أن من سلك الطريق بنفسه فما دام درهم يبقى في كيسه فغير محمود رجوعه فكذلك من قصد بقلبه فما دام يبقى نفس من روحه فغير مرضي رجوعه/ . 13/أ

إن الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية منهلاً معسولا

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية: 27] أي: بوصله كإيصال الرحم بالرحمة وموالاة الأمة المرحومة والاجتماع في الجمعة والجماعة وكل ما هو بين الله وعبده من الوصلة.

قال الأستاذ: وصل أسباب الحق بقطع أساب الخلق ولا يتم وصل ماله

إلا بقطع مالك وإذا كان الأمر بالعكس كان الحال بالضد في ذلك ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 27] أي: في أرض قلوبهم بما يثمر ظهور عيوبهم أو في أرض ربهم وبلاده بمخالفة أمره في حق عباده.

أفاد الأستاذ: أن فساد هذه الطائفة من إهمالهم حواشي أحوالهم فيتشاغلون عن إرشاد مريد بكلامهم وإيجاد قاصد بهممهم ومن فسادك في أرض ساعة تجري عليك ولم تره فيها ناظراً إليك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 27] أي: بفوت التوبة والقربة والمصير إلى القطيعة والعقوبة.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 28] كيف هذه كلمة تعجيب متضمن لإنكار وتأديب أي: لا يصلح للعبد بعد ظهور آيات ربه أن يميل إلى الكفر بقلبه وحاصل المعنى أخبروني على أي حال تكفرون وبأي طريق تنكرون ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً في أصلاب آبائكم وترائب أمهاتكم ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [الآية: 28] بتسوية أشباحكم بعد خلق أرواحكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: للسؤال في القبور أو بالنشور يوم ينفخ في الصور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: إلى حكمه في مآلكم فيجاء زيكم بأعمالكم فما أعجب كفركم مع علمكم بأحوالكم هذا إذا كان الخطاب للكفار وأما على تقدير توجهه إلى الأبرار فالمعنى كيف يتصور منكم الكفر ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [الآية: 28] أي: جهالاً ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [الآية: 28] بما أفادكم من العلم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] الإماتة الرسمية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] الحياة الحقيقية ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من النعم الأخروية.

قال الأستاذ: تعرف الحق إلى الخلق بلوائح دلالاته ولوامع آياته فقال ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً أجزاؤها متساوية فأحياكم بشراً اختص بعض أجزاء النطف بكونه عظماء أو بعضها بكونه لحماً وبعضها بكونه جلداً وبعضها بكونه شعراً إلى غير ذلك ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] / بأن يجعلكم عظاماً 13/ب ورفاتاً ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ

﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: إلى ما سبق به حكمة من السعادة والشقاوة ويقال كنتم أمواتاً بجهلكم عنا ثم أحياكم بمعرفتكم بنا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهودكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] به ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: بحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق ويقال ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] ببقاء نفوسكم فأحياكم بفناء حظوظكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] بأن يأخذكم عنكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] بتقلبكم في قبضته سبحانه ويقال: جنّس عليهم من الأحوال فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية كما قالوا هذه حياة فيبتليهم كذلك إذا دال عليهم فأفناهم فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم فهم أبداً بين بقاء وفناء وبين صحو ومحو كذلك جرت سُنَّته سبحانه معهم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ [الآية: 29] أي: لأجل انتفاعكم ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] أي: لتأخذوا منها معاشكم وزادكم مما يبلغ معادكم.

قال ابن عطاء ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] ليكون الكون كله لك وتكون لله فلا تشتغل بمالك عما أنت له ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية: 29] أي: بإرادته أقبل عليها وبقدرته قصد إليها ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ [الآية: 29] أي: فعدل الجهات العليات ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الآية: 29] أي: متطابقات من غير عمد مرئيات لتستدلوا بها على قدرته وتنتفعوا بأنواره وأنواع زينته وبصعود أرواحكم وأعمالكم ونزول ملائكته ووصول بركاته ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات والكليات والجزئيات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] أي: بالغ في العلم والإدراك على نهاية الإحاطة لما هناك.

قال الأستاذ: سخر لهم جميع المخلوقات على معنى محصول انتفاعهم بكل شيء منها فعلى الأرض يستقرون وتحت السماء يسكنون ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16] وبكل وجه آخر ينتفعون بل من عين نظر وأثر فكر بكمال قدرته وجمال ربوبيته ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ [الآية: 30] أي: أذكر حين قال ﴿رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية: 30] أي: مصير فيها آدم وذريته من بعده خلفاً

14/أ بخلف من قبلهم من الملائكة الذين كانوا سكان الأرض/ بعد الجن فدمروهم وفرقوهم في الجزائر والجبال ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [الآية: 30] أي: بأنواع الكفر ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [الآية: 30] أي: ويفعل سائر المعاصي وهذا من باب قياس أحد الثقلين على الآخر أو بالتلقي من اللوح أو بما في ظنهم أن العصمة من خواصهم أو بإعلام الله إياهم بما يكون في أكثر ذرية آدم والله أعلم وعلى كل تقدير هو تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يتوقع منه خرابها وفسادها واستكشاف عن وجوه الحكمة وإبدائها ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [الآية: 30] أي: والحال أنا ننزهك مقروناً بحمدك ونطهر أعمالنا وأحوالنا لأجلك بتوفيقك وفضلك ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] وسأظهر لكم ما لا تعرفون.

قال الأستاذ: هذا ابتداء إظهار سره وحكمته في آدم وذريته أمر حتى سلَّ من كل بقعة تراب طينته ثم أمر بأن يخمر طينته أربعين صباحاً وكل واحد من الملائكة يفضي العجب ما حكم هذه الطينة وما حكمة هذه العجينة فلما ركب صورته الحسنة لم يكونوا رأوا مثلها في بدائع الصنعة وعجائب الحكمة فحين [قال] ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [الآية: 30] تجنّست الأقاويل وكان كما قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري(1)

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام طاعاتهم والملاحظة إلى حالاتهم بهذا الخطاب وأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] أي: من غفراني لهم والمعنى أنتم تعرفون عصيانهم وأنا أعلم فيهم غفرانهم ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفعالهم وعيوبهم وأنشد:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع(2)

(1) نسب إلى محمد بن وهب. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 147).
(2) نسب إلى ابن نباتة المصري. انظر: دواوين الشعر العربي (83/ 22) وقد ورد في تفسير القشيري (1/ 36)، ونفح الطيب (6/ 25).

ويقال أيّ خطر لتسبيحكم لولا فضلي وأي ضرر من ذنوبهم إذا كان عفوي ويقال إن أسعدتكم عصمتي فقد أدركتهم رحمتي، ويقال إن كان محسنكم/عتيق العصمة فإن مسيئهم عريق الرحمة، انتهى. ولا يبعد أن يقال 14/ب والله أعلم بالحال أنه سبحانه لما خلق الملائكة معصومين عن المخالفة وجعلهم مظاهر الجمال وخلق الشياطين عاصين في الموافقة وصيرهم مظاهر الجلال بقي ظهور من يصلح أن يكون مظهراً للكمال وهو المعنى الجامع بين صفتي اللطف والقهر المقتضي لأن يظهر منه الخير والشر والنفع والضر القابل من وجه أن يكون في النار التي هي من جملة مظاهر نعوت الجمال من نحو المضل والمنتقم والقهار والصالح من جهة أن يكون في الجنة التي هي من مظاهر نعوت الجمال من نحو الهادي والمنعم والغفار فخلق هذا المعجون المركب على الوجه المربك كما يشير إليه في الحديث القدسي والكلام الإنسي أنه خمر طينة آدم بيديه أي بإظهار صفتيه من القبض والبسط وما ينشأ منهما من المحنة والمنحة والمحور الصحو والفناء والبقاء وأمثال ذلك على صنيع بديع هنالك بحيث أنه لو مال في علو الهمة وعلو الطاعة إلى مراتب الملائكة يسبقهم ويكون في أعلى عليين ولو أخلد إلى دناءة المرتبة وزيادة المعصية إلى مناصب الشياطين لغلبهم ويصير في أسفل سافلين ويؤيد ما قررناه ويقوي ما حررناه حديث «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»[1] هذا وروي أنه لما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] قالوا: فيما بينهم أو في أنفسهم لن يخلق ربنا خلقاً أعلم منا ففضل الله تعالى آدم عليهم بالعلم وعلمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة تكميلاً للمعرفة وهذا معنى قوله:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: 31] أي: أسماء المسميات على أن اللام عوض عن المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيين وبعض البصريين وكثير من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 156) رقم (3992)، والمعجم الأوسط (3/ 31) رقم (2376)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 489) رقم (798)، وأحمد في المسند (1/ 289) رقم (2623).

المتأخرين أو الأسماء للمسميات بحذف الجار والمجرور لدلالة الأسماء عليه كما هو مقتضى رأي الباقين وقيل فيه الاستخدام يكون المراد بالأسماء الألفاظ والضمير في عرضهم راجعاً إلى الأسماء رأوا بها المسميات كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض/ قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً 15/أ

وهذا مع كونه من المحسنات البديعية أيسر وأسهل في طرق العربية والمعنى خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء ومعرفة بخواص الأشياء ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [الآية: 31] أي: أظهر مسميات الأسماء من الجمادات والعقلاء ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ [الآية: 31] أي: على طريق التعجيز كما في الوجيز ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ [الآية: 31] أي: أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 31] أي: المسميات المفروضة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 31] إني لا أخلق خلقاً أعلم منكم على قول ابن عباس وجمع من السلف[1] أو أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم على ما قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ومن تبعهم من السلف ثم الخلف ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 32] أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك في حلمك وأمرك وقضائك وقدرك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [الآية: 32] اعتراف بالعجز والقصور عن علم ما لا يعلمونه وعن حكم ما لا يحكمونه وهذا لازِمُ أحوال أرباب الكمال لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه، الآية: 110] مع ما في الآية من الإشارة إلى أنهم إنما حصل لهم الهيبة في الحضرة حيث قال أنبئوني بخلاف قوله أنبئهم لآدم والله أعلم وأخذ من هذا أن لا أدري نصف العلم.

وقال أبو عثمان المغربي: ما بلاء الخلق إلا بالدعاوي ألا ترى أن الملائكة لما قالوا نحن نسبح بحمدك كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [الآية: 32] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 32] أي: لا يخفى عليه خافية ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 32] الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة وافية فلما ظهر عجز الملائكة الكرام وأراد إظهار فضل آدم عليه السلام.

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 224).

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [الآية: 33] أي: أعلمهم بها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 33] أي: ما غاب فيها عن الخلق ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ [الآية: 33] أي تظهرونه ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [الآية: 33] أي: تسرونه وقيل: ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لن يخلق خلقاً أفضل منهم ففي الجملة للكلام دلالة على مرتبة العلم والمعرفة على مرتبة العمل والعبادة وإيماءً إلى أنه شرط في الخلافة الكاملة.

وقال الأستاذ: فلا يقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقديس وهو طاعات/ تليق بالمخلوقين فإن الطاعة سمة العبيد ولا يتعداهم والعلم في 15/ب الجملة صفة مدح يجب في نعت الحق سبحانه واجباً لا يصح لغيره فالذي يكرمه بما يتصف هو سبحانه وإن كان لا مساواة أتم من إكرامه بما يكون موقوفاً على جنس المخلوقات ويقال أكرمه في السر بما علمه ثم بين تخصيصه بالجهر وقدمه. قال وعموم قوله ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ يقتضي الاستغراق واقتران قوله ﴿كُلَّهَا﴾ يوجب شمول الأفراد بالاستحقاق فكما علمه أسماء المخلوقات كلها على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره علمه أسماء الحق سبحانه ولكن قال إنما أظهر له محل التخصيص في علم أسماء المخلوقات وبذلك المقدار بأن رجحانه عليهم.

وأما انفراده بمعرفة أسمائه سبحانه فذلك سر لم يطلع عليه ملك مقرب ومن ليس له مرتبة مساواة آدم في معرفة أسماء الخلق فأي طمع له في مداناته في أسماء الحق ووقوعه على أسرار الغيب وإذا كان التخصيص بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضي أن يصبح مسجود الملائكة فما الظن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ما الذي يوجب لمن أكرم به انتهى.

ويمكن أن يقال أن المعروضات تشمل مظاهر الصفات فالأسماء والمسميات على إطلاقها وإفادة استغراقها.

ثم أفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لما أراد أن ينجي آدم عصمه وعلمه

وأظهر عليه آثار الرعاية حتى أخبر بما أخبر وحين أراد إمضاء حكمه فيه أدخل عليه النسيان حتى نسي في الحضرة عهده وجاوز حده فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه، الآية: 115] فالوقت الذي ساعدته العناية تقدم على الجهلة بالعلم والإحسان والوقت الذي أمضى عليه الحكم رده إلى حال النسيان والعصيان كذا حكم الحق سبحانه فيما يجري ويمضي دل لحكمه العبيد وهو فعال لما يريد وفي «**العرائس**» قال بعضهم لما شاهدوا أفعالهم وافتخروا بها رد الله تعالى وجوههم عنه إلى آدم وأمرهم بالسجود له إعلاماً بأن العبادة لا تزن عنده شيئاً.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله/ ولما توهموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم 16/أ وتقديسهم عرفهم أن بساط العز مقدس عن التجمل بطاعة مطيع مريد أو التدنس بزلة جاحد عنيد، فردهم إلى سجود آدم إظهاراً لغناه عن كل وفاق وخلاف وهذا قوله جلّ ذكره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية: 34] والسجود لآدم لم يكن عبادة لعينه ولكن لموافقة حكمه فكأنّ سجودهم لآدم عبادة لله حيث كان بأمره وتعظيماً لآدم لأنه أمرهم به تشريفاً لشأنه وكان ذلك نوع خضوع له ولكن لا يسمى ذلك عبادة لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه وتعالى ويقال بيّن أن تقدسه سبحانه بجلاله لا بأفعالهم وأن التجمل بتقديسهم وتسبيحهم عائد إليهم وهو الذي يجل من أجله بإجلاله لا بأفعالهم ويعز من أعز قدره سبحانه بإعزازه لا بأعمالهم جل عن إجلال الخلق قدره وعز عن إعزاز الخلق ذكره وقيل كان لله السجدة وآدم إنما هو كالكعبة موضوع للقبلة لكن يأبى عن هذا المعنى وجود اللّام دون إلى وأما ما قيل في أن المراد بالسجود الانحناء فخلاف الظاهر مع بعده عن مقام الابتلاء ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الآية: 34] أي: الملائكة كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية: 34] أي: الداخل فيهم بالتلبيس ﴿أَبَىٰ﴾ [الآية: 34] أي: امتنع بقلبه ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [الآية: 34] عن السجود بقالبه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 34] في سابق علم الله وحكمه أو وصار من الكافرين لامتناع قبول أمره على وقف قضائه وقدره وإنما منشأ آبائه العجب بطاعته والغرور بكثرة عبادته إذ

لم يترك بقعة قدر شبر في السماء والأرض مع سعتهما من الطول والعرض إلا وقد كان سجد لله فيها سجدة وأطاع فيها قومة وقعدة إلى أن صار واعظاً للملائكة لوضع له منبر لسماع الموعظة وكان يذكر أن الله تعالى سيخلق آدم وينور به العالم ويأمر الملائكة بالسجود له وأن واحداً يمتنع عن الانقياد لحكمه وأمره فيصير ملعوناً مطروداً عن بابه ومحجوباً عن جنابه ويشقى شقاوة أبدية على وفق كتابه فإذا نزل عن منبره تعلق به كل من حضر بمجلسه وسمع هذا الكلام في محفله قائلاً ادع الله أن لا يجعلني ذلك الشقي فيدعوا لكل منهم أن يجعله الله التقي ولم يستعذ بالله لنفسه من أن يبتلي بدنسه والله غالب على أمره فبما دبر من قضائه وقدره.

16/ب / ولذا قيل: العجب أكبر من كل ذنب فإن صاحبه يحرم من التوبة ويمنع من الإنابة بخلاف المذنب فإنه قد يكون في عين معصيته متصفاً بملامته وندامته وبهذا تبين الفرق بينه وبين آدم عليه السلام فيما وقع لهما من مخالفة بعض الأحكام وقد قال بعض العارفين معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عجباً واستكباراً ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

قال الأستاذ: ولقد كان إبليس مدة في دلال طاعته يختال في صدار موافقته سلموا له رتبة التقدم واعتقدوا فيه استحقاق التخصيص بالتكرم فصار أمره كما قيل:

وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفى

كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية ويظن بها استحقاق الخصوصية.

فبات بخير [والدّنيٰ] مطمئنة وأصبح يوماً والزمان تقلبا[1]

فلا سالف طاعة نفعه، ولا آنف رجعة رفعه، ولا شفاعة شفيع أدركته، ولا سابقة عناية أمسكته، ومن غلبه القضاء لا ينفعه العناء ولقد حصل من آدم هفوة بشرية فقد أدركته رحمة أحدية وأما إبليس فقد أدركته شقوة أزلية وغلبته قسمة أبدية فخاب رجاؤه وضل عناؤه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 41) و(2/ 466) و(3/ 62) و(7/ 31).

وقال صاحب «العرائس»: ألبس الله سبحانه الملائكة لباس العبودية فأعجبوا بعبادتهم وألبس آدم لباس الربوبية ورقم عليه طرار صفاته وعرضه على الملائكة فرأوه ملتبساً بلباس الحق فخجلوا عن تعجبهم بعبادتهم فأمرهم الله سبحانه بسجود آدم تعييراً لهم وتعليماً أنّ عبادتهم لا تزيد بالربوبية ولا تنقص عن الألوهية وأيضاً لما خلقه بخلقته وصوره بصورته وألبسه من نوره ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته وأجلسه على سرير مملكته فأسجد له ملائكته حتى أكمل له في العبودية صفات الربوبية فسجد الملائكة لكونهم في مقام الشهود وأبى إبليس عن السجود لما قدر الله عليه أنه من أهل الجحود فالملائكة رأوا فيه سر الله وعليه لباس الله مصبوغاً بصبغ الله ولم ير إبليس ما كشف لهم.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [الآية: 35] أي: أكلاً واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الآية: 35] أي: ما شئتما إذا / شئتما من غير أن تصادفا مانعاً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 35] أي: من حولها فضلاً عن أكلها وهي السنبلة أو الكرام أو شجرة العلم على ما سيأتي بيانه ويظهر برهانه ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 35] أي: فتصيرا من العاصين الواضعين الأشياء في غير مواضعها ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: 21] غير ملتفتين إلى موانعها فوقعا في ظلمة نفسهما وخرجا عن مجلس أنسهما ومحفل قدسهما. 17/أ

قال ابن عطاء: نهى عن جنس الشجرة فظن آدم أن النهي عن المشار إليه بالخصوصية فتناول على حد النسيان وترك المحافظة لا عن التعمد في المخالفة قال تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] انتهى وتوضيحه أنه نهي عن الجنس فنسي هذا المعنى وحمل النهي على الخصوص في المبنى.

وقال صاحب «العرائس»: أخفى الله تعالى لآدم في الشجرة من أسرار الربوبية ومنعهما عن قربها لئلا يتشوش عليهما عيش الإنسانية ولكن هيّجهما بمنعهما عن قرب الشجرة إلى طلب تناولها فلما قربا الشجرة كسى الشجرة أنوار القدس وأزهار الأنس وتجلى الحق سبحانه لهما من الشجرة كما تجلى

من شجرة موسى لموسى فعشقا الشجرة ووقعا فيها ونسيا ذكر النهي عن قربها انتهى.

وتوضيحه أنهما فهما أن المراد بالنهي عن قربها إنما هو عن أكلها والتمتع بها وأن التعبير بالقرب للمبالغة في نهيها والإنسان مجبول على الميل إلى ما نهي عنه طلباً لما فيه من الحكمة المقتضية للمنع منه وأنه لولا أنه من الأمر المعظم لما خص بهذا المقام المفخم فما حسبا أن مجرد القرب يكون سبباً للبعد عن السعد وغفلا عن أن الراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه[1] إن لم يلازم الاحتماء فلما قربا بعدا عن مقامهما اللائق بهما فظهر سر الأسرار ولمع نور الأنوار فوقفا في لجة الأقدار ونسيا ما كان واجباً عليهما من الإدكار.

قال الأستاذ: أسكنه الجنة ولكن أثبت مع دخوله شجرة المحنة ولولا سابق التقدير وإلا لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولاً وبالخضرة يبساً وبالوجود فقداً فكان لا يصل يد آدم إليها كما وقع له حين طلب لنفسه الأوراق ليخصفها فلو تطاولت تلك الشجرة حتى كان لا يصل يده إليها حين مدها لم يقع في شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدا من التقدير ما سبق به الحكم فلا مكان أفضل من الجنة ولا بشراً أكيس من/آدم ولا ناصحاً يقابل 17/ب قوله إشارة الحق عليه ولا عزيمة قبل ارتكابه ما ارتكب أشد قوة من عزيمة آدم ولكن القدرة لا تكابر والحكمة لا تعارض ثم ما دام آدم وحده كان بكل خير وعافية فلما جاء الشكل ظهر أنياب الفتنة وافتتح أبواب المحنة وحين ساكن حواء وترك السكون إلى الحق وقام باستجلاب الحظ أطاعها فيما أشارت عليه بالأكل فوقع فيما وقع من الذل ولقد قيل:

داء قديم في بني آدم صبوة إنسان بإنسان[2]

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح (52)، ومسلم في الصحيح (1599/ 107).

(2) نسب إلى المأموني. انظر: البصائر والذخائر (1/ 36).

ويقال أصبح آدم عليه السلام محمول الملائكة مسجود الكافة على رأسه تاج الوصلة وعلى وسطه نطاق القربة وفي جيده زمام الزلفة لا أحد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم ويا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استئناسه والملائكة يدفعونه بعنف أن اخرج بغير مكث ولا وقف.

فأمنته فأتاح لي من مأمني مكراً كذا من يأمن الأحبابا[1]

وكان كما قيل:

لله درهم من فتية بكروا. مثل الملوك وراحوا كالمساكين[2]

هذا ونهاه عن قرب الشجرة بأمره وألقاه فيما نهاه بقهره ولبس عليه من أخفاه من سره وأما ما قيل من أن المراد بالشجرة شجرة العلم فلعل وجهه أن قربها وبعدها سبب للعلم بحال المبتلى بها أو لكون أكلها علامة يعلم ببسها الخروج من الجنة إلى دار المحنة ويعلم حينئذٍ قدر النعمة أو تعلق علم الله سبحانه بها أن آدم يأكل منها وبعدما يأكل منها ما يترتب على أكلها وأما الحكمة في أن أكلها يورث البعد من دار القرب وجار الرب إلى محل الكيد والتعب وقيل لأن إبليس قال لهما من أكل منها علم الشر والخير بها.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [الآية: 36] أي: أوقعهما في الزلة الموروثة بالذل بسبب اختيار الشهوة المانعة عن الجنة وفي قراءة حمزة فأزالهما أي: نحاهما منها وأبعدهما عنها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [الآية: 36] أي: من العزة والعظمة ومرتبة القربة ومزية المحبة ومزية المحنة وحسن العيشة.

قال الأستاذ: وحملهما على الزلة وفي التحقيق/ ما صرفهما إلا القدرة 18/أ وما كان تقلبهما إلا في القضية فأخرجهما مما كانا فيه من الرتبة والدرجة جهراً ولكن ما ازدادوا في حكم الحق سبحانه في شأنهما إلا رفعة وقدراً أي: مآلاً ومنالاً.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(1/ 300) و(5/ 37).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(2/ 355).

﴿وَقُلْنَا﴾ [الآية: 36] أي: لآدم وحواء وإبليس والجنة ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ [الآية: 36] انزلوا عن مرتبتكم العلية إلى حضيض الأرض السفلية ودار الدنيا الدنية فإنها محل التكاليف الشرعية وموضع الابتلاء بالمحن الكونية ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية: 36] وقع العداوة بينهما وبين الشيطان لكن آدم من حزب الرحمن وفي حماية السلطان.

قال الأستاذ: ولو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه لأمره ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية: 36] أي: قرار في الأمكنة وتمتع في المعيشة إلى الموت أو القيامة.

قال الأستاذ: مشهد الأشباح ومألفها أقطار الأرض والفرش ومعهد الأرواح ومرتعها وراء العرش انتهى فالأولياء فرشيون بأشباحهم عرشيون بأرواحهم غريبون عن الخلق قريبون إلى الحق كائنون مع الأغيار في الظواهر بائنون عنهم تحت الأستار في السرائر ولعل هذا حكمة خلق آدم في الجنة وإظهار مرتبة المحنة المورثة للمحنة فإن الولاء قرين البلاء ليكون في دار الغربة مشتاقاً إلى مقام القربة وما قيل من أن حب الوطن من الإيمان إشارة إليه ودلالة عليه.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ [الآية: 37] أي: أخذ وتلقن ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [الآية: 37] برفع آدم ونصب كلمات وفي قراءة المكي بالعكس في المقالة لما بينهما من الملازمة فإن التلقي بمعنى الاستقبال والمتابعة أي: فجاءته من ربه ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ [الآية: 37] دالاتٍ على حالة التوبة ومقام الإنابة وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف، الآية: 23] الآية.

قال الأستاذ: وعلى طريق الإشارة دون التفسير للعبارة أن يقال أنه قال إذا خرجت من عندي فلا تنس عهدي وأن تقاصر عنك خبري فإياك أن تؤثر عليّ غيري أو إن فاتني وصولك فلا يتأخرن عني رسولك ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 37] أي: فرجع عليه بالمغفرة/ بعد اعترافه بالمعذرة أو فقبل توبته حين أظهر إنابته أو وفقه بالتوبة بعد تلقين الأوبة من الحوبة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 37] للعاصين

18/ب

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 37] للمطيعين أو التواب عليهم من المعصية الرحيم عليهم بالعصمة.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [الآية: 38] التكرير لاختلاف المقصود المتفرع على الأمر الموجود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية وحصول العداوة في كل قضية إلى مدة معينة والثاني على أن نزولهم للترقي بالتكاليف الشرعية فمن اهتدى رجع إلى المنازل العلية ومن ضل فقد هلك في تيه البلية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [الآية: 38] زيدت ما في أن الشرطية لتأكيد القضية العلية والمعنى فإن يأتكم من جانبي رسول وشريعة وبيان ودعوة يكون ذريعة ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [الآية: 38] أي: ما يهديه إليّ ويدله عليّ على طريق التصديق والمتابعة على وفق التوفيق ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 38] أي: بوقوع عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 38] أي: بفوت ثواب في دار القرار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 39] أي: برسلنا كفر جهل وجحود ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 39] بكتبنا وأدلتنا كفر مكابر وعنود ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 39] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 39] أي: ماكثون دائمون.

قال الأستاذ: أي الذين قابلون النعم بغير شكر المنعم وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلهم حجاب معجل وعذاب مؤجل.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 40] أي: يا أولاد يعقوب والمراد بهم اليهود والنصارى وخصوا بالخطاب لأنهم أهل الكتاب ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بالتفكر فيها والقيام بشكرها ومن جملته الإيمان بمنعها أو المراد بها من أنعم الله على آبائهم من فلق البحر وعدم الغرق وإلا نجا من فرعون وتظليل الغمام ونحوها فإن نعمة الآباء منحة الأبناء.

قال صاحب «العرائس»: أذكروا معاونتي في طاعتكم وهدايتي قبل مجاهدتكم وما كشفت لكم من أسرار معرفتي حتى لا تغتروا بمعاملتكم.

وقال الأستاذ: حقيقة النعم لذة خالصة عن الشوائب عند العلماء وعند أهل التحقيق والعرفان هي ما ذكرك النعم أو أشهدك المنعم أو أوصلك/ إليه 19/أ

أو لم يحجبك عنه وتنقسم إلى نعمة أشباح وظواهر ونعمة أرواح وسرائر فالأولى وجوه الراحات والثانية صنوف المكاشفات والمشاهدات ويقال أمر بني إسرائيل بذكر النعم وأمر أمة النبي الكريم بذكر المنعم حيث قال لهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة، الآية: 152] وفي تفسير السلمي قال بعضهم ربط بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطها عن هذه الأمة ليكون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم ونظر هذه الأمة من المنعم إلى النعمة انتهى وفيه إشعار بأن هذه الأمة مجذوبون سالكون مرادون وأن غيرهم سالكون مجذوبون مريدون وفيه أيضاً نكتة خفية حيث قال ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ ولم يقل اذكروا منعمكم ليكون المحبة للذات بلا ملاحظة المنعم من حيث الإنعام وسائر الصفات ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] أي: بالإيمان والطاعة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بحسن المجازات والإثابة وفي حقائق السلمي نقلاً عن الثوري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] على بساط حرمتي بوفاء خدمتي ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] في دار نعمتي على بساط قربتي بسرور رؤيتي.

وقال الأستاذ: عهده سبحانه حفظ المعرفة وعهدنا إيصال المغفرة عهده حفظ محابه وعهدنا لطف ثوابه عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] بحفظ السرِّ أوفِ بعهدكم بجميل البر ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي قبلتم يوم الميثاق ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي ضمنت لكم يوم التلاق ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في أن لا تؤثروا عليّ غيري ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة في أن لا أمنع عنكم لطفي وخيري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في القيام بحسن المجاهدة أو المعاملة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة والمواصلة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بالتبري عن الحول والمنّة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالطول والمنّة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بحفظ الوفاء ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بإدامة الصفاء ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [الآية: 40] أي: فخافوني لا غيري فيما تأتون وتذرون خصوصاً في وفاء الوعد ونقض العهد.

قال الأستاذ: أفردوني بالخشية لانفرادي بالقدرة.

﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ [الآية: 41] على النبي الصادق. المصدوق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 41] فإنكم تجدونه موافقاً ومطلقاً لما في التوراة/ والإنجيل من أمر 19/ب

التوحيد والنبوة عندكم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه أن تقرن إيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان فعموم المؤمنين لهم بإيمان البرهان بشرط الاستدلال وخواص المؤمنين لهم إيماناً من حيث البيان بحق الإقبال وآخر أحوالهم الإيمان من حيث العيان وذلك لخالص الخاص انتهى فكأنه أشار إلى مقامات العارفين من علم اليقين وعين التعيين وحق التقين ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [الآية: 41] أي: أول من يكفر به لأن الواجب عليكم أن تكونوا أول فوجٍ مُؤمنٍ به.

قال الأستاذ: لا تسنّوا الكفر سنة فإن وزر المقتدى فيما يسن أعظم من وزر المقتدي فيما يتابع ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 41] أي: لا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا من مالها وجاهها فإنها وإن كانت جليلة معتبرة عندكم فهي قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية: 41] بالإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الأخرى والإقبال على المولى فإن له الآخرة والأولى.

قال الأستاذ: كثير من يتقي عقوبته وعزيز من يهاب اطلاعه ورؤيته.

وقال عبد الرحمن السلمي: التقوى النظر إلى الكون بعين النقص وقال بعضهم: التقوى على أربعة أوجه للعامة تقوى الشرك وللخاص ترك المعاصي وللعارفين تقوى التوسل ولأهل الصفوة تقواهم منه إليه انتهى ولعارفيه الإشارة إلى قوله ﷺ «أعوذ بك منك»[1] وإيماءً إلى قوله سبحانه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] والحاصل أن نهاية التقوى الإتقاء عن خطور السُّوىٰ كما دل عليه كلام العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي

وفي الحديث ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، والطبراني في المعجم الأوسط (7/ 141) رقم (7106) والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 385) رقم (3838).

يذكروا الله فيها[1] فإن كل نفس مشتمل على نعمتي الإيجاد والإمداد لأن نزوله ممدّ الحياة وطلوعه معرج الذات فيجب ذكرها وذكرها شكرها وشكرها فكرها صفات منعهما.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 42] أي: لا تخلطوا الحق المنزل الذي تسمعونه وتحقّونه بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 42] أي: ولا تخفوه إذ الواجب/ عليكم أن تظهروه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 42] أي: قبح ذلك أو عقوبة ما هنالك والحال أنكم علماء وما أقبح العالم أن يعمل عمل السفهاء إذ الجهل قد يعذر في الابتداء ولذا ورد «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات»[2].

20/ أ

قال سهل: لا تخلطوا أمر الدين بالأخرى فكأنه أشار إلى منع السمعة والرياء وإلى خلط الهدى بالهوى أو فكر السوى بذكر المولى ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

وقال الأستاذ: لا تتوهموا أن يلتئم لكم جمع الضدين والكون في حالة واحدة في محلين فإما مبسوط بحق وإما مربوط بحظ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ تدليس ولا تكتموا الحق تلبيس ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ حق الحق تقديس أي: ومن لم يتبع الحق فهو إبليس.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 43] أي: صلاة المسلمين وزكاة المؤمنين فإن غيرها لا عبرة لهما ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [الآية: 43] أي: صلوا مع المصلين في جماعتهم وجمعتهم والتعبير بالركوع لإفادة الخشوع وزيادة الخضوع وللاحتراز عن صلاة اليهود في عبادة المعبود.

وقال الأستاذ: أي احفظوا آداب الحضرة فحفظ الأدب أتم في الخدمة من الخدمة والإشارة في إيتاء الزكاة زكاة أحوالهم كما يؤدي زكاة النعم من

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).

(2) كشف الخفاء (2/ 346) رقم (2974) قال رواه الديلمي عن أنس.

أموالهم قال قائلهم:

كل شيء له زكاة تؤدى   وزكاة الجمال رحمة مثلي

فيفيض من زوائد همته ولطائف نظره على المتقين والمريدين بما ينتعشون به وتنجبر أحوالهم معه ويقتدى بآثار السلف في الحال وتجنب سنن الانفراد في الاستقبال فإن الكون في غمار الجمعية أسلم من الامتياز من الكافة لما يخاف فيه من البلية.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 44] أي: غيركم ﴿بِٱلْبِرِّ﴾ [الآية: 44] أي: بطاعة الحق مع الصدق وحسن الخلق مع الخلق ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 44] أي: وتتركون حظها منه والجملة الأخيرة محل الإنكار وبالاستفهام وإلا فالأمر بالبر من جملة المرام وقد نزل في أخبار اليهود حيث كانوا ينصحون الناس باتباع النبي ﷺ ولا يتبعون وقيل: كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وفي معناهم العلماء الذين يعظون وهم بوعظهم ما يعملون قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3] ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 44] أي: تقرأون الخطاب الذي فيه بيان الثواب والعقاب ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 44] / قبح ما تصنعون. 20/ ب

وفي «تفسير السلمي»: تطالبون الناس بحقائق المعاني وأنتم خالية قلوبكم عن ظاهر رسوم الباني.

وقال الأستاذ: أتدعون الخلق إلينا وتقعدون عنا أتسرحون الوفود وتقصّرون في الورود أتحرّضون على البدار وترضون بالتخلف والفرار.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ [الآية: 45] على تحصيل رفع الدرجات وإنجاح الحاجات ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية: 45] أي: الصوم الذي هو احتباس عن المفطرات أو بحبس النفس عن المنهيات والشهوات ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 45] أي: بالقيام بأمر العبادات والطاعات فإنها جامعة لأنواع الخيرات ومانعة عن أصناف السيئات.

وقال الأستاذ: الصبر فطم النفس عن المألوفات والصلاة التعرض لحصول المواصلات فالصبر يشير إلى هجران السوى والصلاة تومي إلى الوقوف بحضرة المولى ﴿وَإِنَّهَا﴾ [الآية: 45] أي: الاستعانة بهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ [الآية:

45] أي لثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [الآية: 45] أي: المخبتين الخاضعين الساكنين إلى طاعة المولى المعرضين عن موافقة الهوى وملاحظة السوى.

وقال الأستاذ: إلا على من تجلى الحق لسره فإن في الخبر المنقول «إنّ الله تعالى إذا تجلى لشيء خشع له» وإذا تجلى الحق لسره خف وسهل ما تولى لأمره فإن التولي للمجاهدة بموجب التكليف يوجب مقاساة الكلفة والتخلي بالمشاهدة بحكم التخفيف يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة وأقسام الصبر كلها محمودة الصبر في الله ولله وبالله ومع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن الله.

والصبر يحسن في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يتيقنون أنهم إليه يحشرون وعلى أعمالهم يحاسبون وفي قراءة ابن مسعود يعلمون بدل يظنون.

قال الأستاذ: الظن يذكر والمراد به اليقين وهو الأظهر هاهنا ويذكر ويراد به الحسبان فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة و﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] صيغة تصلح للاستقبال والحال فهم ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] في المستقبل ولكن القوم لتحققهم بما سيكون من أحكام الغيب صاروا كأن الوعد لهم نقداً الغيب حضور في مثل هذا المقام قال حارثة أصبحت مؤمناً بالله حقاً وكأني بأهل الجنة/ يتزاورون وكأني بأهل النار يتعادون وكأني بعرش ربي بارزاً. 21/أ

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: حيث أرسلنا رسولنا الأكمل إليكم ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: دخلتم في ملته وصرتم من أمته أو أعطيتكم الزيادة على عالمي زمانكم بتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى والإنجاء وسائر إحسانكم أو حيث جعلت فيكم أنبياء وخلقت من جنسكم أولياء وملوكاً أصفياء وهذا بناءً على تفضيل الآباء شرف الأبناء.

- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ [الآية: 48] أي: ما فيه من الحساب والعذاب والحجاب أو احذروا واخشوا عقاب يوم ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 48] أي: لا

تقضى فيه ولا تغني نفس عن أخرى شيئاً من الغنى أو لا تدفع شيئاً من العناء بل كل نفس تجادل عن نفسها وتقر عن أبناء جنسها.

وقال الأستاذ: خوف العوام بأفعاله فاتقوا يوماً ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ [البقرة: 48] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: 131] وأمثالهما أو خوف الخواص بصفاته فقال ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة: 105] ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً ونحوهما وخوف خاص الخاص بذاته فقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] ﴿وَلَا يُقۡبَلُ﴾ [الآية: 48] بالتذكر لغة أبي عمرو وابن كثير أي: من أجل النفس الثانية العاصية ﴿مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [الآية: 48] من أرباب النفوس العالية ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا﴾ [الآية: 48] أي: من أجل خلاصها ﴿عَدۡلٌ﴾ [الآية: 48] أي: فداء وبدل ﴿وَلَا هُمۡ﴾ [الآية: 48] أي: عصاتهم ﴿يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: يمنعون عن العذاب ويدفعون عنهم الحجاب لا باللطف ولا بالعنف فهم مخلدون في العذاب.

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 49] أي: من ظلمهم وتعذيبهم لديكم تفضيل لما أجمله سبحانه من قوله ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 40] ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [الآية: 49] أي: يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية: 49] أفظع أنواعه وأشنع أصنافه كما بينه بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [الآية: 49] أي: يقتلونهم ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ﴾ [الآية: 49] أي: يستبقون بناتكم لِخدمتهم أو لبقاء نسلكم في محنتهم فإنهم كانوا يتركون الأولاد عاماً كسنة ولد فيها هارون ويقتلون عاماً كسنة ظهر فيها موسى عليه السلام وسببه أن بني إسرائيل كانوا أولاد الأنبياء وأصحاب الشريعة الغراء وفرعون كان يدعي الألوهية وإله كانوا يظنون فيه الربوبية فكانوا يضعفونهم بأنواع المحنة وأصناف المهنة.

وأفاد الأستاذ: أن من صبر في الله على/ بلاء أعدائه عوضه الله صحبة 21/ب وأتاح له جميل عطائه ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 49] أي: محنة أن أشير إلى تعذيبهم ومنحة أن أشير إلى تخليصهم وأصل البلاء هو الاختبار ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: 152] لكن لما كان اختباره سبحانه تارة بالنعمة وتارة بالنقمة أطلق عليهما ومنه قوله تعالى ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾

[الأنبياء: 35] ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: 168] والمعنى وفي ذلكم الذين كانوا يفعلون بكم اختبار وامتحان لأحوالكم من القيام بالصبر في محله والشكر في موضعه لأن الخير والشر جميعاً من عنده.

قال الأستاذ: وقيل نعمة عظيمة وقيل: محنة جسيمة وفي الحقيقة ما كان في الله في الظاهر محنة فهو في الحقيقة لمن عرفه نعمة ومنحة ومنّة.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية: 50] أي: شقّقناه وفلقناه بسببكم وجعلناه يابساً طريقاً لمروركم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ببركة موسى ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 50] أي: معه تبعاً له ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 50] أي: إلى إنجائكم وإهلاك أعدائكم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ [الآية: 50] أي: قراءة البصري ووعدنا ﴿وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 51] أي: انقضائها للتكلم معه بعد انتهائها وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 51] إلهاً ومعبوداً على سبيل العجلة لكونكم مثل البقر في البلاهة ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية: 51] أي: بعد خروج موسى عنكم في الميقات لإتيان الإتيان البينات في التوراة ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 51] أي: واضعون العبادة في غير موضعها.

قال السلمي: عجل كل أحد نفسه فمن أسقطه وخالف مراده فقد بريء من ظلمه.

وقال الأستاذ: شتان بين أمة وأمة فأمة موسى عليه السلام غاب عنهم أربعين ليلة مما بينهم فاتخذوا العجل معبودهم وأمة محمد ﷺ مع مضيهم زماناً كثيراً على عهد نبيهم لو سمعوا واحداً يذكر تشبيهاً في وصف إلههم لما أبقوا على مهجته ولو كان فيهم ذهاب أرواحهم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [الآية: 52] ثم محونا ذنوبكم حين تركتم عيوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 52] أي: الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 52] أي: لكي تشكروا عفوه وتتركوا كفره.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 53] أي: يعني التوراة الجامع بين

كونه كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل باباً باباً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] أي: لكي تهدوا بتدبر التوراة وتكفر الآيات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: الذين عبدوا/ العجل.

22/ أ

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فاعزموا على الرجوع إلى خالقكم ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 54] بقتل البريء لمجرمكم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: عزمكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فيه خير كثير حاصل لكم ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] من حيث أنه طهرة من العقيدة الدنية ووصلة إلى الحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 54] أي ففعلتم ما أمرتم به من التوبة فقبل منكم الرجعة ورجع عليكم بالمغفرة والرحمة أو وفقكم بالإنابة ورجع عليكم بالإنابة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 54] والوهاب الكريم.

قال الأستاذ: المعنى ما ضررتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ومن وافق هواه فعجله ما علق به همه وأفرد له قصده والإشارة في قوله ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] إلى أن حقيقة التوبة هي الخروج إلى الله بالكلية ولقد توهم بعض الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق وليس كما توهموا فإن ذلك مقاساة القتل مرة واحدة وأما لأهل الخصوص من هذه الأمة فالقتل حاصل في كل لحظة ولذا قيل:

ليس من مات فاستراح بميت　　　إنما الميت ميت الأحياء[1]

وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حولها وقوتها أو شهود شيء منها ورد دعائها إليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الأمور إلى الحق بجملتها وانسلاخها من اختيارها وإرادتها وامتحاء أثر البشرية عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة بها.

---

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني. انظر: خزانة الأدب (3/ 446)، والأصمعيات (1/ 2)، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة (1/ 14).

ونسب إلى جرير بن حازم. انظر: الأغاني (10/ 308) ونسب إلى غيرهم.

وفي «**تفسير السلمي**» قال الواسطي: كانت توبة بني إسرائيل إفناء نفوسهم ولهذه الأمة أشد فهو إفناء نفوسهم عن مرادهم مع بقاء رسوم الهياكل انتهى وتظهيره تفضيل أكابر الإنس على الملائكة حيث أنهم يطيعون ولا يعصون مع ما فيهم من مقتضيات المخالفة وموجبات ترك الموافقة من الهواجس النفسانية والوساويس الشيطانية ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ [الآية: 55] أي: لأجل قولك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: 55] أي: عياناً لا يستره شيء عنا وذلك حين اختيار موسى قومه سبعين رجلاً ليعتذروا إلى الله من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله وفرغ موسى من مناجاة الإله قالوا ذلك وعذرهم أقذر من وزرهم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [الآية: 55] وهي نار جاءت من السماء مقرونة بالرجفة فأحرقتهم في لحظة ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 55] أي: إليها متوجهة إليكم حتى نزلت عليكم.

22/ب / قال الأستاذ: والتعرض لمطالعة الذات على غير نعت الهيبة إفصاح بترك الحرمة وذلك من إمارات البعد والشقوة وإسبال نعت التولي بمكاشفات العزة مقروناً بملاطفات القربة من علامات الوصلة ودلالات السعادة فلا جرم لما أطلقوا لسان الجهل بتقوية ترك الحشمة أخذتهم الرجفة والصعقة.

وقال صاحب «**العرائس**»: أي طلبتم رؤيتي ومطالعتي بتقليد موسى وليس لكم مقام المشاهدة فلما برز لكم ذرة من أنوار ذاتي فنسيتم فيها واحترقتم لأنكم في البداية موسى في النهاية وأيضاً أفنيتكم في سطوات جلالي وأبقيتكم بأنوار جمالي لقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ [الآية: 56] أي: عدناكم أحياء ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [الآية: 56] إفناءكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 56] أي: نعمة حياتكم بعد مماتكم.

قال الأستاذ: وأعادهم إلى حال الإحساس بعدما استوفتهم سطوة العذاب إملاءً لهم بمقتضى الحكم وإجراء لسنته في الصفح عن الجرم ومن قضايا الكرم إسبال الستر على هنات الخدم.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [الآية: 57] أي: بتسخير السحاب الرقيق لهم حين

كانوا في شمس التيه ليظللهم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ [الآية: 57] أي: الترنجبين[1] كان يقع على الأشجار وقت الأسحار ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ [الآية: 57] وهي طير السماني وقيل: لكم بلسان القال أو بيان الحال ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الآية: 57] أي: حلالاته ومستلذاته.

وأفاد الأستاذ: أنه لما طرحهم في متاهات الغربة لم يرض إلا بأن ظللهم وبلبسة الكفايات جللهم وعن تكلف التكسب أغناهم وبجميل صنعه فيما احتاجوا إليه تولاهم فلا شعورهم كانت تطول ولا أظفارهم، كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس عليهم كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما يختاره له خيراً مما يختاره لنفسه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 57] لتنزهنا عن أن يلحق نقص وعجز بنا ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 57] حيث أبوا على موسى دخول القرية فصاروا سبباً لحبسهم في التيه للتأديب والتهذب والتنبيه كما بينه سبحانه وأظهر برهانه بقوله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [الآية: 58] أي: بعد خلاصهم من تيه الحيرة وسؤال الرؤية بالجهرة ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 58] أي: بيت المقدس ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [الآية: 58] / أي: أكلاً واسعاً ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ [الآية: 58] أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 58] أي: منحنين متواضعي غير متكبرين كالجبارين أو ساجدين لمولاكم شكراً على ما أولاكم وأخرجكم من التيه وآواكم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] أي: مسألتنا أن تحط عنا سيئاتنا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [الآية: 58] أي: سجودكم ودعوتكم وقرأ نافع يغفر بالتذكر والشامي بالتأنيث على صيغة المفعول لهما ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 58] ثواباً على إحسانهم كما نقبل توبة المسيئين بإيمانهم.

23/أ

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 59] أي: غيروا ما أمروا به من السجدة والتوبة فدخلوا على هيئة الزحفة وقالوا حنطة بدل ﴿حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 59] فيه إشعار بأن كلهم لم يبدلوا

---

(1) قريبة من العسل. انظر: تاج العروس (1/ 7320).

﴿رِجۡزٗا﴾ [الآية: 59] أي: عذاباً مقدراً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الآية: 59] أي: بسبب خروجهم عن طاعة ربهم وظلمهم على أنفسهم والمراد بالرّجز الطاعون إذ هلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً.

وقال الأستاذ: لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالهم أو يسدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم. ففزعوا من الندم لما عضهم ناب الألم.

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ [الآية: 60] أي: لما عطشوا في التيه من يومه ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ [الآية: 60] أي: حجراً من الأحجار فاللام للجنس وهو أظهر في باب المعجزة للإنس وقيل: اللام للعهد وهو حجر خفيف مربع مثل رأس الرجال أشار جبريل إلى موسى بحمله معه لإظهار هذا الحال ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [الآية: 60] أي: فضرب فانشقت ﴿مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الآية: 60] أي: على عدد الأسباط ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ﴾ [الآية: 60] أي: سبطٍ ﴿مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ [الآية: 60] أي: عينهم التي يشربون منها ونهرهم التي يجري عنها ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] أي: مما رزقكم من المنّ والسلوى وماء العيون والمجرى ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ [الآية: 60] أي: لا تفسدوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الآية: 60] أي: حال كونكم قاصدين الفساد احترازاً مما ينفقن فيه صلاحاً للعباد.

ثم مما أفاد الأستاذ: أن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قاصداً على إرواءهم بغير الماء أو على إرسال ماء من السماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه وإيصال محل الاستغاثة إليه وليكون على موسى عليه السلام أيضاً في نقل الحجر مع نفسه شغل من الموافقة ولتكليفه أن يضرب بالعصا/ مقاسات نوع من المعالجة لما أفضى من حكمه عند استسقائه 23/ب لقومه ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جارياً على سننه ملازماً لحده غير مزاحم لصاحبه فأفرد لكل سبط علامة يعرفون بها مشربهم فيقصدون مذهبهم فهؤلاء لا يردون مشرباً لآخرين والآخرون لا يردون مشرب الأولين وحين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك الوزر فقال: ﴿وَلَا

تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 60] والمناهل مختلفة والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه ويتبع مذهبه فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج ومشرب صاف زلال ومشرب رنق أو سال وسائق كل قوم يقودهم ورائد كل قوم يسوقهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب التقوى والطاعات والأرواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذات.

وفي «**تفسير السلمي**» مشرب كل أحد حيث أنزله رائده فمن كان رائده نفسه فمشربه الدنيا ومن كان رائده قلبه فمشربه العقبى ومن كان رائده روحه فمشربه السلسبيل المعين لأهل القربى ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة مشاهدة المولى حيث قال الله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] أي: طهره الله به عن كل ما سواه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [الآية: 61] أي: المنّ الذي كانوا يأكلون بالسلوى لأنهما نوع واحد والمداومة توجب الملل والسآمة مع ما في فطرة الطبيعة المعروفة من الميل إلى الأطعمة المألوفة ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية: 61] أي سله لنا بدعائك ﴿يُخْرِجْ﴾ [الآية: 61] أي: يظهر لنا ﴿لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: من جملة ما تنبته بأقدار الله إياها ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ [الآية: 61] وهو كل نبات ليس له ساق ﴿وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [الآية: 61] أي: حنطتها أو ثومها على قلب الثاء فاء ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [الآية: 61].

قال الواسطي: تولاهم الله بالمنّ والسلوى من غير كلفة لهم فتبعوا شهوات أنفسهم وما يليق بطباع أهوائهم وقيل: الناس فيه رجلان رجل أزيل عنه تدبيره فهو مستريح في ميدان الرضا راضٍ بما جرى له مما تدبر وشاء بحكم/القضاء فهو في مقام المزيد أبداً وآخر رد إلى تدبيره فلا يزال يتخبط 24/أ في اختياره إلى أن يهلك في حال اضطراره ﴿قَالَ﴾ [الآية: 61] أي: الله أو موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ [الآية: 61] أي قرب منزلة وأدنى مرتبة

﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 61] أي: في اللذة والمنفعة، وعدم الحاجة إلى كد المشقة مع ما فيه الرضا فالقناعة بما اختاره الله من وجه المعيشة.

قال الأستاذ: كان بنو إسرائيل متفرقي الهموم متشتتي القصود لم يرضوا لأنفسهم في تعيشهم بطعام واحد ولم يكتفوا في تدينهم بمعبود واحد ماجد حتى قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وهكذا صفة أرباب التفرقة عندهم الصبر على الواحد شديد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: 45] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45] وقد قال بعض العارفين أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ [الآية: 61] أي: انزلوا من مقامكم العالي إلى أرض مصر السفلى ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [الآية: 61] أي: من المشتهيات الطبيعية والمستلذات الدنية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [الآية: 61] أي: ألزمت عليهم الجزية وهيئة اليهودية والشح والحرص على الأمور الدنيوية إلزاماً لا يبرح كضرب السكة على الدراهم النقدية ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية: 61] أي أثر الفاقة وعلامة الحاجة ﴿وَبَآءُو﴾ [الآية: 61] أي: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: مصحوبين به ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 61] أي: ما ذكر من الضرب التأشي من الغضب ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: بالكتب المنزلة أو بأنواع المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 61] أي: كزكريا ويحيى عليهما السلام ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 61] أي: عندهم وفي زعمهم وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا وأتباع الهوى كما قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 61] أي: جرهم العصيان والاعتداء إلى الكفر وقتل الأنبياء فإن صغائر العيوب تجر إلى كبائر الذنوب كما أن قضاء صغار الطاعات تؤدي إلى أداء كبار العبادات قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5 ـ 7] الآية.

قال الأستاذ: لم يرضوا بحسن اختياره لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يهمهم من كفاية مأكولهم وملبوسهم فنزلوا/ في التحير إلى ما مرت عليه عاداتهم من أكل الخسيس من الطعام والرضا بالدون من الحال والمقام 24/ب

فردهم الله إلى مقاساة الهوان وربطهم بإدامة الخذلان حتى سفكوا دماء الأنبياء وهتكوا حرمة الأمر بقلة الاستحياء وترك الإرعواء فعاقبهم على قبيح فعالهم وردهم إلى ما اختاروه لأنفسهم من خسائس أحوالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة أدركتهم النقمة والفضيحة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 62] أي: المؤمنين المخلصين أو المنافقين فإنهم ذكروا في سلك الكافرين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [الآية: 62] هم تهودوا ودخلوا في اليهودية ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [الآية: 62] أي: الطائفة النصرانية ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ [الآية: 62] أي: الخارجين من دين إلى دين من أديان الكفرة وقيل هم عبدة الملائكة وهو قول الحسن وقتادة وقيل: عبدة النجوم السبعة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 62] أي: من دخل في ميدان الأمان وثبت في إيوان الإيقان ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: 62] أي وسائر ما يجب به العرفان ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [الآية: 62] أي: من أنواع الإحسان ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 62] أي: مع المزيد في المثوبة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 62] أي: يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ: أن اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول من صدق الحق سبحانه في آياته وآمن بما أخبر به من حقه وصفاته فتباين الشرع واختلاف وقوع اسم غير قادح في استحقاق الرضوان فإذا اتفقوا في العرفان فالكل لهم حسن المآب وجزيل الثواب فالمؤمن من كان في أمان الحق سبحانه ومن كان في أمانه تعالى فالحري أن لا خوف عليه ولا حزن يدور حواليه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: أردنا أخذ عهدكم باتباع نيتكم وقبول العمل بما في كتابكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [الآية: 63] أي: الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيه من التكاليف الشاقة كبر عليهم حصولها وإلى قلوبهم قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم وجعل النار قدامهم والبحر وراءهم وقيل لهم ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾ [الآية: 63] من الكتاب أي: اعملوا بما أمرتم به

من الخطاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 63] أي بجد عزيمة وقصد مواظبة في جميع الأبواب ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: 63] أي: في الكتاب من الثواب والعقاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 63] أي: لكي تجتنبوا مخالفة رب الأرباب ولا تقعوا في عقوبة الحجاب.

25/أ وقال الأستاذ أخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ولكن قوم/ أجابوه طوعاً لأنه تعرف إليهم فوجدوه فوحّدوه وقوم أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فجحدوه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ [الآية: 64] أي: أعرضتم عن الوفاء بالوعد ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 64] أي: بعد أخذ العهد ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [الآية: 64] أي: بتوفيقكم للتوبة ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: 64] أي: المغبونين في التجارة.

وقال الأستاذ: أي رجعتم إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ولولا حكمه بإمهاله وحلمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة ولخسرت صفقتكم بالكلية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ [الآية: 65] أي: عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ﴾ [الآية: 65] أي: جاوزوا ما حد لكم من ترك الصيد ﴿فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 65] أي: في زمن القيد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ [الآية: 65] أي: بتكويننا إياكم ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: 65] مطرودين مبعودين.

وأفاد الأستاذ: أن مسخ هذه الأمة حصل على القلوب فكأنهما لما تركوا الأمر واستهانوا بما: ألزموا من الشرع عجلت عقوبتهم بالخسف المسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص فهذه الأمة من نقض العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب وتبديل الأحوال قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام، الآية: 110] كما لم يؤمنوا به أول مرة وعقوبات القلوب أنكأ من عقوبات النفوس.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية: 66] أي: المسخة ﴿نَكَالًا﴾ [الآية: 66] أي: عقوبة ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [الآية: 66] أي: لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها من عيوبهم أو عبرة لمن أدرك زمانهم ورأى شأنهم ولمن سمع أخبارهم وشاهد آثارهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ [الآية: 66] أي: زجراً ونصيحة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 66]

أي: منهم ومن هذه الأمة.

قال الأستاذ: وهكذا من مني أي: ابتلي بالهجران ووسم بالخذلان صارت أحواله عبرة وتجرع من لاحظ حاله حسرة وصار المسكين بعد عزة لكل خسيس سخرة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [الآية: 67] وسبب ذلك أنه وجد قتيل في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله فسألوا موسى عليه السلام أن يدع الله ليبين لهم فاعله فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [الآية: 67] أي: مكان هزء وأهله أو مهزوءاً بنا والمعنى أتستهزىء بنا فإنا نسألك عن قاتل القتيل في القرية وأنت تأمرنا بقتل البقرة فهل/تعالج القتل بالقتل 25/ب وتستدل بالمثل على المثل ولعل وجه تعللهم حب جنس العجل ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 67] أي: امتنع به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: 67] أي: من المستهزئين بالمؤمنين لأن الاستهزاء في مقام الإرشاد والاسترشاد جهل وسفه وكلام غير سداد بل يوهم أن يكون في هذا المقام كفراً لأنه إخبار عن رب العباد فلما علموا أن ذلك عزم من الجانب الإلهي.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [الآية: 68] أي: ما سنها ووصفها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ [الآية: 68] أي: مسنة كبيرة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [الآية: 68] أي: فتية صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ [الآية: 68] أي: نصف ووسط عيان ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 68] أي: بين ما ذكر من السن ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [الآية: 68] وفي الحديث لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

وأفاد الأستاذ: أنه كان الواجب عليهم استقبال الأمر بالامتثال ولكنهم تعللوا ببقاء الأشكال توهماً بأن تكون لهم تفصٌ بالإخلاد إلى الاعتلال عن عهدة الالتزام بالأفعال فتضاعف عليهم المشقة وحل بهم ما حذروه من الفضيحة ثم في القضية من الإشارة الخفية أن الذي يصلح لِسلوك الطريقة من لا يستهويه نزق الشباب وسكره ولم يعطله عجز المشيب وضعفه بل هو صاح

استفاق من سكره وبقي له بعض نضارة من عمره.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [الآية: 69] أي: شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [الآية: 69] أي؛ تعجبهم بلطافة لونها وظرافة كونها.

وقال الأستاذ: من كان من أهل القصة وقابل الفصة تستغرق مشاهدته القلوب لِما ألبس من رداء الجبروت وأقيم به من شاهد الغيوب حتى أن من لاحظه تناسى أحوال البشرية واستولى عليه شواهد الربوبية كما في الخبر «أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله»[1].

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [الآية: 70] أي: ما حالها أسائمة أم عاملة أناقصة أم كاملة ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ [الآية: 70] أي: الموصوف بما ذكر المنعوت بما سطر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 70] أي: أشكل إلينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية: 70] إلى وصفها المراد بذبحها وفي الحديث الثابت السند لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر/ الآية قال: 26/أ

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ [الآية: 71] أي: غير مذللة ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 71] أي: تقلبها للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [الآية: 71] أي: الأرض المهيئة للزرع بالسقاية ولا مزيدة مؤكدة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ [الآية: 71] أي: من العيوب وآثار المحنة مكملة بأوصاف النعمة ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [الآية: 71] لا لون فيها يخالف لون جلدها.

قال السلمي: معناه لا يصلح لكرامتي وظهور ولايتي من ذلك نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان ويسعى في طلب الحوادث ساعة من الأزمان مسلمة من فنون عوارض المخالفة لا أثر عليه إلا بوجه الموافقة فهو العالم بي والعامل لي أظهرت عليه آيات قدرتي وجعلته من شواهد عزتي فمن شاهده

---

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما بلفظ مختلف «ألا أخبركم بخياركم؟ فقالوا بلى فقال: الذين إذا رؤوا ذكر الله...». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 494) رقم (11108)، وإسحاق بن راهويه في المسند (5/ 180) رقم (2306).

استغرق في مشاهدته لأنه قد ألبس رداء العز في مراقبته.

وقال الأستاذ: كما أن تلك البقرة في العمل لم تذلل وفي المكاسب لم تبتذل كذا أهل ولايته للأغيار لم يتذللوا وفي تحصيل الأسباب لم يتعللوا ولم يركنوا بقلوبهم إلى الأشكال والأمثال ولم يتكلوا على الاختيار والاحتيال وليسوا نهباً لمطالبات المنى ولا صيداً في مخلب الدنيا لا حكم للشهوات يغلبهم ولا سلطان للبشرية يملكهم لم يسعوا قط في تحصيل مرادهم ولم يشقوا أبداً لدرك مقصودهم ليس عليهم رقم الأغيار ولا سمة الأكدار فهم قائمون بالله فانون عن ما سواه واقفون مع الله لله مصرفهم الله والغالب على قلوبهم الله وكما أن معبودهم الله فكذلك مقصودهم الله ومشهودهم الله وموجودهم الله بل هم محوا بالله والخلف عنهم الله ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 71] أي: بحقيقة وصف البقرة الذي يتميز به من أجناسها فطلبوها فوجدوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 71] أي: لكثرة مراجعتهم في وصفها أو لخوف فضيحة قاتلها أو لغلاء ثمنها وقد صح عن عكرمة أن شيخنا صالحاً منهم كان له عجلة فأتي بها غيضة[1] فقال اللّهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر فشب وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير.

قال الأستاذ: طلبوا الحيل ما أمكنهم من العلات فلما ضاقت بهم الحيل والمعالجات/ استسلموا للحكم في النهايات فتخلصوا من شديد المطالبات لو أنهم فعلوا ما أمروا به في البدايات لما تضاعفت عليهم المشقات. 26/ب

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [الآية: 72] نسب القتل إليهم لوجود العمل فيهم ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 72] أصله تدارأتم أي: تدافعتم وتخاصمتم في شأن قاتلها وبيان فاعلها ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 72] أي: مظهر ما يخفون ومن هذا القبيل أمر ثم قيل هذا أول القضية ولكنه مؤخر في القصة والأظهر أن الله أمرهم أولاً بذبح البقرة حيث لم يعلموا سره ثم وقع القتل منهم خفية فأظهر

---

(1) هي معنى الأيكة. والغيضة التي تنبت الشجر، والمراد بها غيضة بقرب مدين.

سبحانه ما أخفاه من الحكمة.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ [الآية: 73] أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ [الآية: 73] أي: ببعض البقرة أي: بعض كان من أبعاضها وقيل: بلسانها والإبهام أعظم في تفخيم شأنها فضربوه به فحيي بإذن ربه وأخبر بأمر قاتله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 73] أي: كما أحيى هذا الفرد من القتل ﴿يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 73] أي: دلالته على قدرته وسائر صفاته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 73] أي: لكي تتصوروا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس المتعددة كقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان، الآية: 28] .

قال الأستاذ: ومن أراد حياة قلبه بأنواع المشاهدات لم يصل إليه إلا بذبح نفسه بالمجاهدات.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [الآية: 74] أي: اشتدت وصلبت ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 74] أي: من بعد ما ذكر من الآيات البينات والمعجزات الواضحات الواجبة للين قلوب أرباب الحياة ﴿فَهِيَ﴾ [الآية: 74] أي: قلوبكم ﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾ [الآية: 74] أي: في القسوة وقلة المنفعة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [الآية: 74] أي: بل كأشد قساوة منها وصلابة فهي كالحديد الشديد لما ذكره سبحانه من البيان الشديد بقوله ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾ [الآية: 74] أي: ينفتح ويجري ﴿مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 74] أي: في الليل والنهار كدموع عيون الأبرار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ [الآية: 74] أي: يتشقق عيوناً ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [الآية: 74] عياناً لكن أحياناً ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ [الآية: 74] أي: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: من أجل خوف مخالفته فيما أراده وقضاه وهو تعليل للأفعال الثلاثة على طريق المنازعة وأما ما قيل في أن الخشية مجاز عن الانقياد فقول مخالف للحقيقة بل لظواهر الشريعة والطريقة وقع فيه المتابعة لحكماء الفلسفة فقد قال الإمام العالم محيي السُّنَّة في معالم مذهب أهل السُّنَّة أن لله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات فلها صلاة وتسبيح وخشية فيجب على المرء الإيمان به وأن يكل علمه إلى الله سبحانه في حقيقة أمره.

وقال الأستاذ: بين أنهم وإن شاهدوا عظيم الآيات وطالعوا واضح البينات فحين لم يساعدهم بالعناية ولم يخلق/لهم الهداية لم يزدهم كثرة 27/أ الآيات إلا قسوة على قسوة ولم يبرز لهم من مكامن التقدير إلا شقوة على شقوة وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تنبت ولا تنمى فكذلك قلوبهم لا تفهم ولا تعي ثم بين أنها دون الحجارة فإن منها ما يظهر منه أسرار العناية ومنها ما يتبين منه آثار الخشية وأما قلوبهم فخالية من أنوار الهداية وكيف لا وقد تسببت بإعراض الحق عنها وخصت بانتزاع الخيرات منها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 74] بالخطاب وقرأ المكي بالغيبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن أعمالهم سواء فيه السر والعلانية.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [الآية: 75] أي: أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ [الآية: 75] يعني اليهود والمعنى أترجون أي يصدقوكم في قصتكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 75] أي: والحال أن طائفة من أسلافهم وكبرائهم وعلمائهم كانوا ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 75] يعني التورية ثم ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [الآية: 75] أي يغيرونه عن وجهه من جهة المبنى أو من طريق المعنى ومنه نعت المصطفى وآية الرجم في الزنا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [الآية: 75] أي: فهموه وفيه إشعار بأنهم فعلوا ذلك عن تعمد وعدوان لا عن خطأ ونسيان ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 75] أن ذلك مكسب للأوزار الموجبة للقرار في دار البوار وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى على وجه الظهور حين كلم الله سبحانه موسى عليه السلام بالطور فقالوا: سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم لا تفعلوا انتهى وفيه على تقدير صحته إشارة إلى عدم استطاعتهم لفعل هذه الأشياء وهي قابليتهم لفهم هذا الإنباء فإنه مقام الأنبياء والأصفياء وتنبيه نبيه على أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] ولما أطبق عليه السلف وعلى الخلف إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكان هذا القيل مختار الأستاذ حيث أفاد في مقام الإشارة إلى الإرشاد بقوله: آيسهم عن إيمانهم وذكر أنهم بعد سماع الخطاب من الله سبحانه إذا حرفوا وبدلوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يستمعون بواسطة

الرسالة ومن لم يبق على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ومن لم يحتشم من الله فكيف يحتشم منكم.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [الآية: 76] أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 76] في مقام الشهود ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [الآية: 76] أي صدقنا بمحمد ﷺ وهو نبي صادق/ وحكمه لكتابنا موافق ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ [الآية: 76] أي رجع ﴿بَعْضُهُمْ﴾ [الآية: 76] وهم المنافقون ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 76] وهم شياطينهم ورؤسائهم الذين على الكفر مصرون ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 76] أي: مليمين للمنافقين ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ [الآية: 76] أي أتخبرون المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: بما بين لكم من نعت محمد في كتابكم ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ﴾ [الآية: 76] أي: ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم إليكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: في حكمه كقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: 13] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 76] أي: أفلا تستعملون عقولكم ولا تتصورون حصولكم.

27/ب

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [الآية: 77] من التلبيس والتكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية: 77] من التصديق والتهذيب.

قال الأستاذ: وتواصوا فيما بينهم بإنكار الحق وإخفاء الحال على المؤمنين الأبرار ولم يعلموا أن الله يطلع ورسوله ﷺ على الأسرار وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفىء بمزاولة الأغيار وأن موافقة اللسان مع موافقة العقيدة لا تزيد إلا زيادة الفرقة.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: هذا حال علمائهم وقصة كبرائهم ومنهم ﴿أُمِّيُّونَ﴾ [الآية: 78] جهلة سفهاء ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 78] أي: لا يعرفون التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [الآية: 78] أي: أمنية وهي ما يقدر في النفس من التمنية والاستثناء منقطع والمعنى لكن يعتقدون مواعيد فارغة سمعوا من علماءهم تقليداً أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً وأن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل الاستثناء متصل والأمنية بمعنى القراءة أي: لا قراءة عارية عن قاعدة المبنى وفائدة المعنى ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية: 78] أي: وما هم إلا قوم يظنون ولا يتيقنون.

﴿فَوَيۡلٞ﴾ [الآية: 79] أي: فشدة عذاب عظيم وغلظة حجاب جسيم ﴿لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 79] أي: المحرف ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية: 79] أي: من قبل أنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [الآية: 79] أي: كي يحصلوا به عرضاً حقيراً وعوضاً يسيراً من أعراض الدنيا ويفوتوا كثيراً مما أعد للمؤمنين من نعيم الغنى ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية: 79] أي: من المفترى ﴿وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [الآية: 79] أي: من الرشى.

قال الأستاذ: أي خسروا في الحال والمآل أي: لتعلقهم بالجاه والمال.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 80] أي: لن يصيبنا إصابة هينة ﴿إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [الآية: 80] أي: قليلة محصورة/يعنون قدر زمان عبادة العجل وهو 28/أ أربعون يوماً ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾ [الآية: 80] أي: خبراً ووعداً ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾ [الآية: 80] إذ من المحال الخلف في خبره ﴿أَمۡ تَقُولُونَ﴾ [الآية: 80] أي: بل أتقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 80] والاستفهام للتقرير والتفريع.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 81] إثبات لما نفوه من مساس النار لهم مؤبداً والمعنى بلى أعذبهم عذاباً سرمداً إذ دخلوا تحت حكمنا الذي لم يتغير أبداً ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ [الآية: 81] أي: قبيحة في الغاية وهي الشرك والكفر ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [الآية: 81] بالتوحيد عن غير نافع أي واستولت عليه خطيئاته الناشئة من كفره بحيث ما خرج من حيطة خطيئته وما ظهر له توبة عن معصيته وانسدت عليه طريقة نجاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 81] أي: ملازموا عذابها في العقبى كملازمتهم لأسبابها في الدنيا ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 81] أي: دائمون لا يفنون فيها ولا يخرجون عنها.

وفي «تفسير السلمي»: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ [الآية: 81] برؤية أفعاله ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [الآية: 81] بظن أنه ينجى بأحواله فهم المبعدون عني وعن ما يقربهم عندي.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 82] أي: الأعمال المقبولة الصالحة

أن يكون المعروضة المنقولة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 82].

قال الأستاذ: في الحال جنان الوصل وفي المآل جنان الفضل لا يمسهم في الآخرة نصب لإيصال المعاد ولا يلحقهم اليوم بقلوبهم تعب لشهود تصاريف الأقدار ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية: 83]، بالخطاب لغير المكي وحمزة والكسائي وهو نفي في معنى النهي بل هو أبلغ لما فيه من الإيماء إلى أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه بالامتثال في الابتداء ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الآية: 83] أي: وتحسنون أي: احسنوا بهما إحساناً كثيراً.

قال الأستاذ: إنما ردك إلي مراعاة حق مثلك أو إظهار أن من لا يصلح لصحبة شخص مثله كيف يكون بحق معبود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وإذا كانت التربية المضمنة بحظوظ الوالدين لوجب عظيم هذا الحق فما تظن بحق تربية سيدك لك كيف تؤدي شكره في نعمك ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ/ وَالْمَسَاكِينِ﴾ 28/ب [الآية: 83] أي: وكذا أحسنوا بهؤلاء وأمثالهم من الفقراء والضعفاء كالأسرى.

وأفاد الأستاذ: أنه تعم رحمته في التعلق بكل أحد ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: 83] بضم وسكون أي: قول ذا حسن وفي قراءة حمزة والكسائي بفتحتين أي: قولاً مستحسناً والمراد به النصيحة والموعظة وبحسن العشرة في الخلطة وسائر ما يتعلق بحقوق الخليقة.

قال الأستاذ: يعني من يكون من شهود الحق في راحة لقلبه يكون الخلق في راحة من لسانه وحقيقة العبودية الصدق مع الحق والرفق مع الخلق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 83] يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم.

وقال الأستاذ: العبادة وهي التعبد بهذه الخصال حاصل أيضاً لنا في شرعنا فأولها التوحيد وهو إفراد الحق بالعبادة ومن لاحظ خلقاً أو استحلى من الأغيار ثناء أو استجلب بطاعته إلى نفسه نصيباً أو داخله بوجه من الوجوه

مزج أو شوب فهو ساقط عن رتبة الإخلاص في العبادة وكذا من رأى نجاته بفعله فساقط عن در المعرفة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 83] الخطاب مع الموجودين والسابقين منهم على طريق التغليب أي: أعرضتم عن عهدكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [الآية: 83] أي: بالإقبال على الإسلام ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 83] أي: قوم عادتكم الإعراض وتعلقكم بالأعراض ومن أعرض عنا أعرضنا عنه وأوقفناه في العناء.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: في التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يقتل بعضكم بعضاً من غير ثأركم ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يخرج أحد منكم صاحبه من دياره ويستقر في منزله ومزاره أولاً ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من أوطانكم أو لا تفعلوا ما يصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه قتل النفس في الحقيقة ولا تكتسبوا ما تدفعون به عن الجنة التي هي داركم فإن الجلاء الحقيقي عند أرباب الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن من سعى في استجلاب حظه ففي الدنيا سعى في استكباب دمه وفي العقبى إلى استيجاب عظيم ألمه قال بعضهم:

إلى حتفي مشى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي[1]

/ وإن المجرمين اقتصوا بأيديهم حتفهم في مالهم وآثروا باختيارهم ما فيه غاية هلاكهم واستئصالهم قال بعضهم: 29/أ

بعين نفسي أصبت نفسي ... فالله بيني وبين عيني

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 84] بعهده واعترفتم بلزوم وعده ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 84] بذلك على أنفسكم أو على أسلافكم.

قال الأستاذ: يعني بسوء فعلكم أقررتم وعلى ما علمتم أن فيه هلاككم أصررتم فلا بما أبصرتم اعترفتم ولا بما اعترفتم انصرفتم ولا بما تعاطيتم

(1) نسب إلى أبي الفتح البستي. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).

باليتم ولا خربتم إلا بيوتكم ولا أضررتم إلا أنفسكم.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 85] أي: أيها الناقضون للعهد الناقصون في الوعد ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 85] أي: من غير أن يكون فساد في آثارهم.

قال الأستاذ: وكذلك بالتعاون على الإعراض عن الله والتساعد في المقام في أوطان الغفلة هلك بعضكم بعضاً فآفات أحوالكم غير لازمة وقاصرة عليكم بل هي متعدية عنكم إلى أضرابكم وقرنائكم ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 85] بالتخفيف للكوفيين أي تتفاوتون على أهل ملّتكم وأضراب جلدتكم ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [الآية: 85] أي: بالمعصية والتعدي في المظلمة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن نصرتكم لإخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصرة عليهم بما فيه شقاؤهم الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا أتقياؤهم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ [الآية: 85] أي حال كونهم مأسورين محصورين وللفداء طالبين مضرورين وفي قراءة حمزة أسرى ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ [الآية: 85] أي: تعطوهم الفداء وتخلصوهم من البلاء وفي قراءة نافع وعاصم والكسائي تفادوهم بصيغة المفاعلة للمبالغة في المعالجة أو أريد بالمفاعلة هنا المبادلة ﴿وَهُوَ﴾ [الآية: 85] أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [الآية: 85] متعلق بتخرجون وما بينهما اعتراض ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 85] وهو أمر الفداء بالتناصر ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 85] وهو النهي عن القتل والإخراج والتظاهر وذلك أن بني قريظة من اليهود كانوا حلفاء الأوس من الأنصار وبنو النضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها من الأوطان وإذا أسر أحد من الفريقين/ جمعوا كلهم له المال حتى يفدوه ويخلصوه من الوبال وقيل: معناه أن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والموعظة مع تضيعكم أنفسكم وإهلاكها بالغفلة. 29/ب

وقال أبو عثمان: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ غرقى في العيوب تدلوهم على طريق التوبة من الذنوب.

قال الواسطي: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ غرقى في رؤية أفعالهم تنقذوهم من ذلك برؤية المنن في أحوالهم.

وقال الأستاذ: أي كما تراعون بالفداء عنهم حقوقهم فكذلك يفرض عليكم كف أيديكم عنهم وترك إزعاجهم عن أوطانهم فإذا قمتم ببعض ما كتب عليكم فما الذي يقعدكم عن الباقي حتى تقوموا به كما أمرتم أما علمتم أن من فرق بين ما أمر به فآمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط بما ضيعه أجر ما عمله، ثم الأسراء أصناف فمن أسير غرق في بحر الهوى فإنقاذه بأن تدله على طريق الهدى ومن أسير بقي في أيدي وساوس الشياطين ففداؤه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والتخمين ومن أسير تجده في أسر هو حبسه استأسرته غاية نفسه ففكّ أسره بأن تدله على شهود المنّة بتبرئه عن حسبان كل حول وقوة ومن أسير تجده ربيط زلاته بأنواعه ففك أسره إرشاده إلى إقلاعه وإنجاده إلى ارتداعه ومن أسير تجده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسراءه فداءً ولا لقتلاه قود ولا لربيطه خلاص ولا عنه يد ولا إليه سبيل ولا من دونه حيلة ولا مع سواه راحة ولا لحكمه رد ولا لأمره حد ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [الآية: 85] أي: فضيحة ومذلة ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 85] أي: إلى أصعب أنواع العقوبة.

قال الأستاذ: أي ظنوا في الدنيا أن ما فعلوه نفعهم فانكشف بهم في العقبى أن جميع ما فعلوه مما مزجوه بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص غير مقبول منهم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 85] بالغيبة لنافع والمكي وشعبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن أعمالهم.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [الآية: 86] أي: اختاروا المنزلة الفانية على المرتبة الباقية ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يرفع/ 30/أ عنهم الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يمنعون عن العقاب فإنه بذلك سبق الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن الذي آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والأخرى كما قالوا:

أنـــاس أعـــرضـــوا عـــنـــا بـــلا جـــرم ولا مـــعـــنـــى
فـإذا كـانـوا قـد اسـتـغـنـوا فـإنـا عـنـهـم أغـنـى[1]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 87] أي: من بعدما أهلكنا القرون الأولى ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 87] أي أرسلنا على إثره وقفاه الأنبياء كداوود وسليمان وزكريا ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 87] الإنجيل المشتمل على الآيات والمعجزات الواضحات كأحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأخبار بالمغيبات ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [الآية: 87] أي فوقيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [الآية: 87] بضمتين لغير المكي أي بالروح المقدسة وهو جبريل المسمى بالروح الأمين فإنه كان قرينه يسير معه حيث سار كما ورد في صحيح الأخبار.

وقال الأستاذ: أي وصلنا لهم الخطاب وفصلنا لهم الكتاب وأردفنا رسولاً بعد رسول لرفع العقاب والجميع دعوا إلى واحد وهو الإقبال على المولى ولكنهم أصغوا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى فما استلذته النفوس قبلوه وما استثقلته أهواؤهم هجروه فالويل لهم في الدنيا ثم الويل لهم في العقبى وهذا معنى قوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾ [الآية: 87] أي: أكفرتم بالنعمة فكلما جاءكم ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ [الآية: 87] أي: بما لا تحبه ولا تعجبه من الكلفة ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية: 87] أي: تعظمتم عن الخدمة واخترتم الغيبة عن الحضرة بل زدتم في الجرأة وعظمتم الحريمة ﴿فَفَرِيقًا﴾ [الآية: 87] أي: من الأنبياء كموسى وعيسى ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 87] كزكريا ويحيى واختيارصيغة المضارعة لحكاية الحال الماضية.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [الآية: 88] أي: جمع أغلف وهو ما في غلاف أي: مغشاة بأكنة خلقية وأغطية فطرية لا يصل إليها ما جئت به من النقول ولا تعي ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 85) و(3/ 28).
ونسب إلى كشاجم. انظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور (91/ 68).

تذكر وتقول ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 88] رد لما قالوا وتكذيب لما ادعوا والمعنى أنها خلقت قابلة لقبول الحق وصالحة لسماع الصدق ولكن أبعدهم الله من رحمته وطردهم عن حضرته ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] ما مزيدة كفيدة للمبالغة في القلة فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض القضية أو المراد بالقلة عدم بالكلية/ أي: لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً وقيل: معنى الآية نحن 30/ب مستغنون بما في قلوبنا من العلم فإنها أوعية واعية للحكم.

وكان الأستاذ اعتمد عليه وأشار إليه بقوله لو سلم شيء بمجرد الدعاوي لهان وجود المعاني لكن عند مطالبات التحقيق بالمعرفة تفتر أنياب الملبسين عن أسنان فاغرة بل متناثرة.

إذ اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى(1)

انتهى ومن هذا المعنى ما أيسر الدعوة وما أعسر المعنى.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 89] يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 89] أي: موافق لما في كتبهم ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 89] أي: قبل نزوله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [الآية: 89] أي: يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 89] أي: على المشركين بقولهم اللّهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ [الآية: 89] أي الذي عرفوه من الحق ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 89] حسداً على النعمة وخوفاً على الرياسة وجواب لما الثانية دل على جواب لما الأولى ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 89] أي: منهم ومن غيرهم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ووعد من نفسه تحقيق الوفاء ونشر أعلام النشاط عند البروز إلى القتال وإذا تنادوا بالنزال وصدق القتال انهزم عند التفاف الصفوف وانخزل عن الجملة خشية هجوم المحذور قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: 21].

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ما باعوا به حظ أنفسهم

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (1/ 207).

من الإيمان ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 90] أي: كفرهم بالقرآن ﴿بَغْيًا﴾ [الآية: 90] حسداً ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 90] والتخفيف لابن كثير وأبي عمرو أي: على إنزاله الوحي ﴿مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ [الآية: 90] أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ [الآية: 90] أي: لكفرهم بالحق ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [الآية: 90] لحسدهم على أفضل الخلق ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 90] أي: يراد به إهانتهم لكفرانهم بخلاف عذاب الفاجرين فإنه طهرة لعصيانهم.

وقال الأستاذ: أنزلهم التحاسد عن مقر العز إلى حضيض الخزي وسامهم ذل الصغار حين لم يرضوا بمقتضى الحكم فأضافوا استيجاب مقت آنف إلى استحقاق مقت سالف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 91] أي: بجميع ما أنزله من القرآن وغيره/ ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 91] أي: بما خص إنزاله إلينا ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [الآية: 91] أي: بما عداه ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 91] أي: وما وراءه أيضاً الثابت الصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 91] حال مؤكدة أي: مطابقاً لما معهم من الحق على وفق الصدق وفيه تنبيه على بطلان مقالهم وكفران حالهم فإنهم لما كفروا بما وافق كتابهم كفروا بما طابق خطابهم مع أن دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم مردود إليهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 91] أي: بما أنزل عليكم أي: فإنه لم يسوغ قتل الأنبياء لديكم ثم إنما نسب قبائح الآباء إلى الأبناء فإنهم راضون به عازمون على مثله ولقد أعدل عن الماضي إلى الاستقبال والله أعلم بالحال.

31/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة إلى أنه إذا قيل لهم حققوا ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان سمحت نفوسهم ببعض ما التمس منهم مما يوافق أهواءهم ثم يكفرون بما وراء حظوظهم إما أنهم بعداء عن زمرة الخواص غير معدودين في جملة الاختصاص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 92] يعني اليد والعصا وسائر المعجزات الواضحات ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 92] أي معبوداً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾

[الآية: 92] أي: بعد مجيء موسى أو ذهابه إلى ميقات المولى ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 92] أي: قوم عادتكم وضع الشيء في غير موضعه وفيه تنبيه على الإخلاف على طريق الأسلاف.

قال الأستاذ: أي دعاكم إلى التوحيد وإفراد المعبود عن كل محدود على نعت التفريد ولكنكم لم تجنحوا إلا إلى عبادة ما يليق بكم من عجل اتخذتموه وصنم تمنيتموه فرفع ذلك من بين أيديهم لكن بقي آثاره في قلوبهم وقلوب أعقابهم ولذا يقول أكثر اليهود بالتشبيه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [الآية: 93] أي: قائلين ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 93] أي: بجد وعزيمة ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [الآية: 93] أي: سماع قبول وطاعة ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 93] أي: قولك لكن بلسانهم ﴿وَعَصَيْنَا﴾ [الآية: 93] أي: أمرك لكن بجنانهم أو قيل صدر هذا القول منهم بعد رفع الطور عنهم وقيل: لما سمعوه وتلقوه بالمعصية نسب إليهم القول على التوسعة ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 93] أي: سقوا حبه حتى خلص ذلك من قوالبهم إلى قلوبهم وخلط من ظواهرهم إلى بواطنهم وعبر عن حب العجل بالشرب لأن الماء/ أكثر نفوذاً ووصولاً إلى القلب وقد روي عن علي 31/ب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام عمد إلى الفحل فوضع المبارد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فما شرب أحد من الماء من عابد العجل إلا اصفر وجهه كالذهب ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 93] أي: بسبب كفرهم وجهلهم بمعرفة ربهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو مشبهة أو حلولية أو اتحادية فأعجبهم جسم العجل وحسنه المصنوع من ذهبهم فذهب بعقولهم وتمكن حبه في قلوبهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 93] أي: بالتورية على زعمكم والمخصوص بالذم مقدر أي: هذا الأمر المقرر عندكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 93] أي: مدعين للإيمان والتصديق أو تقديره إن كنتم مؤمنين بها ما أمركم إيمانكم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها وحاصله أنه لو كنتم مؤمنين بالله لما عبدتم شيئاً مما سواه وهذا بالنسبة إلى أسلافهم وأما بالإضافة إلى أخلاقهم فالمعنى لو كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ما كذبتم بمحمد فيما أرسل إليكم.

قال الأستاذ: كرر الإخبار عن غلوهم في حب العجل ونُبُوِّهم عن قبول الحق وإلجائه إياهم بما أظل عليهم من الجبل وتعريفهم معاجلتهم بالعقوبة على ما يسيئون من العمل فلا النصح نجع فيهم ولا العقوبة أقلعتهم عن معاصيهم ولا بالذم لهم اقتلعوا ولا بموجب الأمر عملوا.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [الآية: 94] أي نعمها الفاخرة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 94] أي: في علمه ووفق حكمه ﴿خَالِصَةً﴾ [الآية: 94] أي خاصة بكم لقولكم لمن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 94] أي: من غير سائر المسلمين ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 94] في دعواكم باختصاص اليقين فإن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص من دار الكدورة بالوصول إليها لا سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه فيها غيره ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [الآية: 95] أي: لعلمهم بكذبهم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 95] أي: من أعمالهم الموجبة للنار في دار البوار والإضافة إلى اليد لأنها آلة لعامة الصنائع وأكثر المنافع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 95] فيه تهديد ووعيد أكيد وهذه الجملة من أفراد المعجزة وقد ثبت عنه ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات[1] من مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: ولتعلمهم بسوء عاقبتهم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [الآية: 96] أي: ولو قليلة من هذه الحياة الفانية لتعلقهم بالشهوات النفسانية أو على/ حياة طويلة لعلمهم بما لهم إلى العقوبة الباقية ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 96]، عطف على الناس بحسب المعنى والتقدير أحرص من الناس الباقين ومن المشركين الحريصين على الحياة العاجلة لعدم إيمانهم بالحياة الآجلة ففيه من التوبيخ والتقريع غاية المبالغة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] استئناف بيان وضمير أحدهم راجع إلى أحدهما وقيل التقدير ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 96] جمع ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت في عبادتهم وإلا ظهر ما ذهب إليه بعضهم من

32/أ

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 75) رقم (54) قال فيه غريب بهذا اللفظ. وقد ورد بلفظ مختلف.

أن لو هذه مصدرية بمعنى أن إلا أنها لا تنصب ﴿وَمَا هُوَ﴾ [الآية: 96] أي: ما أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ [الآية: 96] أي: بمبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 96] أي: عذاب ربه وحجاب قلبه ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ [الآية: 96] أي: تعميره وعن العقوبة تأخيره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 96] أي: عليم بأعمالهم فيجازيهم على وفق أحوالهم وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] أيكم أكثر للموت ذكراً وللقيامة فكراً.

وقال الواسطي: جعل الموت نقطة للعالم فمن هابه حجبه عن الميت ومتى يكون في قلبك هيبة المميت أحببت طوارق الموت.

وأفاد الأستاذ: أن حب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن المولى فأشدهم منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهتك فإنما حرصهم على حياتهم لعلمهم بما قصروا فيه من طاعاتهم والعبد الآبق لا يريد رجوعه إلى سيده والانقلاب إلى من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقاء مع من شره غير مأمون ثم إن امتداد العمر مع يقين الموت كان قد فاجأه الأمر وانقطع العمر وكل ما هو آتٍ فقريب وإذا انقضت المدة فلا مرد لهجوم الأجل على أكتاف الأمل.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] بكسر الجيم وفتحها مع كسر الراء وبفتحها مع همزة بعده ياء وحذفها أربع قراءات متواترات وسبب نزول الآية أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن من ينزل عليه فقال هو جبريل قالوا ذاك عدونا عادنا مراراً وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا/ من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وجواب الشرط محذوف والتقدير فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 97] أي جبريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ [الآية: 97] أي: القرآن ولفخامة شأنه لا يحتاج إلى سبق بيانه ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الآية: 97] فاته المحل القابل للوحي أولاً ومحل الفهم والحفظ ثانياً ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 97] أي: بأمره وتيسيره حال من فاعل نزله ﴿مُصَدِّقًا﴾ [الآية: 97] أي: موافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 97] أي:

32/ ب

لما قبله من الكتب والشرائع أو لما بعده من الوقائع ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 97] أحوال من مفعول نزله وفيه أي إلى رد ما روي عنهم من أن جبريل صاحب الحرب والشدة وأن ميكائيل صاحب الخصب والسلامة فلو أن ميكائيل أتاك لآمنا بك واتبعناك فكأنه قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ [النمل: الآية: 102] بهما على الكافرين وبالهداية والبشارة للمؤمنين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 98] أي: بمخالفته عناداً ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 98] أي: وأنبيائه المرسلين وقدم الملائكة عليهم لأنهم وسائط فيما بين الله وبينهم ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [الآية: 98] خصّا لما ذكر وهو بهمز مكسور فياء ساكنة وحذفها وبإسقاطهما ثلاث قراءات معتبرات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 98] والمعنى أن من كان عدواً لهم فإن الله عدو له ووضع الظاهر موضع المضمر للإعلام بأن عداوتهم كفر وجمع لإفادة العموم الشامل لهم ولغيرهم من أنواع الكفرة وتعريض لهم بقبول التوبة وفيه إيماء إلى أن من عادى أحدهم كمن عادى جميعهم وقيل: الواو بمعنى أو وأريد بها تنوعهم وفيه إشعار بأنه تعالى تولى بذلك عداوة من عاداهم وكفى رسله وملائكته أمر من ناوأهم.

وقال الأستاذ: زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير وأنهم لا يحبونه ولو كان ميكائيل مكانه لآمنوا به وعظموا شأنه فأكذبهم الحق سبحانه بقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] لأنه لا يأتي بالخير فأي خير أعظم من نزوله بالقرآن ثم قال: إن من عادى جبريل وميكائيل إشارة إلى أن رسول الحبيب إلى الحبيب لعزيز المورد كريم المنزلة عظيم المرتبة وما ضر جبريل عداوة غيره والحق سبحانه وليه/ ومن عادى جبريل فالحق عدوه وما أعز هذا الشرف وما أجله وما أكبر علوه. 33/أ

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات واضحات وإعلامات لائحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 99] أي: الكاملون في الفسق وهو الخروج عن الطاعات.

قال الأستاذ: لم يكفر بواضح آياته إلا من سدت عن الإدراك بصيرته

وسبق بالشقاوة من الله قسمته ولا عقل لمن يجحد أن النهار نهار وكذلك لا وصل لمن لم يساعده من الحق أنوار واستبصار.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [الآية: 100] أي طرحه ونقضه وهو محل الإذكار فيهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 100] فهم على نقض عهودهم مستمرون وفي قبضة تصرف الحق أسيرون وفي قضية أمرهم متحيرون فكأنهم مريدون مترددون.

قال الأستاذ: كان سابق التقدير لهم يشوش وينقض عليهم لا حق التدبير منهم والله غالب على أمرهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 101] أي: مرشد لهم ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: من تفضله عليهم ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 101] أي: من الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء المرسلة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 101] أي: مع علمهم بأن في كل باب من الكتاب فصل الخطاب من تميّز الخطأ والصواب ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: التوراة والقرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 101] لشدة إعراضهم وقلة التفاتهم إلا إلى أعراضهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 101] أنه الحق من ربهم.

قال الأستاذ: جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث الخواطر وكذبوا رسولهم الذي أتاهم في الظاهر فيا جهلاً ما فيه شظية من العرفان ويا حرماناً قاربه الخذلان.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ [الآية: 102] أي: ما كانت تحدث أو تتبع ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ [الآية: 102] أي شياطين الإنس والجن ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية: 102] أي: عهده من الزمان وعدي بعلى لتضمين معنى الافتراء والبهتان فإن الجن كتبوا السحر ودفنوه تحت سريره حين نزع ملكه وحكمه وتقريره ولما مات عليه السلام استخرجوه وقالوا إنما تسلط بهذا فتعلموه ونفوا نبوته وقالوا ما هذا إلا ساحر لدولته فبرأه الله من ذلك البهتان بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [الآية: 102] وعبر بالكفر عن السحر ليدل على أن السحر من الكفر ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية: 102]

وبالتخفيف لابن عامر وحمزة والكسائي ﴿كَفَرُوا﴾ [الآية: 102] حيث جحدوا نبوة سليمان وأنكروا ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية: 102] أي: إغواءً وإضلالاً والجملة وقعت حالاً ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [الآية: 102] قرية قريبة من الكوفة ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [الآية: 102] بدل من الملكين والمعنى ويعلمونهم ما إليهما وقذف في قلوبهما من علم التفرقة ابتلاء لهما وللخليفة ومجمل القضية على ما في «**مسند أحمد**» و«**صحيح ابن حبان**» مرفوعاً وعن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم موقوفاً أن بعض الملائكة طعنوا في أهل الأرض من جهة فسادهم وقلة صلاحهم ورشادهم فقال تعالى: لو كنتم على طبعهم لكنتم مثلهم(1) فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا نحوهم فاختار الله سبحانه من بينهم ملكين من أعبدهم وركب فيها الشهوة وأرسلا من المنازل العلية إلى أرض البلية فعصيا باتباع الهوى وتركا سبيل الهدى ونسيا ما ادعيا من ملازمة التقوى فخيرا بين عذاب الدنيا وعقاب العقبى فاختارا الأولى فإن عذاب الآخرة أشق وأبقى فهما الآن إلى يوم القيامة معذبان والله يمتحن بهما عباده ويجري على أهل بلاده مراده ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي أحداً أبداً ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ [الآية: 102] أي: على طريق النصيحة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 102] أي: بلية ومحنة ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ [الآية: 102] أي: باعتقاد جوازه والعمل به فإن أطعتنا نجوت وإن عصيتنا هلكت ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: بين المحب ومحبوبه وبين الطالب ومطلوبه ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: بسحرهم ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي: أحداً من أعدائهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 102] أي إرادته وقضائه فيهم.

قال الأستاذ: ومن فرقته الأهواء وقع في كل مطرح من مطارح الغفلة فيستقبله كل جنس من قضايا الجهالة ثم أن من طالت به الغيبة صار للناس عبرة ولمن سلك طريقة فتنة فمن اقتدى به في غيه انخرط في سلكه والتحق بجنسه هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما صارا للخلق فتنة بل عبرة فمن أصغى إلى قالهما ولم يعتبر بحالهما تعلق به بلاؤهما وأصابه في الآخرة

(1) جاءت روايات مختلفة في هذا القول في كتب التفسير.

عناؤهما/ والإشارة من قصتهما إلى أن من مال في هذه الطريقة إلى تمويه 34/أ وتلبيس وإظهار ودعوى بتدليس فهو يستهوي ومن اتبعه ويلقيه في جهنم بباطله ويصده بشرر ظلماته عن طريق رشده ومن اعتبر عبر السلامة قناطره ومن تهتك بالجنوح إلى أباطيله تهتكت أستاره وظهر لذوي البصائر عواره وإن هاروت وماروت لما اغترا بحاصل ما اعتاداه من العصمة بسط لسان الملامة في عصاة بني آدم فلما ركب فيهما نوازع الشهوات ودواعي الفتن والآفات اقتحما في المعصية وظهر منهما ما انتشر ذكره على ألسنة أهل القصة فهما منكسان إلى يوم القيامة ولولا الرفق بهما لم يتناهى في القيمة عذابهما ولكن لطف الله مع الكافة كثير والله على كل شيء قدير ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: ما يوجب كفرهم ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: نفعاً يوازي ضرهم وفي معناه تعلم العلم الذي لا يضر ولا ينفع وكذا اكتساب عمل ممن لا يخشع حيث لا ينجع ولا يدفع.

قال الأستاذ: وعلم أهل التحصيل أن العلم لكل معلوم وإن كان صفة مدح ففيها ما هو مرغوب عنه بل هو مستفادٌ منه فقد قال الشافع المشفع «أعوذ بك من علم لا ينفع»[1] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [الآية: 102] أي: اختار ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [الآية: 102] أي: ليس له نصيب من حظوظ أهل الوفاق ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: باعوا به حظ ذواتهم وحصة لذاتهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: يتفكرون فيما يعلمون من الكتاب عملوا ما يتبعه من العذاب.

وقال الأستاذ: لو أقروا الإقبال على الله على الاشتغال عن الله لحصلوا ذخر الدارين ووصلوا إلى عز الكونين لكن كبستهم سطوات القهر فأثبتهم في مواطن الهجر.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2722/ 73)، والحاكم في المستدرك (1/ 185) رقم (356)، وابن ماجه في السنن (1/ 92) رقم (250)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 445) رقم (7870)، وأحمد في المسند (21/ 250) رقم (13674).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 103] أي: بالكتاب ﴿وَاتَّقَوْا﴾ [الآية: 103] عن مخالفة الخطاب والجواب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الآية: 103] أي: لثواب عظيم حاصل من فضله فيه خير كثير بالنسبة إلى عقاب أليم وأصل من عدله وفاصل الكلام لأثيبوا مثوبة من الله خيراً من العقوبة الناشئة من المعصية فحذف الهيئة الفعلية وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة الخيرية ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 103] أن ثواب/ الله خير لما ارتكبوا ما يكون في عاقبته ضير ومالوا إلى من يطلق عليه أنه غير.

34/ ب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [الآية: 104] أي: سمعك بدل اسمع منا أو المعنى راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقّننا حتى نفهم ما تلقي إلينا فسمع اليهود وأرباب الجحود أنّ المؤمنين يخاطبونه بهذا المعنى بناءً على غفلتهم عن لغة غيرهم مما فيه من فساد المعنى فافترضوه وخاطبوه بطريق المكيدة على إرادة نسبته إلى الرعونة والحموقة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بتبديلها لقوله سبحانه ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [الآية: 104] أي: انظر إلينا حتى نفهم ما يحكم علينا أو انتظرنا وترفق بنا ويؤيده أنه قرئ انظرنا من الإنظار أيّ أمهلنا لنحفظ ما أمليت لنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [الآية: 104] أي: أمرنا ولا تتركوا حكمنا ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 104] أي: من جملتهم المهين لسيد المؤمنين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 104] وحجاب وخيم وقال الأستاذ قصود الأعداء خبيثة في جميع أحوالهم من أعمالهم وأقوالهم فهم على منهاجهم يبنون فيما يأتون ويذرون فسبيل الأولياء التحرس عن مشابهتهم والتحرز عن موافقتهم.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 105] أي: اليهود والنصارى من بيانية ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 105] عطف على أهل الكتاب ولا مزيدة لتأكيد المنفعية والمعنى ليس يشتهي النوعان من جنس أهل الكفر والعدوان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي خيراً من عنده فمن الأولى مزيدة استغراقية والثانية ابتدائية وفيه تنبيه على كثرة حسدهم وقلة ودهم للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ويحترسوا عن شقاقهم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الآية: 105] برحمته أي نبوته وولايته ﴿مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 105] أي: من خليقته

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 105] أي: يتفضل على من أراد على وفق إرادته والاختصاص متعد ولازم فالزم الفرق في المبنى والمعنى ولازم وأفاد الأستاذ كراهية الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصلة مستدامة ولكن الحسود لا يسود ولا يحصل له مقصود وخصائص الرحمة للأولياء كائنة وأن رغم من الأعداء آناف وانهدم من أوطان فرحهم أكناف وأطراف.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 106] قال الكفار يأمر محمداً أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه فنزلت وما شرطية منصوبة على المفعولية ومن/ بيانية والمعنى ما نرفع حكمها من القرآن وما نزل أمرها من 35/أ الفرقان ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [الآية: 106] أي: نذهبها عن القلوب بحيث لا نتذكرها لما قيل من أن سورة الأحزاب كانت قدر سورة البقرة في طولها[1] ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [الآية: 106] أي: بأنفع للعباد في المبدأ والمعاد ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [الآية: 106] في المنفعة والمثوبة وفي قراءة الشامي من الإنساخ أي نأمر بنسخها وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ننسا بفتح النون الأولى والسين بعدها همز أي نثبت رسمها ونؤخر حكمها كقوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] فعلى هذا النسخ عكسه أي تثبت حكمها وتؤخر رسمها نحو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[2] وكذا قوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب[3] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 106] أي: في النسخ والتبديل وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 106] تام القدرة كامل المشيئة المتضمنة للحكمة في كل قضية وحاصل الجملة أن النسخ

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 450) رقم (3554)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 332) رقم (4352)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 271) رقم (7150)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، وأحمد في المسند (5/ 132) رقم (21245).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6/ 2622) رقم (4970)، والدارمي في السنن (2/ 234) رقم (2323)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 270) رقم (7145)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، ومالك في الموطأ (5/ 1203) رقم (3044).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 184) رقم (5032)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 569) رقم (2337).

هو انتهاء التعبد بالقراءة أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً والحكمة في ذلك أن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد فيما يتعلق بالمعاش والمعاد وتكميل نفوسهم في كل مرتبة فضلاً من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كالغذاء والدواء في مخالفة الخواص فإن النافع في عصر قد يضر في دهر وهذا هو عين الرحمة وعلى وفق الحكمة وفيه تنبيه للسالك النبيه أن يفوض أمره في جميع أحواله إلى مولاه من تنزل وترقى وتجمل وتحمل وبسط وقبض ورفع وخفض ولطف وقهر وغنى وفقر ومنحة ومنفعة ومنقصة وشهرة وعزلة وكثرة وقلة ووفاء وجفاء وبقاء وفناء وسائر مقتضيات الصفات الجمالية وموجبات النعوت الجلالية حتى القرب والبعد كما بعض أرباب الحال.

أريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما أريد لما يريد[1]

وهذا معنى بعض قول الوفاء والرضا بالقضا باب الله الأعظم والله أعلم.

وقال السلمي: ما نقلبك من حالة إلا أوصلناك إلى حالة أعلى إلى أن ينتهي بك/ الأحوال إلى محل التداني لقوله ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ والخطاب من غير واسطة بقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ انتهى ولا 35/ب يخفى أن ما وقع له من نزوله بعد أوج معراجه وكمال وصوله ما أوجب نقصاً في مقامه ولا اقتضى تنزلاً في حاله ومرامه فإنه ما كان حلوله كطلوعه أو أعلى من ابتداء شروعه بل هو ظاهر في علو مرتبته وعظمة رتبته لأنه مراد أو مريد في مقام المزيد ولا عبرة بظواهر التنزلات الصورية لأن المدار على مراتب التجليات المعنوية الإلهية التي يستوي عندها الأراضي السفلية والسموات العلوية كما يشير إليه قوله ﷺ لا تفضلوني على يونس [بن] متّى مومياً إلى أن معراجه كان في بطن الحوت وعالم الظلمات كما أن معراج نبينا ﷺ فوق السموات والله أعلم بتحقيق الحالات وتوفيق المقامات.

---

(1) نسب إلى ابن المنجم الواعظ المعرّي. انظر: فوات الوفيات (2/ 301)، والوافي بالوفيات (6/ 105).

وقال الأستاذ: ما تنقلك من حال إلى ما هي فوقها وأعلى منها فغصن وصلك أبداً ناضر ونجم عزك أبداً زاهر فلا ننسخ من آثار العبادة شيئاً إلا وبدلنا من أنوار العبودية ولا نسخنا من آثار العبودية شيئاً إلا أقمنا مكانها أشياء من آثار العبودية فأبداً سرّك في الترقي وقدرك في الزيادة بحسن التولي وقيل ما نرقيك في محلّ العبودية إلا أحللناك بساحات الحرية وما رفعنا عليك شيئاً من صفات البشرية إلا أقمناك بشواهد من شواهد الألوهية انتهى وأراد بشواهد الألوهية الصفات السبحانية من التخلق بالأخلاق الربانية وفي الحقيقة هذا التراقي ليس مختصاً بأرباب التجلي وأصحاب التخلي والتحلي بل كل فرد من أفراد السائرين أو الطائرين من المؤمنين والكافرين ليس بحسب مقامهم وحالهم ترق في حالهم ومنالهم فالتوقف ليس في طور الإنسان فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ولذا يكون منحة أهل الجنة دائماً في زيادة اللذة كما أن منحة أهل النار سرمداً يكون في التضاعف كمية وكيفية كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [سورة النبأ: 30] أي بأن نكشف لكم حجاباً يوجب حجاباً ويعقب عقاباً على وفق حال الجنة من الحسنى ثواباً والزيادة مآباً وهذا كله لأن التجليات الإلهية من النعوت الجمالية والجلالية ليس لها مرتبة الانتهائية نسأل الله العناية والهداية من البداية إلى النهاية.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [الآية: 107] الخطاب له ﷺ/ أصالة ولغيره تبعية ولأنه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 107] أي يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد من القضاء من نحو إثبات ناسخ ومحو منسوخ بمقتضى علمه وحكمته في أهل مملكته ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 107] أي: مما سواه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية: 107] أي: والٍ يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 107] ينصركم ويدفع ضركم. 36/أ

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّة سبحانه أن يجذب أولياءه عن شهود ملكه إلى رؤية ملكه، ثم يأخذهم من مطالعة ملكه إلى مشاهدة حقه فيأخذهم من رؤية الآيات إلى رؤية الصفات إلى شهود الذات.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [الآية: 108] انتقال والتفات بل أتريدون أيها اليهود والمشركون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟﴾ [الآية: 108] وهو محمد ﷺ فإنه أرسل إلى الخلق كافة على التقدير الاجتماعي ولذا قال لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[1] ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 108] حيث قيل له أرنا الله جهرة ونحو ذلك من أسباب نزول الخطاب إن أهل الكتاب سألوا نبينا ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وأن المشركين طلبوا أن يجعل الصفا ذهباً ويوسع لهم أرض مكة فقال نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا أي عن مقترحهم محبة لكفرهم وخوفاً من التهديد الواقع في قضية المائدة على أنفسهم في قوله سبحانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 115] ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 108] أي: وسطه وهو الجادة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 153] الآية أو المعنى أخطأ السبيل المستوية المعتدلة وهي الهداية الموصلة وفيه إشعار بأن الاقتراح وسؤال الآيات بعد ظهور البراهين ووضوح المعجزات كفر موجبه التعنت والمكابرة والعناد في المقاولات.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 109] أي: أحب أحبارهم وتمنى أخيارهم ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ [الآية: 109] أي: أن يردوكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [الآية: 109] أي: مرتدين حالاً من ضمير المخاطبين ﴿حَسَدًا﴾ [الآية: 109] أي: للحسد الكامن الكائن ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [الآية: 109] تشرسهم لا من قبل تدينهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 109] أي: ظهر أمر الصدق/ 36/ب ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ [الآية: 109] أي: عن مجازاتهم ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ [الآية: 109] أي: أعرضوا عن مقالاتهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 109] أي: لإيمان من تعلق علمه بإيمانه ولقتال من صمم على جهله وكفرانه أو أخذ الجزية جزاءً على عدوانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 109] أي: من الإنعام والانتقام ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 109]

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 199) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/ 102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (3/ 338) رقم (14672)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 312) رقم (26421).

وبأعمالهم وأحوالهم بصير وخبير.

قال الأستاذ: من لحقه خسران من أهل الغفلة ودّان لا يطلع لأحد بالسلامة نجم ولا زهر ومن اعتراه الحسد أراد أن لا تنبسط على عدوه شمس ولا قمر فكذلك كان صفات الكفار وأحوالهم فأرغم الله أنفهم وكبهم بوجوههم والإشارة من هذا إلى حال أصحاب الإرادة إذا رغبوا إلى السلوك في البداية فإن من لم يساعده التوفيق وعاشوا مترسمين بظواهر التنميق يمنعون هؤلاء من سلوك أهل التحقيق ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصح والتخويف بالعجز والهجر والتهديد بالفاقة والفقر حتى يعقلوهم أي: يجروهم إلى سبيل الغفلة ويقطعوا عليهم طريق الإرادة أولئك أعداء الله حقاً وصدقاً أدركتهم مقت الوقت وعقوبتهم حرمانهم من نور ظهور الحق وأن لا يشتموا شيئاً من روائح الصدق فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سره وصدقه ويستعمل مع كل أحد خلقه ويبذل في الطلب رفقه فعن قريب يفتح الله عليه طريقه.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 110] أي: أجمعوا بين القيام بالعبادات البدنية والطاعات المالية وعبر عنهما بأمهاتهما فشمل الصوم والحج ونحوها ولأن الصلاة صلة ووصلة بين العبد ومولاه ومعراج حصول وصول بالذهول عما سواه والزكاة تزكية النفس عن ميلها إلى المال والجاه المانعين عن التقرب إلى الله فالزكاة تجليه والصلاة تحليه والواو لمطلق الجمعية على أن التحلي مقدم على التخلي في سير المرادين من المجذوبين السالكين وعكسه طريق المريدين من السالكين المجذوبين ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 110] أي: من قرب النوافل بعد قرب الكوامل ﴿تَجِدُوهُ﴾ [الآية: 110] أي: ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 110] أي: عالم بالنقير والقطمير ومطلع على الظاهر/ والضمير. 37/ أ

وأفاد الأستاذ: أن الواجب على المريد إقامة المواصلات وإدامة التوسل بفنون القربات واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تزكو ثمرته في أواخر الحالات.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 111] أي: اليهود والنصارى ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [الآية: 111] لَف بين قولي الفريقين وأو لتنويع الكلامين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: 135] ثقة بفهم السامع العارف بحالهم من أن كلاً منهما على إبطال غيرها وهو جمع عائد كعود جمع عائد وإفراد الاسم المضمر وجمع الخبر نظراً للفظ من ومعناه ليفيد شمول الحكم مفردهم وجمعهم مع الإشارة إلى البلاغة من تفنن العبارة والوجازة وتوضيح المرام من الكلام فقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أمثال تلك الأمنية الباطلة سائر أمانيهم وهي أفعولة من التمني كالأعجوبة من التعجب ﴿قُلْ﴾ [الآية: 111] لكل فريق منهما أو لمجموعها ﴿هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: قربوا حجتكم واحضروا بينتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 111] في دعوى اختصاصكم بدخول الجنة وحصول الأمنية وفيه إيماءٌ إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53].

قال الأستاذ: وكل حزب يمهد الأمل لنفسه ويظن النجاة بحاله ويدعي الوصل من سهمه ولكن مجرد الحسبان دون تحقق البرهان لا يأتي بحاصل ولا يعود بطائل.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 112] إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة على وجه يفيد الحكم العام في القضية الشرطية فالمعنى بل يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 112] أي: أخلص وجه توجهه في مقصده ومعتقده ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 112] دون قصد ما سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية: 112] أي: في دينه وعمله واتباع نبيه ولا يبعد أن يكون الأول عبارة عن القيام بأمر الله والثاني إشارة إلى الشفقة على خلق الله ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية: 112] وفي العندية إيماء إلى عظمة المثوبة المترتبة على العبودة العبدية وكفاية عن مرتبة القربة في الحضرة الربوبية أو المعنى من عند ربه فضلاً حيث لا يجب على الله شيء أصلاً لأن له أن يعذب المطيع ويثيب العاصي لا ظلماً بل عدلاً ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 112] لنجاتهم من العقوبة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 112] / لدخولهم الجنة. 37/ب

وأفاد الأستاذ: أن من أخلص لله قصده وأفرد لله وجهه وطهر عن الشوائب مقصده ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ عالم بحقيقة ما يفعله وحقية ما يستعمله أو هو محسن في المآل كما أنه محسن في الحال ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه(1) فيكون مستسلماً بظاهره مشاهداً بسرائره في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف ووجود ويقال ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ بالتزام الطاعة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قائم بآداب الخدمة يحسن آداب حضور الحضرة فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر ولا يلحقهم خفي المكر فلا الدنيا تشغلهم عن مشاهدته ولا الآخرة تمنعهم غداً عن رؤيته.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [الآية: 113] أي: أمر معتدّ به لأن دينهم باطل من أصله ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 113] أي يقرون الكتاب ويدعون متابعة الخطاب مع أن في كل كتاب تعظيم سائر كتبه وتوقير جميع أنبيائه ورسله فإبطال كل فريق دين الآخر دال على بطلان قولهما فيصدق عليهما أن كلاً منهما صدقوا في أخبارهما لأن كلا الدينين ليس بشيء بعد نسخهما ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 113] أي مثل ذلك الذي سمعته منهما ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 113] أي: من مشركي العرب وعبدة الصنم وغيرهما ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 113] مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به أو بالعكس أو الثاني تأكيد للأول ومبين لإبهامه المجمل فتأمل والحاصل أن سبيل هؤلاء الذين يدعون أنهم من العلماء كدأب الجهال والسفهاء في المكابرة والمبالغة في المعاندة ونظيرهم إنكار بعض الفقهاء الشافعية على الحنفية كعكس القضية وكذا المالكية والحنبلية المبتلون بهذه البلية مع اعترافهم بأن الكل مأخذهم الكتاب والسُّنَّة بخلاف أهل البدعة وكذا إبطال طوائف الصوفية بعضهم بعضاً في الطريقة الحقيقية من النقشبندية والكبروية والخلوتية والجهرية وأمثالهما مع أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس المخلوقات ومقصد الكل واحد بالذات كما قال قائلهم:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... فكل إلى ذاك الجمال مشير

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

38/أ / ومثاله أن مقصد الحاج كله الكعبة المشرّفة والقوافل مختلفة متفرقة من كل جهة متوجهة ولكل وجهة وأينما تولوا فثم وجه الله ففيه إيماءٌ إلى مشاهدة الله ورفع ما سواه ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية: 113] بأن يقسم لكل فريق ما يليق به من الجزاء على وفق ما كانوا يعملون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر فإن الأعداء يتبرأ بعضهم من بعض اليوم والأولياء من وجه كذلك لقولهم لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا ولا يقبل بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض ولكن الأعداء كلهم على الباطل عند تبرئ بعضهم من بعض والأولياء كلهم على الحق عند تبرئ بعضهم من بعض انتهى والفرق أن الأولين صدر معارضتهم لحفظ نفسهم والآخرين ظهر مناقضتهم بحق ربهم والأعمال بالنيات والله أعلم بالخفيات لكن علامة حق الحق بقاء الضياء والصفا وإمارة حظ النفس الأمارة حدوث كدورة الظلمة والجفاء.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ [الآية: 114] أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [الآية: 114] بأن يصلي أو يتلى أو يدرس فيها ونحوه ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ [الآية: 114] أي بهدم بنائها وتعطيل وقفها وتفريق أهلها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 114] أي: المانعون والساعون ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ [الآية: 114] أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا: بخشية وخضوع وأدب وخشوع بمباشرة سجود وركوع ولعل هذا مأخذ تحية المسجد وجمع يشمل المساجد كلها فإن جميعها يقال لها بيوت ربها.

وقال الأستاذ: الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات وهي نفوس العابدين، وخرب أوطان المعرفة بالمنى والعلاقات وهي قلوب العارفين وخرب أوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات وهي أرواح الواجدين وخرب أوطان المشاهدة بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ [الآية: 114] أي: للمانعين عن العبادة في العاجلة مذلة مديدة ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 114] أي: وفي العاجلة عقوبة شديدة.

وأفاد الأستاذ: أن لأهل الإشارة خزي في الدنيا ذل الحجاب عن الذات والصفات وعذاب الآخرة الاقتناع بالدرجات.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 115] أي: مِلكاً ومُلكاً والمراد بهما ناحيتي الأرض بجميع جوانبها/ أي: له الأرض كلها لا تختص به مكان دون مكان منها 38/ب فإن منعتم أن تصلوا في المساجد حسداً فصلوا حيث ما تيسر لكم من الأرض فإنها جعلت لكم طهوراً ومسجداً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ [الآية: 115] أي: ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة وجهة الكعبة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 115] أي: فهناك جهة التي أمر بها والقبلة التي قبلها لأن إمكان التولية لا تختص بمسجد ومكان ومحلة وبقعة أو فثم ذاته الذي ينبغي التوجه إليه في كل مكان وزمان مع تنزهه عن مرور الزمان عليه وعن نسبة الحلول في الخير إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 115] بإحاطة علمه بالأشياء في بلاده أو برحمته يريد التوسعة في العبادة على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 115] بمصالحهم وأعمالهم وأحوالهم في جميع الأمكنة وسائر الأزمنة وقد نزلت الآية في شأن من خفيت عليه القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة أو في تحويل القبلة.

وفي «**تفسير السلمي**» قال منصور وجهه حيث ما توجهت وقصده أين قصدت وقال أيضاً هذا مثل إبداء الحق للخلق كمثل الهلال يرى في جميع الأقطار ينظر الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها وللقلوب شوارق وطوارق فطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المني والشهوات وشوارق القلوب نجوم العلوم وأقمار الحضور وشموس المعارف فما دامت الشوارق طالعة فقبلة القلوب واضحة ظاهرة فإذا استولت الحقائق خفي سلطان الشوارق كالنجوم تستتر عند طلوع الشمس كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر فلا شهود رسم ووسم ولا بقاء حس وفهم ولا سلطان عقل وعلم ولا ضياء عرفان ووجدان هذه الجملة صفات لائقة ببقاء البشرية وإذا صار الموصوف خوافاً في بقاء الصفة وما دام يبقى من الإحساس

والتمييز ولو شظية فالقبلة مقصودة فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة.

وقال صاحب **«العرائس»**: فأينما تولوا بعيون الأشرار فثم مكاشفة الأنوار وأيضاً أشار بهذه الآية إلى مشاهدة الشهود في الشواهد كما كشف لخليله حيث قال هذا ربي إذ نظر في دائرة الكون وفهم هذه الآية أن من نظر/بعين 39/أ العقل فقبلته الآيات ومن نظر بعين القلب فقبلته الصفات ومن نظر بعين الروح فقبلته الذات ومن نظر بعين السر فقبلته المحو عن الكائنات.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الآية: 116] عطف على قالت اليهود والواو استئنافية ويؤيده حذفها في قراءة الشامي وقد نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ [الآية: 116] أي أنزه نفسي عن ذلك أو نزهوا أيها المؤمنون شأنه عن ما هنالك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء مع أنه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وليس محل الحوادث والزوال ولا يتصور في حقه الاتصال والانفصال وفي التعبير بالاتخاذ إشارة إلى مجمل كلامهم فإنهم لم يقصدوا بذلك حقيقة مرامهم لأنهما من المحالات العقلية عند خواصهم وعوامهم مع الإيماء بأن الاتخاذ إذا كان منفياً فكيف يجوز حقيقة التوالد هنالك ومجمل الجواب أنه ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] ملكاً وخلقاً وملكاً فلا مناسبة لِشيء مع الله فلا ولدية مع أن الملائكة تنافي الإبنية في القواعد الشرعية ﴿كُلٌّ﴾ [الآية: 116] أي: كل شيء مما في العلويات والسفليات ﴿لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لحكمه منقادون وعن مشيئته وتكوينه لا يمتنعون واختير ما أولاً تحقيراً لشأن جميعهم ثم أتى بِجمع ذوي العقول على جهة التغليب تعظيماً لجانبهم وإيماءً إلى ظهور قنوتهم واستواء ملكيتهم وفيه إشعار إلى نهاية صبره وغاية حلمه عن عباده مع كمال قدرته واقتضاء عظمته.

وقال الأستاذ: مكر بهم حين لم يغنهم في الحال بل جعل موجب اغترارهم طول الإمهال فنطقوا بعظيم الفرية على الله واستبطنوا عجيب المرية في وصف الله وصفوه بالولد وأنى بالولد وهو أحدي الذات لا حيز لذاته ولا

يجوز الشهوة في صفاته بل ليس في الكون شيء من الآثار المفتقرة والأعيان المستقلة إلا وينادي عليه آثار الحلقة ويفصح منه شواهد الفطرة وكل صامت منها ناطق وعلى وحدانيته سبحانه دليل مطابق وشاهد صادق.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 117] أي: هو مبدعهما وخالقهما من غير مثال سبق قبلهما ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [الآية: 117] أي قدر موجوداً وأراد شيئاً مشهوداً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ [الآية: 117] أي: للأمر المقدر ﴿كُن﴾ [الآية: 117] أي: أحدث ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 117] أي: فيحدث وفي قراءة الشامي بالنصب جواباً لظاهر الأمر ثم الظاهر أن هناك حقيقة/ قول من كافٍ ونون أو غيرها من الدر 39/ ب المكنون والشاهد ابتداء خلق المسيح بأمر كن من غير والد على ما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59] فيكون وكذا الملائكة فالكون كله تحت ذل كن والعزة لله جميعاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] تعني التقدير والتقرير أو المعنى فإنما يكونه فيكون من غير كاف ونون وفي التلويح إن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن هذا الكلام مجاز عن سرعة الإلحاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلاً للغائب أعني تأثير قدرته في المراد بالشاهد أعني أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاد له عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وإنما وجود الاستثناء بالخلق والتكوين مقروناً بالعلم والإرادة والقدرة وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة وأن الله تعالى قد أجري سُنَّته في تكوين الأشياء أن يكونها بهذه الكلمة وإن لم يمتنع تكوينها بغيرها والمعنى يقول احدث فيحدث عقيب القول لكن المراد الكلام الأزلي القائم بذات الله لا الكلام اللفظي المركب من الأصوات والحروف لأنه حادث فيحتاج إلى خطاب آخر تسلسل لأنه يستحيل قيام الصوت والحرف بذات الله سبحانه ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على أعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بل خطاب التكليف أيضاً أزلي ولا بد أن يتعلق بالمعدوم على أن الشخص الذي سيوجد أو بذلك وبعضهم على أن الكلام في الأول لا يسمى خطاباً حتى يحتاج إلى مخاطب.

وقال الأستاذ: البديع عند العلماء موجد العين لا على مثال وعند أهل الإشارة الذي ليس له مثل فهذا الاسم يشير إلى نفي المثل عن ذاته ونفي المثال عن أفعاله وصفاته فهو الأحد الذي لا عدد يجمعه والصمد الذي لا أمد بقطعه والحق الذي لا وهم يصوره والموجود الذي لا فهم يقدره وإذا قضى أمراً فلا يعتاض عليه مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور.

40/أ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 118] من جهته/المشركين أو من أهل الكتاب المتجاهلين ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 118] أي: هلا يكلمنا عياناً أو كما يكلم الملائكة بياناً أو يوحي إلينا بأنك رسوله لنا ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [الآية: 118] أي: علامة على صدقك من الآيات المقترحات حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء، الآية: 90] الآيات ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ [الآية: 118] أي: من كفار الأمم الماضية ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 118] قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] و﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: 112] والمثلية لا تدل على التماثل في الجمل المقولية فمثل قولهم يدل على تماثل القولين في المؤدى وأن تبايناً في المبنى والمعنى وقوله كذلك يدل على توافقهما في الصفات والغايات وما يترتب عليهما من ذم الحالات والواقعات والتحقيق أن كذلك اطرد في تأكيد الأمر وتحقيقه فيه كأنه سلب عنه معنى التشبيه فلا تكرار لهذا التنبيه، ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 118] أي: قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم في العماء والعناد والتعنت وقصد الفساد ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا الآيات القرآنية والمعجزات الفرقانية والدلالات الآفاقية والأنفسية لقوم يطلبون اليقين لا لمن عاند أو تعلق بوهم وتخمين في أمر الدين قال الواسطي ما أظهر الله شيئاً من الأكوان إلا وخاطبهم به والجهلة يقولون لولا يكلمنا الله وقال أيضاً قد كلمتهم حيث أنزلت عليهم كتابي وبينت لهم خطابي لكن لم يفهموا لكونهم أعرضوا عن جنابي وأي آية أشرف من محمد ﷺ وقد أظهرت ذلك لهم انتهى.

وقد أشار صاحب البردة إلى هذه الزبدة بقوله كفاك بالعلم في الأمي معجزة وقوله ومن هو الآية الكبرى لمعتبر.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله سبحانه يتعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها أمر التكوين ويتناول المكلفين أمر التكليف لكن من عدم سمع الفهم تصامم عن استماع الحق فإنه سبحانه خاطب قوماً من أهل الكتاب وأسمعهم خطابه فلم يطيقون سماعه وبعدما رأوا من عظيم الآيات حرفوا وبدلوا في الآيات التي أظهرها ما يزيح العلة من الأغيار ويشفي الغلة من الأحباب أي: الحقد وما تغني الدلائل وإن وضحت عمن حقت له/ الشقاوة وسبقت. 40/ ب

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 119] أي: بالقرآن المتضمن للصدق فهو مفعول به ومؤيداً بالحق ملتبساً بالصدق فحال عن مفعوله ﴿بَشِيرًا﴾ [الآية: 119] أي: مبشراً بالجنة للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية: 119] أي: مخوفاً بالنار للعاصين فما عليك إلا البلاغ المبين ولا يضرك إن لم يطعك أحد من العالمين ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية: 119] أي: لست بمسؤول عن حالهم الذميم وفي قراءة نافع بصيغة النهي لِلمخاطب المعلوم على أنه نهى له ﷺ عن السؤال عن حال أبويه لما ورد من أنه عليه السلام قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي[1] فنزلت والأظهر أنه تعظيم لعقوبة الكفار وشدتها كأنها لفظاعتها وصعوبتها لا يقدر سامع أن يصبر على استماع حكايتها.

وقال الأستاذ: أفردناك بخصائص لم نظهرها على غيرك فالجمهور والكافة تحت لوائك والمقبول من وافقك والمردود من خالفك وليس عليك من أخبار الأغيار سؤال ولا عنك لأحد محيد في الحال ولا في الاستقبال.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [الآية: 120] أي: دينهم وقبلتهم نزلت الآية عند الأمر بالتحويل إلى قبلتهم حيث كانوا يرجون أن يرجع النبي عليه السلام إلى ملّتهم فلما حرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم وفيه أيضاً مبالغة إقناطه عليه السلام عن إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملّتهم فكيف يتبعون ملّته ويقبلون

(1) معجم ابن الأعرابي (2/ 237) رقم (736)، تفسير الطبري (2/ 558) رقم (1876)، تفسير ابن كثير (1/ 401)، تفسير القرطبي (2/ 92).

مقالته ﴿قُلْ﴾ [الآية: 120] أي: في جوابهم ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: الذي بعثني المولى ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 120] إلى طريق الحق على وفق الصدق لا ما تدعون إليه من متابعة الهوى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ [الآية: 120] أي: فرضاً وتقديراً ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية: 120] أي أراءهم الزائفة الباطلة فإن الهوى رأي يتبع الشهوة بخلاف الهدى فإنها الدلالة الموصلة وبخلاف الملّة فإنها ما شرعه الله لأوليائه على لسان أنبيائه من أمللت إذا مليت ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 120] أي الدين المعلوم الصحة من الكتاب والسنة مالك من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 120] يمنع ويدفع عنك العقوبة وهو تهديد شديد للأمة.

قال الأستاذ: ولا يقال برضا الأعداء بعدما حصل لك رضانا فإنهم لا يرضون عنك إلا بمتابعة أديانهم ودونه خَرط القتاد[1] فأعلن التبري منهم وأظهر التولي عنهم/ وانصب العداوة لهم واعلم أن مساكنتهم إلى ما يرتعون سبب الشقاوة المؤبدة فاحرس عن أخطاء ذلك بقلبك وبالك وكن ببابنا متبرياً عن ما سوانا واثقاً بنصرتنا وإقبالنا فإنك بنا ولنا. 41/أ

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 121] أي: على حقيقته ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [الآية: 121] أي: يقرؤونه حق قراءته من جهة المبنى ويتبعونه حق متابعته من طريقة المعنى فهم جامعون بين التدبر في معناه والعمل بمقتضاه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 121] أي: حق إيمانه لاتقانه وإحسانه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ [الآية: 121] أي: بترك الإيمان وإنكار القرآن ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 121] أي: الكاملون في الخسارة حيث خسروا الدنيا والآخرة.

وأفاد الأستاذ: أن الذين فتحنا أبصار قلوبهم بشهود حق كتابنا ووكلنا أسماع قلوبهم بسماع خطابنا وخصصناهم بإسبال أنوار العناية عليهم وأيدناهم بتحقيق التعريف في أسرارهم بإنزاله إليهم يقومون بحق التلاوة ويتصفون بخصائص الإيمان والمعرفة فهم أهل التخصيص والقبول ومن سواهم أرباب

(1) الخرط: السلك والقتاد: هو الشوك وهو أن تغمض على الشوك ثم تمرّ يدك من أعلاها إلى أسفلها.

الـرد والـنـزول ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآيتان: 122 ـ 123] ختم القضية بما بدأ به القصة إيماءً بأنه كالفذلكة.

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّته سبحانه في الخطاب مع قوم موسى عليه السلام أن يناديهم بنداء العلامة فيقول يا بني إسرائيل ومع هذه الأمة أن يخاطبهم بنداءات الكرامة فيقول يا أيها الذين آمنوا انتهى وفيه الإيماء إلى أن شرف النسب دون فضل الحسب.

ثم قال: أما الأعداء فلا يقبل منهم شيئاً وأما الأولياء فقال ﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[1] وكذلك الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهكذا حكم كل أمة مع نبيها وأما المؤمنون فعلى التخصيص تنفعهم شفاعة نبيهم فكل أحد يقول نفسي نفسي ونبينا ﷺ يقول أمتي أمتي.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 124] وفي قراءة الشامي أبراهام أي عامله معاملة الممتحن ﴿رَبُّهُۥ﴾ [الآية: 124] أي: لتربية قلبه الممتحن عند ظهور المنن والمحن ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ [الآية: 124] أي: بتكيف مأمورات ومنهيات منها توحيد المولى ومنها عدم الالتفات إلى السوى حتى قال لجبريل أما إليك فلا[2] فتحقق أن البلاء تحقيق/ الولاء فأصدقهم ولاءً أشدهم بلاءً كما ورد أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم 41/ب الأمثل فالأمثل[3] أي: من الأولياء والأصفياء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية: 124] أي: أداهنّ كاملات غير ناقصات كقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37] تفسير السلمي قال بعضهم أشد ما ابتلى به إبراهيم أن حمله ربه أثقال خلقه الخلة ثم طالبه بتصحيح شرائطها التي هي التخلي عن السوى ظاهراً وباطناً ﴿قَالَ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1016/ 67)، ومسلم في الصحيح (6539).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077)، وانظر: كشف الخفا (1/ 357) رقم (1136).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 99) رقم (119)، والطبراني في المعجم الكبير (24/ 244) رقم (626)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 352) رقم (7482)، وابن حبان في الصحيح (7/ 160) رقم (2900).

124] أي: الله له بعد قيامه بالأمر إتماماً ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [الآية: 124] أي: سفيراً بشيراً ونذيراً بيني وبين الخليفة لتهذيبهم لاصطلاح الحضرة فإن هذا هو الإمامة المعتبرة.

وأفاد الأستاذ: أن رتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق فيكون واسطة بين الحق والخلق يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة وبباطنه مشاهد للحق لا يتغير له صفاء الحالة ويقول للخلق ما يقول له الحق ﴿قَالَ﴾ [الآية: 124] أي: إبراهيم من غاية الشفقة ونهاية الرحمة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية: 124] أي: واجعل أيضاً من أولادي أئمة لتستمر هذه النعمة بين الأمة إلى يوم القيامة كقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 124] فيه إجابة إلى البغية وإشارة إلى أن بعض الذرية في ظلمة الظلمة ليس لهم قابلية الإمامة لعدم نور المعرفة والمراد بالعهد النبوة والولاية.

قال السلمي: قطع بهذا أن يكون أحد يصل إليه بسبب أو نسب إلا برضائه وسبق قضائه.

وزاد عليه الأستاذ حيث أفاد إنما هي أقسام مضى بها أحكام وليس هذا كنعيم الدنيا وسعة الأرزاق فيها إذ لا ادّخار لها عن أحد وإن كان كافراً ولذا لما دعاه إبراهيم بقوله ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ يعني ليس للدنيا من الحظر ما يمنعها من كفر لكن عهدي لا ينال إلا من اخترته من خواص عبادي وخلص عبادي.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ [الآية: 125] أي: بيت الله المسمى بالكعبة على وجه الغلبة ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 125] أي: مرجعاً لهم حيث يأتون ويرجعون ثم يعودون ويأتون إما بسفر/ الظواهر وأما بسير السرائر أو موضع ثواب لأنهم 42/أ بحجهم وعمرتهم وتوجههم إليه في عبادتهم يثابون ﴿وَأَمْنًا﴾ [الآية: 125] أي: موضع أمن من العذاب للمؤمنين الذين يحجون ويطوفون أو من التعرض للملتجئين الذين يضطرون في تفسير السلمي ﴿مَثَابَةً﴾ [الآية: 125] أي: مفزعاً

للمذنبين ﴿وَأَمْنًا﴾ [الآية: 125] أي: للداخلين من المؤمنين.

وقال الصادق: البيت هنا محمد ﷺ فمن آمن به بتصديق الرسالة دخل في ميادين الأمن والأمانة انتهى ولعل توجيه الإشارة على وجه تطبيق العبارة أن يقال التقدير بيت محمد فإن الله منزه عن المكان وإحاطة الأركان ووجه تخصيصه ﷺ بالإضافة أن حين نزول الآية لم يكن أحد قابلاً لهذه النسبة إلا صاحب ختم الرسالة مع ما فيه من الإيماء إلى نكتة خفيفة وهي أن النسبة الإضافية تامة في الحضرة الاصطفائية كما يستفاد من قوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80] و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: 31] وأمثال ذلك فبيته بيته كما أن دعوته دعوته ومحبته محبته وإطاعته إطاعته ومعصيته معصيته مع زيادة الإفادة مع أنه لولاه لما وجد البيت الذي هو قيام للناس ولا حصل لمخلوق نوع من الاستئناس فكان البيت بيته ونائب عنه حجبته ولذلك حصول الدخول لا يفيد بالوصول إلا إلى الرسول ومن النكت الإيمائية أن الحضرة الاحتيائية هي العلة الغائية للهيئة البنائية الملكية والإبراهيمية الدالة على النسبة الخاتمية من الهندسة الأزلية القديمة والله أعلم بحقائق المعارف ودقائق العوارف الصادرة من الإمام الصادق السلالة للصديق الموافق اللاحق بالإمامة والخلافة الصورية والمعنوية.

وقال الأستاذ هو بيت خلقته من الحجر ولكن إضافته إلى الأزل في حكم القضاء والقدر فمن نظر إلى البيت بعين الخلقة انفصل ومن نظر إليه بعين الإضافة وصل واتصل وكل من التجأ إلى الكعبة الفاخرة آمن من عقوبة الآخرة إذا كان التجأوه إليه على جهة الإعظام والاحترام/ والتوبة عن الآثام 42/ ب ويقال بني البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب إلى علّام الغيوب كحجر المغناطيس يجذب الحديد إلى ما فيه من التأنيس بيت من وقع عليه ظله أتاح بغفوة الأمن وساحة الأمان بيت من وقع عليه طرفه بشر بتحقيق الغفران بيت من طاف حوله طاف اللطائف بقلبه من لطف ربه فطوفة بطوفة وشوطة بشوطة ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60] بيت من شهده نسي بيت نفسه وعدم إلا بلزوم حقائق إنسه بيت من زاره نسي مزاره وهجر دياره

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله بيت ما ربح من ضن بشيء لم ينفقه حتى يسكن ظلاله بيت لا يستبعد إليه المسافة بيت لا يترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة بيت ليس له بمهجة الفقراء رأفة بيت من قعد عن زيارته فلعدم فتوته أو لقلة محبته بيت من صبر عنه بلا ضرورة فقلبه أقسى من الحجارة بيت من وقع عليه شعاع أنواره تسلى عن شموسه وأقماره بيت ليس العجب ممن بقي عنه كيف يصبر إنما العجب ممن حضره كيف يرجع أو يدبر ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [الآية: 125] أمر بحسب مبناه أو خبر في معناه كما قرأ نافع والشامي والأمر للاستحباب لا سيما للطائفين حول الباب والمراد بالمقام الحجر الذي أثر فيه قدمه عليه السلام حين قام عليه ودعا الخلق بأمر ربه إليه ومن التبعيضية تفيد حصول الفضيلة بالقرب من المقام في كل جهة إلا أن الخلق أفضل لبيان النبي الأكمل عليه السلام.

قال الأستاذ: عبد رفع لله سبحانه قدماً فإلى القيامة جعل أثر قدمه قبلة لجميع المسلمين إكراماً لا مدى له أي: لا غاية ولا عناية ولا يخفى أنّ قوله ﴿قِبْلَةً﴾ [البقرة: 144] محمول على أن موضع إقبال أو محل قبلة وإجلال لا أنه يصلح أن يكون قبلة كالكعبة للتوجه إليه في حالة الصلاة كما يتوهم بعض العامة ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [الآية: 125] أي: أمرناهما وأوحينا إليهما ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [الآية: 125] أي: نظفاه من الأوثان والأدران ومن غبار/ أغيار وطيباه 43/أ بالروائح الطيبة الآثار لأنه محل نزول الرحمات الإلهية والتجليات الرحمانية السبحانية ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الآية: 125] أي: حوله ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [الآية: 125] أي: المعتكفين والمقيمين عنده ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية: 125] أي: المصلين داخله وخارجه بالتوجه إلى عينه لمن بالمسجد الحرام والبلد المحترم إلى جهته بالنسبة إلى سائر أفراد بني آدم في أطراف جميع العالم والإشارة من هذه الآية إلى تطهير القلب الذي هو في الحقيقة بيت الرب كما روي «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي»[1].

---

(1) كشف الخفا (2/ 100) رقم (1885) وقال عنه موضوع.

وقال الأستاذ: تطهير البيت بصونه عن الأدناس والأوضار وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار وطواف الحجيج حول البيت معلوم بلسان الشرع وبيان الصدق وطوفان المعاني مفهوم لأهل الحق فقلوب العارفين فيها المعاني طائفة وقلوب الموحدين فيها الحقائق عاكفة فهؤلاء أصحاب التلوين وهؤلاء أرباب التمكين وقلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة وقلوب الموحدين على بساط الوصل أبداً راكعة وقلوب الواجدين على بساط القرآن أبداً ساجدة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ [الآية: 126] أي: البلد أو المكان ﴿بَلَدًا﴾ [الآية: 126] أي: مسكناً ﴿ءَامِنًا﴾ أي أهله أو ذا أمن ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾ [الآية: 126] أي: سكانه ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 126] أي ليكونوا في رفاهية وفراغة للشغل بالعبادات وسكون بال عن الانتقال للرزق إلى سائر الجهات ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 126] بدل من قوله أهله إيماء إلى أن غيرهم ليس أهله ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: 126] أي من سكان المكان ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [الآية: 126] بالتخفيف للشامي ﴿قَلِيلًا﴾ [الآية: 126] أي: تمتيعاً قليلاً في الدنيا إلى منتهى أجله ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ [الآية: 126] أي: في العقبى ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 126] أي: لسوء عمله ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 126] أي: مآله وسواء حاله قاس إبراهيم عليه السلام الرزق على الإمامة فنسبه سبحانه على أن الرزق نعمة صورية دنيوية تعم أهل الوفاق والشقاق بخلاف الإمامة والتقدم في الديانة فإنها من النعم الدينية المعنوية تختص بأرباب المقامات الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن السؤال إذا لم يكن مشوباً بحظ العبد كان مستجاباً ولم يكن سؤال إبراهيم عليه السلام هذا لحظ/ نفسه وإنما كان لحق ربه ولما حفظ أشراط الأدب حيث طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أجيب فيهم وفي الذين آمنوا أيضاً على العموم ولما قال في حديث الإمامة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية: 124] من غير إذن منع فقيل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 124] انتهى ولا يخفى أن قوله منع محمول على أنه منع على وجه العموم مع تضمنه الإجابة للخواص بطريق المفهوم.

43/ ب

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية: 127] أي: أذكر حين كان يرفع أصول الأساس منه ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [الآية: 127] عطف عليه لأنه كان يناوله الحجارة فيتناول عنه ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 127] وقرئ يقولان ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [الآية: 127] أي: تقربنا إليك بهذا البناء ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 127] لدعواتنا وأقوالنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 127] بنياتنا وأحوالنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [الآية: 128] أي: مستسلمين لحكمك في الأعمال مخلصين على وجه الكمال حتى لا يتحرك منا عرق بغير رضاك في جميع الأحوال قال فارس أرحنا عن أسباب الطلب بالحيل والفرض وعن مطالعة الجزاء في العوض ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ [الآية: 128] أي: واجعل بعض أولادنا وأحفادنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [الآية: 128] أي: جماعة منقادة ﴿لَّكَ﴾ [الآية: 128] أي: لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك وشتان بين من يطلب وارثاً لماله وبين من يطلب نائباً بعده ليقوم بطاعة ربه في مآله ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [الآية: 128] أي: عرفنا متعبداتنا في حجنا وسائر عباداتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [الآية: 128] أي: وفقنا للتوبة وأقبلها منا وثبتنا عليها ولا تؤاخذنا في تقصيراتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 128] لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 128] لمن آب فارحمنا في جميع حالاتنا من حياتنا ومماتنا.

وقال الأستاذ: أرنا مناسكنا إذ لا سبيل إلى معرفة الموافقات إلا بطريق التوفيق والإعلام والإلهامات وتب علينا بعد قيامنا بما أمرتنا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ونرجع إليك عن شهود أفعالنا وأحوالنا لئلا نكون بخطر الشرك الخفي في توهم شيء منا بنا.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ [الآية: 129] أي: في الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا﴾ [الآية: 129] عظيماً ﴿مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 129] أي: من جملتهم وجلدتهم وهو نبينا محمد ﷺ كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية: 129] أي: يقرأ عليهم كتابك ويبين لهم خطابك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 129] أي: أحكام مباينة ومعاينة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 129] أي: ما يتعلق/ به من الحكم الإلهية 44/أ أو ما يوحي إليه ﷺ من السنن النبوية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 129] أي: يطهرهم عن

الأخلاق الدنية ويزينهم بالشمائل البهية ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية: 129] أي: الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 129] أي: الحاكم في بلاده على عباده.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 130] أي: لا يميل عنها ولا ينصرف منها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 130] أي: جعلها بأن يعلم أنها مخلوقة لعبادة خالقها أو إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها.

قال الأستاذ: أخبر أنه أثر الخليل عليه السلام على البرية فجعل الدين دينه والتوحيد شعاره والمعرفة صفته فمن رغب عن دينه أو حاد عن سننه فالباطل مطرحه والكفر مهواه إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ [الآية: 130] أي: اخترناه للرسالة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 130] للزلفى والجملة برهان لما سبق من البيان.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ﴾ [الآية: 131] أي: سلم نفسك إلى الله بالقطع عن التوجه إلى ما سواه أو أخلص دينك بالتوحيد وقلبك بالتفريد ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي بلساني وجناني وسائر أركاني ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 131] أي: العالم بأفعالي المطلع على أحوالي.

وقال السلمي: أسلم أي: أخلص سرك فإنه موضع الاطلاع منك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي: أسلمت إليك سري وأخلصت لك أمري فإنك أولى بي مني.

قال الروذ بادي: سلامة النفس في التسليم وبلاؤها في التدبير.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الإخلاص والاستسلام وحقيقته الخروج عن أحوال البشري بالكلية من المنازعات بالاختيارية والمعارضات النفسية ومعنى أسلمت قابلت الأمر بالسمع والطاعة واعتنقت بالحكم بحسب الاستطاعة فلم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده وحين أمر بذبح الولد قصد الذبح وحين قال خله عن الأسر فعل ما أمر فلم يكن له في الحالتين اختيار وتدبير.

﴿وَوَصَّىٰ﴾ [الآية: 132] وفي قراءة نافع والشامي وأوصى ﴿بِهَآ﴾ [الآية: 132] أي: بالملّة أو بكلمة الإخلاص المستفادة من الجملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [الآية: 132] أي: أولاده إسماعيل وإسحاق وغيرهما عليهم السلام ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ [الآية: 132] أي: ووصى هو أيضاً نبيه يوسف وأخواته الكرام ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ/ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية: 132] أي: دين الإسلام الذي هو صفوة أديان الأنبياء عليهم السلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ [الآية: 132] أي: في حال من الأحوال ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 132] أي: منقادون لله في تلك الحال فإنها حالة أهل الكمال في المآل والمعنى الزموا الإسلام والتزموا الاستسلام حتى إذا أدرككم الممات صادفكم على ما أنتم عليه من الحياة. 44/ب

قال الأستاذ: فيه بشارة بما يقوى به دواعيهم على الرغبة فيما كلفهم به من الإسلام لأنهم إذا تحققوا أن الله سبحانه اصطفى لهم ذلك علموا أنه لا محالة يعينهم فسهل عليهم القيام بحق الإسلام.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 133] أي بل أكنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [الآية: 133] بدل مما قبله ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 133] أي: أي شيء تعبدونه ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ [الآية: 133] أي: بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [الآية: 133] أي: أسلافك ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية: 133] بدل من إله آبائك لتأكيد التوحيد وقع توهم التعديد الناشىء من التكرير لتعذر العطف على الضمير أو نصب على الاختصاص أي: يعني بإلهك وإله آبائك إلهاً واحداً ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 133] حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 134] أي إبراهيم وابناه وحفيده ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 134] أي: جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ [الآية: 134] أي: مضت وسبقت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 134] أي لكل أحد مثوبة عمله وتنجية أمله ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 134] أي: لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وفيه إيماء إلى أن النسب لا ينفع بدون الحسب.

وقال الأستاذ: أنزل الحق سبحانه كلاً بمحله وأفرد لكل واحد قدراً بموجب حكمه فلا لهؤلاء عن أشكالهم خير ولا مما يخص به كل طائفة للآخرين أثر فكل في إقليمه ملك ولكل يدور بالسعادة فلك.

﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية: 135] أي: اليهود والنصارى ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 135] أو للتنويع والمعنى قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُواْ﴾ [الآية: 135] جواب الأمر ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 135] أي: تتبع دين إبراهيم دون غيره ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 135] أي مائلاً عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه وهو الملائم لقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 135] بل كان رئيس الموحدين وفيه/ تعريض للمخاطبين فأنهم مع أنهم من المشركين يدعون متابعته وكونهم هم المهتدون. 45/أ

وقال الأستاذ: معناه إذا تجاذبك الفرق بين فرق الخلق واختلف عليك المطالبة بالموافقة على وفق الحق فاحكم بتقابل دعاويهم لدينا وانفرد بتوجهك إلينا جارياً على منهاج صاحب الخلة في اعتزال الجملة سواء كان إياه أوكان من كان ممن لم يوافق مولاه حيث قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله والحنيف المائل المستقيم على طريقة الحق المتبري عن جميع الخلق الواقف مع الحق للحق بالحق.

﴿قُولُوٓاْ﴾ [الآية: 136] أي أيها المؤمنون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [الآية: 136] أي: القرآن وتقديم ذكره لأنه سبب الإيمان بغيره فهو أول بالإضافة إلينا أو التقدير وما أنزل إلى رسولنا وقدم لتقدمه رتبة وتقدم كتابه مرتبة والتحقيق أنه عليه السلام دخل تحت الخطاب وإنزال الكتاب إليه أصالة وإلينا تبعية محصل تغليب في الجملة ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 136] أي: من الصحف ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 136] أي: أحفاد إبراهيم وهم أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء والصحف وإن نزلت على إبراهيم لكنهم لما جاؤوا بترويجها والحكم بما فيها من أمره ونهيه عن كونهم متعبدين بتفضيلها داخلين تحت أحكامها فكأنهامنزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا ﴿وَمَآ أُوتِيَ﴾ [الآية: 136] أي وبما

أعطي ﴿مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 136] من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما وخصا بالذكر لكثرة أتباعهما ووقوع المنازعة في شأن أشياعها ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [الآية: 136] أي: جملة ﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية: 136] أي: منزلاً إليهم من فضل ربهم عليهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 136] في أصل النبوة وإن كان بينهم فضل في الرتبة وفيه تعريض لمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾ [الآية: 136] أي: لله ﴿مُسۡلِمُونَ﴾ [الآية: 136] مذعنون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه لما آمن نبينا ﷺ بجميع ما أنزل من قبله أكرم بجميع ما أكرم به من قبله ولما أظهر موافقة الجميع أمر الكل بالكون تحت لوائه فقال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولما آمنت أمته بجميع ما أنزل على الرسل ولم يفرقوا بين أحد منهم ضربوا في تكريمه بالسهم الأعلى فتقدموا على كافة الأمم.

45/ب ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 137] أي: أهل الكتاب وغيرهم/ ﴿بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 137] أي: المثل صلة للتأكيد ومقحمة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾ ويؤيده أنه قرئ بما آمنتم به وبالذي آمنتم به أو المعنى فإن آمنوا بالإخلاص بمثل ما آمنتم به في مقام الاختصاص ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [الآية: 137] إلى طريق الحق وسبيل الصدق ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية: 137] أعرضوا عن الوفاق ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [الآية: 137] أي: في عداوة وخلاف فإن كل احد من المنقادين والمخالفين في شق غير شق الآخر.

وقال الأستاذ: إن سلكوا طريقكم وأخذوا سبيلكم أكرموا بما أكرمتم ووصلوا إلى ما وصلتم وإن أبوا الامتياز أبينا لهم إلا هواناً فإن نظرنا لمن خدمك يا محمد بالوصلة وإعراضنا عمن باينك وخالفك بالواجب من الخدمة من خالفك فهو في شق الأعداء ومن وافقك فهو في شق الأحياء ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 137] أي: شر الكافرين وفيه تسكين للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية: 137] وعداً للمقبلين والمعنى يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وأحوالكم فيجازيكم بها ووعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون

فنعاقبهم عليها.

وقال الأستاذ: كفاية الله لكم متحققة وعناية الله بكم متعلقة فمن نابذكم قصمته أيادي النصرة ومن خالفكم قهرته قضايا القسمة وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على الدوام العليم باستحقاقكم منا خصائص اللطف والإكرام.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 138] نصب على الإغراء أي: الزموا دين الله كذا فسره أكثر السلف فيكون نظير قوله فطرة الله وسمي صبغة فاته حلية المتدين كما أن الصبغة حلية المصبوغ ولأنه يظهر عليه أثره ظهور الصبغ على مصبوغه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [الآية: 138] أي: فطرة والمعنى لا صبغة أحسن من صبغته وفيه تعريض للنصارى حيث كانوا يغمسون أولادهم في ماءٍ اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وتحقيق للنصرانية بدل الختان في دين الحنيفية ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ [الآية: 138] أي: لغيره ﴿عَٰبِدُونَ﴾ [الآية: 138] تعريض لهم بأنهم مشركون وأفاد الأستاذ أن العبرة بموضوع الحق لا بمجموع العبد فما يتكلفه الخلق فإلى الزوال مآله وما أثبت الحق عليه الفطرة فبإثباته العبرة فللقلوب صبغة وللأرواح صبغة وللسرائر صبغة وللظواهر صبغة/ فصبغة الأشباح والظواهر بآثار التوفيق وصبغة الأرواح والسرائر بأنوار التحقيق. 46/أ

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [الآية: 139] أتخاصموننا وتجادلوننا ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 139] أي: في دينه أو في شأن نبيه حيث اصطفاه من العرب وذلك إن أهل الكتاب قالوا: إن ديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق المقدم وكان الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبياً لم تكن من غيرنا ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: لاختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من خليقته ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: كل يجازي بحسن عمله وسوء فعله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [الآية: 139] أي: والحال أن لنا هذه المزية دونكم حيث نخلصه بالإيمان والطاعة خلافكم.

قال الأستاذ: كيف يصح محاجة الأجانب وهم تحت غطاء الغيبة وظلال الحجبة والأولياء في صفات المكاشفة وضياء المشاهدة ومتى يستوي حال من

هو بنعت الإفلاس لغيبته مع حال من هو في حكم الاختصاص والإخلاص لانفراقه في قربته هيهات لا سواء.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [الآية: 140] بالغيبة الضمير لأهل الكتاب وقرأ ابن عامر والكوفي غير شعبة بالخطاب على الالتفات أي: بل تقولون ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 140] وقد نفي الأمرين عن إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: 67] واحتج عليه بقوله ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [آل عمران: 56] والمذكورون معه تابعون له في الدين اتفاقاً فلا يكونون هوداً أو نصارى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 140] يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة له عن اليهودية والنصرانية والمعنى: لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة الحقيقية وفيه تعريض بكتمانهم الشهادة على الرسالة المصطفوية ومن الثانية ابتدائية ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 140] وقرىء بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من نظر من نفسه إلى الخلق تخيل كلاً برقمه وحسب الجميع بنعت مثله فكما كانوا بحكم الأجنبية في مقالهم حكموا للأنبياء عليهم السلام بمثل حالهم فرد الحق سبحانه عليهم ظنهم وقيل فيهم رأيهم وهل يكون المجذوب عن مشاهدة كالمحجوب في مشاهدة وهل يستوي المختطف عن كله كالمردود إلى مثله ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص، الآية: 27] ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد، الآية: 8] .

46/ب ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ/ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 141] أي تكرير للتأكيد في التحذير عما استحكم في طباع السفهاء من الافتخار بالآباء والاتكال على الأجداد من الأنبياء والأولياء أو الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي هذه الآية لنا تبعيد عن الاقتداء بهم في هذا الباب.

وقال الأستاذ: حال بينكم وبينهم حواجز من القسمة فهم أسسوا بنيانهم

على الفرقة والغفلة وأنتم ضربتم خيامكم على الزلفة والوصلة وعتيق فضلنا لا شبيه طريد قهرنا.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الآية: 142] أي الجهال ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 142] يعني المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وهذا إخبار عن الغيب قبل وقوعه وفائدة تقديمه توطين النفس وإعداد الجواب لسائله ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ [الآية: 142] أي أي شيء صرف النبي والمؤمنين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 142] أي: الصخرة ببيت المقدس ويؤيده أنه قال تعالى بعده ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144] وفي صحيح البخاري أنه عليه السلام صلى نحو بيت المقدس في المدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر ولكن يحب أن يتوجه إلى الكعبة[1] فنزل ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 144] الآية فقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فقال الله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 142] أي: ملكاً، وملكاً فلا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه في القبلية وإنما العبرة بارتسام أمره المتعلق بالأحكام الشرعية والقبلة في الأصل الحال التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفاً للمكان المتوجه إليه نحوه للصلاة ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 142] أي هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 142] موجب استقامته ومنها ما يرتضيه الحكم وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى الصخرة تارة وأخرى إلى الكعبة.

وقال الأستاذ: سقمت بصائر الكافرين فلم يلح لهم وجه الصواب في جميع أفعال المؤمنين فطالعوها بعين الاستقباح فيهم وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض في كل مكان يكون منهم فلم يروا شيئاً جديداً إلا أتوا عليه باعتراض جديد زماناً مديداً فمن ذلك تغيير القبلة فإنها لما حولت إلى الكعبة قالوا: إن كان قبلتهم/حقاً فما الذي ولاهم عنها فقال عزَّ وجلَّ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يتعبد العباد بالتوجه إلى أي قطر ونحو أراد وكذلك أصحاب 47/أ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7252)، وابن حبان في الصحيح (4/ 617) رقم (1716)، والترمذي في الجامع الصحيح (2/ 169) رقم (340).

الغيبة والحجبة عن شهود تصرف الحق لأوليائه وأتباعهم يطلبون وجوهاً من الأمور لحمل أحوالهم ولو طالعوا الجميع عن عين واحدة لتخلصوا عن ألم توزع الفكر وشغل ترحم الخاطر ومطالبات تقسم الظنون في الباطن والظاهر ولكن يهدي الله لنوره من يشاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 143] أي: كما هديناكم صراطاً مستقيماً وجعلنا لكم ديناً قويماً ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الآية: 143] أي: خياراً وعدولاً عادلين عن طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين البخل والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور وسائر الأخلاق الظاهرية والباطنية معتدلين في الأمور الاعتقادية كالتنزيه بين التعطيل والتشبيه والكسب بين القدر والجبر جامعين بين العلم والعمل متوسطين في طول العمر وتطويل الأمل والحاصل أن الوسط في الأصل بمعنى المتوسط من الأمكنة ثم استعير للأحوال المعتدلة كما قيل خيار الأمور أوسطها ثم أطلق على التصرف بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر وأمثالها ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 143] أي: لتشهدوا على الأمم بتبليغ الأنبياء ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 143] أي: على صدقكم ﴿شَهِيدًا﴾ [الآية: 143] وأنكم أزكياء وذلك أن الله يسأل الأمم يوم القيامة هل بلغكم الرسل فيقولون ما بلغنا أحد عنك شيئاً فيسأل الرسل فيقولون بلغناهم رسالتك فعصوا فيقول هل لكم شهيد فيقولون نعم أمة محمد فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم إياهم فيقول الأمم يا رب بِم عرفوا ذلك وقد كانوا بعدنا فيقولون أخبرنا نبينا في كتابه ثم يزكيهم محمد ﷺ واستدل بالآية على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لما كان تحت عدالتهم طائل.

وأفاد الأستاذ: أنّ الوسط الخيار فجعل هذه الأمة خيار الأمم وجعل هذه الطائفة خيار هذه الأمة فهم خيار الخيار فكما أن هذه الأمة شهداء على الأمم يوم القيامة فهذه الطائفة هم الأصول وعليهم المدار وهم القطب وبهم يحفظ الله جميع الأمة فكل من قبلته قلوبهم فهم المقبول ومن ردته قلوبهم فهم المردود فالحكم لهم والصادق فراستهم والصحيح حكمهم والصائب نظرهم عصم جميع/ الأمة عن الاجتماع على الخطأ وعصم هذه الطائفة عن 47/ب

الخطأ في النظر والحكم والرد والقبول ثم بناء أمرهم مستند إلى الرسول ﷺ فكل ما لا يكون اقتداءً بالرسول عليه السلام فهو عندهم رد وصاحبه على لا شيء ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ [الآية: 143] هي المفعول الأول ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ [الآية: 143] أي المفعول الثاني أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود ومن أهل المدينة ثم أمر باستقبال الكعبة والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [الآية: 143] أي علماً تنجيزياً يوجب جزاءً عملياً أو لتميز ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 143] أي: بالثبات على إيمانه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الآية: 143] لقلقه وضعف إيقانه ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبن النافية والمعنى قد كانت الجعلة أو التولية لثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 143] أي: هداهم الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإسلام ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي: تصديقكم بالقبلة الأولى وصلاتكم على وفق حكم المولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 143] وبالمؤمنين في الدرجة الأعلى.

قال الأستاذ: بين الله سبحانه أن الحكم في تقدير أمر القبلة إلى وقت التحويل وتحويلها من وقت التبديل كان اختباراً لهم لتميز الصادق من المارق ومن نظر إلى الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل من كل باب ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجوه الصواب ثم قال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي من كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال واحدة فسواء قرر أو غير أو أثبت أو بدل أو حقق أو حول فهم بدله في جميع الأحوال قال قائلهم:

كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا

فإن قابلوا شرقاً أو واجهوا غرباً واستقبلوا حجراً أو قاربوا مدراً، فمقصود قلوبهم واحد وما كان للواحد فجميع الحكم فيه واحد.

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ [الآية: 144] أي: ربما نري أو قد نعلم ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [الآية:

144] تردد نظرك ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 144] أي: في جهتها تطلعاً لوحينا أو لنزول رسولنا بإتيان أمرنا وذلك لما كان يقع في/ روعه ويتوقع من ربه أي: يحوله 48/ أ إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم عليه السلام وأقدم القبلتين وأدعى لِلعرب إلى الإيمان وأقرب إلى مخالفة اليهود وأهل العدوان ومع هذا يراعي أدبه حيث انتظر ولم يسأل ربه ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ [الآية: 144] أي: فلنصيرنك مستقبلاً ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [الآية: 144] أي: تحبها وتهواها لمقاصد دينية وافقت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن كل العبيد يجتهدون في طلب رضاي وأنا أطلب رضاك انتهى وفيه الإشارة إلى أنه هو المراد من العباد في جميع البلاد وغيره إنما هو المريد الطالب للمزيد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [الآية: 144] أي: أقبل بوجهك ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي نحوه وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه السلام كان في المدينة والآفاقي يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف المكي القريب إليها.

قال الأستاذ: لكن لا تعلق قلبك بأحجار ولا آثار لأنه ليس في الدار غيره ديار ولكن القبلة مقصود نفسك والحق سبحانه مشهود قلبك.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل أعلم أولاً أنه بمرأى من الحق ليكون منادياً يا رب الصدق ومن حسن أدبه أنه نظر إلى جو السماء ولم يسأل بالدعاء فأجيب عن نظره إلى مراده بقوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي: ترسم معهم برسم الظاهر في استقبال الكعبة ببدنك ولا تقطع عن مشاهدتنا بقلبك فإنا جعلنا الكعبة قبلة قالبك ونحن قبلة قلبك ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية: 144] أيها المؤمنون من بر وبحر ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [الآية: 144] أي حال الصلاة إيجاباً وفي غيرها استحباباً.

ولكن كما قال الأستاذ: أخلصوا قلوبكم لي وأفردوا شهودكم بي ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 144] أي: من اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 144] أي التحويل أو التوجه الحق أي: هو الأمر الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 144].

قال الأستاذ: ولكن علماً يكون عليهم حجة ولا يكون لهم فيه راحة ومنه زيادة ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 144] تهويل على الأعداء وتأميل للأولياء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالخطاب وهو على التغليب في كل منهما.

﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ﴾ [الآية: 145] أي: برهان وحجة على أن القبلة كعبة ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [الآية: 145] ولا قبلوا/ حجتك لأنهم جاحدون ملّتك ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [الآية: 145] أي في أيام دولتك وفيه تسلية وتسكين لقلبه ﷺ في أمر القبلة أنها لا تكون إلا الكعبة وقطع لطمع اليهود في رجوعه ﷺ إلى قبلتهم حيث كانوا يطمعون ذلك من غفلتهم. 48/ ب

قال الأستاذ: سبق لكم من قديم الحكم القرب بطريق الحق ووقع أعدائكم في شق البعد فبينكما برزخ لا يبغيان فما هم بتابع قبلتك وإن أريتهم من الآثار ما هو أزهر من الشموس والأقمار ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [الآية: 145] إن أتوا بكل احتيال حكماً من الله سبحانه في أزل الآزال ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾ [الآية: 145] فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس والمعنى أنهم وإن اتفقوا في التظاهر على النبي بحسب الظواهر لكنهم مختلفون فيما بينهم من السرائر ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ [الآية: 145] أي بأن صليت إلى قبلتهم فرضاً وتقديراً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية: 145] أي: بعد ما بان لك الحق وظهر لك الصدق بكونك سراجاً منيراً وأن القبلة المنقولة هي الكعبة المقبولة ﴿إِنَّكَ إِذٗا﴾ [الآية: 145] حينئذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 145] أي: من الواقعين في ظلمة الغفلة وقيل إنك إذاً مثلهم فالخطاب للنبي في المبنى ولأمته في المعنى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 146] يعني علماءهم ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [الآية: 146] أي محمداً بوصفه ونعته أو القرآن وحقيقته أو للتحويل وحقيقته ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [الآية: 146] أي: كمعرفتهم أبنائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام بعد الإسلام عن النبي عليه السلام فقال:

أنا أعلم به مني بابني قال: ولم قال لأني لست أشك في أمر محمد ﷺ أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت بي ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 146] تخصيص لما عاند فيهم واستثناء لمن آمن منهم.

قال الأستاذ: حملهم مستكنات الحسد على مكابرة ما علموه بالاضطرار وكذلك المغلوب في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه كلام.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 147] أي الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي يميل أهل الكتاب إليه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية: 147] أي: من الشاكين في أنه من ربك والمراد تحقيق الأمر الباهر بحيث لا يشك فيه الناظر أو أمر للأمة باكتساب المعرفة المريحة لظلمة الشك الموجبة للغمة بطريق المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه بعدما طلع لك شموس اليقين فلا تركن إلى مجوزات التخمين/ الخطاب له والمراد به الأمة ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] أي: لكل قوم قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [الآية: 148] أي: وجهه والمعنى مستقبلها أو الله موليها إياه وفي قراءة الشامي بصيغة المفعول أي: هو مولى تلك الجهة قد وليها ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر القبلة وغيره مما ينال به السعادات والمعنى إذا كان لكل قوم جهة فاستبقوا إلى أحسن الجهات وسارعوا إلى أيمن الحالات.

49/أ

قال صاحب «**العرائس**»: أي لكل روح منهاج وقبلة ومعراج في وجود الذات وحقيقة الصفات فعين العيان قبلة الأرواح القدسية وصرف الصفات قبلة الأرواح الجلالية وعين القدم قبلة الأرواح الغيرية وعين الأبد قبلة الأرواح البقائية وأنوار المشاهدة هي قبلة الأرواح السابقة وحسن الصفات هو قبلة الأرواح المؤنسة ونفحات بساتين الغيب هي قبلة الأرواح الروحانية هو موليها أي تلك الروح الرحمانية هي قاصدها قاصدة إياها بجناح الشوق مجذوبة بخيال العشق إلى معدن الألوهية والصمدية ولكل واحدة منها مطلع ومنبع فبعضها والهات وبعضها شائقات وبعضها عاشقات وبعضها مؤنسات

وبعضها فانيات وبعضها باقيات وبعضها صاحيات وبعضها ساكرات من هول المقامات وكشف المشاهدات وبروز المعاينات وإدراك المغيبات ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [الآية: 148] خاطب بها أهل الاستقامة أي: سارعوا إلى صرف الأنانية فإنه أعلى الدرجات لأن أرواح الوسائط في محل الإرادات وأنتم أهل النهايات.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن كل قوم اشتغلوا عنا بشيء حال بينهم وبيننا فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا وأنشد بعضهم:

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك منتهى شغلي[1]

﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [الآية: 148] أي: في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف ولو مفترق الأجزاء ويجمعكم الله إلى المحشر للجزاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية: 148] فيقدر على الإماتة والإحياء.

وفي «**العرائس**»: أن أرواح خواص المعرفة وأرواح السائرة في الميادين الأزلية يأتي بهن الله جميعاً بعد محو الإرادات واضمحلال/ الرسومات في سرادق البقاء ويسقي كل روح من الأرواح بكأس الصفاء شراب الوصال ويكشف لها جمال الجمال حتى تكونوا هنالك جميعاً في عميم العطاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ قادر على أن يشق أرواح السابقين والمعتقدين روائح عنبر الأنانية ونسيم فرد الوحدانية في مقام الاستقامة. 49/ ب

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ [الآية: 149] أي ومن أي مكان خرجت للسفر إفعل ما أمرت به في الحضر ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [الآية: 149] لأن هذه الأمة المكرّمة مختصة بهذه القبلة المعظمة من بين الأمم المتأخرة ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 149] أي هذا الأمر ﴿لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 149] وفي قراءة البصري بالغيبة.

وقال الأستاذ: كما تستقبلون أينما كنتم القبلة قربتم منها أم بعدتم فكذلك أقبلوا علينا بقلوبكم كيف ما كنتم حظيتم بنا أو منيتم.

---

(1) نسب إلى مسلم بن يسار. انظر: المدهش (1/ 455)، والتبصرة لابن الجوزي (1/ 377).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] إعادة هذه الجملة الشريفة لحكمة خفية لطيفة وهوأنه ذكر لتغيير القبلة ثلاث علل مفهومة من قوله ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] الأولى إكرامه تعالى نبيه عليه السلام إذ ولاه قبلة أبيه إبراهيم وابتغاؤه مرضاته وهو قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 144] الآية الثانية إخباره أن لكل صاحب دعوة قبلة وهوقوله ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] الثالثة قطع حجج معانديه وهو قوله ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] فقرن بذكر كل علة معلولها الذي هوالغرض والمرام وذلك قوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] علة قوله ﴿فَوَلُّوا۟﴾ [الآية: 150] والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة احتجاج اليهود من الجهلة بأن المنعوت في التوراة قبلة الكعبة وأن محمداً ﷺ يجحد ملتنا ويتبع قبلتنا واختصاص المشركين بأن من العجب أن محمداً يدعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته وقبلة ابنه إسماعيل أبي العرب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 150] استثناء من الناس أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبله الأنبياء من قبله/ والمراد بالحجة التمسك حقاً كان أو باطلاً في الخصومة أو الحجة بمعنى الاحتجاج في القضية أو الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة بالكلية كقوله: 50/أ

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم للعلم بأن الظالم لا حجة له على العالم.

وقال الأستاذ: إذا أردت أن لا يكون لأحد عليك سبيل ولما يقع عليك لمخلوق ظل ولا يصل إليك بالسوء يد فحيث ما كنت وأين ما كنت وكن ما كنت كن لنا وبنا فإن من انقطع إلينا لم يتطرق إليه حدثان بمنعه عنا ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 150] فإن مطاعنهم لا تضر إلا أنفسهم ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [الآية: 150] فلا تخالفوا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا كانوا محوا عن كونهم رسوماً يجري عليهم

أحكامنا فإني بالحيثية عنهم ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ [الآية: 150] عطف على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ [الآية: 150] أو التقدير وأمرتكم لأكمل نعمة هدايتي إليكم بتكميل شريعتي ﴿عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 150] أي ولكي تهتدوا إلى الاستقامة في طاعتي والاستدامة على عبادتي.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة إضافة الكشف إلى اللطف فإن من كفاه بمقتضى جوده دون من أغناه بحق وجوده وفي معناه أنشد:

نحن في أكمل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور
عيبٌ ما نحن فيه يا أهل ودي ... أنكم غيب ونحن حضور[1]

انتهى وفي الحديث تمام النعمة دخول[2] الجنة وعن علي كرّم الله وجهه تمام النعمة الموت على الإسلام[3] وفيه أن الموت على الإسلام هو ابتداء النعمة في الحقيقة وانتهاؤها دخول الجنة وحصول الرؤية.

ولعل نظر المرتضى إلى تمام النعم الدنيوية والنسبة السببية ونظر المصطفى إلى تمام المنح الأخروية والنتيجة الأبدية ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] يتجه وجهه فالمثال متعدد والمآل متحد:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... فكل إلى ذاك الجمال يشير

فدخول الجنة بمنزلة المدينة العلمية والموت على الإسلام في مرتبة بابها الذي هو من جملة أسبابها العملية.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ [الآية: 151] الدالة على وجود ذاتنا وجود صفاتنا وشهود أفعالنا ومصنوعاتنا ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [الآية: 151] أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء في علمكم وحلمكم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 56) رقم (98)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 541) رقم (3527)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 46) رقم (29356)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (17/ 151) رقم (5381).
(3) تفسير البغوي (1/ 166)، تفسير الرازي (2/ 437).

50/ ب ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 151] أي مبناه ومعناه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 151] أي السُّنَّة/ والموعظة واتقان المعرفة وأحكام العبودة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 151] أي: بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي والخبر وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر والتشبيه يتعلق بما بعده أي: كما ذكرتكم بإرسال نبي الرحمة وشفيع الأمة وكاشف الغمة.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالطاعة والعبادة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالمثوبة والرحمة ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ [الآية: 152] لأزيدكم النعمة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [الآية: 152] بالمعصية والغفلة.

قال الواسطي: حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور وشأنه وقيل لك نسبة مع الحق يتحمل بها الوارد وهو ذكره إياك ولولا ذكره إياك ما ذكرته وقيل أتم الذكر أن تشهد المذكور لك بدوام ذكرك له وقيل حقيقة الذكر أن ينسى الذاكر كل شيء سواء مذكوره لاستغراقه فيه فيكون أوقاته كلها ذكراً وقيل ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالمحبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالرحمة وقيل: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] في أفراحكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] في همومكم.

وفي «العرائس» ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بلسان الأسرار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بكشف الأنوار ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ [الآية: 152] بمحض العبودية ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [الآية: 152] بعد إدراك المعرفة وأيضاً ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالأعراض عن الكون بتبعيد الأشباح ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بارتفاع البور بتقريب الأرواح.

وأفاد الأستاذ: أن إرسال الرسول مفاتحه لأبواب الوصول وكان في سابق علمه سبحانه أن قلوب أوليائه متعطشة إلى لقائه ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة دلالة الرسل عليه فأقوام ألزمهم بإرسال الرسل إليهم لِلكلف وآخرون أكرمهم بإرسال الرسول بفنون القرب والزلف فشتان بين قوم وبين قوم والذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثم استهلاكه في وجود المذكور حتى لا

يبقى منك إلا أثر يذكر فيقال وقد كان مرة فلان ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أي كونوا مستهلكين بذكركم في وجودنا بعد فنائكم عنا قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: 16] كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً الناس حديث حسن حسناً لمن وعى وطريقة أهل العبادة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالموافقات ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكرامات/ 51/أ وطريقه أهل الإشارة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بترك كل حظ منكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأن أقيمكم بحقي بعد فنائكم عنكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ مكتفياً بي عن عطائي وإفضالي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ راضياً بكم دون أفعالكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بذكري لكم ما تذكرون ولولا سابق ذكري لما كان لاحق ذكركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقطع العلائق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بنعت الحقائق ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ على عظيم المنّة عليكم فإن قلت لكم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ويقال الشكر من قبيل الذكر وقوله ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ النهي عن الكفران أمر بالشكر والشكر ذكر فكرر عليك الأمر بالذكر والثلاث أوّل حدّ الكثرة والأمر بالذكر الكثير أمر بالمحبة لأن في الخبر من أحب شيئاً أحب ذكره(1) فهذا في الحقيقة أمر بالمحبة ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أحبوني أحبكم ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتفضيل ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالانكسار اذكركم بالمبار ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجنان ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق مطلوبكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ على الباب من حيث الخدمة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإيجاب على بساط القربة بإكمال النعمة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتصفية السر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتوفية البر ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالجهد والعدّ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجود والعطاء ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في حال سروركم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ وأنتم في قبوركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ وأنتم بوصف السلامة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ يوم القيامة يوم لا ينفع الندامة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالرهبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرغبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ [الآية: 153] أي: حال الأمور الدنيوية والدينية ﴿بِالصَّبْرِ﴾ [الآية: 153] عن المعاصي والمناهي وحظوظ النفس والملاهي ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ [الآية: 153] أي: هي أم العبادات وأس الصِّلات ومعراج المؤمنين ومدارج الموقنين ومناجاة رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 153] أي:

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 388) رقم (501)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/ 619) رقم (1050)، وكشف الخفا (2/ 222) رقم (2352).

الذين هم أعم من المصلين بالنصرة والمعونة وإجابة الدعوة.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [الآية: 154] أي: هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 154] ما هم فيه من الكرامة ونعيم الجنة ففي الحديث أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش معلقة[1] قيل لأنهم مقتولين في حقه ومن كان مقتولاً فيه كان حياً به.

51/ ب وفي «العرائس» أي لا تقولوا ولا/ تظنوا ﴿لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ﴾ [الآية: 154] العشق بسيف الشوق ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [الآية: 154] بعد فنائهم عن حياة الإنسانية بحياة الربانية ولكن لا تشعرون لأنم محبوسون بين الوجود والعدم وهم مخلدون في بقاء القدم ومن ذبح نفسه من أربعة مواضع في أربعة مواضع بأن قطع رأس حرصها من الدنيا في مذبح التفريد وقطع رأس ألمها من إرادة حياتها ووجودها في مصرع التجريد وقطع رأس رياساتها من الخلق في منحر التوحيد وقطع رأس ميلها إلى الآخرة في مقتل التحقيق ألبس الله تعالى روحه أربع لباس في أربع مقام ألبسها لباس سناء المعرفة في مقام المكاشفة وألبسها لباس صفاء المحنة في مقام المشاهدة وألبسها لباس ضياء الوصلة في مقام القربة وألبسها لباس الأنوار الأنانية بنعت البسط والسلطنة في مقام المخاطبة وإذا كان بهذه الصفة فقد فاز من سكرات الممات وصار حياً ببقاء الصفات.

وقال الأستاذ: فاتهم الحياة في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في العقبى فهم في الحقيقة أحياء يجدون من الله فنون الكرامات ويقال هم أحياء لأن الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون ميتاً قال قائلهم في مخلوق:

فإن يك غياب مضى لسبيله فهل مات من يبقى له مثل خالد

ويقال هم أحياء بذكر الله لهم فالذي هو مذكور الحق بالجميل بذكره السرمدي فلي بميت ويقال أن أشباحهم متفرقة ولكن أرواحهم بالحق سبحانه

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905).

متخففة ولئن فنيت بالله أشباحهم فلقد بقيت بالله أرواحهم ومن كان فناؤه لله كان بقاؤه بالله.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ [الآية: 155] أي: ولنعاملنكم معاملة المبتلى معكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ [الآية: 155] أي: بقليل من ذلك النوع وإنما قللهم بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم وليريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم والخوف خوف العدو والجوع والقحط ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ [الآية: 155] أي خسران ونقصان في المال والحلال ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾ [الآية: 155] بالموت والقتل والمرض والكبر والثقل والكسل ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾/ [الآية: 155] أي: بالآفات وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من المال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد. 52/أ

وقال الأستاذ: ابتلاهم بالنعمة ليظهر شكرهم وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم فلما أدخل المعلوم من حالهم في الوجود ورسمهم بالرقم الذي قسمه وأثبتهم على الوصف الذي علمه ففي الخوف تصفية لصدورهم وبالجوع تنقية لأبدانهم وبنقص من المال يزكوا نعمهم وبمصائب النفوس يعظم عند الله أجرهم وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية: 155] يعني الذين لا اعتراض لهم على تقدير الله فيما أمضاه ويقال طالبهم بالخوف عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ونقص من الأموال بتصديق الأموال والخروج عنها طلباً للخير عنه بحصول معرفته والأنفس تسليماً لها إلى عبادته والثمرات القول بترك ما يأملونه من الزوائد في نعمته ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية: 155] على استحسان قضيته وهم أهل تسليم وانقياد لجريان قدرته ومطالبات الغيب إما أن يكون بالمال أو بالنفس أو بالقلب أو بالأقارب فمن صرف في سبيله المال فله النجاة ومن بذل لحكمه النفس فله الدرجات ومن صبر عن مصائب الأقارب فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ [الآية: 156] أي: أي مصيبة تصيبهم من الأمور المكروهة للنفوس الإنسانية ففي الحديث كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة[1] ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 156] أي: بلسان القال أو ببيان الحال أو بالجمع بينهما كما هو شأن أهل الكمال ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 156] أي: كلنا عبده ومالنا ملكه ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: 156] أي إلى حكمه في مآلنا ومنالنا ﴿رَٰجِعُونَ﴾ [الآية: 156] وعلى أحوالنا مجزيون والمبشر به محذوف أي: إلى أنه ليس من جنس موصوف بل من قبيل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أو اكتفاءً بقوله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾ [الآية: 157] أي أنواع من الصلاة وهي الثناء والمغفرة والرضا ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [الآية: 157] أي: خاصة/ بمزيد اللطف والعناية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 157] إلى المراتب العلية والمناقب الجلية. 52/ب

في «تفسير السلمي» هذا إشارة تدعو إلى الرضا بالقسمة والصبر على المحنة فإن تحت كل محنة نعمة ومنحة.

وقال الأستاذ: قابلوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والفخر ومن طالع الأشياء ملكاً للحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكمه ومنشيء الخلق أولى بالخلق من الخلق ويقال من شاهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ومن شاهد البلى وعلم أن ما يكون من الله فهو عبد بالله وشتان بين من كان بالله وبين من كان لله الذي كان لله فصابر واقف والذي هو بالله فساقط الاختيار والحكم فإن أثبته ثبت وإن محاه انمحى وإن حركه تحرك وإن سكنه سكن فهو عن اختياراته فانٍ وفي القبضة مصرف وقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية: 157] بصلاته عليهم ابتدؤوا ووصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير لا ببصرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلاته فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية فعنايته سابقة أوجبت لهم هداية خالصة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 157] لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية.

---

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 96) رقم (79).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 158] أي من أعلام مناسكه ومواقف ناسكه جمع شعيرة وهي العلامة وفيه إشعار بالتزام الشعور في المشاعر واكتساب الحضور في مقام الأكابر فمن صعد الصفا ولم يتصف سره بالوفا لم يتبين عليه شيء من شعائر الضياء ومن صعد المروة ولم يتصف بالمروّة ولم يتجلّى في قلبه مرآة الحضرة ولم يبعد عن مرتبة الغفلة لم يظهر عليه الزمن أثر من شعائر الزيادة ولم يترق من حضيض البشرية وإلى علو الهمة العلية الصوفية الصفية وقيل أن الصفا موقف التصفية من الكدورات الدنية والسعي إلى المروة هرب إلى الله والانقطاع إليه بالكلية فإذا تم سعيك بالهرب إلى الله فلا تبطله بالنظر إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك المشاهد والرسوم وتلك الأطلال والرقوم تعظم وتزار وتشد إليها/ الرحال لا أنها أطلال الأحباب وهنالك تلوح الأسرار. 53/ أ

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر[1]

وإن لتراب طريقهم بل لغبار وآثار فريقهم عند الأحباب أقدار عظيمة بل غبرة تقع على حافات طريقهم لأعز من المسك الأذفر[2].

وما ذاك إلا أن مشت بجنابه أميمة في سرب وجرّت به برداً

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ [الآية: 158] أي قصده على جهة التعظيم ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ [الآية: 158] أي زاره على طريقة تكميل التكريم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 158] أي: لا حرج لديه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [الآية: 158] بأن يسعى بينهما ويسرع في محلهما سبعاً ليصل بركات سعيه الباهرة وإلى سبعة أربابه الظاهرة وسبعة أطواره الباطنة إلى سبعة أقاليم العالم الفاخرة على ما أفاده الشيخ نجم الدين المعروف بـ(داية) في تفسيره **«بحر الحقائق»**.

وقال الأستاذ: حظي الصفا والمروة بجوار البيت فشرع لهما السعي بينهما كما شرع للبيت الطواف وكما أن الطواف ركن في النسك فالسعي أيضاً

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306)، والنيسابوري في تفسيره (1/ 381).

(2) زكي جيد. انظر: كتاب العين (8/ 181).

ركن والجار يكرم لأجل الجار انتهى وهو مبني على مذهب الشافعي ومن تبعه وأما على مذهب أبي حنيفة ومن وافقه أنه واجب وفيه إشعار بأن مرتبته دون مرتبة البيت ونسبته بناء على أصالته وتبعيته فإن الجار يكرم لأجل الجار ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 158] وقرأ حمزة يطوع بتشديدين مع التحتية أي من فعل يطوع رغبته عملاً من نوافل طاعته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ [الآية: 158] أي مثيب على عبادته ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 158] بحاله ونيته.

وفي «**بحر الحقائق**» شاكر له بأخذ الواحد من الأعمال الفانية ويعطي العشر إلى سبعمائة ضعف إلى ما لا نهاية له من الحسنات الباقية بل يأخذ الوجود المجازي ويعطي الوجود الحقيقي عليم بنيات العباد في تقربهم إليه فيتقرب إليهم بقدر صفائهم في الطاعات ومروتهم في الخيرات كقوله في الحديث الرباني من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه باعاً[1] الحديث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 159] كأحبار اليهود ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 159] كالآيات الشاهدة على صدق محمد ﷺ ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 159] أي: وما يدل/ على فريضة اتباعه وفضيلة اتباعه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ [الآية: 159] أي أظهرناه وفصّلناه ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 159] أي: لبني إسرائيل ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 159] أي: التوراة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 159] أي: يبعدهم عن رحمته ويطردهم عن حضرته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [الآية: 159] أي: الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين والدواب حتى أنفسهم لما ورد في الحديث رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه[2] لأن الظالم إذا قال ألا لعنة الله على الظالمين فكان القرآن لعنه بل كأنه بنفسه لعن نفسه.

53/ب

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [الآية: 160] عن الكتمان وسائر العصيان ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية: 160] ما أفسدوا بتدارك الشأن ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ [الآية: 160] أي: ما أمرهم الله

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7405)، ومسلم في الصحيح (2675/ 2).

(2) تفسير النيسابوري (1/ 15)، وفي إحياء علوم الدين نسب إلى قول مالك بن أنس (2/ 32).

بالبيان ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 160] أي: أوفقهم للتوبة وأرجع إليهم بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 160] المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

وفي «بحر الحقائق» يعني الذين تابوا وأصلحوا ما كان توبتهم من تلقاء أنفسهم إنما أنا أتوب عليهم لأني أنا التواب ولي التوبة ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: 18] ولولا تهديد هذه الآية لكان أكثر أهل الحق ما خالطوا الخلق وما اشتغلوا بمناصحتهم وما قاموا بتربيتهم.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من آداب السلوك ثم ضنّ بإظهاره للمريدين على وجه النصيحة والإرشاد استوجب المقت في الوقت ويخشى عليه نزع البركة حتى تؤخر فيه كما يؤخر تعليم المستحق إلا الذين تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرجعة والقيام للمريدين بحق النصيحة وبينوا لهم بجميل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون بحسن قيامهم بمعاملاتهم فإن أظهر الحجج لبيان أفعالك وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعو به الخلق إلى الله أن لا تخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمعاملتك قال تعالى حكاية منه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 161] أي: المؤمنين أو يعمهم والكافرين ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية: 161] أي: استقر عليهم لعنة الإله ومن يعتد/ بلعنه من خلق الله أو يعمهم اللعنة حتى من جنسهم وأنفسهم وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتاً. 54/أ

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [الآية: 162] أي: في اللعنة الموجبة للعقوبة المقتضية للطردة عن الحضرة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الآية: 162] بل يثقل عليهم الحجاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 162] لا ينظر إليهم نظر الرحمة أو لا يمهلون للرجعة أو لا ينتظرون للمعذرة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن الذين بدا لهم بعدما سلكوا طريق الإرادة

ثم رجعوا إلى أحوال أهل العادة في تلك الوحشة قبضوا على تلك الحالة من الدنيا خرجوا، أولئك أصحاب الفرقة فلا على أرواحهم إقبال ولا لمصيبتهم جبران ولا لأحد عليهم ترحم خسروا في الدنيا والآخرة فالبق في الهواء والنقع على الماء يلعنهم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الآية: 162] مقيمين أبداً في هوانهم وصغرهم لا تخفيف ولا إسعاف ولا رفق ولا إلطاف.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ [الآية: 163] خطاب عام أي المستحق منكم العبادة على نعت الألوهية ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية: 163] لا شريك له أن يسمى إلهاً معبوداً ولا نظير له أن يجعل مشهوداً ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 163] تقرير للوحدانية واستحقاق العبودية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 163] أي مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه فلم يستحق العبادة غيره لأن مرجع الكل إليه.

قال الأستاذ: شرفهم غاية التشريف بقوله وإلهكم وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا علامة من يعده من خواص الخواص أن يقول له عبدي وهذا أتم من ذلك بكثير فإن قوله: وإلهكم إضافته حقه إليك وأنه أتم من إضافته إياك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا علة وكونك له عبداً يعوض كل نقص وآفة ومتى قال لكم ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ [الآية: 163] حين ما كانت طاعاتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الآزال حين لا حين ولا أوان ولا رسم ولا حدثان فالواحد من لا مثل له يدانيه ولا سالك يلاقيه ولا قسيم يجانسه ولا نديم يؤانسه ولا معين يساعده ولا منازع يعانده أحدي الحق صمدي العين ديمومي البقاء أبدي العز أزلي الذات واحد من عز سنائه فرد في جلال بهائه وتر في جبروت كبريائه قديم في سلطان عزه مجيد/ في جمال ملكوته وكل من أطنب في وصفه 54/ب أصبح منسوباً إلى العي في نطقه ولولا أنه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد إذا تعرض لعرفانه عند أول ساطع من باديات عز شأنه.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 164] أي: في إيجادهما وخلقتهما وعظمتهما وكثرة أجزائهما وإبداع المخلوقات فيهما وقدم السموات لاعتلائها مبنى ومعنى وجمعت لأنها طبقات في جنسها مختلفات ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾

[الآية: 164] أي في تعاقبهما سيراً وتعارضهما طولاً وقصراً وظلمة ونوراً وبرداً وحراً وستراً وظهوراً ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 164] أي ينفعهم في أمور الدنيا والآخرة أو بالذي ينفعهم من التجارة غيرها للسيارة والنظارة ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 164] أي وفي إنزاله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 164] أي من جهتها والمراد بها الفلك أو السحاب أو جهة العلو وهواها قيدها فمن ابتدائية وفي قوله ﴿مِن مَّآءٍ﴾ [الآية: 164] بيانية ولو تبعيضية ومحلها النصب على المفعولية ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ [الآية: 164] أي بسبب الماء النازل من السماء ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 164] بإنبات نباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 164] أي: ينبتها وجذورتها ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ [الآية: 164] أي: وفيها نشر في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [الآية: 164] أي: مما تدب على الأرض من هامة ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي تصريفها وتغييرها في مهابها جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً وفي أحوالها عقيماً ولواقح وباردة وحارة ولينة وعاصفة وفي قراءة حمزة والكسائي بالإفراد على أن الجنس هو المراد ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السحاب المذلل بينهما لتفريق المطر على وفق القدر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ [الآية: 164] أي دلالات على وحدة ذاته وعلامات على قدرته وبقية صفاته ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 164] أي: ينظرون إليها ويتفكرون فيها وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي: لم يتأمل في معناها واكتفى بمبناها.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى تعرف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول والأحوال بدلالات قدرته وإمارات وجوده وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله ونبههم على وجوه الحكمة/ودلالات الوحدانية 55/أ بما أثبت فيها من براهين تلطف عن العبارة ووجوه من الدلالة تدق عن الإشارة فما من عين من العدم محصولة من شخص أو طلل أو رسم أو أثر أو سماء أو فضاء أو هواء وماء أو شمس أوقمر أو قطر أو مطر أو رمل أو حجر أو نجم أو بحر إلا وهو على الوحدانية دليل ولن يقصد وجوده سبيل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية: 165] أي: أصناماً

وأضداداً تشغلهم عن مولاه ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 165] يعظمونهم ويطيعونهم كما يحب المؤمنون ربهم ويعظمون أمر عبادته ويميلون إلى طاعته ومحبة العبد لربه إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه وإقامته في عبادته وصونه عن مخالفته والمعنى أن الكفار يستوون بين الله وبين بعض مخلوقاته في المحبة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 165] لأن محبتهم ذاتية لا تنقطع بالأمور العارضية بخلاف محبة الأنداد فإنها لعلل موهومة فاسدة وأغراض مفروضة كاسدة تزول بأدنى سبب ومحنة، ولذا كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله تعالى عند شدة حالتهم ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره عياناً.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام لم يجعلهم الحق سبحانه أهلاً لمحبته فشغلهم بمحبة الأغيار عن حضرته حتى رضوا لأنفسهم أن يحبوا كل ما هويته أنفسهم فرضوا بمعمول لهم أن يعبدوه ومنحوت من دونه أن يحبوه وليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام وسائر الآثار ولكن المراد منه مدح محبة المؤمنين على محبتهم ولا يحتاج إلى كثير محبة حتى يزيد على محبة الكفار للأصنام ولكن من أحب حبيباً استكثر ذكره بل استحسن كل شيء من أمره ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين على محبتهم للأصنام أن تلك محبة الجنس للجنس وقد يميل الجنس إلى الجنس ومحبتهم للحق سبحانه وتعالى محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق ويقال أنهم أحبوا ما شاهدوه وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود/ وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين شهودهم رداء الكبرياء على وجهه ويقال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165] لأنهم لا يتبرؤون من الله سبحانه وإن عذبهم والكفار تبرؤوا من الصنم وكذا الصنم من الكافر.

55/ب

قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: 166] أو يقال محبة المؤمنين حاصلة عن محبة الله لهم فهي أتم قال الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر والشرع ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع ويقال

أنهم إذا صلحت أحوالهم واتسعت ذات يدهم وكثرت أموالهم اتخذوا أصناماً أحسن من الذي كانوا يعبدونه قبل ذلك في حال فقرهم فكانوا يتخذون من الفضة عند غناهم أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد وعلى هذا القياس وأما المؤمنون فأشد حباً لله لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السرّاء والضرّاء ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 165] أي: لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا على أنفسهم باتخاذ الأنداد وسائر المعاصي والفساد ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية: 165] حين يشاهدونه يوم الحساب ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 165] سد مسد مفعولي يرى والمعنى لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً ولا قدرة لغيره سبحانه أصلاً إذا عاينوا الألم لندموا أشد الندم وفي قراءة نافع والشامي ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالخطاب العام أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً فـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مفعوله من رؤية البصر و﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ بدل من الذين ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ بدل اشتمال من العذاب وفي قراءة الشامي يرون بصيغة المفعول من الأداة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ [الآية: 166] أي المتبوعون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [الآية: 166] وهم التابعون ﴿وَرَأَوُاْ﴾ [الآية: 166] أي شاهد الفريقان العذاب ﴿ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ [الآية: 166] أي بسبب كفرهم أو فيما بينهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ [الآية: 166] أي أسباب المحبة ووصل الوصل والمودة بل انقلبت محبتهم عداوة.

وقال الأستاذ: إذا بدا لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم الصواب وأما المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم ويسكنهم سنين في القبور ثم/ يبليهم يوم القيامة عند النشور بطول الأهوال وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار ويأتي عليهم طول الأيام والأعمار فلا يزدادون له إلا محبة على محبة فكذلك قال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 165]. 56/أ

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الآية: 167] أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 167] أي: من المتبوعين حينئذٍ ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [الآية: 167] في العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 167] أي: مثل الإراءة القطيعة لهم ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 167] سيّئاتهم التي صنعوها أو حسناتهم التي ضيعوها ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: نداماتٍ لديهم وويلاتٍ إليهم ﴿وَمَا هُم

بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 167] بل هم مستقرون في دار البوار.

وقال الأستاذ: عند ذلك يعرفون مرارة طعم صحبة المخلوقات ولكن لا يحصلون إلا على الحسرات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [الآية: 168] أي: محللاً أو أكلاً حلالاً طيباً أي: طاهراً من الشبهة أو مستطيباً ليس فيه نوع من المضرة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [الآية: 168] أي طرق تزيينه وسبل تحسينه والمعنى لا تعتدوا به في اتباع الهوى من تحريم رفيع الأطعمة وتحليل الأشياء المحرمة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 168] أي: ظاهر العداوة عند أهل اليقين وإن أظهر الموالاة للمريدين.

وأفاد الأستاذ: أن الحرام وأن استلذ به في الحال فهو وبيء في المآل والحلال وإن استكره في الحال فهو مريء في المآل والحلال الصافي ما لم ينس مكتسبه الحق في اكتسابه ويقال الحلال ما حصله الجامع له والمكتسب على شهود الحق في حاله وكل ما يحملك على نسيان الحق أو عصيان الرحمن فهو من خطوات الشيطان وقد قرأ قنبل وشامي وحفص والكسائي بضم الطاء وهما لغتان.

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية: 169] أي: بما يسوءكم في العاقبة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [الآية: 169] أي: القبائح الفاحشة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 169] مما تحرمون وتحللون وسائر مما تعملون.

وقال الأستاذ: والسوء الركون إلى الدنيا والفحشاء متابعة الهوى وإن الشيطان أبداً يدعوك إليهما ويحثك عليهما ولاجترائه على الله يدعوك إلى افترائك على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [الآية: 170] أي: لأتباع الشيطان وهواه ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 170] ابتغاء لرضاه/ ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [الآية: 170] أي: الذي وجدنا عليه كبراءنا ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية: 170] من الأدلة العقلية ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 170] إلى الدلائل النقلية والمعنى أيتبعون

56/ ب

من لا يتفكرون في أمر الدين ولا يقتدون بأهل اليقين.

وقال الأستاذ: وما ارتفع أبصارهم عن أشكالهم وأصنافهم من أضرابهم وأسلافهم ولو علموا أن أسلافهم لا عقل يردعهم ولا رشد يجمعهم لنابذوهم مناصبين وعاندوهم مخالفين ولكن سلبوا أنوار البصيرة وحرموا دلائل اليقين ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 171] أي: فيما هم فيه من الجهالة والضلالة ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [الآية: 171] أي: كمثل الدواب السارحة التي لا تفقه ما يقول لهم الراعية الداعية بالجملة الندائية ومثل داعي أرباب الضلالات كمثل راعي الحيواناته الذي يصيح بهن وينصح لهن بما لا تسمعن إلا مجرد صوت لعدم فهمهن وإدراكهن.

قال الأستاذ: عدموا سهم الفهم والقبول فلم ينفعهم سمع الظاهر ونزلوا منزلة البهائم في الخلق عن التحصيل ومن ضارع البهيمة ليس له كبير قيمة ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [الآية: 171] أي: هم مثلهم في عدم نفعهم بمشاعرهم وحواسهم ووضعها في غير المواضع المطلوبة منهم ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 171] أي: بقلوبهم ما يراد بهم من خلقهم بخلاف أضدادهم من العلماء الأولياء حيث لا يسمعون الباطل ولا يتكلمون بما ليس تحته طائل ولا ينظرون إلى شيء نظر الغافل بل لا يسمعون إلا من الحق ولا ينطقون إلا بالحق ولا يرون إلا الحق فإنهم جامعون بين الطريقة والشريعة والحقيقة فهم لا يعقلون شيئاً من أمور الدنيا لأنهم والهون في محبة المولى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [الآية: 172] أي حلالاته ومباحاته ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] في القيام بطاعاته وعباداته ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 172] وعن غير منعمكم معرضون وفيه تنبيه نبيّه على أن الحسنات من الأعمال نتيجة أكل الحلال.

وقال السلمي: طيبات الرزق هي التناول في أوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لأداء الفرائض وهو أفضل حلال إذ لا تبعة على أكله بحال.

57/أ وأفاد الأستاذ أن الحلال ما ليس/عليه تبعة والطيب الذي ليس لمخلوق فيه منة فإذا وجد العبد ما استجمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب عند أهل

العرفان وحقيقة الشكر عليه أن لا تتنفس في غير رضا الملك العلّام ما دام يبقى فيه القوة لذلك الطعام.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الآية: 173] أي أكلها ﴿وَالدَّمَ﴾ [الآية: 173] أي السائل لقوله تعالى ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام، الآية: 145] وفي الحديث أحلت لنا ميتتان السمك والجراد ودمان الطحال والكبد[1] ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الآية: 173] أي وما ذبح لغير اسمه من صنم ونحوه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرم على الظواهر هذه المعدودات وهو ما أهل لغير الله وحرم على السرائر صحبة غير الله بل شهود غير الله انتهى. وفيه الإشارة أن ما عدا الحي الذي لا يموت في صدد آية يزول ويفوت قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [الآية: 173] أي: أُحوِجَ وأُلجِئَ في حال الضرورة إلى أكل الأشياء المذكورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [الآية: 173] أي: حال كونه غير طالب بالاستئثار على صاحب الاضطرار ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [الآية: 173] وغير متجاوز سد الرمق وحد الجوعة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 173] أي في أكل ما اضطر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 173] أي للمعصية فلا يؤاخذ فيما جعل فيه الرخصة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 173] أي: بعباده أي: حيث رخص لهم في بعض أحوالهم وإن أوجب عليهم العزيمة في بعض أفعالهم وفي الحديث أن الله يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه ولذا قال الفقهاء من لم يأكل الميتة حال الضرورة حتى مات مع وجود القدرة مات في المعصية.

وأفاد الأستاذ: وأن من لم يجد إلى الاستهلاك في حقائق الحق وصولاً فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلاً فإما أن يكون محواً في الله أو يكون قائماً بالله أو عاملاً لله والرابع همج لا خطر له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 174] أي: مما يدل على طريق الحق وسبيل الصواب ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 174] أي عوضاً

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1073) رقم (3218)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 254) رقم (1128)، وأحمد في المسند (2/ 97) رقم (5723).

حقيراً وعرضاً يسيراً ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: في ملئها ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ [الآية: 174] أي: في الحال لتلبسهم بأسبابها وفي المآل لوقوعهم في عذابها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية: 174] أي: كلام الرحمة والكرامة لغضبه عليهم وفي آية أخرى ﴿وَلَا يَنظُرُ/ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: 77] أي: نظر رعاية 57/ب وعناية ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يهذبهم من وسخ عيوبهم فهم على أحسن أخلاقهم بخلاف عصاة المؤمنين حيث يكون دخولهم النار تصفية لهم وينزع الحقد والغش والحسد وأمثالها من صدورهم ﴿وَلَهُمْ﴾ [الآية: 174] أي: للكفار والفجار ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 174] وحجاب عظيم[1].

وأفاد الأستاذ: أن العلماء مطالبون بنشر دلائل العلم والأولياء مأمورون بحفظ السرائر والحكم فإن كتم هؤلاء براهين العلوم ألجموا بلجام من النار وإن أظهر هؤلاء شظية من السر عوجلوا ببعاد الأسرار وسلب ما أوتوا من الأنوار ولكل حدّ وقدر وعلى كل حكم وأمر.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [الآية: 175] أي: استبدلوا الجهالة بالهداية في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ﴾ [الآية: 175] أي: عذاب الكتمان للأعراض الدنية والمطامع الدنيوية في العقبى ﴿بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 175] الحاصلة على بيان الحق واظهار المعرفة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [الآية: 175] تعجب من تقلب حالاتهم وقلة مبالاتهم في الالتباس بموجبات النار المحققة في دار القرار.

وقال الأستاذ: إن الذين آثروا العين على الغيب والخلق على الحق والنفس على الأنس ما أقسى قلوبهم وما أقبح محبوبهم ومطلوبهم وما أخس قدرهم وما أفضح لذوي البصائر أمرهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 176] أي: بالصدق والصواب

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 323) رقم (11880)، وابن حبان في الصحيح (2/ 69) رقم (354)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 140) رقم (5199)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 317) رقم (26471).

وهم رفضوه بالتكذيب وكتمان الباب.

وقال الأستاذ: أمضى القضاء والحكم فيه بالصدق وأوصلهم إلى ما له أهّلهم وأثبتهم على الوجه الذي جبلهم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 176] أي: تخلفوا عن المنهج الصواب بتصحيف مبانيه وتحريف معانيه ﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [الآية: 176] أي: خلاف بعيد عن وفاق.

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ [الآية: 177] بالنصب حفص وحمزة على أنه الخبر فالاسم قوله: ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الآية: 177] والمعنى ليس الطاعة المرضية مجرد توليتكم وجوهكم جهة المشرق والمغرب من قبلتي النصارى واليهود بحسب أفق مكة المشرّفة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ [الآية: 177] بالتخفيف والرفع لنافع والشامي أي: ولكن صاحب البر فإنه قرئ ولكن البارّ ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 177] أي: وسائر/ ما يجب الإيمان به على 58/أ وجه اليقين وقدم يوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمنتهى ثم روعي الوجود الخارجي في ترتيب المبنى فإن الملك نزل بالكتاب على النبي المجتبى ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الآية: 177] أي: أعطاه وهو يهواه لقوله عليه السلام فضل الصدقة أن تؤتيها وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر أو على حب الله من غير غرض فيما سواه أو على حبّ الإيتاء حيث يفرح بالإعطاء ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الآية: 177] وقدمهم لأن إيتاءهم على ما ورد اثنان صدقة وصلة ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 177] أي: المحتاجين ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ [الآية: 177] وفي معناهم الفقراء ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 177] أي: منقطع الحاج أو الغزاة أو المسافر الذي انقطع عنه ما يكفيه في سفره ولو كان له مال في مقره أو الضيف النازل به ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ [الآية: 177] ولو كانوا في صورة الغنيين ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 177] أي تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك المأسورين ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 177] أي: المكتوبة ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 177] أي المفروضة وقد ورده في المال حق سوى الزكاة[1] فيصرف إليه قوله ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ﴾ [الآية: 177] المراد به نوافل

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 570) رقم (1789)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 84) رقم (7034).

الصدقات ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ [الآية: 177] أي الحق أو الخلق قال بعضم الوفاء بالعهود لزوم الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ [الآية: 177] أي: في حال مرارة الحاجة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 177] في حدة ضرورة العلة ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [الآية: 177] وقت رياضة المجاهدة قال بعض المجاهدين الأحسن في الصفات الكثيرة مع قطع النظر عن التفنن في بابها لمن يخالف في إعرابها فإن الموضع موضع الإطناب فإنه إذا خولف بالأعراف وأتى بفنون العبارة في الإعراب كان البيان أفصح والتبيان أوضح ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ [الآية: 177] مرفوع.

بالمدح أي هم الموفون ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 177] نصب على المدح أي: أخصهم من بينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [الآية: 177] في اتباع رضا المولى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 177] أي المعرضون عن السوى وقد ورد عن رئيس أهل الإيقان من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الأبشار والظواهر ليس بها كثير اعتبار وإنما الخبر عن الله عزيز وكثرة الأوراد وإن جلت فحرفة/ العجائز وإخلاص الطاعات وإن 58/ ب عزت فصفة العوام وصلة الليل بالنهار في لطائف كثيرة ومجاهدات عزيزة عظيم الخطر في استحقاق الثواب. ولكن معرفة الحق عزيزة وما ذكر في هذه الآية من فنون الإحسان ووجوه قضايا الإيمان وإيتاء المال وتصفية الأعمال وصلة الرحم والتمسك بفنون الذمم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود لعظيم الأثر كثير الخطر محبوب الحق شرعاً ومطلوبه أمراً لكن قيام الحق عنك عند فنائك منك وامتحائك من شاهدك واستهلاكك في وجود القديم وتعطيل رسومك عن ساكنات إحساسك أتم وأعلى في المعنى فالتوحيد لا يبقى رسماً ولا أثراً ولا يغادر غيراً أي تغيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ [الآية: 178] أي: فرض ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [الآية: 178] أي: الاقتصاص ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [الآية: 178] أي: في حق المقتولين ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ [الآية: 178] على خلاف أهل الجاهلية حيث كان ذو

الطول منهم يقول للعرب من غيرهم لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى وأمرهم أن يتساووا فلا عبرة بالمفهوم الدال على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى فقد روي عن بعض السلف أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45] فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى مطرداً ومنعكساً ﴿فَمَنْ عُفِىَ﴾ [الآيـة: 178] أي: تـرك ﴿لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [الآيـة: 178] أي: دم أخيـه المقتول ﴿شَىْءٌ﴾ [الآية: 178] أي: من العفو بأن يعفو بعض الأولياء فإنه يسقط القود وفي ذكر أخيه استعطاف موجب للعفو وقيل المعنى من عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 178] أي على العافي بأن يطالب الدية بلا شدة وغلظة ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [الآية: 178] أي: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بلا مطل ونقصان ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: ما ذكر من تخير القود أو العفو والدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 178] لأن القتل كان محتماً على اليهود والعفو على النصارى ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ [الآية: 178] أي: تعدى عن الحد بأن قتل القاتل ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: بعد العفو وأخذ الدية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 178] أي: في العقبى وقيل في الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ منه الدية.

59/أ وأفاد الأستاذ: أن حق القصاص مشروع والعفو خير موضوع فمن جنح/ إلى استيفاء حقه فسلم من نزل عن اقتضاء حقه فمحسن فالأول صاحب عبادة بل عبودية والثاني صاحب فتوة بل حرية ودم يراق جرى فيه القصاص على لسان أهل العلم وأما على لسان الإشارة لأهل القصة فدماؤهم مطلولة وأرواحهم هدرة قال قائل:

وإن فؤاداً رُعْتَه لك حامد ... وإن دماً أجريته بك فاخر[1]

وسفك دماء أرباب الحب في بساط القرب خلوف أهل الوصال قال النبي ﷺ اللون لون الدم والريح ريح المسك[2].

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: المنتحل (1/ 70)، شرح ديوان المتنبي (1/ 233).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 37) رقم (2396)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 11) رقم (6593)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 184) رقم (1656)، وأحمد في المسند (2/ 317) رقم (8190).

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ [الآية: 179] أي: في حكمه ﴿حَيَوٰةٌ﴾ [الآية: 179] أي: عظيمة وعيشة مستقيمة مانعة من الفتنة ودافعة للمحنة أو حياة أخروية للقاتل لأنه إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في العقبى وقرأ في القصص أي: فيما قص عليكم من حكم القتل والدية أو في القرآن حياة للقلوب الميتة ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 179] أي: ذوي العقول الكاملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 179] عن المخالفة أو العقوبة.

وقال الأستاذ: لما قيل القتل أنفى للقتل[1] في استيفاء القصاص حياة لأنه إذا علم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ أمسَك عن القتل فكان فيه حياة القاتل والمقتول وإذا ترك القصاص على لسان الإشارة ففي ترك القصاص أعظم الحياة لأنه إذا تلف فيه فهو الخلف عنه وحياته عنه أتم من بقائه بنفسه وإذا كان الوارث عنهم الله والخلف عنهم الله فبقاء الخلف أعز من حياة من ورد عليه التلف كتب.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 180] أي: ظهر إماراته أو مقدماته ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [الآية: 180] أي: مالاً ولو يسيراً ومالاً كثيراً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية: 180] وهو مرفوع بكتب وتذكيره للفصل وكان هذا الحكم في ابتداء الإسلام فنسخ بآية الميراث وبقوله عليه السلام أن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث[2] ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 180] أي بالعدل بأن لا يجاوز الثلث ولا يفضل الغنى ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 180] أي: حق ذلك حقاً ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 180] أي مخالفة الحق من الشرك الجلي والخفي.

قال الأستاذ: من ترك مالاً فالوصية في ماله مستحبة ومن لم يترك شيئاً فأنّى في حاله بالوصية الأغنياء يوصون في آخر أعمارهم بالثلث والأولياء يخرجون في حياتهم عن الكل فلا يبقى منهم إلا همة انفصلت عنهم ولم

(1) قول مشهور عند العرب.
(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 906) رقم (2714)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 434) رقم (2121)، وأبو يعلى في المسند (3/ 78) رقم (1508)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 208) رقم (30717).

59/ب يتصل بشيء لأن الحق لا سبيل إليه للهمة والهمة لا تعلق لها بمخلوق البتة/ فبقيت وحدة منفصلة غير متصلة وأنشدوا:

أحبكم ما دمت حياً فإن مت ... يحبكم عظمي في التراب رميم[1]

هذا وصيتهم وقال بعضهم:

له قلبي الذي غصبه ... وجسمي لابس وصبه
وللعبرات أجفاني ... وما يبقى فَللعصبه

لا بل كما قال قائلهم:

أما الرسوم فمخبراتٌ ... أنّهم رحلوا قريبا
رجعوا إلى أوطانهم ... فجرى لهم دمعي صَبيبا[1]

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ [الآية: 181] أي غير الإيصاء من الأوصياء والشهود والأولياء ﴿بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ [الآية: 181] أي: تحقق عنده ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ [الآية: 181] أي: اسم التبديل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 181] لما يقوله الوحي وغيره ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية: 181] بظاهره وباطنه.

وأفاد الأستاذ: أن من حرّف نطقاً جرى بحق لحقه شؤم ذلك ووباله وعقوبته أن يحرم رائحة الصدق أن يشمه ومن أعان الدين أعانه الله ومن أعان على الدين خذله الله ﴿فَمَنۡ خَافَ﴾ [الآية: 182] أي علم ﴿مِن مُّوصٖ﴾ [الآية: 182] بالتشديد لشعبة وحمزة والكسائي ﴿جَنَفًا﴾ [الآية: 182] ميلاً بالخطأ في الوصية ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾ [الآية: 182] أي: قصداً وتعمداً للجنف في القضية ﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 182] أي: بين الموصى لهم من الوالدين والأقربين أو بين الورثة والموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع أو بالتراضي والتصالح في حقهم ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 182] أي في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول.

وقال الأستاذ: فيه أن من أن تفرس في بعض المريدين ضعفاً ورأى في

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 171).

بعض أهل البداية رخاوة قصد أو وجد بعض الصادقين تكلم بالصدق المحض على من لم يحتمله فرأى أن يرفق بذلك المريد بما يكون ترخيصاً له أو استمالة أو مداراة أو رضاء بتعاطي مباح فلا بأس به فإن حمل الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثيرُ أخذٍ والرفق بأهل البداية إذا لم يكن له صارم عزم ولا صادق جهد ركنٌ في ابتغاء الصلاح عظيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [الآية: 183] أي: فرض وذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [الآية: 183] أي: من الأنبياء الكرام من لدن آدم أو نوح عليهما السلام أو من أهل الكتاب وأصحاب الخطاب والمراد شهر رمضان لما ورد من أن صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم وذهب بعض السلف/ إلى أن الصوم 60/أ على من قبلنا صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كما كان علينا أول الإسلام[1] وكذا ورد في حديث آخر والله أعلم فعلى الأخير يكون التشبيه في أصل الصوم لا بخصوصه ثم التشبيه تنبيه على توكيد الحكم وترغيب في الصوم تطييبٌ على العزم والصوم في اللغة الإمساك عن أي شيء جرى وفي الطريقة عما تنازع إليه النفس والهوى وفي الشريعة عن المفطرات إذا نوى وفي الحقيقة عن ذكر سوى المولى ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 183] أي: النار أو المعصية فإن الصوم يكسر الشهوة المانعة عن وصول الجنة وقد ورد أن الصوم جنة.

وأفاد الأستاذ: أن الصوم على ضربين صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ثم صون الروح عن المساكنات ثم صون السر عن الملاحظات ويقال صوم العابدين شرطه حتى يكمل صون اللسان عن الغيبة وصون النظر عن الطرف بالريبة كما في الخبر «من صام فليصم سمعه وبصره» الحديث وصوم العارفين حفظ السرعن شهود الغير فإن من أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل على النهار ومن أمسك عن الأغيار فنهاية صومه أن يشهد الحق بلا غبار قال

(1) تفسير الطبري (3/ 414)، تفسير القرطبي (2/ 275).

ﷺ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته[1] فالهاء في قوله عليه السلام عند أهل التحقيق عائد إلى الحق سبحانه فالعلماء يقولون معناه عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وافطروا لرؤية هلال شوّال وأما الخواص فصومهم لله وفطرهم لله لأن شهودهم لله وإقبالهم على الله والغالب عليهم الله والذين هم به محو الله ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية: 184] أي صوموا أياماً موقتات بأزمنة معلومات أو أياماً قليلات بالنسبة إلى سائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: أن من شهد الشهر صام لله ومن شهد فالق الشهر صام لله فالصوم لله يوجب المثوبة والصوم بالله يوجب القربة الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة الصوم لله صفة كل عابد والصوم بالله نعت كل قاصد الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله قيام بالضمائر الصوم لله إمساك/ 60/ب من حيث عبارات الشريعة والصوم بالله إمساك بإشارات الحقيقة من شهد الشهر أمسك نفسه في أيام معدودات عن المفطرات ومن شهد الحق أمسك في جميع الأوقات عن شهود المخلوقات من صام بنفسه سقي شراب السلسبيل والزنجبيل ومن صام بقلبه سقي شراب المحاب بنعت الإيجاب ومن صام بسره فهم الذين قال الله فيهم ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] شراب يا له من شراب شراب لا يدار على الكف لكنه يبدو له من اللطف شراب استئناس لا شراب كأس ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ [الآية: 184] أي: مرضاً يضره صومه أو يعسر معه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 184] أي: راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ [الآية: 184] أي فعليه صوم عدد أيام المرض أو السفر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 184] إن أفطر.

وقال الأستاذ: من أفطر لهذه الأعذار فعليه صوم عدة أيام بعدد ما أفطر قضاءً كذلك الإشارة لمن سقمت إرادته عن الصحة فيرجع إلى غيره أما الرخصة تأويل أو لقلة قوة واحتمال أو عجز للقيام بأحكام الحقيقة فليمهل حتى تقوي عزيمته وتشتد إرادته فعند ذلك يستدرك منه ما رخص له بالأخذ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1909)، ومسلم في الصحيح (1081/ 18).

بالتأويل وذلك سُنَّة من الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ثم استيفاء ذلك واجباً في آخر الحال قرب النهاية وهذا معنى قوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [الآية: 184] أي: يستطيعون الصوم لكن يتعبهم الصوم ويجهدهم كالشيخ الفاني والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما إن أفطروا لكل يوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [الآية: 184] نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومدٌّ عند فقهاء الحجاز فيكون الحكم ثابتاً ولذا قيل التقدير ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [الآية: 184] ثم القراءة بالإضافة لنافع والشامي وجمع مساكين وإفرادها لنافع والشامي أو لما أمروا بالصوم واشتد عليهم لعدم تعودهم رخص لهم فنسخ بقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: 185].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن من فيه بقية من القوة للوقوف بمطالبات الحقيقة فيرجع إلى تسهيلات الشريعة وانحط إلى رخصة التأويل فعليه الغرامة بواجب الحال وهو الخروج عن ما بقي له من معلوم مال أو رسوم حال ويبقى مجرداً للواحد ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 184] أي: من تنفل بصوم/ وغيره ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 184] أي الخير أو تطوعاً ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ﴾ [الآية: 184] أي: وصيامكم في السفر من غير لحوق الضرر ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 184] أي: أفضل من الإفطار ولو مع الأعذار ومن تأخير القضاء فإنه ليس في مرتبة الأداء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 184] ما في الصوم من الفضيلة والمسارعة إلى براءة الذمة وجوابه دل عليه ما قبله. 61/أ

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [الآية: 185] أي: تلك الأيام المعدودات هي شهر رمضان ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية: 185] أي: ابتدأ فيه إنزاله إلى السماء الدنيا وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة من اللوح إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض منجماً في عشرين سنة وفي الحديث نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان والتوراة لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة والزبور لثمانية عشرة والقرآن لأربع وعشرين[1] وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 111) رقم (3740)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 188) رقم (18429)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 144) رقم (30191).

اختصاص وجوب الصوم به.

وقال الأستاذ: رمضان يرمض ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم فشتان بين من يحرق ذنوبه رحمة وبين من يحرق رسومه حقيقته شهر رمضان شهر فاتحة الخطاب شهر إنزال الكتاب شهر حصول الثواب شهر التقريب والإيجاب شهر تخفيف الكلفة شهر تحقيق الزلفة شهر نزول الرحمة شهر وفور النعمة شهر النجاة وشهر زيادة المناجاة ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 185] أي أنزل حال كونه هادياً بإعجازه للخلق وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق وفارقاً بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وفاصلاً بين الحدود والحكم والأحكام ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ [الآية: 185] أي: علم ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [الآية: 185] أي: هلاله ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: 185] أي: فليصم فيه.

قال الواسطي: من شهدني وشاهد أمري فليصم جميع الأوقات عن المخالفات ومن شهد الشهر على رؤية تعظيمه فليمسك فيه عن لغوه ولهوه ومن شهد على رؤية فعله وصومه فليس لله حاجة في ترك طعامه وشرابه ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 185] تخصيص لعموم الحكم وشموله أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه على القول به ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [الآية: 185] ولذا أباح للمريض والمسافر الفطر والمعنى لم/ يضيق عليكم الحكم ليسهل بكم الأمر ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية: 185] بتشديد الميم لشعبة أي: ولتتموا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في المرض والسفر ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 185] أي: لتعظموا أمره وتفخموا حكمه ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: لأجل ما أرشدكم إليه ودلكم عليه وما مصدرية أو خبرية وقيل: المراد بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه وكذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل: التكبير عند الإهلال مطلقاً أو هلال شوّال ولا منع من الجمع والله أعلم بالحال.

61/ب

وقال الأستاذ: لإرادته بك اليسر معرفتك أنه يريد بك اليسر ومن إمارات أنه أراد بعبد اليسر أنه أقامه بطلب اليسر ولو لم يرد به اليسر لما جعله راغباً

في اليسر قال قائلهم:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من فيض جودك ما علمتني الطلبا[1]

حقق الرجاء وأكد الطمع وأوجب التحقيق حيث قال: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [الآية: 185] لينتفي عن حقيقة التخصيص مجوزات الظنون ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية: 185] على لسان العلم تكملوا مدة الصوم وعلى لسان الإشارة لتعترفوا بصفاء الحال ووفاء المآل ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 185] في النفس الأخير وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة إيمانكم وتوفيق أن يكمل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق أن يختم بالسعادة عمرك أعظم نعيم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ [الآية: 186] أي عن قربي منهم وبعدي عنهم ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] أي: فقل لهم إني قريب ولسؤالهم مجيب قيل: إنه تمثيل لكمال علمه بأفعالهم وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم والأولى أن يقال له قرب بعبده على ما يليق به فإنه سبحانه في مقام المريد أقرب إلى المريد من حبل الوريد وقد قال بعض العارفين لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئاً سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب إلا لمن خالف هواه.

وقال سهل: أدنى مقامات القرب الحياء من الله والمعنى أقرب مقامات قرب العبد حياؤه من الرب أو أدنى حالات قرب الرب من العبد أن يستحي العبد من الغفلة عن الرب ثم في حذف السفير والواسطة حيث لم يقل فقل لهم إني قريب إشعار/ بكمال القرب فإن القريب لا يقول قل للسائل إني قريب 62/أ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] بحذف الياء فيهما وإثباتهما ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ [الآية: 186] أي: فليجيبوا إلى طاعتي والقيام بأمري ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [الآية: 186] وليثبتوا على الإيمان بي أو وليوقنوا بإجابتي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية: 186] راجين إصابة صوب الصواب وحصول الرشاد وحسن المعاد والمآب وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 176).

روي أن بعض الصحابة سأل النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه[1] فأنزل الله هذه الآية وفيها الإشارة إلى الحديث المشهور حين كان بعضهم رفعوا بالذكر والدعاء أصواتهم فقال لهم أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً بل تدعون قريباً مجيباً"[2].

وأفاد الأستاذ: أن سؤال كل أحد يدل على حاله لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دنيا ولا عن عقبى بل سألوا عن المولى فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [الآية: 186] فليس هؤلاء من جملة من قال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: 105] أو ﴿الْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: 1] أو ﴿الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219] وأمثال ذلك السؤال هؤلاء أقوام مخصوصون وإذا سألك عن الذين هم في أسر النفس أو حكم الخلق فجوابهم عليك فقل لهم ما نزلنا إليك وهؤلاء عبادي يسألونك عني فأنا أجيبهم وليس هذا الجواب بلسانك يا محمد وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق هذا الجواب أنا أتولاه فإني قريب رفع الواسطة في الإخبار عن القربة لم يقل فقل لهم إني قريب بل قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] وبين أن تلك القربة ما هي حيث تقدس الحق سبحانه عن اقتراب بجهة أو بعاد عن جهة واختصاص بقعة دون بقعة فقال ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] وأن الحق سبحانه قريب من الجملة والكافة بالعلم والقدرة والسماع والرؤية وهو قريب من المؤمنين على وجه الرتبة والنصرة وإجابة الدعوة وجل وتقدس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات وبالبقعة فإنه أحديّ لا يتجه في الأقطار وعزيز لا يتصف بالكنه والمقدار ثم لم يعد إجابته لمن كان باستحقاق زهداً وفي ضمان عبادة بل قال دعوة الداعي إذا دعان يعني كما دعاني وكيف ما دعاني وحيثما دعاني [ثم] / قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ [الآية: 186] هذا تكليف وقوله ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [الآية: 186] تعريف وتخفيف وقدم التخفيف على التكليف فكأنه قال إذا دعوتني عبدي أجيبك فأجبني أيضاً إذا دعوتك أنا لا أرضى برد

62/ب

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 114) رقم (101).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4205)، ومسلم في الصحيح (2704/ 44).

دعائك فلا ترضى عبدي بردي من نفسك إجابتي لك بالخير تحملك عبدي على دعائي لا دعاؤك يحملني على إجابتك ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ [الآية: 186] فليثقوا بي فإني أجيب من دعاني قال قائلهم:

لا أبتغي بدلاً سواك خليلة فثقي بقولي والكرام ثقات[1]

ثم قال في آخر الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية: 186] أي: ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك وولائك انتهى ولعل اعتراض هذه القصة الجلية بين السابق واللاحق من القضية للإشعار بإجابة دعوة الصائمين خصوصاً وسائر السائلين عموماً وقد ورد أن دعاء الصائم مستجاب لا سيما عند الإفطار وحصول الإيجاب وورد «أتاكم شهر رمضان شهر بركة ونزول رحمة ويستجيب الله فيه الدعاء ويحط فيه الخطايا وينظر الله إلى تنافسكم ويباهي الملائكة بكم»[2] وفي رواية «ويبعث الله منادٍ ينادي يا باغي الخير هلم ويا طالب الشر أمسك هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من تائب يتاب عليه»[3] و«لله عند وقت الفطر في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ستون ألفاً فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً في ستين ألفاً»[4] وفي رواية «شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره رضوان وعتق من النار» وفي رواية «فضل الجمعة في شهر رمضان على سائر الجمع كفضل رمضان على سائر الشهور»[5] وفي رواية «لله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فإن كان ليلة الجمعة عتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار»[6].

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 177)، (6/ 341).

(2) مجمع الزوائد (3/ 344) رقم (4783)، والمجالس العشرة (1/ 61) رقم (60).

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 123) رقم (10312)، ومسلم في الصحيح بنحوه (758/ 170).

(4) جامع الأحاديث (3/ 461) رقم (2583)، وشعب الإيمان للبيهقي (3/ 304) رقم (3606)، تنزيه الشريعة المرفوعة (2/ 185) رقم (26).

(5) جامع الأحاديث (14/ 440) رقم (14680).

(6) شعب الإيمان للبيهقي (3/ 335) رقم (3695)، والجامع الكبير للسيوطي (1/ 16659) رقم (540).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [الآية: 187] أي: التي يصبح منها صائماً ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ [الآية: 187] أي: الإفضاء بالجماع ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [الآية: 187] وذلك لأن المجامعة ما كانت تحل في ليالي الصيام في أوائل الإسلام وكذا الأكل والشرب بعد العشاء الآخرة أو المنام ثم أن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم منه وأتى النبي ﷺ واعتذر/ إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء[1] فنزلت الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية: 187] استئناف يبين قلة صبرهم وصحة أمرهم في عذرهم وموجب الإحلال بعد حلول هذا الحال لكون كل واحد من الرجل والمرأة.

63/أ

يستر حال صاحبه كالستور ويمنعه من الوقوع في الفجور أو لأنهما يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس في اشتماله على اللابس وقيل ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: فراش عند الجماع ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية: 187] أي: لحاف في حال الاجتماع ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 187] تظلمونها بتعريضها للعتاب وتنقيص حظها عن الثواب وهو أبلغ من تخونون كتكتسبون وتكسبون ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: عاد بالترخيص إليكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: ومحى ما ظهر قبل الرخصة منكم ﴿فَٱلْـَٰٔنَ﴾ [الآية: 187] أي: حين النسخ بنزول القرآن ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ [الآية: 187] جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: اطلبوا ما قدره لكم أو أثبته في اللوح المحفوظ من حصول الولد لكم والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون له في فعله تصحيح النية لا أن يقصد مجرد قضاء الشهوة ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [الآية: 187] أي: في الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [الآية: 187] غاية للأفعال الثلاثة والمعنى إلى أن يظهر ويتميز بياض الصبح من سواد الليل وقوله ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الآية: 187] بيان أن هذا الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره وتحقيقه أنه شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾

(1) تفسير أبي السعود (1/ 201)، وتفسير البيضاوي (1/ 486).

[الآية: 187] أي بالامتناع من هذه الأشياء فهو بيان لآخر وقت الصوم وقد استفيد أوله بقوله من الفجر وفي إخراج الليل عنه إشارة إلى منع الوصال والله أعلم بحقيقة الحال.

وقال الأستاذ: أخبر أن الحقيقة لا يعود إليها عائد من أوصاف الخلق إن كنت في العبادة التي هي حق الحق أو في أحكام العادة ومن صحبة جنسك التي هي غاية النفس والحظ فسيان في حالك أو ورد فيه الإذن نزلت الآية في زلة بدرت من/الفاروق فجعل ذلك سبب رخصة جميع المسلمين إلى يوم 63/ب القيامة هكذا أحكام العناية ويقال علم أنه لا بد للعبد من الحظوظ فقسم الليل والنهار وفي هذا الشهر بيّن حقه وحظك فقال أما حقي فـ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [الآية: 187] وأما حظك ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية: 187] ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ [الآية: 187] أي: المجامعة ومقدماتها بالشهوة ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ [الآية: 187] أي: معتكفون ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [الآية: 187] وهو لبث في المسجد بالنية وشرط الصوم في الاعتكاف واجب عندنا وفي غيره خلاف بين علمائنا وهو في العشر الأخير من رمضان سنة مؤكدة وفيما سواه مستحب وبالنذر واجب وجمع المساجد ليشمل جميع المشاهد وأفضل المساجد للاعتكاف المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم الأقصى ثم الجامع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن محل القربة مقدم عن اجتلاب الحظوظ فقال: إذا كنتم مشاغيل بنفوسكم كنتم محجوبين بكم فيكم وإذا كنتم قائمين بنا فلا تعودوا إليكم منّا ويقال غيرة الحق سبحانه على الأوقات أن يمزج الجد بالهزليات قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك فقال عليه السلام ذريني يا بنت أبي بكر أتعبد ربي وقال ﷺ لي وقت لا يسعني غير ربي[1] ﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 187] أي الأحكام التي ذكرت من الصوم وما قبله ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: ذوات حدوده ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

---

(1) المقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/ 173) رقم (2159).

[الآية: 187] بمخالفة أوامرها ونواهيها وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 187] أي: مثل ذلك التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 187] أي: سائر آياته وأحكام بيناته ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 187] أي: عموماً وللمؤمنين خصوصاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 187] أي: يحذرون مخالفة، أمره ونهيه وما يترتب عليها من العقوبة على وفق حكمه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 188] أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل في الشريعة من نحو الغصب والسرقة والجناية وبين نصب على الظرفية وفي ذكره إيماء إلى زيادة تقبيح أفعالهم فإن وقوع الذنب علانية إعلان بقبح حالهم ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ [الآية: 188] أي: ولا تلقوا حكومة الأموال ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ﴾ [الآية: 188] / أي: بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ [الآية: 188] 64/أ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 188] أي: بما يوجب إثماً كشهادة الزور والرشوة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 188] أنكم مبطلون وارتكاب المعصية مع العلم بها أدعى إلى العقوبة ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات[1].

وقال الأستاذ: إذا تحاكمتم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم بِعلمه ومحيط بكم فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه لا تسقطوا عن عينه ولئن كان المخلوقين متعلقين بالظواهر فالحق سبحانه متولي السرائر.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [الآية: 189] سأل معاذ بن جبل وغيره النبي ﷺ عن حكمة تغيير الهلال من زيادة الكمال ونقصان الحال[2] ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 189] أي: معالم لهم عموماً يوقتون بها أمورهم من حلول ديونهم ومعرفة مرور زمانهم وقدر أعمارهم وأجور أجرائهم ومدد حواملهم ومعالم للعبادات المؤقتة للمؤمنين خصوصاً يعرف بها أقواتها من الصوم والإفطار وعدة النساء ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 189] وخص بالذكر لأن الوقت مراعى فيه حال الأداء والقضاء.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (4/ 298) رقم (1306) واللفظ عنده: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد ثم يعظم ويستوي ويستدير...».

وأفاد الأستاذ: أن الأهلة مواقيت للناس لأشغالهم ومحاسباتهم وهي مواقيت لأهل القصة في تفاوت أحوالهم ومشاهدتهم فللزاهدين مواقيت أورادهم وعباداتهم وأما أقوام مخصوصون فهي لهم مواقيت حالاتهم قال قائلهم.

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار[1]

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [الآية: 189] كان الرجل في الجاهلية في حال إحرامه ينقب في بيته نقباً من مؤخره يخرج منه ويدخل به.

فاعلمهم الله بأنه ليس ببر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ [الآية: 189] تقدم الخلاف ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 189] أي: بر من اتقى مخالفة المولى.

وقال الأستاذ: يعني ليس البر مجرد مراعاة الظواهر بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [الآية: 189] أي: واتركوا سنة الجاهلية وأربابها وباشروا الأمور من وجوهها وأسبابها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 189] في تغيير أحكامه وما في معناه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 189] أي: لكي تظفروا بالبر فيما تعملون ولما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية/ إلى المدينة السكنية حين صده المشركون عن الكعبة الأمينة وصالحهم على أن يرجع السنة الآتية ويخلوا له مكة ثلاثة أيام تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه في ذي العقدة لعمرة القضاء وخافوا من قريش عدم الوفاء وكره أصحاب محمد ﷺ قتالهم في الحرم وفي الشهر المحترم[2] نزل قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 190] أي: في إعلاء كلمته وإعزاز دينه وطاعته ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [الآية: 190] أي: بالمدافعة عن بيته ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [الآية: 190] أي: بابتداء القتال وهذا الحكم كان في أول الحال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 190] أي: لا يريد الخير بالمتجاوزين عن الحد في أمر الدين.

64/ ب

(1) نسب إلى عدّة ومنهم قيس بن الملوّح. انظر: دواوين الشعر العربي (9/ 196)، ومنهم الصمة بن عبد الله القشيري. انظر: لسان العرب (4/ 555)، وتاج العروس (1/ 3175).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (7/ 383) رقم (36843) وهي قصة مشهورة ذكرت في كتب التفاسير والسيرة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى ليكن نفوسكم عندكم ودائع الحق إن أمر بإمساكها أمسكوها أو صونوها وإن أمر بتسليمها إلى القتل فلا تدخروها وهذا معنى قوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [الآية: 190] وهو أن تقف حيث ما وقفت وتفعل ما أمرت.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] حال نقض عهدهم أو عند الغلبة عليهم ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي وجدتموهم في حل أو حرم وإحلال وإحرام.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [الآية: 191] أي: من البلد الحرام.

قال الأستاذ: يعني عليكم بنصب المعاداة مع أعدائي كما أن عليكم إثبات الموالاة مع أوليائي فلا تبقوا عليكم وإن كانت بينكم أواصر(1) الرحم ووشائج القرابة وأخرجوا أولاً حبهم وموالاتهم من قلوبكم ثم أزعجوهم من أوطان الإسلام ليكون الصغار جارياً عليهم والعز لازماً بكم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ [الآية: 191] أي شركهم في الحرم أو صدهم إياكم عن البيت المعظم ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] أي: أعظم من قتلكم إياهم أو المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الأوطان أتعب عليه من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها.

وأفاد الأستاذ: أن المحنة التي ترد على القلوب من طوارق الحجب أشد من المحن التي ترد على النفوس من بذل الروح لأن فوات حياة القلوب أشد من فوات حياة النفوس إذ النفوس حياتها بمألوفاتها وحياة القلوب لا يكون إلا بالله ويقال ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] إن تبقى عن الله أعظم من أن تبقى عن روحك وحياتك ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 191] أي: حرمة له لكونه حرمه ﴿حَتَّىٰ/ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 191] فيكون هتك حرمة الحرم منهم ويصير قتالكم معهم ودفعاً لهم ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي: مكافأة لهم ولا تبالوا بهم وفي قراءة حمزة والكسائي ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ﴾ [الآية: 191] والمعنى حتى يقتلوا بعضكم ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 191] أي: مثل ذلك جزاؤهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم.

65/أ

(1) الوصر: لغة في الأصر بمعنى العهد. والوشائج: الوسائل.

وقال الأستاذ: لا تشوش وقتك مع الله إذا كان بوصف الصفوة بما تدخله على نفسك وإن كانت نوافل من الطاعات فإن زاحمك مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكن لئلا يبقى لك علاقة قصدك عن الله.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ [الآية: 192] أي: عن القتال معكم والكفر بمولاكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 192] يغفر لهم ما قد سلف ولو ذنب عظيم ويترحم عليهم بالإحسان إليهم.

قال الأستاذ: إذا انقطع عنك غاغة خواطرك وأعداء نفسك مما يخرجك عنه ويزاحمك فسلم حديث النفس ودع مجاهدتها فإن من طولب بحفظ الأسرار يتفرغ إلى مجاهدات النفوس بفنون المخالفات.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 193] أي: شرك والمعنى حتى يسلموا إذ لا يقبل من المشرك الوثني الجزية ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 193] أي: خالصاً لله فلا يعبد إلا إياه ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ [الآية: 193] عن كفرهم ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ [الآية: 193] أي: فلا اعتداء بالقتل والنهب ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 193] أي: الثابتين على ظلمهم باختيار ظلمة شركهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من الآية إلى مجاهدة النفوس فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[1] أي: استوف أحكام الرياضات حتى لا يبقى لآثار البشرية شيء وسلم النفس والقلب لله فلا يكون معارض ولا منازع منك لا بالتوقي ولا بالتلقي ولا بتدبير ولا باختيار بحال من الأحوال يجري عليك صروفه كما يريد وتكون محواً عن الاختيارات بخلاف ما يرد به الحكم فإذا استسلم النفس ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى﴾ [الآية: 193] أرباب التقصير فأما من قام بحق الأمر تفصى عن عهدة الإلزام.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 194] قاتلهم المشركون بصدهم المؤمنين

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 359) رقم (355)، وانظر: تخريج الأحاديث الإحياء (6/ 213) رقم (2564) ومن رجاله وضاع.

65/ب عام الحديبية في ذي القعدة الحرام واتفق خروج المسلمين لعمرة القضاء/ فيه بعد ذلك العام وكرهوا أن يقاتلوهم في الشهر الحرام والحرم والإحرام فقيل هذا الشهر بذاك فلا تبالوا بما هناك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾ [الآية: 194] أي: ذوات قصاص وتماثل من غير اختصاص كما قال ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ﴾ [الآية: 194] وهو فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وسمي جزاء الاعتداء للمشاكلة الملحوظ فيها المقابلة نحو وجزاء سيئة سيئة ولما فيه معنى الصورة في المشابهة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إذا تقابل حقان كلاهما لله فسلم الوقت لحكم الوقت ودره مع إشارات الوقت وإياك أن ترجح أحدهما على الآخر بما لك فيه حظ وإن قل فتحتجب حينئذٍ عن شهود الحق وتعمى به بصيرة قلبك وكل ما كان إلى خلاف هواك أقرب وعن استحلاتك وبسكونك إليه أبعد كان ذلك في نفسه أصوب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 194] أي: في الانتصار ولا تعتدوا على غير الأغيار ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 194] أي: بالنصرة والإظفار.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 195] أي: في جهات رضاه ﴿وَلَا تُلْقُوا۟﴾ [الآية: 195] أي: أنفسكم ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 195] أي باختياركم واقتداركم ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [الآية: 195] أي: إلى ما ينجر إلى الهلاك والفساد وهو ترك الجهاد أو إلى حب المال والإمساك فإنه يؤدي إلى طول الآمال وحصول الإهلاك ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ۛ﴾ [الآية: 195] أي: في سائر الأخلاق والأعمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 195] فيجازيهم على إحسانهم بتحسين المآل.

وأفاد الأستاذ: أن إنفاق الأغنياء بأموالهم وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف على وفق أمره وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حكمه وإنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهمم إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس وإنفاق الفقراء إخراج الأغيار من النفس النفيس وإخراج الموحدين إخراج الخلق من السر والإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية:

195] إلى إمساك يدك عن البذل فمن أمسك يده وادخر شيئاً لنفسه فقد ألقى بيده ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [الآية: 195] ويقال: أشار إلى إيثار هواك على رضى مولاك ويقال التهلكة هي الغفلة عنه بالاختيار ويقال توهم أنك تعيش من غير لطفه وإقباله/ 66/أ لحظة ويقال: الرضا بما أنت فيه من الحجاب والفترة ويقال: إمساك اللسان عن دوام الاستغاثة والاستعانة في كل نفس ولمحة وأما قوله ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ [الآية: 195] فالإحسان أن ترفق مع كل أحد إلا معك فإحسانك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في طي الأعمار وذلك لارتكابك به كل شديدة ومقاساتك فيه كل عظيمة والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية والإحسان أيضاً تفرغك إلى قضاء حق كل أحد علق عليك حديثه والإحسان أن تعبده على غير غفلة والإحسان أن تعبده وأنت بوصف المشاهدة.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ﴾ [الآية: 196] أي الفرض ﴿وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [الآية: 196] أي: السُنَّة المؤكدة لله أي خالصتين له من غير رياء وسمعة وارتكاب معصية وإتمامهما القيام بشرائطهما وأركانهما وواجباتهما ومستحباتهما وترك مفسداتهما ومحظوراتهما ومكروهاتهما وقرئ وأقيموا الحج والعمرة لله أو المعنى أتموهما إذا شرعتم فيهما ولو أفسدتموها.

وأفاد الأستاذ: أن الحج هو القصد فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق فالأول حج العوام والثاني حج الخواص فكما أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ويحلق فكذا من يحج بقلبه فإحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ثم يتجرد عن مخالفته ثم باشتماله بثوبي صبره وفقره وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق المنى وما في هذا المعنى ثم الحاج أشعث أغبر فكذلك يظهر عليه آثار الخشوع وأنوار الخضوع وأسرار تلبيته لك باستجابة كل جزء منك وأفضل الحج الثج والعج[1] والثج صب دم الذبيحة والعج رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين المخالفة

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 620) رقم (1655)، وابن ماجه في السنن (2/ 975) رقم (2924)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 428) رقم (3974)، وأبو يعلى في المسند (9/ 19) رقم (5086).

ورفع أصوات السر بدوام الاستعانة وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة فموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات لعز الذات عن المواصلات ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز والسعي بالأسرار بين وصفي كشف الجلال ولطف الجمال ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات والمنى والمعارضات ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي: حبستم ومنعتم عن البيت والوقوف أو عن الكعبة في العمرة من جهة عدو ومرض وغيرهما كذهاب النفقة وموت المحرم للمرأة ونحوهما ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية: 196] أي: فعليكم إن أردتم التحلل ما تيسر من جنس الهدي الشامل للإبل والبقرة والشاة/ بشرط أن تذبح في الحرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [الآية: 196] أي: وأنتم محرمون ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [الآية: 196] أي: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وهو الحرم لقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95]. 66/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الحصر بأمرين العدو أو مرض فالإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم يجد بداً من الإناخة بعقدة الرخص وتأويلات العلم فعند ذلك يتحلل بموجب العذر والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم ثم الهدي الذي يهدى به عند التحلل بالعذر الخروج عن المعلوم وتسليمه للفقراء أو انتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر وإن مرضت الإرادات وسقمت القصود وآل الأمر إلى التكلف فليجتهد أن لا ينصرف كما أنه في الحج الظاهر يجتهد بأن لا ينصرف بكل مرض وإن احتاج إلى اللبس والحلق وغير ذلك بشرط الفدية ثم إن عجز اشترط أن محله حيث حبسه فكذلك يقوم ويقعد في أحكام الإرادة وأوصاف القصد فإن رجع والعياذ بالله لم يقابل إلا بالرد والصد.

فلا عن قلبي كان التفرق بيننا ولكنه دهر يشتُّ ويجمع[1]

وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [الآية: 196] إشارة إلى أنه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 187).

يبذل ما أمكنه ويخرج عن جميع ما ملكه وعليه آثار الحسرة واستشعار الحجبة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ [الآية: 196] أيها المحرمون ﴿مَّرِيضًا﴾ [الآية: 196] أي: مرضاً يحوجه إلى لبس المخيط واستعمال الطيب ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [الآية: 196] كقمل وجراحة وصداع يضطره إلى حلقه ففعل إحدى هذه المحظورات عند الضرورات ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ [الآية: 196] أي: فعليه فدية مخيرة ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ [الآية: 196] أي: في ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ [الآية: 196] أي: تصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من أو صاع من غيره عندنا ومدان عند الشافعي ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ [الآية: 196] أي: ذبح نسيكة وهي الذبيحة وأقلها شاة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أنه يبتهل ويجتهد بالتطواف على الأولياء والخدمة للفقراء والتقرب بما أمكنه من وجوه الاحتيال والدعاء انتهى ولا يبعد أن يقال أنه يرجع عند الابتلاء بالبلاء إلى آداب أهل الولاء من الإمساك عن متابعة الهوى والأهواء كما هو شأن أرباب الفيض من الأصفياء إلى أن يحصل البسط والصفاء والوفاء والضياء ومن الإنفاق بطريق الإحسان على قدر الإمكان على المساكين والضعفاء/ ليرتفع عنه البلاء بالدعاء ومن 67/ أ مجاهدة النفس وذبحها عن مشتهياتها حتى تعود إلى حالة الفناء ومقام البقاء والموت على حصول الرضا الموجب لوصول اللقاء ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ [الآية: 196] أي الإحصار أو إذا كنتم في حال الأمن والقرار ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 196] أي: استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله تعالى بأعمال العمرة قبل المباشرة بتقربه بالحج في أشهره سواء أفرد بينهما في الإحرام أو جمع بينهما من أحد مواقيت البيت الحرام ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [الآية: 196] فعليه دم شكر لتوفيق الجمع بين النسكين في سفر واحد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 196] أي: الهدي أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 196] أي: في أشهره والأحب أن يكون أولاً وآخرها يوم عرفة أو قبله ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي إلى أهليكم أو نفرتم وفرغتم عن نسككم ﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 196] أي: جملة الثلاثة والسبعة ﴿عَشَرَةٌ﴾ [الآية: 196] جملة مؤكدة وفي اصطلاح الحساب فذلكة ليعلم العدة مفصلة ومجملة ومن فائدتها أن لا يتوهم كون الواو بمعنى الترديدية أو أن المراد بالسبعة

الكثرة أو لا يقع التصحيف بين السبعة والتسعة في القضية الرسمية ثم قوله ﴿كَامِلَةٌ﴾ [الآية: 196] صفة مؤكدة لزيادة المبالغة أو مقيدة مفيدة كمال بديلتها من الذبيحة.

وقال الأستاذ: فإذا تجلى أقمار القصود عن كسوف التعذر وانجلت غيابة الحجبة عن شموس الوصلة وأشرق نور الإقبال في تضاعيف أيام الوقفة فليستأنف للوصلة وقتاً وليفرش للقربة بساطاً وليجدد للقيام بحق السرور نشاطاً وليقل حيّ على البهجة فقد مضت أيام المحنة وليكمل الحج والعمرة وليستلزم القيام بأحكام الصحبة والخدمة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 196] أي: جواز التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 196] إذ لا متعة ولا قران للمكي بل هما مختصان للآفاقي عندنا وأما عند الشافعي فالإشارة إلى الحكم المذكور من الهدي والصيام المسطور واللام تؤيدنا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 196] أي: في المحافظة على أوامره ونواهيه خصوصاً حال مباشرة مناسكه ومواصلة شعائره ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] أي: لمن لم يكن من أهل التقوى عن مخالفة المولى من أصحاب الاجتناب عن كل باب سوى باب رب الأرباب.

وأفاد الأستاذ: أنه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] بالحجاب لمن لم يره أهل الوصلة والاقتراب/ ﴿ٱلْحَجُّ﴾ [الآية: 197] أي: وقت أعماله ووقت إحرامه عند الشافعي ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [الآية: 197] أي: معروفات مشهورات وهي شوّال وذي القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسع عند الشافعي وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الاختلاف مبيّنة في كتب الخلاف وسمي شهران وبعض الشهر أشهراً إقامة للاكثر مقام الكل ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [الآية: 197] أي: أوجب على نفسه الحج بإحرامه في الأشهر والتقييد بهن لدفع الحرج المكروه فيما قبلهن بناءً على قواعد علمائنا من أن الإحرام شرط فيصح وجوده قبل الوقت خلافاً للشافعية فإنه ركن عندهم فلا يصح أن يتقدم والله أعلم والحاصل أن من أحرم بالحج لزمه إقامته بجميع مأموراته وانتهاؤه عن محظوراته ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [الآية: 197] أي: فلا جماع ومقدماته ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ [الآية: 197] أي: ولا خروج عن الطاعة بارتكاب

67/ب

المعصية فإنها أقبح في تلك الحالة ومنها مباشرة المحظورات والإصرار على السيئات بترك التوبة وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه[1] وفي قراءة المكي والبصري برفعهما منوناً على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق وأما قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ [الآية: 197] فبالفتح لا غير على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع أمر الخلاف بأن أمروا أن يقفوا مع غيرهم بعرفات وقيل معناه لا مخاصمة مع الخدم والرفقة وغيرهم فيما يتعلق بأمر الدنيا حتى يقضيهم والحاصل أن الكل نفى معناه النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقة بأنها لا تكون موجودة أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 197] أي: في حال مباشرته من أول إحرامه إلى آخر إتمامه إلا أن ما عدا الجماع من المحظورات يحل بالحلق والجماع بالطواف عندنا وبالسعي عند الشافعي.

وأفاد الأستاذ: فيه الإشارة لمن سلك طريق الإرادة أن لا يعرج على شيء في الطريق ولا يمزج إرادته بشيء مما يحصل به التعويق فمن نازعه أو عارضه أو زاحمه سلم الكل للكل فلا لأجل الدنيا مع أحد تخاصم ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد تزاحم قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: 63] ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 197] أي:/ 68/أ فيكفيكم علمه على ما سواه ويجازيكم على وفق ما قدره وقضاه ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [الآية: 197] أي: لميعادكم بالاتقاء عن غير رضى المولى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 197] أو المعنى تزودوا ما تتبلغون، وجوهكم عن السؤال تكفون، أنفسكم عن الظلم والظلمة تمنعون، ولا تقولوا نحن متوكلون وأنتم متواكلون حيث تحجون وتسألون، بل وحجكم وعمرتكم تبيعون، وقصدكم ومشقتكم تضيعون.

قال السلمي: هذا خطاب للخاص ولأنه لا زاد للعارف سوى معروفه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1819)، ومسلم في الصحيح (1350/ 438).

ولا للمحب سوى محبوبه وأنشد:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا ... كفى لمطايانا بذكرك حاديا[1]

﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 197] فإن قضية اللب في حكم الحب خشية الرب وتقوى القلب حثهم أولاً على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو المولى فيتبرؤوا عن كل شيء من السوى كما هو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذا خص أولوا الألباب بهذا الخطاب.

قال الواسطي: عاتبهم لأنه أحبهم.

وقال الأستاذ: وتقوى العوام مجانبة الزلات في الظواهر وتقوى الخواص مجانبة الأغيار بالسرائر.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 198] أي بأس بل مباح ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ [الآية: 198] أي: في أن تطلبوا ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: عطاءً ورزقاً منه بالتجارة وقصد الربح فيها للإعانة على الزاد وتصدق الزيادة على العباد بشرط أن يكون القصد الحقيقي من الإرادة في السفر والتجارة حصول الطاعة ووصول العبادة ليكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37] وقد حكي عن الشيخ بهاء الدين النقشبندي أفاض الله علينا من أسرار بهائه وأنوار ضيائه أنه قال: رأيت في حجي أمرين غريبين أحدهما شاب في سوق منى باع كذا ألفاً من متاع الدنيا ولم يغفل لمحة عن المولى والآخر شيخ في الملتزم يطلب الدنيا والدرهم وليس له إلا هذا الهم.

وأفاد الأستاذ: أن ما تبتغي من فضل الله مما يعينك على قضاء حقه أو يكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين فهو محمود وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك فهو معلول ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ [الآية: 198] أي: انصرفتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [الآية: 198] أي: من أي جزء من أجزائها وإنما سمي الموقف عرفة لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصره عرفه أو لأن آدم وحواء

---

(1) نسب إلى عمرو بن شاس. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 343)، وديوان المعاني (1/ 93).

تلاقيا فيه وتعارفا ولا يبعد أن يقال لأنها تعرف الخلق بالإشارة إلى جمع الميثاق وإلى الاجتماع يوم التلاق ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 198] أي: في مزدلفة وخص المشعر لأنه أفضل/ موافقة وسمي به لأنه معلم العبادة 68/ب للعباد ووصف بالحرام لاحترامه للجمعة أنه من الحرم المحترم.

وقال الأستاذ: إذا وقفت حتى قمت بحق طلبه فاذكر فضله معك لأنه لولا أنه أرادك وإلا لم ترده ولولا أنه اختارك وإلا ما آثرت رضاه ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: كما علمكم وأولاكم بالهداية إلى ذكر مولاكم لولا الله ما اهتدينا ولا ذكرناه ولا لبينا[1] ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾ [الآية: 198] أي: وقد كنتم من قبل الهداية والدلالة الموصلة ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الآية: 198] أي: الجاهلين بالإيمان والطاعة والغافلين عن الذكر والتلبية.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [الآية: 199] أي: من عرفة لا من مزدلفة والخطاب لقريش حيث كانوا يقفون بمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويقولون نحن جماعة الحرم لم نخرج من المكان المحترم مريدين بذلك ترفعاً على سائر الأمم فأمروا بأن يساووهم في أمر العبودية حتى يكون إفاضتهم مع الناس من عرفة وقيل: من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إلى هنا فالخطاب عام وقرئ الناس بالكسر أي: الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] وقد قيل: أول الناس أول الناسي والمعنى أن الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة شرع قديم من آدم إلى إبراهيم من آبائكم ولا تغيروا القضية بآرائكم ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 199] من ذنوبكم وعيوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 199] لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 199] بمن آب.

قال ابن عطاء: إذا عمرتم بواطنكم بذكري فارجعوا إلى ما رجع إليه العامة من القيام برسوم العبودية واستغفروا الله عن اشتغالكم بما سواه إن الله غفور للمطيعين تقصيرهم في طاعته رحيم بالعاصين أن يردهم برحمته إلى باب

(1) ورد بلفظ «والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (4196)، ومسلم في الصحيح (1802/ 123).

عبادته ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: أديتم عبادات حجكم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: فاكثروا ذكره كمبالغتكم في ذكركم أسلافكم وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل من منازلهم فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم ووقائهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [الآية: 200] بل اذكروه بلسانكم وجنانكم أكثر ذكراً من ذكركم لآبائكم لأنهم من جملة إحسانكم.

ففي «تفسير السلمي» قيل: معناه إنك تذكر إحسان أبيك فتذكره بذلك أبداً وإحساني إليك أقدم وأزيد سرمداً فاذكر ذكري أكثر من ذكر/ غيري فإن من رأى بِرَّه أكثر ذكره وأفاد الأستاذ أن في قوله ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق العبودية وفي ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق المحبة قضاء المناسك قيام بالنفس للاستقامة في الأمر والذكر قيام بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر ويقال كما أن الأغيار يفتخرون بآبائهم ويستشرفون بأسلافهم فليكن افتخاركم بنا واستشرافكم بذكرنا ويقال؛ إن كان لآبائكم حق التربية فلنا حق الألوهية والربوبية فمن الناس من يقول: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية: 200] أي: اجعل عطانا في دنيانا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [الآية: 200] أي: وليس له نصيب وحظ في الأخرى لأن همه مقصور بالدنيا غير متعدٍ إلى فضل المولى.

69/أ

وأفاد الأستاذ: أن منهم من لم يجنح قلبه إلينا ويرضى بدوننا عنا فلا يبصر غير نفسه وحظه ولا إيمان له بربه وحقه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] أي: الصحة والقناعة والكفاف وتوفيق الخير والعفاف وفي الحديث أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[1] ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] أي: المغفرة والرحمة

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2721/ 72) وابن ماجه في السنن (2/ 1260) رقم (3832)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 522) رقم (3489)، وابن حبان في الصحيح (3/ 182) رقم (900)، وأحمد في المسند (1/ 416) رقم (3950).

والمثوبة والدرجة وقنا عذاب النار أي احفظنا بالاتقاء عن موجبات العقوبة، وقال علي كرّم اللّه وجهه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء الحسنة، وعذاب النار المرأة السليطة.

وقال الحسن البصري: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 201] احفظنا من الشهوات والسيئات المؤدية إلى العقوبة وقال بعضهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] الإعراض عنها ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] ترك الاشتغال بها ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 201] نيران شهواتنا فإن ما شغل عنك فهو شؤم وقال بعضهم في الدنيا المعرفة وفي الآخرة الرؤية فإن الحجاب أشد العذاب وقيل:﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ محبة ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حذقة الفرقة وقيل: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ذكرك ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربك ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حرمان شكرك ولا يبعد أن يقال أتي بحسنة منكرة ليشمل كل حالة معروفة ومرتبة مستحسنة وعذاب النار نار الندامة والملامة على الغفلة وترك المعرفة وعدم الإنابة وأخبرني زبدة الأولياء زكريا/ عن شيخه أبي الحسن البكري قدّس سره السري أن في الآية 69/ب ذكر سبعون إشارة وأجمعها وأنفعها هذه العبادة ربنا ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ اتباع الأولى ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ التوفيق الأعلى ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حجاب المولى.

وقال الأستاذ: إنما أراد حسنة يتنظم بوجودها جميع الحسنات والحسنة في الدنيا التي بها يحصل جميع الحسنات حفظ الإيمان عليهم في المآل فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لم يخلد في النار وبفوات هذا لا يحصل شيء والحسنة التي ينتظم بها حسنات الآخرة المغفرة فإذا غفر فبعدها ليس إلا كل خير ويقال: الحسنة في الدنيا شهوده بالأسرار وفي الآخرة رؤيته بالأبصار قلت: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وصحبة الأشرار ورؤية الأغيار قال: ويقال حسنة الدنيا أن يغنيك عنك وحسنة الآخرة أن لا يردك إليك قلت: وعذاب النار بعده منك وغضبه عليك قال: ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة الآخرة تحقيق الوصلة قلت: وعذاب النار تضييق الفرقة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 202] أي: الفريق الثاني أو مجموع الفريقين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية: 202] أي: من جنسه أو من أجله أو مما دعوا به.

قال الأستاذ: إن كان خيراً فخير وإن كان غيراً فغير ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية: 202] أي: المجازاة فبادروا إلى اكتساب الحسنات واجتناب السيئات.

وقال الأستاذ: هو للعوام في العرصة وللخواص في كل لحظة ولمحة ويقال: ذكر فريقين منهم من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وثانٍ من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ والعقبى وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه المستسلمون لأمره الساكتون عن كل دعاء واقتضاء انتهى فكأنه قال: ومنا لا منهم من لم يطلب غيرنا عنا فمن تغنى بنا فما تغنّى عنا وقد يقال هم خواص الفريق الثاني الذي جمعهم الإيمان بالمثاني اندراج المعاني في المباني لكنهم لما كانوا محبين في مرتبة المحبوبين جعلهم عن الأغيار مستورين وفي ذيل عنايته محجوبين كما يشير إليه الحديث القدسي والكلام الأنسي «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» وبه يتم التقسيم السديد كقوله: فمنهم شقي وسعيد.

70/أ ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية: 203] أي: أوقات قليلات/ أي: لاكتساب غنيمات ومنها التكبيرات أيام التشريق في إدبار الصلوات وعند ذبح قربان القربات ورمي الجمرات في أوقات منى وحالات منى ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ [الآية: 203] أي: استعجل لِلخروج عنها ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية: 203] أي: من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني منها بعد رمي الجمار فيها قبل طلوع الفجر عندنا وقبل الغروب عند غيرنا ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 203] في تعجله ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ [الآية: 203] في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال أو ولوا قبله ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 203] في تأخره بل هو أفضل من تقدمه وإنما ذكر على وجه التخيير في القضية رداً على أهل الجاهلية فإن منهم من أثَّم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 203] خبر مبتدأ مقدر أي: نفي الإثم في تعجله وتأخره في حجه وحده من عمره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 203] في مجامع أموركم لتحصول أجوركم ووصول حضوركم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 203] أي:

موقف حكم للجزاء بعد الإحياء تجمعون وتنشرون.

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية صفة أواخر النسك وهو الرمي في أيام منى لما قاموا بأركان الحج وخفف عليهم بأن خيرهم في الإقامة والإفاضة والتعجيل في التفرقة والإشارة منه أن من خمدت نفسه وحي قلبه واستدام شهوده فإن سقط عنه شيء من فروع أوراده ففيما هو له مستديم من آداب حضوره عوض عن الذي يفوته من سروره.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 204] أي: كالمنافقين والمرائين ﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ [الآية: 204] قوله أي: يعظم في نفسك ما يقوله ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 204] أي: في أمورها وأسباب معاش سرورها أو في معنى الدنيا الدنية فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان والمعرفة ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ [الآية: 204] أي: ويحلف بالله وشهده شاهداً على أن ما في جنانه موافق للسانه ويؤيده أنه قرأ ويستشهد الله على ما في قلبه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [الآية: 204] أي: شديد المخاصمة لأهل الإسلام.

وقال الأستاذ: أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان ولكن ربط على قولهم أسباب الحرمان فهم في غطاء جهلهم ليس وراءهم معنى ولا على قلوبهم اعتماد ولا على إيمانهم اتكال ولا بهم ثقة بوجه والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم يساعدهم أنوار البصيرة/ فهم مربوطون بالأحكام الظاهرة لا لهم بهذا الحديث إيمان ولا بهذه الجملة استبصار وإيقان فالواجب صون الأسرار عنهم فإنهم لا يقابلون بهذا الحديث إلا بالإنكار منهم فمن كان أهل الوراعة من العوام الذين في قلوبهم تعظيم لهذه الطريقة ولهم إيمان على الجملة بهذا الحديث فهو أقرب إلى هذه الحقيقة من كثير ممن عد نفسه من الخواص فهو بمعزل عن الإيمان بهذا الأمر الخاص.

70/ب

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 205] أي: أدبر عن خدمتك وأعرض عن حضرتك ﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 205] أي: في تخريبها وإهلاك أهلها ﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا

وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [الآية: 205] أي: كما يفعله ولاة السوء بالإتلاف والقتل ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [الآية: 205] أي: ولا يرضى بفساد العباد ولو كان الفساد في البلاد ومن جملة ما قضاه وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه فهو لا يبالي بما ينحلّ من عرى الدين وهي من أسباب المسلمين بعدما يشد حبال دنياهم وينتظم أسباب مناهم من حرام جمعوه وحطام حصلوه فإذا خلا بِوساوسه وقصوده الردية سعى في الفساد بأحكام الأسباب الدنيوية واستعمالهم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله البصيرة من قلوبهم ثم قال ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ وما كان فيه خراب الأمور الدينية ونظام الأحوال الدنيوية فهو الفساد الظاهر والبلية الجلية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 206] أي: في فعلك وأمرك وحكمك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 206] أي: حملته الأنفة وحمية الجاهلية على تصميم إثمه المأمور بتركه أو أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام الجلية فالباء للسببية ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ [الآية: 206] أي: فكافيه ﴿جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 206] جزاءً لفعله ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الآية: 206] أي: المقر للعباد وحذف المخصوص بالذم للعلم بالمراد.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء قوم استولى عليهم التكبر والعناد وزال عنهم خضوع الإنصاف في حق العباد فشمخت آنافهم عن قبول الحق وحصول الصدق فإذا أمرته بمعروف قال: ولمثلي يقال هذا وأنا كذا وكذا ثم يكرّ عليك عاطفاً من غير أن يكون ملاطفاً فيقول: وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كذا وكذا ولو ساعده التوفيق/ 71/أ وأدركته الرحمة على التحقيق لتقلد المنّة لمن هداه إلى رؤية خطئه ونبهه عن سوء وصفه ولم يطو لنا صحة على أحنة تبقى آثارها في القلب عشرين سنة فحسبه جهنم يعني ما هو فيه من الوحشة وظلمات نفسه وضيق اختياره حتى لا يسعى في شيء غير مراده فيقع في كل لحظة غير مرة في عقوبة ومحنة ثم إنه منقول من العذاب الأدنى في الدنيا إلى عقاب العقبى وهو أشد وأبقى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [الآية: 207] أي: يبيعها ببذلها في مرضاة ربها من الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعباد أو الاجتهاد في أمر زاد المعاد ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 207] أي: طلباً لرضاه لا لغرض سواه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية: 207] حيث هداهم إلى طريق الرشاد وسبيل الاجتهاد والجهاد.

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين أدركتهم خصائص الرحمة ونعشتهم سوابق القسمة فآثروا رضى الحق على هواهم واستسلموا بالكلية لمولاهم ولرأفته بهم وصلوا إلى هذه الأحوال لا بهذه الأحوال استوجبوا رأفته في المآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ [الآية: 208] بفتح السين نافع وابن كثير والكسائي أي: في الإسلام والاستسلام ﴿كَآفَّةً﴾ [الآية: 208] أي: جملة لأنها تكف الأجزاء من التفرقة وهي حال من الفاعل أو المفعول لأن السلم بمعنى الصلح تؤنث كالحرب والمعنى أطيعوه جملة إطاعة ظاهرة وباطنة أو في شرائع الإسلام وفروع الأحكام بالتمام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 208] بالتفرق والتقرير ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 208] أي: ظاهر العداوة في طريق التحقيق.

وقال الأستاذ: كلف المؤمن بأن يسالم كل أحد إلا نفسه فإنها لا تتحرك إلا بمخالفة سيدها فإن من سالم نفسه في عبادته فتر عن اجتهاده ومجاهدته وذلك سبب انقطاع كل مريد وموجب فترة كل مزيد وخطوات الشيطان ما يوسوس إليك من القيام باستيفاء أحكام معاملة الإسلام وتلك نزعات لا عبرة بها ولا ينبغي أن يلتفت إليها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: 7] ثم أبصروا ما الذي فعل به حين ألقاه وكيف رده إليها بعدما نجاه.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ [الآية: 209] أي: تنحيتم عن الدخول في السلم الذي أمرتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 209] أي: الآيات/ الواضحات 71/ ب

والمعجزات اللائحات على أنه الحق بالبراهين الواضحات ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 209] لا يعجزه الانتقام ولا يغلبه المرام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 209] لا يأمر إلا بالصدق ولا ينتقم إلا بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الزلة الواحدة بعد كشف البرهان أقبح من كثير منها قبل ذلك الزمان ومن عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الأمانة ومحن الأكابر إذا حلت في القضية ولو بالجزئية كان فيها استئصالهم بالكلية.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 210] أي: هؤلاء الممتنعون عن الدخول فيما دخل فيه المسلمون والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 210] ببأسه أو يأتيهم أمره أو بأسه ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ [الآية: 210] جمع ظلة بِالضم وهي ما أظل ﴿مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [الآية: 210] أي: السحاب الأبيض فتقع العقوبة أشد فظاعة لأنه مظنة الرحمة. والشر إذا جاء من من حيث يحتسب النعمة كان أصعب البلية ففيه إيماء إلى أن القضية إنما تكون بغتة وفجأة. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 210] فإنهم الواسطة في إتيان أمره والآتون ببأسه الموكلون على عذابه ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [الآية: 210] أي تم أمر إهلاكهم وتحقق وقوع هلاكهم فوضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه أو المعنى فرغ من أمر حسابهم فأوقعوا في عقابهم وذلك يوم القيامة جزاءً على اكتسابهم وارتكابهم أو فرغ أمره فيهم لما تعلق قضاؤه وقدره بهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الآية: 210] بصيغة المجهول أي: إلى حكمه ترد أمورهم، وبالمعلوم للشامي وحمزة والكسائي أي: إلى أمره تؤول شؤونهم.

وقال الصادق: هل ينظرون إلا إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق إليهم ونظر العناية إليهم فيكشف عنهم أستار الغفلة فيشهدون بره ولطفه بل يشاهدون البار اللطيف ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [الآية: 210] أي: وصلوا إلى ما سبق لهم في الأزل من إحدى المنزلتين وقال أيضاً: أي كشف عن حقيقة الأمر ومغيبه.

وقال الأستاذ: استبطأ القوم قيام الساعة فأخبروا عن شدة الأمر إذا قامت القيامة بتفصيل ما ذكر من الأحوال وتلك الأفعال في معنى الأهوال يظهر الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علو شأنه سبحانه ونفاذ قدرته

في ما يريده وقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 210] أي: انهتك ستر الغيب عن صريح التقدير السابق ولكن استغنى قلوب/ الموحدين بما فيها من أنوار البصائر 72/أ عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذا لحق سبحانه منزه عن كل انتقال وزوال واختصاص بمكان أو زمان ومقدس عن كل حراك وإتيان.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 211] لتبكيتهم وتقريعهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ [الآية: 211] أي: معجزة ظاهرة كالفلق والغرق والعصا واليد البيضاء وكم خبرية أو استفهامية ومحلها النصب على المفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن فائدة السؤال ليقرر عليهم بسؤاله الحجة لا لتقرر له ﷺ بسؤالهم ما أشكل عليهم من واضح الحجة ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 211] أي: آياته الموجبة للهداية التي هي أجل أنواع النعمة بجعلها سبب الضلالة أو بالتحريفات الباطلة والتأويلات الزائغة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ [الآية: 211] أي: وصلت إليه بطريق الإنعام عليه وفيه تنبيه على أنهم إنما بدلوها بعد ما عقلوها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] فيعاتبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أعظم حوبة.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] بزوال تلك النعمة وعند ذلك يعرفون قدرها فيطلبونها ولا يصلون قط إليها قال قائلهم:

ستهجرني وتتركني فتطلبني ولا تجدني[1]

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 212] أي: حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى أعرضوا عن غيرها ومالوا إليها وتهالكوا عليها والمزين على الحقيقة هو الله إذ لا فاعل لشيء سواه نعم كل من الوساوس الشيطانية والشهوات النفسانية وسائر الأمور البهية والأشياء الشهية من الأمور الدنيوية مزين بالنسبة المجازية ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الآية: 212] أي: الكفار ومن في معناهم من الفجار ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 212] كبلال وصهيب وابن أم مكتوم وعمار وسائر فقراء الأبرار والمعنى يسترذلونهم ويستحقرونهم أو يستهزؤون بهم على رفضهم للدنيا وإقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكأنهم جعلوا مبدأ السخرية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 202).

[الآية: 212] أي: مخالفة المولى بمجانبة الهوى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 212] لأنهم في عالية أعلى عليين وأعداؤهم في هاوية أسفل سافلين ولأنهم في كرامة وغيرهم في مهانة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم في العقبى/ كما 72/ب سخروا منهم في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 212] أي: في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 212] أي: بغير تقدير لكن على تقدير قضاء وتقرير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارةً وابتلاء أخرى بخلاف نعيم الأخرى.

قال الأستاذ: ومكروا ولم يشعروا وحملهم اشتداد الظلمة لبصائرهم على الوقيعة في أوليائه سبحانه والسخرية منهم فحين تقشع غواية الجهل عن قلوبهم علموا من الخاسر منهم عند شهود البأس الشديد ومن الذي كان في الضلال البعيد.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 213] متفقين على ملّة الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو بعد إبراهيم أو متفقين على الضلال والجهالة فيما بين إدريس ونوح أو بين نوح وهود عليهم السلام والأظهر الأول وتقدير الكلام فيما قرئ به فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 213] أي: المرسلين ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 213] للمطيعين بجنة المثوبة والوصلة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 213] للعاصين بحرقة العقوبة والفرقة ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 213] يريد به الناس وليس المراد أنه أنزل مع كل واحد كتاباً فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 213] حالٌ من الكتاب أي: ملتبساً بالصدق والصواب ﴿لِيَحْكُمَ﴾ [الآية: 213] أي: الله أو النبي أو الكتاب ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية: 213] من أصول الدين أو فروعه للمتقين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [الآية: 213] أي: في الكتاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ [الآية: 213] أي: من اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 213] الحجج الواضحات ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 213] أي: حسداً كائناً من عندهم وظلماً على أنفسهم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 213] أي: منهم ومن غيرهم ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 213] أي: لمعرفة الحق الذي اختلف فيه من اختلف من الخلق ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 213] أي: بإرادته على وفق حكمته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 213] لا يضل سالكه المقصد القويم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيبة أولاً عن الحق جمعتهم فلما أتاهم الرسول تباينوا على حسب ما رزقوا من أنوار البصيرة وحرموا ويقال: كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم وبمجيء الرسل تهود قوم وتنصر قوم ثم في العاقبة يرد كل أحد إلى ما سبق من التقدير وأن الناس اجتمعوا كلهم/ في 73/أ علمه سبحانه ثم تفرقوا في حكمه فقوم هداهم وقوم أغواهم وقوم حجبهم وقوم جذبهم وقوم ربطهم بالخذلان وقوم بسطهم بالإحسان فلا من المقبولين أمر مكتسب ولا لرد المردودين سبب بل هو حكم بت وعزم وقضاء حتم وجزم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [الآية: 214] أي: بل أظننتم ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 214] أي: المهيأة لكم ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ [الآية: 214] أي: ولم يأتكم بعد زمانكم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [الآية: 214] أي: مثل من الأمم الماضية حيث امتحنوا بالحالة التي هي مثل في الشدة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [الآية: 214] أي: المصائب والنوائب ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ [الآية: 214] أي: حركوا بأنواع البلايا والمتاعب ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 214] لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث انقطعت حبال الصبر واضطروا إلى طلب استعجال النصر فقالوا ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 214] استبطاءً لتأخره وفي قراءة نافع برفع يقول على أنها حكاية حال ماضية ألا تنبهوا أن نصر الله قريب وفيه إيماءً إلى أن حصول الزلفى ووصول المولى برفض الهوى وتحمل البلوى بلا شكوى إلى السوى وإن مكابدة الرياضات موجبة لرفع الدرجات وعلوّ الحالات وفي الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات[1] وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات[2].

(1) واللفظ «خلق الله مكة فوضعها على المكروهات والدرجات». انظر: الدر المنثور (2/ 267)، وأخبار مكة للفاكهي (4/ 222) رقم (1507).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2822/ 1)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 693) رقم (2559)، والدارمي في السنن (2/ 437) رقم (2843)، وابن حبان في الصحيح (2/ 492) رقم (716)، وأبو يعلى في المسند (6/ 33) رقم (3275).

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه خلق الجنة وحفها بالمصاعب والمتاعب وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب فمن احتشم ركوب الأهوال بقي عن درك الآمال وأن الله سبحانه ابتلى الأولين بفنون من مقاساة الشدائد وكل من ألحق بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلكهم وأدرجهم في غمارهم فمن ظن غير ذلك فسراب ظنه ماء وحلم لم يحصل على ما ظنه تأويلاً. ومضت سنة اللّه سبحانه أنهم لم ينجوا بعتوة الظفر إلا بعد إشرافهم على عرصاة اليأس فحين طال بهم الترقب صادفهم اللطف بغتة وتحقق لهم المبتغى فجأة قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [الآية: 214] .

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ [الآية: 215] أي: أي شيء ينفقون وعلى من ينفقون ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ [الآية: 215] أي: مال حلال والتنكير للتقليل لقوله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة وسبق درهم مائة ألف درهم/ ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 215] أي: ولو من الأجنبيين ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [الآية: 215] أي: من الفقراء والسائلين ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [الآية: 215] أي: المسافرين المنقطعين. 73/ ب

قال الأستاذ: علموا أن الحق ما لفاعله أن يفعل وأن العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فتوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن لأن العبودية الوقوف حيث ما أوقفك أمر الربوبية ويقال لهم ينفقوا على إشارات الهوى وأن ما طالعوه تفاصيل الأمر وإشارات شرع المولى والواو في قوله: ﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ يشير إلى نوع من الترتيب فالأولى بمعروفك والداك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذي قاله انتهى وهو لا ينافي الجمع الذي ليس فيه المنع وإنما قال نوع من الترتيب لأنه أراد الترتيب الوقوعي المستفاد من الترتيب الذكري وإلا فالواو لمطلق الجمع إجماعاً ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ حيث قال ﷺ ابدأوا بما بدأ الله ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ [الآية: 215] أي: سوى ذلك الخير ولو على الغير ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [الآية: 215] فيجازيكم بتضعيف الأجر.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ [الآية: 216] أي: الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: مكروه طبعاً عليكم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 216] أي: أولاً ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: آخراً بأن يجعل الله فيه خيراً كثيراً وذلك الشيء جميع المتاعب الشرعية والمصائب الكونية المكروهة على طبائع البشرية مع أن فيها مناط صلاحهم في الدنيا وسبب فلاحهم في العقبى ومنه الغزو فإن فيه المشقة لكن تصحبه إحدى الحسنيين من الغنيمة أو الشهادة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 216] أي: طبعاً ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: شرعاً وهو جميع منهيات المولى ومستلذات الهوى المفضية إلى الردى ومنه القعود عن القتال فإن فيه فراغ البال وسعة الحال لكن يعقبه حرمان الغنيمة وفقدان المثوبة ولحوق الإذلال في المآل وعسى للإشفاق في الجملة الأولى وللتراخي في الثانية ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 216] أي: ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 216] خيركم وشركم.

وقال الأستاذ صعبت على النفوس مباشرة القتال فيبين أن راحات/ 74/أ النفوس مؤجلة لأنها في حكم التأديب وبالعكس من هذا راحات القلوب فإنها معجلة إذ هي في وصف التقريب فالسعادة في مخالفة النفوس فمن وافقها حاد عن المحجة المثلى كما أن السعادة في موافقة القلوب فمن خالفها زاغ عن السنة العليا ومبشرات ضمان الحق باليسر أولى أن تقبل من محذورات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الخير.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [الآية: 217] بدل اشتمال وقرىء عن قتال فيه ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 217] والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] أي: من حل وحرم وعموم المكان مستلزم لشمول الزمان ونسخ الخاص بالعام جائز عند علمائنا الكرام ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 217] أي: ومنع عن الإسلام أو ما يوصل العبد إلى علو المقام ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ [الآية: 217] أي: بالله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 217] أي: وصد عن بيت الله أو حرم الله أو وصد المسجد الحرام بتقدير المضاف المسند إلى المفعول فيه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 217] أي: من القتال في الشهر الحرام خطأً كما وقع من بعض المسلمين ابتداء وهو خبر عن الأشياء

الأربعة المعدودة من كبائر الكفرة المردودة ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ [الآية: 217] أي: الشرك عمداً ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 217] أي: من قتل مسلم كافراً في الشهر الحرام سهواً فإن الآية نزلت في سرية بعثها رسول الله ﷺ من المسلمين فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون فاستعظم المشركون سفك الدماء في رجب وهو من الأشهر الحرم(1).

وأفاد الأستاذ: أن من المعاصي ما يكون أشد من غيرها في المبنى وأصعب في المعنى فسوء الأدب على الباب لا يوجب من ضرب الأسواط ما يوجبه على البساط فإذا حصلت زلة النفس فأثرها بالعقوبة المؤجلة وهي الاحتراق وإذا زل القلب فعقوبتها معجلة وهي بالفراق وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر زلة النفوس فإن النفس على الحظ تبقى والقلب عن الحق يبقى ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ [الآية: 217] أي: المشركون ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: كي يمنعوكم ﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [الآية: 217] أي: ولم يستطيعوا لعناية ربكم بكم ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: وإن وقع ارتداد من بعضكم ورجوع ﴿عَن دِينِهِۦ﴾ [الآية: 217] / إلى دينهم فيكم ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [الآية: 217] أي: عند موته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 217] أي: بطلت ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 217] لبطلان ما تخيلوه من العقائد الدينية وفوات ما لأهل الإسلام من الفوائد الدنيوية ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 217] بسقوط الثواب وعذاب الحجاب في موقف الحساب ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 217] أي: ملاقوها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 217] كسائر الكفار.

74/ب

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا إلى أن أهل الغفلة إذا راودوك على وجه الفتنة أرادوا صرفك إلى ما هم عليه من الغفلة فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك ومن فسخ مع الله عهده مسخ الله قلبه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 218] أي: عموماً ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 218] أي: خصوصاً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 218]

(1) تفسير النسفي (1/ 103).

أي: جزيل ثوابه وجميل ما به وعلق الحكم بالرجاء إيماء بأن العمل غير موجب للجزاء لا سيما والعبرة بالانتهاء المبني على سبق القضاء في الابتداء المبهم أمره على جميع الأصفياء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 218] كثير الغفران ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 218] عظيم الامتنان على أهل الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إن الذين صدقوا في قصدهم وأخلصوا في عهدهم ولم يرتدوا في الإرادة على أعقابهم أولئك الذين عاشوا في روح الرجاء إلى أن يصلوا إلى روح البقاء وفرح اللقاء.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [الآية: 219] أي: شربها ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [الآية: 219] أي: عن لعب القمار بالنرد والشطرنج ونحوهما والمعنى يسألونك عن حكم تعاطيهما ﴿قُلْ فِيهِمَآ﴾ [الآية: 219] أي: في مباشرهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] وفي قراءة حمزة والكسائي كثير لما يؤدي إلى الانتكاب عن المأمورات وارتكاب المحظورات ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] من تقوية الطبيعة وتوفر السخاوة والشجاعة في الخمر ومن كسب المال وطرب الحال من مغالبة الرجال في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ [الآية: 219] أي: ضررهما بارتكاب ما فيهما من إثم المخاصمة والمشاتمة وأمثالهما ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [الآية: 219] أعظم وقرىء أكثر والمراد أنّ المفاسد التي تنشأ منهما أزيد من المنافع المتوقعة فيهما وإذا قيل إن هذه الآية محرمة للخمر فإن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم تلك الفعلة والظاهر أنها ليست/ مصرحة بل ملوحة لما روي أنه نزل بمكة 75/أ قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67] فأخذ المسلمون يشربونها ثم أن عمر ومعاذاً وسعد وغيرهم رضي الله عنهم قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية[1]: فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ناساً منهم فشربوا فسكروا وأقام أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: 43] فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك

(1) تفسير أبي السعود (1/ 218)، وتفسير البيضاوي (1/ 503).

سعد بن أبي وقّاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكى إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: اللّهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال عمر: انتهينا يا ربنا[1].

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول وكما أن الخمر حرام فالسكر حرام فمن سكر من شراب الغفلة استحق ما يستحق شارب الخمر من حيث الإشارة فكما أن السكران ممنوع من الصلوات فصاحب السكر بالغفلة محجوب عن المواصلات وأوضح الشواهد الوجود فمن لم يصدق فليجرب ومعنى القمار موجود في أكثر معاملات أهل الغفلة إذا سلكوا طريق الحيل والخداع والكذب في المقال فبذل الصدق والإنصاف عزيز.

وفي «العرائس» الخمر حب ما سوى الحق لأن رفع بصر السر عن مشاهدة الحضرة إلى الكون بنعت استحسانه حجاباً لعقل الكل فإذا خامر النفس سر القلب باشره الغفلة وسكرت بإدراك هواها وحظوظها الدنيئة وسقطت عن مباشرة العبودية وبتأثيرها احتجب الروح عن معاينة الآخرة وبقيت في حجاب النفس عن مقام الوصال وحالة المشاهدة، والميسر ميل الشيطان والنفس مع القلب فإذا مال القلب إلى شهوة النفس المختصة بالحيوان فقد قامرها وصار مقموراً سلوب الإيمان والعرفان وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] لأن ظلمة الخمر تطفىء نور العقل ويقوى طرب النفس الأمارة فإن خمد نور العقل وظهرت ظلمة الجهل تفسد النفس/ مقام 75/ب الإيمان وتخرّبه وهو القلب فإذا كان القلب خرباً ومنبع الإيمان مضمحلاً فهو قريب من الكفر والكفر آخر الإثم واللاعب بالنرد والشطرنج وأمثال ذلك كأنه يعبد الأوثان لأن في الاشتغال به اشتباه نور الإيمان بمثال النرد والشطرنج وتخيل الفهم صون الخيال وهذا أول أسباب الشرك لأنهما أما لِجميع الخبائث وقوله:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 305) رقم (3101)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 125) رقم (1464)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 253) رقم (3049)، والنسائي في السنن الكبرى (3/ 202) رقم (5049).

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] أيّ: معرفة آفتهما وسوء عاقبة من يشتغل بهما وقيل: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ في تناولهما ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في تركهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: أي مقدار يتصدقون ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالنصب لغة البصري أي: ما فضل من المال عن العيال وهو منسوخ في حق العوام بآية الزكاة وقيل: ما سهل من الأخلاق والأحوال.

وقال الأستاذ: قيل العفو ما فضل عن حاجتك وهذا لِلخواص أن يخرجوا من فاضل أموالهم عن قدر كفاياتهم فأما خاص الخاص فطريقهم الإيثار وهو أن يؤثر به غيره على نفسه وبه فاقة إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثره به له غنى.

وفي «**العرائس**» العفو عند العارفين ما سوى الحق من الكونين يعني اتركوا لي ما شغلكم عني وإن كان لكم فيه خصاصة حتى يكون لكم ذخراً في جميع أنفاسكم عوضاً لما تركتم فالخواص ينفقون ما يحبون طلباً لمرضاته وتركاً لمرادهم لأن الحق سبحانه لا يريد بأوليائه شهوة الكونين غيرة على أحوالهم وصوناً لأسرارهم والعوام ينفقون زوائد أموالهم حصناً لها وحرصاً بها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 219] أي: مثل ما تقدم من البيان في كل شأن ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 219] أي: بقية الآيات في الأحكام البينات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 219] أي: في الدلالات والقضيات الكائنة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 220] أي: في أمورها فتنتفعون بالعمل بهما أو لكي تتأملوا في نفسهما لتعرفوا فضل العقبى على الدنيا فتعرضوا عن الدار الفانية وتقبلوا على الدار الباقية وتعلموا أن الجمع بينهما من المحال وإلا فكان يجمعها أرباب الكمال فهما كالضرتين وكالكفتين فقد ورد من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى[1] وورد أيضاً أجوعكم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 343) رقم (7853)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 288) رقم (10337)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

76/أ في الدنيا أشبعكم في الأخرى[1] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 220] / حين نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] واشتد عليهم حتى تركوا المؤاكلة معهم والمخالطة بأموالهم والاهتمام بأمرهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية: 220] أي: مداخلتهم لإصلاح حالتهم خيرٌ من مجانبتهم.

وأفاد الأستاذ: أن إصلاح حالهم بما يكون فيهم تأديب لحسن مآلهم أحسن وأتم من إصلاح مآلهم ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع بذل النصح لهم ومفارقة الملال من إرشادهم خير من الترخص بأن يقول إنه لا يتوجه علي فرضهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: فهم إخوانكم في الدين فمخالطتهم شأنكم والمعنى إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم حال اجتماعكم فلا حرج عليكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [الآية: 220] أي: يعلم من يخالطهم لإفساد إليه أو إصلاح لديه فيجاريه عليه.

وقال الأستاذ: فيعامل كلاً على سواكن قلبه من القصود على ظواهر كسبه من جميع القيود ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: لأوقعكم في العنت وهو المشقة بأن كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة دون المخالطة والمراد التنبيه على النعمة في التوسعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 220] أي غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 220] في قضائه وقدره يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الآية: 221] أي: لا تتزوجوهن والمشركات احتزاز من الكتابيات إذا لم يعرفن أنهن مشركات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [الآية: 221] أي: ولو كتابية ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [الآية: 221] أي: من حرة كافرة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [الآية: 221] بمالها وجمالها ونسبها وجاهها وسائر حالها.

وأفاد الأستاذ: أن صلة حبل الدّين والتمسك بعصمة المسلمين أتم من الرضا بأن ينتهي إلى حد يسلك إلى الكفر ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة في فعله فإشارة الحقيقة مانعة من حيث التنزيه عن اختياره هذا في الكتابيات

(1) لم يعثر عليه.

التي يجوز مواصلتهن فأما أهل الشرك فحرام مواصلتهم قطعاً وواجب مباينتهم في هذا الباب حكماً جزماً انتهى وإنما قال هنا مواصلتهم يشمل الذكور والإناث لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 221] أي: مطلق الكفار والمعنى لا تزوجوهم المؤمنات أمة أو حرة ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 221] أي: الكفار ﴿يَدْعُونَ﴾ [الآية: 221] أي: الناس ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ [الآية: 221] أي: ما يؤدي/ إلى عذابها في دار القرار فلا يليق 76/ ب موالاتهم ومصاهرتهم ومخالطتهم ﴿وَٱللَّهُ﴾ [الآية: 221] أي: أولياؤه المؤمنون بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تفخيماً لشأنهم وتعظيماً لدعائهم ﴿يَدْعُوٓا۟﴾ [الآية: 221] أي: يدعوهم ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 221] أي: إلى أسباب وصولهما وموجبات حصولهما فهم الأحقاء بمواصلتهم ﴿بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ أي: بتوفيق الله وتيسيره أو لقضائه وتقديره أو المعنى والله يدعوكم وغيركم ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ [الآية: 221] أي: بأمره بالإسلام وشرعه للأحكام كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25] ويؤيده العطف بقوله ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 221] أي: لكي يتذكروا آياته ويعملون بإحكام مواصلاته.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الآية: 222] سببه إن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يسكنوا في بيت معها كفعل المجوس واليهود ومن تبعهما والمحيض مصدر بمعنى الحيض هنا لقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [الآية: 222] أي: مؤذي من يقربه نفرة من الاستقذارة ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 222] أي: اجتنبوا مجامعتهن ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ [الآية: 222] أي: زمان حيضهن ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [الآية: 222] أي: من الدم أو يغتسلن ويؤيده قراءة شعبة وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء وفتحهما والجملة بيان لغاية الحكم مع زيادة إفادة تأكيد الأمر ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي: بالوقاع وهو أمر إباحة بالإجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الآية: 222] أي: المأتي الذي أمركم به من القبل وحلله لكم من الجماع.

قال الأستاذ: ليس كل ما يكون موجب الاستحياء أو التسوير مما هو

باختيار العبد إذ قد يكون من النقائص ما ليس للعبد فيه كسب وهو ابتداء حكم الحق فمن ذلك ما كتب الله على بنات آدم من تلك الحالة ثم أمرن باعتزال المصلى في أوان تلك الهيئة والمصلي مناجٍ ربه فتنحّين عن محل المناجاة حكماً من الله لا حراماً لهن وفي هذا إشارةٌ ويقال أنهن وإن منعن عن الصلاة التي هو حضور بالأبدان فلم يحجبن عن استدامة الذكر بالقلب واللسان وذلك تعرض بساط القرب قال ﷺ مخبراً عنه أنا جليس من ذكرني[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [الآية: 222] أي: من السيئات ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء من الأحداث والنجاسات أو المتنزهين عن الفواحش والقاذورات كمجامعة الحائض وإتيان أدبار الحيوانات.

وقال السلمي أي: المقيمين على توبتهم والمتطهرين عن جميع ما تابوا من معصيتهم.

77/أ وقال ابن عطاء:/ يحب التوابين من أفعالهم والمتطهرين من أحوالهم وهم القائمون مع الله بلا غاية ولا سبب سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب أو التوابين من الحوبة والمتطهرين من التوهم أن نجاتهم بالقربة أو التوابين من ارتكاب المحظورات والمخالفات والمتطهرين من المساكنات والملاحظات والتوابين بالاستغفار والمتطهرين بصب ماء الخجل بنعت الانكسار والتوابين من الزلة والمتطهرين من العلة أو التوابين من شهود التوبة والمتطهرين من توهم شيءٍ من الزلة بل الحكم ابتداءً لله.

وفي «العرائس» يحب التوابين عن وقوفهم في المقامات ويحب المتطهرين بنور المعرفة عن غبار الكائنات وأيضاً التوابين عن طلبهم إدراك بطنان القدم بالعقول الناقصة والعلوم المحدثة والمتطهرين عن رؤية مقدارهم عن صدمة قهر الكبرياء وسلطان العظمة.

(1) كشف الخفا (1/ 201) رقم (611).

قال الجنيد: دخلت على السري وعليه هم فقال: دخل عليّ فتًى من البغداديين فسألني عن شرح التوبة فأجبته فقال لي: وما حقيقتها؟ فقلت: أن لا تنسى ما من أجله أن تبت فقال الغلام: ليس هو هكذا قال الجنيد: فقلت له صدق الفتى قال: وكيف هذا قال الجنيد: إذا كنت في حال الجفاء فينقلني إلى حالة الصفاء فذكري الجفاء عند الصفاء من الجفاء.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ [الآية: 223] أي مواضع حرث ﴿لَّكُمْ﴾ [الآية: 223] ومزارع ومنابت لأولادكم شبهن بها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي هي سبب النسل بالبذور ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: لا فرثكم والمعنى فأتوهن كما تأتون محارثكم وهو كالبيان لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [الآية: 223] أي: كيف شئتم مستلقية وباركة وقائمة ومن أين شئتم مقبلة ومدبرة ومجنبة ومتى ما شئتم ما عدا الأزمنة المنهية والهيئة الردية.

وقال الأستاذ: لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة أباح لها السكون إلى أشكالها إذا كان على وصف الإذن من بارئها فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة إلى جميع الأغيار ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: العمل لله بما يحبه ويرضاه أو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وقيل: هو طلب الولد بالاجتماع وقيل التسمية عند الجماع.

وقال الأستاذ: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] ما ينفعكم ليوم/ إفلاسكم 77/ب ولذلك قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [الآية: 223] فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجوده عند ربكم.

وفي «**العرائس**» علم عباده أدب المباشرة بشرط التقوى والديانة وصدق النية في شروعه عند مطالبة النفس الدنية حتى لا ينسوه في جميع أعمالهم وسائر أحوالهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 223] أي: الكاملين القائلين بأمر الدين على طريق اليقين وحذف المبشر به لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [الآية: 224] أي: لا تجعلوا اليمين بالله

علة مانعة ﴿أَن تَبَرُّوا﴾ [الآية: 224] أي من أن تعملوا البر ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 224] أي: الشر ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 224] بما يصلح للاستئناس ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 224] لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 224] بإحسانكم.

وقال الأستاذ: نزهوا ذكر ربكم عن ابتذاله بكل حظ لا خطر له ويقال لا تجعلوا ذكر الله شركاً يصطاد به حطام الدنيا أي: فإنه يكون شركاً عند أرباب العقبى.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [الآية: 225] اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما يسبق به اللسان في مجراه أو يتكلم به الإنسان جاهلاً بمعناه أو يحلف عن الشيء ثم ينساه ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 225] أي: قصدت وعزمت به نفوسكم والمعنى لا يؤاخذكم الله فيما لا قصد معه ولا نية بعقوبة ولا كفارة ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما حين قصدتم الأيمان بموافقة القلب اللسان.

وقال أبو حنيفة: اللغو أن يحلف الرجل بناءً على ظنه ثم تبين الأمر بخلافه فالمعنى لا يؤاخذكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب في البيان ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يؤاخذ العبد بعد التوبة ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يعجل بالعقوبة تربصاً للأوبة.

وأفاد الأستاذ: أن ما جرى به اللسان على قصد السهو فليس له كثير خطر في الخير والشر ولكن ما انطوى عليه الضمائر واحتوى عليه السرائر من قصود صحيحة وعزائم قوية فذلك الذي يؤاخذ به إن كان خيراً فجزاء جميل وإن كان شراً فعناء طويل.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [الآية: 226] أي: يحلفون على أن لا يطؤوهن أربعة أشهر فصاعداً في الحرة وشهرين فأكثر في الأمة ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 226] مبتدأ خبره ما قبله أي: انتظارهم هذه المدة فالإضافة إلى الظرف على التوسعة ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا في الأشهر الأربعة لما في قراءة ابن/ مسعود 78/أ فإن فاؤوا فيهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: للمولي حنثه بعد أداء

الكفارة وما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة بالفيئة التي هي كالتوبة ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [الآية: 227] أي: بترك الفيء واختيار الفراق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 227] بحلفهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 227] بفرضهم وعند أبي حنيفة إن فاء في المدة بالوطء أي: قدر عليها بالوعد إن عجز عنه بنحو أن يقال فئت إليها صح الفيء ولزمه الكفارة وإلا فبانت بعدها بتطليقة وعند الشافعي يطالب بعد المدة بأحد الأمرين وهو الوطء والطلاق فإن أباها جميعاً طلق الحاكم عليه.

قال محمد بن الحسن، في موطأه: بلغنا عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنهم قالوا إذا آلى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر قبل أن يفيء فقد بانت بتطليقة ولا توقف بعدها وابن عباس اعلم بتفسير القرآن والله أعلم بتحقيق البيان.

وقال الأستاذ: إن كان حق صحبة الأشكال من الخلق محفوظاً عليك حتى لو أخللت به وأخذك بحكمه فحق الحق أحق بأن تجب مراعاة أمره ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا إلى إحياء ما أماتوا أو استدراك ما ضيعوا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: فيما صنعوا ولما تقاصرت لسان الزوجة لكونها أسيراً في يد الزوج تولى الله سبحانه الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو بتسريحها.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [الآية: 227] أي: مل عن صحبتها وأكد العزم على مفارقتها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [لآية: 227] مطلع على حاله وسره فإن بدا له بادٍ من الندم فلا يلتبس بإنكار الطلاق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه طلقها ولما كان الفراق شديداً على المرأة بأن قال إن سألك فراقه فلقد سمعنا موحش تلك المقالة فهو تعزية لها من الحق سبحانه.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [الآية: 228] أي: المخليات من حبال الأزواج المدخول بهن حقيقة أو حكماً من ذوات الأقراء بخلاف الحاملة والصغيرة والآيسة والمتوفي عنها زوجها ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 228] أي: ليحملنها على الانتظار المسماة بالعدة ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [الآية: 228] أي مدة ثلاث حيض عندنا وأطهار عند

الشافعي ويؤيدنا عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان[1] فهو خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والمبالغة فكأنه سبحانه أمرهن فامتثلن فأخبر عن امتثالهن.

78/ب وقال الأستاذ: أمر المطلقات بالعدة/احتراماً لصحبة الأزواج ولو ساعة يعني لو انقطعت العلاقة بينكما فأقيموا على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة ولا تقيموا غيرهُ مقامه بهذه السرعة واصبروا حتى يمضي مقدار من المدة ألا يرى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالعدة حين لم يقم بينهما الصحبة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [الآية: 228] يعني الولد إبطالاً لحق الزوج من الرجعة أو الحيض استعجالاً في العدة ولا منع من الجمع ومال الأستاذ إلى الأول حيث قال: يعني إن انقطع بينكما السبب فلا تقطعوا ما أثبت الله من النسب ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 228] أي: إيماناً كاملاً وليس المراد تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أن المؤمنة الكاملة لا تجترئ عليه فقصد به زجرهن وأكد أمرهن ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ [الآية: 228] أي: أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [الآية: 228] أي: بمراجعتهن إن كان طلاقهن رجعياً ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: [الآية: 228] أي: في زمان تربصهن من عدتهن ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [الآية: 228] أي: إن قصدوا مصالحة بينهم وبينهن وأرادوا إصلاح أنفسهم وأنفسهن لا إضرار النساء بمراجعتهن وهو تقييد للأحقية وقيل المعنى وبعولتهن حقيقون بردهن وأما قول من قال وعندي أن معناه وأزواجهن أحق من الأجانب في مدة العدة فمدفوع بأن الأجانب ليس لهم حق في تلك المدة وبعد فراغها يستوي الأجنبي وزوجها في أن الأمر باختيارها ثم ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض على هذا الأمر والمنع عن قصد الضرر.

وأفاد الأستاذ: أن من سبق له الصحبة فهو أحق بالرجعة لما وقع في النكاح من الثلمة وقوله: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [الآية: 228] يعني أن يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاء إليها لا تطويل العدة بأن يعزم على طلاقها

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (7/ 26) رقم (6749)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 488) رقم (1182)، وعبد الرزاق في المصنف (7/ 221) رقم (12871).

بعدما راجعها ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [الآية: 228] ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن على ما عرف في الشرع من حق الرجل على المرأة، وعكسه فيتزين لها كما تتزين له والمقصود وحسن المعاشرة وطيب المخالطة.

وقال الأستاذ: يعني إن كان له عليها حق لما أنفق من المال فلها حق الخدمة لما سلف من الحال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [الآية: 228] أي زيادة حق سبب المهر الذي ساقوا وللمال الذي أنفقوا أو مزيد شرف لأنهم قوام عليهن وحراس لهن.

وأفاد الأستاذ: أن للرجال عليهن درجة في الفضيلة ولهن مزية في الضعف وعجز/ البشرية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 228] أي: غالب على المراد لقدرته 79/أ ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 228] يأمر بما أراد لحكمته.

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ [الآية: 229] أي الرجعي ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [الآية: 229] أي: اثنتان رداً على أهل الجاهلية حيث لم يكن لهم طلقة محصورة معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرقة وكذا قال علماؤنا الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة.

وقد مال الأستاذ إلى هذا المقال حيث قال ندب إلى تفريق الطلاق لئلا يتسارع إلى تحقيق الفراق وقد قيل في معناه:

قد تبينت أن عزمك قتلي فذريني أضنى قليلاً قليلاً

وفي «العرائس» الطلاق مرتان أحدهما طلاق النفس وشهواتها والدنيا ولهواتها والثاني طلاق الآخرة ولذاتها فينبغي للعارف أن يطلقها لأن عروس مشاهدة الحق غار على قلوب المحبين والمشتاقين أن يكون لهم شيء دون الله قلت ولأنها ضرتان لا تجتمعان إن أرضيت واحدة أغضبت الأخرى وإن أرضيت الأخرى أغضبت الأولى فلا مخلص من علاقتهما سواء يكون بعناقهما أو خناقهما إلا بطلاقهما بإذن المولى ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية: 229] أي: بما عرف من أمر الله والمعنى إذا طلقتموهن واحدة أو اثنتين فلكم الخيار في المراجعة وحسن المعاشرة فإمساك مبتدأ والخبر الجار المقدر ﴿أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾

[الآية: 229] بالطلقة الثالثة كما ورد في السنة أو بعدم المراجعة ضراراً حتى تبين بانقضاء العدة.

وقال الأستاذ: في معناه إما صحبة حميدة أو فرقة جميلة فأما سوء العشرة وإذهاب لذة المعيشة بالأخلاق الذميمة فغير مرضي في الطريقة ولا محمود في الشريعة والحقيقة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ [الآية: 229] أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [الآية: 229] من الصدقات أو العطيات.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر العائد في هبته كالعائد في قيئه والرجوع فيها خرجت عنه خسة يعني فما خرجت عنه فلا تدخل في قيئه ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ [الآية: 229] أي: الزوجان والمعنى يظنا كما قرىء به أو يعلما وفي قراءة حمزة بضم الياء أي يخاف عليهما ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 229] بترك أحكام مواجب الزوجية المقررة بالأدلة الشرعية والمعنى أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر الزوج بغضاً له وخاف الزوج إذا لم تعطه امرأته أن يعتدي عليها حل له أن يأخذ الفدية منها إذا دعته إلى ذلك باختيار عنها وهو معنى قوله/ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: أيها الأولياء ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 229] أي: فيما بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [الآية: 229] أي: لا على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت ولا على المرأة في إعطاء ما افتدت سواء أخذت شيئاً من زوجها أو ما أخذت. 79/ب

وقال الأستاذ: يعني إن أرادت المرأة أن تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال فإن النفس تساوي لصاحبها كل شيء والرجل إذا فاته صحبة المرأة لو اعتاض منها شيئاً فلا أقل من ذلك حتى إن فاته راحة الحال يصل إلى يده شيء من المال ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 229] إشارة إلى ما حد من الأحكام السالفة ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [الآية: 229] أي: فلا تعتدوها بالمضايقة ولا تجاوزوها بالمخالفة.

وأفاد الأستاذ: إن هذه آداب علمكم وشرائع سنّها لكم فحافظوا على ملازمة حدوده وداوموا على محافظة حقوقه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 229] تعقيب للنهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج المطلق تبين ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾ [الآية: 230] أي المطلقة ثلاثاً ﴿لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الآية: 230] أي: بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [الآية: 230] أي: حتى تتزوج غير المطلق بعد فراغ العدة نكاحاً صحيحاً يطأها فيطلقها وتخرج من عدته خروجاً صريحاً ولعل في ذلك الحكم من الحكمة ردع الزوج عن المسارعة إلى المفارقة والعود إلى المطلقة ثلاثاً بلا كلفة لما فيه من النفرة وقلة الرغبة.

وأفاد الأستاذ: أن الرجل يشق عليه أن ينكح زوجته غيره فمنعه عن اختيار الفراق بغاية المنع لما بين أنها لا تحل له إن فارقها إلا أن تفعل غاية ما يشق عليه وهو الزوج الثاني ليحذر الطلاق ما أمكنه ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [الآية: 230] بنكاح جديد بينهما فالرجعة هنا لغوية لا شرعية ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 230] أي: ما بين الله من حقوقهما وعبر بالظن لأن عواقب الأمور مظنونة لكونها مبهمة لا معلومة ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 230] أي يفهمون وبمقتضاها يعملون وخصوا بذلك لأنهم المنتفعون وغيرهم محرومون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية استيلاء المحبة على القلوب الشديدة يهون المقاساة الشديدة فلو انطوى الزوجان بعد الفرقة/ على التحسر 80/أ على ما فاتهما من الوصلة وندما على ذلك غاية الندامة فلا جناح عليهما أن يتراجعا والمرأة في هذه الحالة كالمنشود من الزوج الأول بمكان الزوج الثاني والزوج كالآتي على نفسه في احتمال ذلك ثم قال ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ يعني أن لا يعودوا بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه قال قائلهم:

ولقد حلفت لئن لقيتك مرة ... أن لا أعود إلى فراقك ثانية[1]

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 231] أي: قاربن انقضاء عدتهن

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 220).

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي راجعوهن من غيرضرار وتثقيل أو أدخلوهن في مقتضى عدتهن من غير تطويل ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي: لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن وأنتم لا حاجة بكم إليهن ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾ [الآية: 231] أي: لتعلوا عليهن بالاعتداء أي: لتلجئوهن إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار إذ المراد تقييده فإنها إذا زنت يجوز أن تضار لتفتدي.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تضمنت الأمر بحسن العشرة وترك المغايظة مع الزوجة فأما تخلية سبيل من غير الجفاء أو قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 231] أي: الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 231] بتعريضها للعقاب وتغويتها للثواب وظلمها ما تعداها إلى غيرها ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [الآية: 231] أي: مهزواً بها بالإعراض عنها وتهاون العمل بما فيها وقد كان الرجل تزوج ويطلق ويعتق ويكون كنت ألعب فنزلت وثبت عنه ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق[1] ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 231] ومن جملتها إنزال رسولنا إليكم وذكرها شكرها بالقيام لحقوقها ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الآية: 231] أي: القرآن والسُّنَّة خصها بالذكر لشرفها في المرتبة وشمولها كل نعمة مرتبة ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ [الآية: 231] أي: بالمنزل من كتابه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 231] تأكيد ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 231] تهديد.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: انقضت عدتهن وسياق الكلامين دل على اختلاف البلوغين ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: فلا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: من أن يتزوجن/ الذين كانوا أزواجهن بنكاح جديد لهن أو من أراد نكاحهن ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 232] أي تراضياً كائناً بما يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع من المهر المتعارف

80/ب

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 216) رقم (2800)، وابن ماجه في السنن (1/ 658) رقم (2039)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 490) رقم (1184)، وأبو داود في السنن (2/ 225) رقم (2196).

بالمروءة واعتبار الكفاءة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تضمنت نهي الأولياء عن مضارتهن وترك أحكام الجاهلية والانقياد لحكم الله في تزويج النساء إذا أردن النكاح من دون استعشار الأنفة والحمية بل إذا رضيت بكفؤ يخطبها فحرام عليكم ظلمها والتذويب عن أوصاف البشرية بقهر النفس أشد مجاهدة وأصدق معاملة لله ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 232] أي نهيه سبحانه عن الفصل والخطاب له ﷺ فإنه الأصل والفصل وصاحب الفضل والمراد هو وأمته لقوله: ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: 232] وخص لأنه المنتفع والمتعظ بالأمر والزاجر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 232] أي: الاتعاظ بالامتثال والانتهاء ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية: 232] أي: أنفع وأنمى في صلاحكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ [الآية: 232] أي: أنظف وأنقى في فلاحكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 232] أي: ما فيه من نفعكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 232] لقصور علمكم.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الآية: 233] أو عبر عنه بالخبر للمبالغة وهو للندب مطلقاً أو للوجوب إذا تعين وفاقاً ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [الآية: 233] أكده بصفة الكمال لأنه سماع يتسامح فيه في بعض الأحوال أو تحديد لا تقريب لقطع النزاع بين الزوجين في مدة الرضا كما يدل عليه قوله سبحانه ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [الآية: 233] وهو بيان للمتوجه إليه الحكم أي ذلك الحكم بإرضاع الحولين الكاملين لمن أراد إتمام الرضاعة مطلقاً أو عند اختلاف إرادة الزوجين وفيه دليل على أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولأن لا عبرة بالرضاعة بعدها خلافاً لعائشة رضي الله عنها في أن إرضاع الكبير يؤثر في التحريم.

وأفاد الأستاذ: إن غاية الرحمة التي يضرب بها المثل رحمة الأمهات فأمر الله سبحانه الأمهات بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حولين كاملين وقطع الرضاع عليه قبل الحولين إشارة إلى أن رحمة الله بالعبد أتم من رحمة الأمهات بالولد ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ [الآية: 233] أي: وعلى الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [الآية: 233] أي: نفقة الأمهات المرضعات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بقدر

وسعه لقوله سبحانه: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 233] .

1/81 أ وقال الأستاذ: وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لما قمن عنك/ وجب حقهن عليك فإن من لك كله فعليك أن يكون كلك له وقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ أشار إلى أن ادخار المستطاع بخل وغدر والوقوف عند العجز عذر ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ [الآية: 233] بتشديد الراء المفتوحة على أنه نهي معلوم أو مجهول وبالمضمومة للمكي والبصري على أنه نفي كذلك ﴿وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [الآية: 233] أي: ولا الأب بولده والمعنى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له من حقه ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ [الآية: 233] أي: وارثه المحرم عند أبي حنيفة حال فقر الرضيع ووارث الأب وهو الصبي نفسه حال غناه اتفاقاً ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 233] أي: مثل ما وجب على الأب من النفقة وسائر أنواع الشفقة.

وقال الأستاذ: كما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ [الآية: 233] أي الوالدين ﴿فِصَالًا﴾ [الآية: 233] أي: فطاماً للولد قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا﴾ [الآية: 233] بينهما أو بغيرها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [الآية: 233] لأن أمره مفوض إليهما إذ لا يوجد أحد أحن عليه منهما.

وأفاد الأستاذ: أن الآية اشتملت على تمهيد طريق الصحبة وتعلم محاسن الأخلاق في أحكام العشرة وأن من لا يرحم لا يرحم وقد ورد عنه ﷺ أنه قال لمن ذكر أنه لم يقبّل أولاده أن الله لا ينزع الرحمة إلا من قلب شقي[1] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الآية: 233] حذف المفعول الثاني للاستغناء عنه بما يتضمنه الفعل من البناء والمعنى أن تعطوا أولادكم مراضع من غير أمهاتهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ [الآية: 233] إلى المراضع ﴿مَّا آتَيْتُم﴾ [الآية: 233] أي: ما أردتم إيتاءه من أجرتهن وفي قراءة ابن كثير بالقصر أي: فعلتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بالوجه المتعارف مروءة والمستحسن شريعة وهو صلة سلمتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وشبه ما هو من

(1) أورده القشيري في تفسيره (1/ 223).

شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة فاستعير له العبارة إشعاراً بأن كون الاسترضاع مقروناً بتسليم ما يعطي المرضع أكثر ثواباً وأنور مآباً ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 233] مبالغة في المحافظة على الموافقة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 233] أي: محاذر عن مباشرة المخالفة وحث على المعاشرة (بالمجاملة) والمخالفة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 234] أي: يموتون ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية: 234] أي يتركون/ زوجات من الحرائر ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] خبر 81/ب بمعنى الأمر أي: ليتوقفن وينتظرن أو يحبسن أنفسهن عن الزواج بعد موت الأزواج ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [الآية: 234] أي: عشر ليالٍ فتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرز الشهور والأيام وقيل: أي عشرة أيام لكون التذكر فيه فصيحاً أيضاً وحسنه أنه مقطع الكلام فهو شبيه بالفواصل في تمام النظام كقوله ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: عشرة أيام بقرينة قوله بعد أن لبثتم إلا يوماً وخص عن هذا الحكم الحامل للإجماع ولقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4] .

قال القاضي: ولعل المقتضي لهذا التقرير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أنثى فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه عشراً استظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادىء فلا يحس بها.

وقال الأستاذ: لما كان حق الميت أعظم من المطلق لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة وفائه أطول في الاعتبار ففي ابتداء الإسلام عدة الوفاة كانت سنة ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتحقق براءة الرحم عن ماء الزوج ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 234] أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] أي: مما حرم للعدة عليهن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 234] أي: بالوجه المستحسن شرعاً وعرفاً.

وقال الأستاذ: يعني إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزوج آخر فإنها قامت بحق المروءة وأمر الشريعة إذ الميت لا يستديم وفاءه إلى آخر العمر

أحد في الطريقة ولا في الحقيقة وقد قيل:

وكما تبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن[1]

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الآية: 234] وبجزاء أعمالكم بصير.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 235] أي: تكلمتم به على طريق غير تصريح بل على سبيل كناية وتلويح ﴿مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 235] أي: من التماس نكاح المعتدات للوفاة حال العدة وبتعريض خطبتها مثلاً أن يقول لها أنك جميلة أو صالحة أو نافعة ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الآية: 235] أي: فيها أضمرتم من نكاحهن في قلوبكم وأو للتنويع أو التخيير ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ [الآية: 235] أي: في أنفسكم فرفع الحرج في ذلك عنكم أو المعنى ستذكرونهن باللسان لعدم صبركم عن الرغبة فيهن وعلى السكوت عنهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [الآية: 235] التقدير فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن/ نكاحاً أو جماعاً وعبر عنه بالسر لأنه يسر وعن العقد لأنه سببه أومعناه لاتواعدوهن في السر على أن المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يُستهجن حتى في الذكر ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [الآية: 235] بأن تذكروا تلويحاً لا تصريحاً والمستثنى منه محذوف أي: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا مواعدة معروفة وقال الأستاذ أبيح من ذلك ما كان فيه استجلاب للمودة وتأسيس لحال الوصلة وحرم منها ما فيه ارتكاب محظورات إلمام بذنب أو عدة بجزم ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [الآية: 235] أي: لا تقصدوا عقد عقدة النكاح وذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد ولا بد عن تقديرالمضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا نفس العقد والمعنى لا تقصدوا قصداً جازماً في عقد ما يتقيد به أمر الزواج وملخصه لا تصححوا عقد النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [الآية: 235] أي: حتى تنقضي عدة الأول فإن حرمة الماضي لا تضيع ولو طال الأجل ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 235] أي: من العزم على ما لا يجوز لكم ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [الآية: 235] ولا تعزموه أو فخافوا المطلع على ما في ضمائركم.

/82 أ

---

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: الزهرة (1/ 164)، والبيان والتبيين (1/ 484).

وفي «تفسير السلمي» وقيل: فاحذروا أن يكون في أنفسكم سواه فيعرض عنكم الإله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 235] لمن عزم على معصيته وتركها لخشيته ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 235] لا يعجل عليكم بعقوبته وبخهم أولاً في الزلة ثم لم يؤيسهم من الرحمة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: لم تجامعوهن حقيقةً أو حكماً وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ [الآية: 236] أي: لم تفرضوا بمعنى لم تقدروا أو إلا أن تفرضوا أو إلى أن تفرضوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [الآية: 236] تسمّوا مهراً مفروضاً فعليه بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الإسمية ويحتمل المصدرية والمعنى لا تبعة على المطلق من جهة الوزر ولا من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر فإنها لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل وإذا لم تكن ممسوسة وسمي لها فلها نصف المسمى كما سيأتي في بيان هذا المعنى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: فطلقوهن ومتعوهن بمعنى أعطوهن من مالكم ما به يتمتعن ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ [الآية: 236] أي: الغني الذي يكون في سعة من غناه ﴿قَدَرُهُۥ﴾ [الآية: 236] بسكون الدال نافع والمكي والبصري والشامي وشعبة/ أي: قدر إمكانه ومقدار طاقته ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ [الآية: 236] أي: الفقير الذي في ضيق مما ابتلاهُ الله ﴿قَدَرُهُۥ﴾ [الآية: 236] والحكمة في إيجاب المتعة خبر إيحاش الفرقة بعد الوصلة وهي درع وخمار وملحفة عند أئمتنا الحنفية على حسب حال صاحب البلية في القضية وفي تفسير الوجيز أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما له ثمن ثم قال والمطلقة قبل تسمية المهر والمسيس يستحق المتعة بالإجماع انتهى. وأكثر السلف على أن المتعة عام لكل مطلقة وعندنا المتعة واجبة لمن لم يسمّ لها مهر ولم يقع لها مسّ ولا متعة لمن سمى لها مهر ولم يقع لها مسّ ومستحبة لسائر المطلّقات. ﴿مَتَٰعًۢا﴾ [الآية: 236] أي: تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 236] أي: مما يعرف حسنه شريعة ومروءة ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 236] صفة لمتاعاً أي: واجباً ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 236] أي: إلى أنفسهم بالمسارعة إلى امتثال أمر ربهم.

82/ ب

وقال الأستاذ: يعني إن ابتدأتم بوصلة أشكالكم ثم بدا لكم مفارقة أمثالكم فلا حرج عليكم في اختيار الفرقة إذ أردتم فإن الذي لا يجوز اختيار فرقته واحد فأما صحبة الخلق بعضهم مع بعض فليس بواجب بل غاية وصفة أنه جائز ولكن لما وقع عليهن اسمكم فنصف المسمى يجب لهن فإن الفراق كيف ما كان فهو شديد فجعل ما يستحق من العوض كالخلق لا عند تجرع كأس الفرقة فإن لم يكن مسمى فلا يخلو العقد من متعة فإن تجرع الفرقة مجرد عن كل راحة محنة عظيمة.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لأجلهن ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [الآية: 237] أي المطلقات بأن يتركن مطالبة أزواجهن ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [الآية: 237] أي الزوج المالك لعقده وحله فإن الطلاق لمن بيده الساق عما يعود نفعه بالتشطير مالاً فيسوق المهر إليه يوجب كمالاً وبه فسر أصحابنا والشافعي وأحمد وحجتهم ما رواه الدارقطني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال ولي العقدة الزوج وفسره مالك بالولي ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ [الآية: 237] أي: وعفوكم أيها الرجال والنساء ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 237] أي: أدعى إلى كمال الإتقاء من أحوال الأتقياء فإن امتثال العفو المندوب مشعر بأن صاحبه بالأولى بتمثل أمر الوجوب والآية في الجملة داعية إلى خصلة الإيثار التي هي طريقة الأبرار ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لا تتركوا تفضل بعضكم على بعض منكم بزيادة الإحسان فيما بينكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 237] فلا يضيع تحملكم وتجملكم/. 83/أ

وأفاد الأستاذ: أنه يقال من أخل بالفضل واقتصر على العرض فعن قريب يخل بالفرض ويقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل وأن من سُنَّة الكرام إذا خفي عليهم موضع الكرام أن يتخذوا بصائر الجود بتطلع لطائف الكريم ليتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [الآية: 238] أي داوموا عليها بأدائها على وفق

شروطها وأركانها ومراعات سننها وآدابها ﴿وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [الآية: 238] أي بينها والفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر وعليه أكثر السلف والخلف وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال يوم الأحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً[1] ولعل فضلها لكثرة اشتغال الناس في أسواقهم حينئذٍ عنها ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 238] أي: في الصلاة عموماً وفي الوسطى خصوصاً ﴿قَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 238] ذاكرين ومطيعين أو خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن المحافظة على الصلوات أن يدخلها بالهيبة ويخرج بالتعظيم ويستديم بدوام الشهود وبنعت الأدب وأبهم الصلاة الوسطى عنك لتراعي الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة منها أنها هي لأن لا يقع منك تقصير في شيء منها انتهى ولا يبعد أن يقال المراد منها الصلاة الواقعة في وسط الناس ومجامعهم وخصت بالمحافظة مخافة الاشتغال بهم وخشية استعمال السمعة والرياء في محافلهم ولذا ورد أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة[2] وإنما شرعت المفروضة علانية بالجماعة لأمره تعالى بقوله ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43] إشعاراً بأنه من شعائر المسلمين ولأن الصلاة بالجماعة تقتضي أن تكون بالهيئة المجموعة كاملة في المرتبة الحضورية بأن كلاً من المصلين يكون حاضر القلب في جزء من الأجزاء الأركانية وغير ذلك من الحكم الإلهية بالأسرار النبوية.

وقال صاحب «العرائس» المحافظة شهود السر مقام الغيب وخمود النفس عن دواعي الريب ومراقبة القلب أنوار الكشف ورعاية الروح مشاهدة الوصل ومراعات الأدب ظاهراً وباطناً أما الظاهر فبإقامة الحدود في أركانها وأما الباطن فبدفع الخواطر المذمومة الشاغلة عن رؤية الآخرة/ ثم الغيبة عن 83/ ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2931)، ومسلم في الصحيح (6271/ 203).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (731)، والطبراني في المعجم الكبير (5/ 144) رقم (4895)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 494) رقم (4382)، وابن حبان في الصحيح (6/ 238) رقم (2491)، .

الأركان والرسوم برؤية الحق جل جلاله في صلاته ثم الفناء في حقائق المشاهدة عن ملاحظة وجوده لغلبة سكر الوجد ومن هذا حاله فهو غائب في سر الاصطلام ولا يعلم كيفية صلاته لغلبة الوقت ولا عيب عليه لأنه قد بلغ مقام المشاهدة وهذا مقصود الصلاة إشارة من النبي ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] لكن صورة الأحكام تجري على العارف ويحفظها الله عليه وإن لم يعلم شأنه فيها فهؤلاء القوم يغيبون عن الظاهر لِشغل الباطن والعامة يغيبون عن الباطن بشغل الظاهر فشتان ما بين الطائفتين فالعوام طاحوا في أودية الغفلات فيزينون أحكام الظاهر وأهل المعرفة طاروا في عالم المشاهدة فهم في غيبة عن رسوم الأحكام استغراقاً في بحر أنوار مشاهدة ذي الجلال والإكرام وأبهم صلاة الوسطى لمراعاة جميع الأوقات ومراقبة أحايين المكاشفات انتهى وكأنه يشير إلى إيصال صلاة الوصلة فيما بين الصلوات من النوافل وسائر الأذكار والدعوات بحيث لا يخلو في لحظة ولا لمحة ولا نفس نفس السالك عن الذكر والطاعة ولذا قال بعض العارفين الصلاة دوام الحضور مع الله والصيام هو الإمساك عما سواه ثم ما ذكره الشيخ من تقسيم الخاص والعام مستقيم عند المشايخ الكرام لكن فوق هذا مقام للأخص وهو المعبر عنه بجمع الجمع حيث لا منع بمعنى أن حضور الباطن لا يمنع عن القيام بالظاهر وعكسه فهم ثمن يقال فيهم أنهم مجمع البحرين وملتقى النيرين كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19 ـ 20] وأما غيرهم فكما أشار الله إليهم بقوله ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: 20 ـ 21] وفي هذا تنبيه نبيه على أن درجات الصلاة ومراتب الوصلات يكون أبداً في مزية الزيادات كما يقتضيه كمال تجلي الذات والصفات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [الآية: 239] من عدو وغيره ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ﴾ [الآية: 239] أي: فصلوا راجلين واقفين على الأرجل جماعة أو راكبين فرادى مستقبلي القبلة أو غيرها

(1) سبق تخريجه.

كما قرر صلاة/الخوف في محلها ولا يصلي عندنا حال المشي والمسايفة خلافاً 84/أ
للعلماء الشافعي ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ [الآية: 239] أي: كنتم في أمان ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 239] أي: فصلوا صلاة إلا من مع أهل الإيمان ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ [الآية: 239] أي: لأجل تعليمنا إياكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 239] بعقولكم.

وقال الأستاذ: لا تخلوا بمناجاتي لأوقاتها على الوصف الذي أمكنكم فإن من تخشونه من أعدائكم أنا سلطتهم عليكم فإذا خلوتم لي بقلوبكم قصرت أيديهم عنكم وجعلت الظفر لكم عليهم ثم إذا زال عنكم الخوف وآمنتم فعودوا إلى استقراركم باستفراغ أوقاتكم في الاعتكاف بحضرتي سراً وجهراً انتهى ولعل ذكر الصلاة حال الرفاهية والمخوفات بعد الأمر بمحافظة جميع الصلوات في أثناء أحكام الأولاد والزوجات لئلا يشغلهم الاهتمام بأمرهم عن حكم ربهم كما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9] ولا يبعد أن يكون حكمة إيراد الجمل المعترضة إشارة إلى قطع ما بعدها عما قبلها نزولاً وإيماء إلى أن ما سيأتي منسوخ وإن تأخر وجوده ذكراً.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾ [الآية: 240] أي: فعليهم وصيته وفي قراءة البصري والشامي وحفص وحمزة بالنصب أي: فليوصوا وصية ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا﴾ [الآية: 240] أي: تمتيعاً ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [الآية: 240] أي: نصب بالفعل أو المصدر ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾ [الآية: 240] بدل اشتمال منه والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لنسائهم بأن يمتعن بعدهم بإجراء النفقة عليهن وإبقاء السكنى لهن حولاً من غير إخراج الورثة إياهن كما قال قائلهم، إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ثم نسخت هذه المدة بما تقدم من العدة وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذا السكنى لأنه تابعة للنفقة ومن جملة المتعة وهذا عندنا معشر الحنفية خلافاً للعلماء الشافعية فإن السكنى لها بعد ثابتة لكن على وفق المدة المتقدمة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ [الآية: 240] أي: عن منازل أزواجهن باختيارهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ﴾ [الآية: 240] أي مما لم ينكره الشرع من التشوف للنكاح والتصنع للأزواج ﴿وَٱللَّهُ

﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية: 240] أي: لا يدفعه أحد من الانتقام عن من خالفه في الأحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 240] أي: حاكم لا يعقب فيما أمرهم وذو حكمة يراعي مصالحهم/ . 84/ب

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 241] قال الواحدي لما ذكر الله تعالى متعة المطلقة في قوله ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل من المسلمين إن أحسنت فعلت وإن لم أزد ذلك لم أفعل فأوجبها الله على المؤمنين الذين يتقون الشرك.

وفي «العرائس» جعل لهن المتاع تسلية لقلوبهن لأنهن كابدن مقاساة الفراق لئلا يضاعف البلاء لهن بلاء الهجران وبلاء الحرمان.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 242] أي: مثل بيان ما سبق من حكم الأزواج والأولاد ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية: 242] أي: سيبين للعباد ما يحتاجون إليه في أمر المعاش والمعاد ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 242] أي: تفهمونها وتعملون بها فإنها نعم الزاد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 243] تعجيب وتنبيه على أمر غريب والمعنى ألم تنظر بعين التعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 243] أي: من أوطانهم باختيارهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [الآية: 243] أي: كثيرة حتى قيل: أربعون بل سبعون والجملة حالية ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [الآية: 243] أي: فراراً من الطاعون في بلادهم حتى نزلوا وادياً في طريقهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ [الآية: 243] أي: كونوا أمواتاً فماتوا كقوله سبحانه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالأمر للتكوين لِقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65] ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [الآية: 243] أي مقتهم الله على فرارهم فأماتهم عقوبة لأفعالهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية: 243] حيث أحياهم ليعتبروا ويعرفوا أن لا مفرعن القدر فيتيقنوا ويثبتوا وأخبركم لتستبصروا فتصبروا وتشكروا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 243] أي: بل يكفرون وينكرون والقصة مقدمة للأمر بالمجاهدة وتوطئة مشجعة للتعرض بالشهادة على وجه التوكل حال البلاء

وطريق الاستسلام للقضاء.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما استبعدوا قدرة الله في الإعادة أراهم في أنفسهم عياناً ثم لم ينفع إظهار ذلك لمن لم يشحذ بصيرته في التوحيد ومن قويت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فإنهم تحققوا بما أخبروا لما آمنوا به بالغيب.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 244] لدعواتكم ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية: 244] بنياتكم.

وقال الأستاذ: يعني إن مسكم ألم فتصاعد منكم أنين فاعلموا أن الله سميع لأنينكم عليم بأحوالكم بصير بأموركم وأفعالكم فالآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الألم قال قائلهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمع[1]

/ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 245] أي من هذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم من ماله أو عمله ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [الآية: 245] أي: إقراضاً مقروناً بالاخلاص وطيب نفسه ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [الآية: 245] أي: فيضاعف جزاؤه ﴿لَهُۥٓ﴾ [الآية: 245] وصيغة المبالغة للمبالغة وفي قراءة ابن عامر وعاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى أي أيقرض الله أحدٌ فيضاعفه وفي قراءة المكي والشامي يضعفه بالتشديد ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [الآية: 245] أي: كثرة لا يعلم قدرها إلا الله ونصبه على المصدرية على أن الضعف اسم المصدر وجمع لقصد الأنواع. 85/أ

وقال الأستاذ: سمي القرض قرضاً لأن المتصدق يقطع من ماله شيئاً فيعطي المقترض وهذه التسمية لحفظ قلوب الأحباب حيث خاطبك في باب الصدقة باسم القرض ولفظه ويقال دلّت هذه الآية على عظيم رتبة الغني حيث سأل منه القرض ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم لأنه سأل لأجله القرض وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 234) و(3/ 7) و(3/ 462) (5/ 195).

يسأل القرض عن كل أحد ولكن لا يسأل لأجل كل أحد ففي الخبر مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند [أبي] شحمة اليهودي على شعير أخذه لقوت عياله[1] أبصر ممن اقترض ولأجل من اقترض انتهى.

والظاهر أنه تعالى إنما سأل القرض لرتبة الفقراء من العلماء والأولياء فكأنه قال من يعطيني لأجلهم أو من يعطيهم لأجلي وأنا كفيل برد الزيادة من فضلي مع أن الكل عبدي ومالي وفيه ابتلاء للأغنياء لا سيما من السفهاء حيث قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء ولا يبعد أن يكون التقدير من ذا الذي يقرض أولياءه ومن الفقراء أصفياءه وفيه إيماء إلى عظم شأنهم وعلو مقامهم حيث نزل نفسه الأنفس منزلة القوم الأقدس.

ثم أفاد الأستاذ: بأنه يقال القرض الحسن ما لا يطالع عليه الجزاء ولا يطلب بسببه العوض ولا الثناء ويقال القرض الحسن أن لا يعطى على الغفلة وإنما يعطى عن شهود الحضرة ويقال القرض الحسن من العوام إذا كان عن ظهر غنى ومن الخواص إذا كان بشرط الإيثار ويقال القرض الحسن من العامة عن مائتين خمسة وعلى لسان القوم بذل الكل وزيادة الروح على ما يبذل.

وفي «**العرائس**» القرض الحسن بذل الموجود مع الحياء والخجل معرفة على تقصيره وفناء أطماع الأعواض والفرح بمخاطبة الحق معه وأيضاً استقرض من عباده ما أعطاهم ليربيه لهم ويزيد فضله على فضله في حقهم ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ/ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [الآية: 245] وفي قراءة الحرميين غير قنبل وشعبة والكسائي يبصط والمعنى يمسك الرزق عمّن ما يشاء ويوسع على من يشاء أو يضيق تارة ويوسع أخرى حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت مشيئته فلا تبخلوا بصرف المال في سبيله لأنه قادر على تبديله وتحويله ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية: 245] وعلى أعمالكم تثابون.

85/ ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2916)، وابن حبان في الصحيح (13/ 262) رقم (5936)، وابن ماجه في السنن (2/ 815) رقم (2438)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 519) رقم (1214)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 49) رقم (6247).

قال الواسطي: يقبضك عما لك ويبسطك فيما له.

وقال الثوري: يقبضك بإياه أي: بفعله ويبسطك لإياه أي: لأجله وقيل ﴿يَقۡبِضُ﴾ أي: يوحش أهل صفوته من رؤية الكرامات ويبسطهم بالنظر إلى الكريم الذات بحيث ينسى حينئذٍ جميع اللذات.

وقال الأستاذ: يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبول وقرض ويبسط عليهم بسط خلف وعوض ويقال قبض على الفقراء ليمنحهم بالصبر ويبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر ويقال يقبض تسلية للفقراء حتى لا يروا من الأغنياء ويبسط لئلا يتقلدوا المنّة من الأغنياء ويقال قبض القلوب بأعراضه وبسط القلوب بإقباله ويقال القبض لما غلب على القلوب من الخوف والبسط لما غلب عليها من الرجاء ويقال القبض لقهره والبسط لبره ويقال القبض لستره والقبض لكشفه ويقال القبض للمريدين والبسط للمرادين ويقال القبض للمتسابقين والبسط للعارفين ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك به ويقال القبض حقه والبسط حظك ويقال القبض لمن تولى عن الحق والبسط لمن تجلى له الحق ويقال يقبض إذا أشهدك فعلك ويبسط إذا أشهدك فضله ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الثواب.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 246] أي: إلى جمع عظيم يملؤن الأعين بكثرتهم وقوة شوكتهم من تبعيضية ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية: 246] أي: بعد موته ومن ابتدائية ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾ [الآية: 246] يوشع أو شمعون أو غيرها ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ [الآية: 246] أي: أقم لنا أميراً ﴿نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 246] أي: ننهض معه للقتال مع غير أهل ملتنا وننتظم به كلمتنا وتستقيم به حالتنا ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ [الآية: 246] بفتح السين لغير نافع ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ [الآية: 246] فصل بين عيسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع حصول جبنكم عن قتال عدوكم إن كتب الجهاد عليكم ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 246] أي: وأي مانع لنا من عدم المقاتلة في مرضاة/ 86/أ مولانا مع أعدائنا ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ [الآية: 246] أي وأفردنا

بالسبي والقتل مع أولادنا والجملة حال عامله نقاتل والظرف أعني لنا والمعنى إذا بلغ الأمر منا هذا المقدار فلا بد من الجهاد الذي ليس فيه الفرار ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ [الآية: 246] وأمر عليهم أفضل الرجال ﴿تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 246] أي: جبنوا ولم يثبتوا على ما كتب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 246] وهم كأهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر وسيأتي أنهم هم الذين عبروا النهر.

وفي «**تفسير السلمي**» قال فارس: لا يتجرد للحق من هو قائم بسبب أو علاقة أو سكون أو مسكن.

وأفاد الأستاذ: أنهم استقبلوا الأمر باختيارهم واقترحوا على نبيهم بسؤال إذن القتال لهم فلما أجيبوا إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التكاسل وعرجوا في أوطان التجادل والتغافل ويقال أنهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذباً عن المنازل والأموال فكذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يخلص لحق الله عزمهم ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أمرنا وأوجب علينا فإنه سيدنا ومولانا تجب إطاعة أمره علينا لعلهم وفقوا لإتمام ما قصدوا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾ [الآية: 247] أي: أقام ﴿لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [الآية: 247] أي: أميراً سألتموه للقتال ونصبه على حال ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 247] أي: من أين يكون له الإمارة لدينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [الآية: 247] أي: والحال إنا أحق منه بالإمارة لأنه ليس من بسط المملكة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [الآية: 247] أي؛ والحال أنه لم يعط توسعاً وزيادة من جهة المال ليكون له قوة المكنة والقدرة نسباً وسبباً ﴿قَالَ﴾ [الآية: 247] ذلك النبي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 247] بالملك والحكم ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ [الآية: 247] أي سعة ومزية ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [الآية: 247] وهو كناية عن الشجاعة وهما شرطان في صحة الخلافة فوفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليكون إشارة إلى تحقق الشجاعة مع زيادة

الهيبة في قلوب أهل الريبة ويكفيه من جهة نسبة النسب في الجملة أنه من أهل بيت النبوة ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية: 247] من غير اعتراض عليه لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 247] أي في فضله يوسع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 247] بحال عبده فيما يبديه ويخفيه.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾ [الآية: 248] حين طلبوا منه إمارة على اصطفاء طالوت ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [الآية: 248] أي: صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد[1] مموهاً بالذهب/ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين أو كان تابوتاً أنزله الله تعالى على آدم فيه صور الأنبياء عليهم السلام كانت بنو إسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم العمالقة على التابوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال: آية ملكه أن يرد الله التابوت عليكم فحملته الملائكة حتى وضعوه في دار طالوت ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [الآية: 248] أي: مودع فيه سكون لأنفسكم واطمئنان لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [الآية: 248] أي أبناؤهما وهي رضراض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون عليهما السلام ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 248] أي: فيما ذكر من علامات اليقين ﴿لَأٓيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 248] .

86/ب

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إذا أظهر نوراً من فضله أمده بتأييد من قبله فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال عن قلوبهم بما أظهر من آياته الدالة على صدق قول نبيهم في اختياره فرد عليهم التابوت الذي فيه السكينة فاتضح لهم أنه ملكهم وأن نبيهم صدقهم فيما أخبرهم ويقال: إنّ الله تعالى جعل سكينة بني إسرائيل في التابوت الذي فيه رضراض الألواح وآثار صاحب نبوتهم وجعل سكينة هذه الأمة في قلوبهم فقال فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ثم إنّ التابوت كان يتداوله الأيدي من الأعداء وغيرهم فمرة كان يدفن ومرة يغلب عليه فيحمل ومرة يرد وأما قلوب المؤمنين فحال بين

(1) شجر السرو، انظر: تاج العروس (1/ 2403).

أربابها وبينها ولم يستودعها ملكاً ولا سماءً ولا هواءً ولا مكاناً ولا شخصاً وقد قال ﷺ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يعني في قبضة الحق سبحانه وتحت تقليبه وتصريفه والمراد منه القدرة فشتان بين أمة وبين أمة أمة سكينتهم فيما للأعداء عليه تسلط وأمة سكينتهم فيما ليس لمخلوق عليه سلطان.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [الآية: 249] أي: انفصل وخرج بهم عن مكانهم لقتال العمالقة من أعدائهم ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [الآية: 249] أي: معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه على وقف ما طلبتموه لما روي أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط فارغاً لا يكون لأحد إلفاً فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفاً فسلكوا مفازة في وقت كان قيظاً وحراً وسألوا أن يجري الله لهم نهراً ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: من مائه بفمه أو وعائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [الآية: 249] أي: من أشياعي فلا يتبعني/ أو من أتباعي فليس بمتحد معي 87/أ ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ [الآية: 249] أي: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [الآية: 249] أي: من أهل ديني ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ﴾ [الآية: 249] بالضم للشامي والكوفي أي: معروفة وبالفتح لغيرهم أي: مرة من الغرف ﴿بِيَدِهِۦ﴾ [الآية: 249] والمراد الرخصة في اليسير دون الكثير وقد علم ذلك وحياً إن كان نبياً وإلهاماً إن كان ولياً والاستثناء وصل لأن من اغترف فقط ليس ممن شرب بمعنى كرع أو أفرط ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: بفمهم أو أفرطوا في شربهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 249] وتقدم بيان عددهم وروي أن من اقتصر منهم على غرفة كفته لشربه وأداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش وشدة حرارته وحصل اسوداد بشفته ولم يقدر أن يتجاوز عن منزلته وهذا مثال للدنيا للسالك العقبى وقاصد المولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه ابتلى الخلق بصحبة الخلق وبالدنيا وبالنفس فمن كانت صحبته مع هذه الأشياء على حد الاضطرار بمقدار القوام وما لا بد له ينجو من هذه الدار ويسلم من عذاب النار ومن جاوز حد الاضطرار وانبسط في الصحبة مع شيء من ذلك بموجب الشهوة والاختيار فليس من الله في شيء إن كان ارتكاب محظور وحرمة ليس من هذه الطريقة

في شيء إن كان ما له منه بد وعلى جهة الفضلة والخواص في كل وقت يقل عددهم ولكن يجل قدرهم ومددهم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي النهر ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: سواء على كمال الإيمان وهم القليل الذين لم يخالفوه بالعصيان وفيه إيماء إلى أنهم هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴿مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: مع طالوت متعلق بجاوزه ﴿قَالُواْ﴾ [الآية: 249] أي الذين أفرطوا في شربهم وخالفوا أمر ربهم فيما بينهم أو لمن جاوز النهر منهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [الآية: 249] أي: لكثرتهم وقوة شوكتهم فإن جالوت كان جباراً من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكانت بيضة فيها ثلاث مائة رطل بوزن الحداد.

وأفاد الأستاذ: أنهم نظروا إلى الحال بالعين الظاهرية فداخلهم شيء من رعب البشرية فربط الله على قلوبهم بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه وتعالى لأوليائه إذا شاء على أعدائه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 249] أي: والخلص منهم الذين يتقوا لقاء ربهم وتوقعوا ثواب كسبهم وهم القليل الذين ثبتوا معه في بلائهم وبعض علمائهم وفضلائهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ/ فِئَةً﴾ [الآية: 249] أي: جماعة ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 249] أي بمشيئته ومعونته لهم لا بحولهم وقوتهم وكم خبرية لا استفهامية ومن مزيدة أو مبينة ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 249] بالنصرة والقوة وإثابة المثوبة. 87/ ب

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ [الآية: 250] أي: خرجوا وظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ [الآية: 250] أنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 250] فيه نصر الله إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127] ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [الآية: 250] بتقوية قلوبنا ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 250] أي من الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة من إقامة الطاعة ووصلة الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أنهم تبرؤوا من حولهم وقوتهم ورجعوا إلى الله بتضرعهم ومسكنتهم مستعينين إليه مستعينين به واثقين بنصره معتمدين على إعطاء صبره فكان أهم أمورهم الصبر والوقوف لعدوهم ثم بعده النصرة عليهم فإن الصبر

حق ربهم والنصر نصيبهم فقدموا تحقيق حقه سبحانه وتوفيقه لهم ثم وجود حظهم ونصيبهم من النصرة على عدوهم ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصر عليهم لا للانتقام منهم ولا لأجل ملفاتهم من نصيبهم ولكن لكونهم كافرين أعداء ربهم فقاموا بكل وجه لله بالله فلذلك نصروا ووجدوا الظفر.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 251] أي فكسروهم وغلبوهم بإرادته على حسب ما قدره وقضاه ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [الآية: 251] روي أنه كان صغيراً يرعى الغنم فأوحى إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من الله فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له أنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله وقد وعده طالوت أن يزوج ابنته بعد قتل جالوت ويشركه في نعمته وأمر حكومته فوفى بعهده ثم آل الأمر إلى داوود بعده ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [الآية: 251] أي: ملك بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 251] أي: النبوة ولم يجتمعا قبل داوود على أحد إذا كان الملك في سبط والنبوة في آخر ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [الآية: 251] يعني صنعة الدرع ومنطق الطير وكلام الدواب.

قال الأستاذ: هيب الله الأعداء بطالوت لما زاده من البسطة في الجسم ولكن عند القتال جعل الظفر على يدي داوود وكان كما في قصة ربع القامة صغير الجثة ولم يكن معه السلاح إلا مقلاع ولكن الظفر كان له لأن نصرة الله سبحانه كانت معه.

ومن «**نفائس العرائس**» أن طالوت هاهنا الروح وهي ملك الباطن ومثل داوود نبي الله عليه السلام العقل وجنوده/القلب وتلك الإلهام والعلم والفهم والإدراك والحواس ومثل جالوت عدو الله تعالى الشيطان وجنده خيل الخيال وأعوان الشهوات فأمر الله تعالى الروح بالمحاربة معه اختباراً للنفس الأمارة فلما فصل الروح بجنودها قالت: إن الله مبتليكم بنهر الشهوة الذي يشرب منه النفس بكأس الغفلة وأضافت إليهم الشرب لأن الروح مقدسة عن رجس البشرية ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [الآية: 249] أي: ليس من عالم الروحانيات وليس من أهل مكاشفات الصفات ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [الآية: 249] أي: 88/أ

من نور القدس عالم الأنس ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [الآية: 249] أي: القلب والحواس والنفس يغترفون بقدر الترفه حتى لم يحترقوا في جوار الروح بنيران المحبة والمواجيد التي يحصل منه نور المعرفة ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: النفس وأعوانها لأنهم من ملكوت الأرض ولأجل ذلك مالوا إلى طعمة الطبيعة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ﴾ [الآية: 249] أي: العقل والملك لأنها من ملكوت السماء وليس لهما إلا لذة التربية أما شرب القلب فبقدر الكفاية لأنه ممزوج بخلاصة الجسم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: الروح والعقل والملك والحواس والقلب ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [الآية: 249] يعني أوباش الطبيعة وقت محاربة تمنّي النفس وأعوانها لأنهم جبنوا بشربهم مياه الشهوة من نهر الغفلة فصاروا وجلين عن الجهاد ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 249] أي: يقول أعوان الروح الذين يوقنون كشف العيان بعد مجاهدة الشيطان ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ [الآية: 249] بالعدد ملأها نور اليقين ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ [الآية: 249] أي: من التي ليس معها النصر من عند الله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 249] الذين وقفوا على مراد الحق بنعت الرضا والتسليم ورؤية كرمه القديم.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 251] وفي قراءة نافع ﴿دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 251] بنصر المؤمنين على الكافرين ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية: 251] بغلبة المشركين على المؤمنين وتخريب البلاد وتعذيب العباد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 251] بهلاك الظالمين وخلاص الصالحين.

وقال الأستاذ ولو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لهلك الضعفاء لغلبة الأقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض ليدفع بتشاغلهم شرهم من قوم أراد خيرهم.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 252] / أي: أي تلك الحالات السابقة والإخبارات السالفة 88/ ب ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 252] علامات توحيده ودلالات تمجيدة ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الآية: 252] أي: بالوجه المطابق وعلى وفق الصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ

﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية: 252] لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع لها.

وأفاد الأستاذ: أنه لمن يكن في علمك ولا في وسع احتيالك الوقوف على هذه الغايات من الكائنات التي سلفت وإنما وقفت عليها بتعريف من قبل الله تعالى.

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية: 253] إشارة إلى الجماعات المذكورة في هذه السورة أو تلك الرسل التي عندك معلومة وفي ذهنك مسطورة ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الآية: 253] أي: لم نجعلهم سواء في الفضيلة وإن استووا في القيام بأمر الرسالة بل خصصنا بعضهم بما ليس لغيره من المنقبة ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية: 253] كلم موسى عليه السلام في الطور ليلة الحيرة وكلم محمد ﷺ حين كان قاب قوسين أو أدنى ليلة الخيرة وبين المقامين بون بين ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [الآية: 253] بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد ﷺ فإنه خص بالدعوة العامة والحجج التامة والمعجزات المستمرة بتعاقب الدهر ومزية الفضائل العلمية والعملية الغائية للحصر ولعل الإبهام لوضوح مرتبة الكلام ورفعة المقام وقيل المراد به إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي من أعلى مراتب الأنام ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 253] أي المعجزات الظاهرات ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [الآية: 253] ووجه تخصيصه إفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه.

وقال الأستاذ: جمعتهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص الفضيلة ولكل واحد منهم أنوار ولأنوارهم مطارح وآثار فمنهم من هو أعلى نوراً وأتم في الرفعة وفوراً، ولم يكن فضائلهم باستحقاقهم ولا بناء على أفعالهم وأحوالهم، بل حكم بالحسنى أدركهم وعاقبة بالجميل تداركتهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 253] أي: هداية الناس بأجمعهم ﴿مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ [الآية: 253] أي: من كان بعد مجيء رسلهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 253] أي: ظهرت المعجزات الواضحات لهم ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ [الآية: 253] لتعلق المشيئة بعد اتفاقهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ

مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118 ـ 119] أي: لأجل اختلاف المظاهر الذي يقتضيه نعوت الجمال وصفات/ الجلال كما قال في آية 89/أ أخرى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 253] بإحسانه وإقباله عليه فضلاً ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [الآية: 253] بخذلانه وإعراضه عنه عدلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم مصروفون بالمشيئة الأزلية التي عليها المدار ومسلوبون الاختيار الذي به الاعتبار والعبودية شد نطاق الخدمة وشهود سابق القسمة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الآية: 253] أي: كرره لتأكيد الرد على المعطلة[1] والمعتزلة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 253] ولذا لما ألهم أبوا يزيد ما تريد فقال أريد أن لا أريد فقال بعض أهل المزيد هذا أيضاً نوع من إرادة المريد وقد قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

وهنا نكتة لطيفة وهي أن المريد إذا ترك الإرادة صار مراداً وأخذ من فائدة مائدة التعويض والتسليم زاداً وحينئذٍ تقول هل من مزيد ويقال له لدينا مزيد وفي الحقيقة فهو المراد والمريد ويحكم ما يريد بالعبيد لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [الآية: 254] أي: للزكاة والصدقة والنفقة في المجاهدة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [الآية: 254] وفي قراءة المكي والبصري بفتح الثلاثة والمعنى أنه لا يوجد ذلك الوقت مفاداة ولا مصارفة ولا معاونة لأرباب المخالفة والمخالصة والشفاعة من الأبرار ولذا قال سبحانه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 254] أي: الكاملون في الظلم فإن الشرك لظلم عظيم فقرابه وخيم وحجابه جسيم لا يدفعه شفيع ولا ينفعه حميم.

وقال الأستاذ: يعني اغتنموا مساعدة الإمكان في تقديم الإحسان قبل فناء الجسد وانقضاء الأمد.

(1) النافين لصفة الكلام. شرح قصيدة ابن القيم (1/ 311).

﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية: 255] أي: الذات المستجمع لكمال الصفات المستحق لعبادة المخلوقات وهو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [الآية: 255] أي: لنا أو موجود أو مشهود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ [الآية: 255] أي: القديم الأزلي والباقي الأبدي ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] أي الدائم القيام بتدبير الأنام.

وفي «**تفسير السلمي**» ﴿ٱلْحَىُّ﴾ [الآية: 255] الذي أحيا كل حي وهو الحي الذي لم يزل ولا يزال والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل من قال هذه الكلمة وفي قلبه طمع أو سؤال أو رغبة أو رهبة فهو مشرك أي: شركاً خفياً حيث جعل ما سوى الله شريكاً في محبة مولاه.

وقال صاحب «**العرائس**» ﴿ٱلْحَىُّ﴾ [الآية: 255] الذي قام به الأحياء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] الذي يحيي بقيومته الأموات والحي من صفاته الخاصة في القدم ونعوته/ العامة فيما أوجد الخلق من العدم والقيومية صفته التي لم يزل كان موصوفاً بها ومحصلها أنه اشتغل بنفسه في أزليته وأبديته. 89/ب

وقال الخواص: من عرفه بأنه الحي القيوم ألزمه معرفته طلب كل شيء منه وترك القيام بشيء من أموره لقيامه بها.

وأفاد الأستاذ: أن قوله لا إله إلا هو إخبار عن نفي النظير والشبيه بما استوجبه من التقديس والتنزيه ومن تحقق بهذه المقالة لا يرى ذرة من الإثبات لغيره أمن غيره فلا يرفع إلى غيره حاجة ولا يشهد من غيره ذرة فيصدق إليه انقطاعه ويدوم بوجوده انفراده فلا يسمع إلا من الله وبالله ولا يشهد إلا الله وبالله ولا يقبل إلا على الله مع الله ولا يشتغل إلا بالله ولله فهو محو عما سوى الله فما له شكوى ولا دعوى ولا يتحرك منه لغيره عرق أصلاً فإذا استوفى الحق عبداً لم يبق للحظوظ فيه مساغ أبداً ثم أن هذه المقالة يقتضي التحقق بها الفناء عن الرسومات بجملتها والتحقق بأنه لا سبيل للخلق إلا وجود الحق سبحانه فلا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد فإن ذلك أجمع آفات لا يليق بالقديم وقوله ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] المتولي لأمور عباده القائم بكل حركة وسكون والمجري لكل عين وأثر ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ [الآية:

255] وهي فتور يتقدم نوم الناس ويعبر عنه بالنعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ [الآية: 255] روعي الترتيب الوجودي في ذكرهما وإلا فمقتضى المبالغة عكسهما والجملة نفي للتشبيه وتنبيه على أن من أخذه سِنَة وغفلة لم يكن كاملاً في الحياة والقيومية.

وأفاد الأستاذ: أنه أحد لا ترهقه غفلة وصمد لا تمسه علة وعزيز لا يقاربه ذلة وكريم لا يوازيه قلة وجبار لا تميزه عزلة وفرد لا تضمهُ جثة ووتر لا يحده جهة وقديم لا يلحقه آفة وعظيم لا تدركه مسافة تقدس من جماله جلاله وجلاله جماله وسناؤه بهاؤه وبهاؤه سناؤه وأزله أبده وأبده سرمده وسرمده قدمه وقدمه وجوده.

وفي «العرائس» يخوف بهذه الإشارة خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا بغيره عنه طرفة عين وأيضاً ينفي السِّنة نزه نفسه عن الغفلة وينفي النوم قدس نفسه عن الفترة وأيضاً هذا إعلام منه سبحانه للمهمومين أنه ينتقم عن الظالمين للمظلومين ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 255] ملكاً وإبداعاً وخلقاً واختراعاً وهذا تقرير لقيوميته كما أن ما قبله تحرير لديموميته وفي/ كل 90/أ تنبيه على تفرده في ألوهيته.

وفي «العرائس» أزال حلاوة زهر الكونين عن قلوب أهل الصفوة حيث وبخ من التفت سره عنه إلى ما له لأن الالتفات من المنعم إلى النعم شرك بالمنعم ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 255] أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره.

وقال الأستاذ: ومن ذا الذي يتنفس بنفس إلا بإجرائه أو يتوسل إليه من دون إذنه وإبدائه ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل أو تذلل أو أمل وقربة أو نسب أو علة أو سبب فالظن وطنه والجهل مألفه والغلط غايته والبعد قصاراه ونهايته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية: 255] أي: ما قبلهم وما بعدهم أو أمور الدنيا وأحوال الأخرى أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

وفي «العرائس» يعلم ما بين أيديهم من الخطرات وما خلفهم من العثرات وأيضاً يعلم ما بين أيديهم من المقامات وما خلفهم من الحالات.

والحاصل كما قال الأستاذ: أنه لا يخرج عن علمه معلوم ولا يتلبس عليه موجود ولا معدوم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 255] أي: من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [الآية: 255] أي: بما أراد أن يعلمه بعض مخلوقاته.

وفي «العرائس» حجب علم القدم عن إدراك من وجد من العدم إلا ما كاشف لأهل القلوب من معاينات الغيوب.

وقال الأستاذ: إذا تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته فأي طمع لها في الإحاطة بذاته ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 255] الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع والعرش لقوله ﷺ ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة(1).

قال السلمي: العرش والكرسي إظهار للقدرة لا محل للذات لأنه سبحانه منزه عن سمات الحادثات.

وفي «العرائس» كرسيه قلب العارف وهو أوسع منهما لأنه معدن علوم الألوهية وعلم اللدنيّ مما لا غاية له ولا نهاية.

وقال الأستاذ: خطاب لهم على قدر فهمهم وإلا فأي خطر للأكوان عند صفاته المنزهة عن المكان والزمان وجل قدره عن التعزز بعرش أو كرسي أو التجمل بجني وإنسي ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [الآية: 255] أي: ولا يثقله ولا يجهده ﴿حِفْظُهُمَا﴾ [الآية: 255] أي: محافظته لهما.

وقال الأستاذ: كيف يتعب المخلوفات من خلق الذرة والكون بجملته له سواء فلا من القليل له تيسير ولا من الكثير عليه تعسير/ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ [الآية: 255] المتعالي عن الاستواء والاشتباه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 255] المستحقر بالإضافة إليه ما سواه. 90/ب

وفي «العرائس» لا توازيان في عظمته خردلة لأنها في ملكه وسلطانه أقل

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 76) رقم (361).

من ذرة انتهى ولكون هذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية والصفات الجمالية والجلالية قال ﷺ أعظم آية في القرآن آية الكرسي كما رواه مسلم[1].

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [الآية: 256] بعد إسلام المشركين حيث يقبل الجزية من الموحدين ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ [الآية: 256] أي: الهداية ﴿مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [الآية: 256] وهو الضلالة بالآيات الواضحة والدلالات اللائحة واتضح أن الإسلام رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية.

وقال الأستاذ: امتاز الليل بظلامه عن النهار بضيائه ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [الآية: 256] بالشيطان والأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو شغل عن طاعة مولاه وقيل طاغوت كل امرئ نفسه وهواه ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 256] وبما أمره ونهاه وقدره وقضاه ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [الآية: 256] أي: تمسك ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [الآية: 256] من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك الحق بالنظر الدقيق على وجه التحقيق للتوفيق وحاصله أنه عقد لنفسه عقداً وثيقاً وحسن ذلك رفيقاً ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [الآية: 256] لا انقطاع لاتصالها قال بعضهم الإيمان إذا دخل القلب أمن السلب ومن رجع إنما رجع عن الطريق فإن من وصل فهو في بحر الحق غريق.

وأفاد الأستاذ: أن العروة الوثقى هي سلوك سبيل المصطفى فمن تحقق بها سراً وتعلق بها جهراً فاز في الدارين وسعد في الكونين ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 256] بالمضمرات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 256] بالنيات.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 257] أي محبهم وناصرهم ومتولي أمورهم والمراد بهم من أراد إيمانهم ﴿يُخۡرِجُهُم﴾ [الآية: 257] بهدايته وتوفيق طاعته ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الجهل والغواية وابتداع الهوى ﴿إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [الآية: 257] أي: نور العلم والهداية واتباع الهدى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 141) رقم (21315)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 370) رقم (6001)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 457) رقم (2390).

﴿ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [الآية: 257] أي: المضلات من الشيطان والهوى والمال وجاه الدنيا ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ [الآية: 257] يتسببون لخروجهم ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 257] أي: من نور اليقينيات ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الشكوك والشبهات بالانهماك في الشهوات ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 257] / لاختيارهم الأغيار ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الآية: 257] أي: في نار العذاب وعار الحجاب دائمون. 91/أ

قال الواسطي: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 257] ونفوسهم وهواها إلى أنوار ما جعل لهم في السبق من الرضا والصدق والمحبة وغيرها.

وقال الثوري: يخرجهم من ظلمات العلم إلى نور المشاهدة فإنه ليس الخبر كالمعاينة.

قال أبو عثمان: يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والإفضال.

وقال ابن عطاء: يغنيهم عن صفاتهم بصفته فيندرج صفاتهم تحت صفته كما اندرجت أكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه فيصيرون قائمين بالحق مع الحق للحق ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الولي على وزن فعيل في معنى الفاعل فالله يتولى أمرهم أو في معنى المفعول فالمؤمنون يتولون طاعته وكلاهما حق فالأول جمع والثاني فرق وكل جميع لا يكون مقيداً بفرق وكل فرق لا يكون مؤيداً بجمعٍ فذلك خطأ وصاحبه مبطل يخرجهم من ظلمات تدبيرهم إلى سكينة سعة تقديره أو يخرجهم من ظلمات ظنهم أنهم يتوسلون أو يصلون إليه بشيء من سكناتهم وحركاتهم أو يخرجهم من ظلماتهم بأن يدفع عنهم ظل نفسهم ويدخلهم في ظل عنايته أو يخلصهم عن حسبان النجاة بهم أو يحول بينهم وبين الاعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم.

ـ وفي «العرائس» يوجدهم من ظلمات العدم إلى كشف أنوار القدم أو يخرجهم من ظلمات الامتحان إلى مشاهدة العيان أو من ظلمات العبودية إلى

نور جمال الربوبية أو من ظلمات الفرح بما وجدوا من المقامات والدرجات إلى نور مشاهدة الذات والصفات أو يقدسهم في ظلمات البشرية إلى نور الأبدية ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 257] أي ستروا ما قد عاينوا في نفوسهم من أنوار فعله وقدرته وما بدت في قلوبهم من لوائح العقول ولوامع حكمته بالشروع في لذائذ الشهوات وغطاء الغفلة أولئك أصحاب الهجران عن مشاهدة الرحمن هم فيها في القطيعة وابتداء الطبيعة خالدون ليس لهم مساغ في الوصول أبد الآبدين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ [الآية: 258] أي: جادل وخاصم ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: 258] أي في ثبوت ألوهيته ونعوت وحدته وقدرته وإرادته وهذا تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [الآية: 258] أي: لأجل إعطائه إياه بعض نعمته والمعنى/ أنه أبطره حصول سلطنته وحمله على شيطنته 91/ ب وهو نمرود المردود ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ [الآية: 258] أي: ابتداء أو بعد ما قال له من ربك غيري استغناء ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 258] بإيجاد العباد بعد إفناء الأجساد ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [الآية: 258] بالعفو والقتل وهذا تلبيس من إبليس حيث أتى بالعبارة الموهمة المموهة ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ [الآية: 258] معرضاً عن معارضته الفاسدة إلى ما يقدر عليه من المجادلة الكاسدة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [الآية: 258] وهذا لا شبهة فيه ولا مرية ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [الآية: 258] إن كنت تدعي الربوبية وهذا تعجيز له وتخييل لا طلب آية ودليل ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [الآية: 258] أي: فصار مبهوتاً وانقطع سكوتاً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 258] أي: سبيل النجاة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى وإلى محبة المولى ومجانبة السوى وقال الأستاذ عجل الحق سبحانه لأعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة وهذه العقوبة أشد أثراً في الحقيقة لو كانت لهم عين البصيرة وأن الحق سبحانه أخبر أن إبراهيم عليه السلام انتقل مع العدو اللعين عن الحجة الصحيحة إلى أخرى أوضح منها لا لخلل في الحجة بل لقصور الكافر في اختيار المعاندة ومحك من سدة بصائره عن التحقيق تضييع الوقت بلا فائدة تجدي إلا بمقدار أو ما يكون من الأمر فلا بد منه.

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الآية: 259] عطف على ما قبله والتقدير أرأيت مثل الذي حاج أو مثل الذي عبر على قرية وهي بيت المقدس حين خربه بخت نصر أو القرية التي خرج منها الألوف أو غيرها والمار عزيز والخضر أو كافر بالبعث ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية: 259] أي: خالية مع بقاء عروشها أو ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ [الآية: 259] في محل النصب على الظرفية بمعنى متى أو على الحالية بمعنى كيف ﴿يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 259] اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق إحياء أهلها واستعظاماً لقدرة المحيي لها إن كان القائل مؤمناً واستبعاداً إن كان كافراً ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 259] فلبث ميتاً ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [الآية: 259] أي: أقامه حياً وذلك أنه مر بهذه القرية على حمار ومعه ركوة عصير وشكوة لبن وسلة عنب أو تين فربط حماره واستبعد أن يعمر القرية بعد شدة خرابها فأراد الله أن يريه آية في نفسه ليتيقن أنه سبحانه قادر/ على إحيائها وإحياء أهلها فألقي عليه النوم ونزع الله روحه مائة سنة ثم أحياها بعده ﴿قَالَ﴾ [الآية: 259] أي الله أو ملك ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ [الآية: 259] أي: أقمت هنا ومكثت ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية: 259] على الترديد كقول الظان ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [الآية: 259] أي: لم يتغير كل منهما بمرور الزمان عليهما مائة سنة ثم بين علامة مكثه يبلي عظام حماره بعدما أراه بقاء طعامه وشرابه مع أنهما أولى بالتغيير من عظام حماره فقال ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [الآية: 259] كيف بليت عظامه وتفرق نظامه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ [الآية: 259] أي: وفعلنا ذلك لنجعلك ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 259] فإنه رجع إلى بلده شاباً وكان أحفاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا هذا حديث مائة سنة ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ [الآية: 259] أي: عظام حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [الآية: 259] أي: نحييها وفي قراءة نافع والمكي والبصري بالراء أي: نبعثها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ [الآية: 259] أي: ظهر أمر الإحياء له وشاهده ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] في قراءة حمزة والكسائي بصيغة الأمر فالقائل الملك والمراد به علم المشاهدة فإن الخبر ليس كالمعاينة.

92/أ

قال الأستاذ: لم يكن ذاك سؤال جحد ولا قضية جهل ولا دلالة شك في القدرة بل كان سؤال تعجب من كمال الحيرة وأراد بهذه المقالة زيادة اليقين وسؤال اليقين من الله والحيلة في رد الخواطر المشكلة دأب المتعرفين ولذلك عذر الله سبحانه عزيراً في هذه المقالة حتى قرر عليه ما طلب فيه زيادة اليقين.

وفي «العرائس» تعجبه في القدرة ليس بشك في القادر ولكنه لسكون الخاطر ونقله من مقام الإيمان إلى مقام مشاهدة الحال في ظهور البرهان وأيضاً خاض في بحر الفكرة لطلب درّ المعرفة والفرق بين سؤال إبراهيم وسؤال عزير عليهما السلام أن إبراهيم كان في محل التمكين فأراه الله تعالى مشاهدة القدرة في غيره وعزير في محل التكوين فأراه مشاهدة القدرة في نفسه حتى يباشر قلبه نور الصفات ويصير محكماً في محل التمكين وأيضاً مقام الخليل مقام الانبساط ومقام عزير مقام التحير فانبسط الخليل وسأل مشاهدة الصفات في لباس الآيات فأراه ما سأله في غيره لأنه مملوء من أنوار القدرة 92/ب فيطلب مزيداً على حال وتعجب/ عزير تحيره من عناية في أسرار الربوبية فأراه الآية في نفسه تأديباً له لأن أهل الانبساط ليسوا بمؤاخذين كخليل الله وأيضاً سؤال الخليل في طلب المشاهدة وتعجب عزير يحير في كمال القدرة وأيضاً بلغ الخليل مقام كشف المعاينات في الحياة وكشف له الملكوت لأجل اقتباسه نور مشاهدة الحق في الآيات ولم يضطر إلى أن يغيب روحه من الحواس حتى يرى صرف العين لأنه في حال الصحو ولم يبلغ عزير في ذلك الإيمان مقام العيان فألجأه الله إلى غيبته عن الصورة بنعت الغشيان ليرى في حال غيبته مشاهدة الحق لأنه في حال السكر فلما انتبه رأى في صحوه ما رأى في سكره ولكن ما رأى في السكرِ وحال الغيبة مشاهدة الروح وما رأى في الصحو مشاهدة العيان وأيضاً مقام الخليل مقام إيجاد تجلي الصفات ومقام عزير مقام إيجاد تجلي الأفعال وقيل لأن الخليل تلطف في السؤال بالعزة والحكمة فقال أرني وتعجب عزير في القدرة ألا ترى أنه ختم قصته بكمال القدرة فقال ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] وختم قصة الخليل بالعزة والحكمة فقال ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] لأن الخليل

سأل إظهار الحكمة ومشاهدة العزة وعزير تعجب من القدرة فأجيب كل من حيث سأل وهذا القول نقله السلمي عن ابن عطاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية: 260] قال: أو لم تؤمن بأني قادر على الإحياء انتهاءً كقدرتي على الإيجاد من العدم ابتداءً ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ [الآية: 260] آمنت ببيان البرهان ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 260] سألت الشهود الغيبي ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [الآية: 260] بزيادة مشاهدة العيان فأترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ [الآية: 260] بكسر الصاد أي أمِلْهن ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [الآية: 260] بسكون الزاي لغير شعبة ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [الآية: 260] أي: ساعيات مسرعات ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 260] لا يعجزه شيء عما يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] ذو حكمة بالغة في كل ما يبديه ويعيده قال القاضي وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية الشرع وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه سبحانه أراه ما أراد أن يراه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيراً بعد أن أماته مائة عام.

93/أ وفي «تفسير/ السلمي» قيل الطيور كانت طاووساً وبطاً وغراباً وديكاً والمعنى به أن الطاووس أشبه الطيور بزينة الدنيا والغراب أحرص الطيور والبط أطلبهم للرزق والديك أشدهم شهوة فكأنه يقول اقطع عنها زينة الدنيا والمفاخرة بها والحرص عليها وطلب الرزق فيها وإزالة الشهوة منها حتى تنال كمال حقيقة الإيمان فإذا سقطت عن نفسك هذه الخصال حليتك بصفتي في إحياء الموتى ﴿ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] إليك لأنك في ذلك الوقت فانٍ من صفاتك وإنما دعوتهن بصفتنا التي حليناك بها.

وقال الأستاذ: قيل كان في طلب اليقين فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلاً من عين اليقين وقيل: استجلب خطابه بهذه المقالة حتى قال له الحق سبحانه ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية: 260] فإن بقولك أو لم تؤمن قال: بلى

كنت أؤمن ولكن اشتقت إلى قولك لي أوَ لَم تؤمن يطمئن قلبي والمحب أبداً يجتهد أن يجد خطاب حبيبه على أي وجه أمكنه وقيل: إنه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فمنع منها بالإشارة دون العبارة فقال ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] وأن موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية جهراً فقال ﴿أَرِنِي﴾ [الآية: 260] فرد بالجهر صريحاً فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143] وقيل: لما قال إبراهيم عليه السلام ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 260] فقيل له: وأرنا كيف تذبح الحي يعني إسماعيل وطالبه بمطالبه فلما وفى بما طولب منه وفى الحق سبحانه بحكم ما طلب.

وفي «العرائس» سأل الخليل مشاهدة الحق في لباس الخلق.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 261] أي: مثل نفقتهم في طريق المحبة ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [الآية: 261] والمعنى أنه يضاعف مثوبة النفقة بأن يجعل الواحدة سبعمائة ويجعلها كالحبة ينبت الله منها سبعمائة حبة وهذا تمثيل لا يقتضي وقوعه ولا يجب وجوده مع أنه قد يكون في الدخن والذرة وكذا في البر في الأراضي المغلة ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ [الآية: 261] تلك المضاعفة المسطورة أو زيادة على المضاعفة المذكورة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 261] بفضله ورحمته على حسب مراتب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ونيته ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 261] أي: فضله على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 261] مطلع على نية عباده.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين ينفقون أموالهم فالخلف لهم الجنة والذين يبذلون أرواحهم فالخلف عنهم الحق سبحانه فشتان بين خلف وبين خلف من أنفق ماله وجد مثوبته ومن أنفق حاله/ وجد قربته فإنفاق المال في سبيله بالصدقة وإنفاق الأحوال في سبيله بالصدق فالعابدون إذا أنفقوا حبه ضاعف لهم سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة والواجدون إذا بذلوا فكما قيل: 93/ب

فلا حسن نأتي به يقبلونه ولا إن أسأنا كان عندهم محو[1]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 251).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 262] أي يصرفون في طريق رضاه ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ [الآية: 262] أي: امتناناً على الفقير باعتداد إحسانه إليه ﴿وَلَآ أَذًى﴾ [الآية: 262] بذكر إعطائه لمن لا يحب المسكين اطلاعه عليه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [الآية: 262] أي: ثوابهم المضاعف ثابتٌ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 262] بلحوق عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 262] بنوب ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المن شهود ما تفعله والأذى تذكيرك لمن أحسنت إليه إحسانك ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون البتة أفعالهم ولا أعمالهم ويقال كيف يمنون بشيء يستقذرونه ويستحقرونه ويقال لا يمنون بفعلهم بل يشهدون المنّة لله بتوفيقه ورود ذلك عليهم.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [الآية: 263] أي: رد جميل على السائل بالعدة أو الدعاء ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ [الآية: 263] أي: وتجاوز عند الحاجة في سؤال العطاء ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [الآية: 263] أي: من منّة أو تعيير على الفقراء ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ [الآية: 263] عن صدقة متبوعة بالمنّة والأذية ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 263] عن معاجلة من يخالفه بالعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن قول الفقير المجرد برد من يعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة المعجب بفعله وما يتبعه من إلزام المنّة فيه ويقال إقرار منك مع الله بعزمك وجزمك وغفران الله لك على قولك خير من صدقة بالمن مشوبة وبالأذى مصحوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ [الآية: 264] أي: مثوبات نفقاتكم ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [الآية: 264] وسائر محبطاتكم ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 264] أي كإبطال الذي يرائي الخلق بالإنفاق ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 264] أي: والحال أنه لا يظهر الإيمان إلا على وجه النفاق ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ [الآية: 264] أي: فمثل المرائي في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [الآية: 264] أي: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [الآية: 264] أي: غبار كثير ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [الآية: 264] مطر

غزير ﴿فَتَرَكَهُۥ﴾ [الآية: 264] أي: الله والوابل ﴿صَلۡدٗاۖ﴾ [الآية: 264] براقاً نقياً كذلك أعمال المرائي يضمحل وقت نزول الرحمة الموجبة لأهل الطاعة وإن ظهر له عمل عند نفسه وسائر الخليقة ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ [الآية: 264] أي المراؤن ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ [الآية: 264] أي: على تحصيل ثواب مما عملوا/ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 264] للنعمة إلى العبادة المقبولة في الدنيا المقتضية للمثوبة في العقبى. 94/ أ

وقال الأستاذ: إنما يحمل تحميل المنّة من الحق سبحانه فأما من الخلق فليس لأحد على غيره منة فإن تحمل المنن من المخلوقين أعظم محنة وشهود المنّة من الله أعظم نعمة قال قائلهم:

ليس إجلالك الكبار بذلٍّ إنما الذُّلُّ أن تجلّ الصغارا(1)

ويقال أفقر الخلق من ظن نفسه موسراً فتبين له إفلاسه كذلك أقل الخلق قدراً من ظن أنه على شيء فيبدوا من الله ما لم يكن يحتسبه.

وفي «**العرائس**» المن تعزز البشرية على الجبرية واستكبار الحدث على الكبرياء القديم والأذى ازدراء الفقير عند العطاء بالتسول وأيضاً المن تذكر الحدث ونسيان القدم لأن المنان إذا منّ على أحد فقد نسي الله عند تذكر نفسه وهذا نوع من الشرك والأذى البذل بنعت البخل والرمي بالعين إلى الفقراء على جهة تعظيم نفسه ورؤية شرفه عليهم وأيضاً المن شهود الأفعال والأذى التماس الأعواض.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 265] لأجل طلب رضاه ﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية: 265] أي وليقينهم وتصديقهم من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على إنفاقهم وسائر أعمالهم أو لتثبيتهم بوضع صدقاتهم عند أرباب حاجاتهم والحاصل أن مثل نفقة هؤلاء في الزكاة والنماء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [الآية: 265] بالفتح للشامي وعاصم وقرئ بالكسر أي كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظراً وأكثر ثمراً ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ﴾ [الآية:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (254).

265] مطر عظيم قطراً ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الآية: 265] بضمتين لغير الحرمي والبصري أي: فأعطت صاحبها ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية: 265] أي: حال كونها مثلي ما كانت تثمر غيرها من البساتين ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [الآية: 265] يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الضعيف والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية متزايدة عند الله تعالى لا يضيع بحال من أحوالهم وإن كانت تتفاوت بقدر ما ينضم إليها من أفعالهم والحاصل أن صدقاتهم زكت قلت النفقة أو كثرت كما أن تلك الجنة أثمرت صغرت أقطار الأمطار أو كبرت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 265] تحذير عن رياء الخلق وترغيب في إخلاص الحق.

94/ب ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ/ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [الآية: 266] وسائر الأشجار والأثمار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 266] أي: المنافع الكثيرات ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ [الآية: 266] أي: وقد لحقه كبر السن وضعف عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ [الآية: 266] صغار عجزة عن تحصيل النفقة فإن الفاقة والعالة أصعب في الشيخوخة ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ [الآية: 266] ريح عاصفة منعكسة من السفل إلى العلو مستديرة ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ [الآية: 266] لا يدفعها درهم ولا دينار ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [الآية: 266] أي جنته في تلك الحالة والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها من الأعمال السيئة والحسرة إذا كان يوم القيامة واشتد حاجته إلى المثوبة فوجدها محبطة بحال من هذا شأنه في الكيفية وكذا من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه بالنظر إلى الخلق والالتفات إلى ما سوى الحق ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الآية: 266] أي المشتملة على العبارات والإشارات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 266] أي: تتأملون فيها وتعتبرون بها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه آيات كثيرة ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق ولمن أنفق في سبيل الله ولمن أنفق ماله في الباطل فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف وهؤلاء لا يحصل لهم في الحال إلا السرف وفي المآل إلا التلف وهؤلاء ظل سعيهم مشكوراً، وهؤلاء يدعون ثبورا ويصلون

سعيراً، هؤلاء يزكوا أعمالهم وينموا أموالهم ويعلو عند الله أحوالهم ويكون الوصلة مآلهم وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء مآلهم وتضاعف عليهم وبالهم ويقال مثل هؤلاء كالذي أنبت زرعاً فزكا أصله ونمى فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت على كبره عيلته وتواتر من كل وجه بليته وفي كل وقت محنته هل يستويان مثلاً أو يتقاربان شبهاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 267] أي: حلالاته أو مستلذاته ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 267] من الحبوب والثمرات وسائر الخضراوات التي فيها الصدقات ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ [الآية: 267] تنفقون أي: لا تقصدوا الرديء مما لكم ﴿تُنفِقُونَ﴾ [الآية: 267] أي: حال كونكم تتصدقون من مالكم ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [الآية: 267] أي: وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [الآية: 267] أي إلا بإغماض وتساهل منكم وفيه إيماء إلى أن الفقراء/ شركاء الأغنياء ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [الآية: 267] عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية: 267] بقبوله منكم وإثابته عليكم. 95/أ

وقال الأستاذ: لينظر كل واحد ما الذي ينفقه لأجل نفسه وما الذي يخرجه بأمر ربه الذي يخرج عليك من ديوانك فما كان لحظك فنفائس ملكك وما كان لربك فخسائس مالك الذي لله فلقمة لقمة والذي لأجلك فأكثرها قيمة وأكملها نعمة ثم أبصر كيف يستر عليك بلا كيف يقبله منك بل أبصر كيف يعوضك عليه بل أبصر كيف يمدحك به بل أبصر كيف ينسبه إليك الكل منه فضلاً لكنه ينسبه إليك فعلاً ثم يولي عليك عطاءً ويسمي العطاء جزاء يوسعك بتوفيقه براً ثم يملأ العالم منك شكراً.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [الآية: 268] أي: يخوفكم بقوله أن الجود يفقر في آخره ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية: 268] بالخصلة الفاحشة في القبح من نحو البخل والرياء ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: 268] أي: مغفرة لذنوبكم من

أجل إنفاقكم ﴿وَفَضْلًا﴾ [الآية: 268] أي: خلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا والأخرى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 268] أي: واسع الفضل في حقكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 268] بأفعالكم وأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان يعد الفقر لفقره والله يعد المغفرة لكرمه ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 268] أي: بالرغبة في الدنيا أو بالأسباب التي تقوي الحرص عليها أو بكثرة الأمل وقلة العمل أو بنسيان القناعة وحرمان الطاعة أو بمتابعة الشهوات وملاحظة الحظوظ واللهوات ويقال: بالرجوع إلى ما تركته لله أو بإخطار شيء مما سواه والفضل الموعود في العاجل القناعة وفي الأجل المثوبة والرؤية والعفو والغفران والجنان والرضوان.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 269] أي: علم الكتاب والسُّنَّة أو تحقيق العلم وإتقان العمل أو النبوة والولاية وقيل: الحكمة مشاهدة حكمة الحكيم في جميع الأحكام والأقضية بنعت الإنقان والإحكام ﴿مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 269] من الفرقة الناجية الفاخرة ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 269] جامعاً لخيري الدنيا والآخرة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [الآية: 269] أي: وما يتعظ بما في هذا الكتاب إلا ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 269] أي: أرباب العقول السليمة المهتدية إلى صوب الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق لا داعي النفس وباعث الخلق أو الحكمة هي الموافقة كما أن السفه هو المخالفة أو الحكمة شهود/ الحق والسفه شهود الخلق. 95/ب

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ [الآية: 270] قليلة أو كثيرة سراً أو علانية في طاعة أو معصية ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [الآية: 270] بشرط أو غيره من فعل أو أمر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [الآية: 270] فيجازيكم عليه بقدر إخلاصكم لديه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 270] أي الواضعين المال في غير موضعه بارتكاب المعصية ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الآية: 270] أي: يدفعونهم ويمنعونهم من العقوبة والجمع للمقابلة.

قال الأستاذ: قوم توعدهم بعقوبته وآخرون توعدهم بعلمه فهؤلاء العوام وهؤلاء الخواص ولا شيء يوجب سقوط العبد من عين الله كمخالفته بعهوده معه بقلبه فليحذر المريد غاية الحذر عن إذلال نفسه.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [الآية: 271] أي: تظهروها وتعلنوها فهو خير لكم ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [الآية: 271] أي: نعم شيء إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ [الآية: 271] أي: تعطوهم إياها مع إخفائها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 271] لأنه أبعد من لحوق السمعة والرياء بها ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ [الآية: 271] أي الله وفي قراءة غير الشامي وحفص ونكفر بالنون وجزمها نافع وحمزة والكسائي ﴿عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: 271] وهي الصغائر ويحتمل الكبائر فمن تبعيضية لا زائدة مؤكدة.

قال الأستاذ: إذا أظهرتَ صحبتك معنا وأعلنت فلقد جودت وأحسنت وإن حفظت سرنا عن دخول الوسائط بيننا صفت شروط الوداد وشيدت من بناء الوصلة العماد.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [الآية: 272] أي: هداية العباد وإنما عليك تبليغ الإرشاد وتبيين طرق الرشاد ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ [الآية: 272] أي: هداية موصلة لصلة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 272] أي على وفق ما تعلق به المشيئة وروي أنه ﷺ كان لا يأمر بالتصدق إلا على المسلمين حتى نزلت ليس عليك هداهم فأمر بالصدقة بعده على كل سائل من أهل كل دين[1].

وأفاد الأستاذ: أن لك المقام المحمود واللواء المعقود والرتب العلية والمنازل البهية والأسرار المرضية وأنت سيد الأولين وسند الآخرين ولا أحد يدانيك فضلاً من أنه يساميك ولكن الهداية من خصائص حقنا نخصها من نشاء من عبادنا يا محمد أنت تدعوهم ونحن نهديهم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾

(1) أورده الطبري في تفسيره (5/ 587 ـ 588)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 313) رقم (3128)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 54) رقم (12453)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 305) رقم (11052).

[الآية: 272] نفقة معروفة ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 272] فهو لها لا يتعداها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ [الآية: 272] خبر مختص للخواص من الأمة المنزهين عن الرياء والسمعة ونفي في معنى النهي للمبالغة أي:/ ولا تنفقوا ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 272] أي: لطلب رضاه من غير نظر إلى سواه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 272] أي: يوفر ثوابه ويعود نفعه عليكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 272] أي: لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم. 96/أ

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ [الآية: 273] اعمدوا في صدقاتكم واقصدوا في مصادقتكم للفقراء الصادقين ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 273] أي: احصرهم الجهاد وحبسهم التعلم والاجتهاد عن كسب البلاد ومنهم أصحاب الصفة الذين انقطعوا عن الخلق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أن معناه وقفوا على حكم الله فاحصروا أنفسهم على طاعته وقلوبهم على معرفته وأرواحهم على محبته وأسرارهم على رؤيته ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية: 273] لأشغالهم بأمر مولاهم في تحسين أحوالهم ﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 273] أي ذهاباً فيها لكسب أموالهم.

وقال الأستاذ: أخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق فلا لهم في الشرق مذهب ولا الغرب مضرب كيف ما نظروا رأوا سرادقات التوحيد محيطة بهم.

كأنّ فجاج الأرض ضاقت برحبها عليهم فما تزداد طولاً ولا عرضاً[1]

فلا يسلم لهم نفس واحد مع الخلق أنى بذلك ولا خلق وإذا لم يكن فإثبات ما ليس شرك في التوحيد والفقير الصادق مع الله لله بالله لا إشراف للأجانب عليهم ولا سبيل للمخلوق إليهم يظهرهم في عين الأغيار في لبسة سوى ما هم به من الأسرار ﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ [الآية: 273] بفتح السين الشامي وحمزة وعاصم أي: يظنهم ويتوهمهم ﴿ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [الآية: 273] أي: من أجل تعففهم عن سؤال مخلوق مثلهم.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 262).

قال الأستاذ: فأمّا من كان عالماً محرماً فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم ﴿تَعۡرِفُهُم﴾ [الآية: 273] أي: يا محمد بالأصالة وغيرك بالتبعية على وجه الفراسة ﴿بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الآية: 273] من ضعف أبدانهم وتغير ألوانهم ورثاثة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن تلك السيما ليست مما يلوح للبصر تلك سيما تدركها البصيرة لا إشراف عليهم إلا بنور الأحدية وظهور الصمدية ويقال تعرفهم باستبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم فصياح أسرارهم إلى العرش نشاطاً عند ذبول ظاهرهم عن الانتعاش ويقال بكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 273] أي: إلحاحاً فإذا كان عندهم غداء لم يسألوا عشاء وإذا كان عندهم عشاء لم يسألوا/ غداء والمراد نفي القيد والمقيد أي: لا يسألون الخلق أصلاً وإنما يطلبون من الله رزقاً وفضلاً. 96/ب

قال الأستاذ: فإن جرى منهم من الخلق بدون الإلحاف سؤال كما يشير إليه دليل الخطاب فتلك صيانة لهم وستر لقصتهم ليلاحظهم الخلق بعين السؤال من الاحتقار وليس على سرهم ذرة من الإثبات للأغيار.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل الذين وقفوا مع الله بهممهم فلم يرجعوا منه إلى غيره ولا يتحركون لطلب الرزق نعرفهم بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم.

قال جنيد: كلت ألسنتهم عن سؤال من يملك الأملاك فكيف عمن لا يملكها.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [الآية: 274] كعليّ كرّم الله وجهه حيث لا يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً ودرهم[1] ﴿سِرّٗا﴾ [الآية: 274] ودرهم ﴿وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ

(1) أورده القرطبي في تفسيره (3/ 347)، والبغوي في تفسيره (1/ 339)، والرازي في تفسيره (4/ 24)، والزمخشري في الكشاف (1/ 243).

رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 274] على أعمالهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 274] في مآلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 274] في حال من أحوالهم.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا﴾ [الآية: 275] أي: يأخذونه ويعاملون به فنبه بأكله على غيره ولأنه معظم انتفاعه ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ [الآية: 275] من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 275] أي إلا قياماً كقيام الذي يصرعه ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ [الآية: 275] أي من مس الشيطان له المورث لجنونه ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 275] العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا﴾ [الآية: 275] وعكس القضية للمبالغة القياسية ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ [الآية: 275] إنكار للتسوية وإبطال للقياس مع النصوص القوية ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية: 275] أي: بلغه وعظ من المولى وزجر بالنهي عن الربا ﴿فَانتَهَىٰ﴾ [الآية: 275] أي: تبع النهي واتعظ به ﴿فَلَهُ﴾ [الآية: 275] أي حال وصول الشرع إليه ونهيه عنه ﴿مَا سَلَفَ﴾ [الآية: 275] أي: ما تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 275] بأن يوفقه بالتوبة أو يخذله بالعود إلى المعصية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 275] إلى تحليل الربا وغيره من الأمور المنهية ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 275].

وأفاد الأستاذ: أن من أعرض عن الأمر ورخص لنفسه ما يسول له خاطره من التأويل فلا استقلال لهم في الحال ولا انتعاش في المآل خسروا في عاجلهم ولم يربحوا في آجلهم فمن انتبه بزواجر الوعظ وكبح بلجام الهوى ولم يطل عنان الإصرار فله الإمهال في الحال فإن عاد إلى مذموم تلك الأحوال فلينتظر وشيك الاستئصال وفجأة النكال.

97/ أ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا﴾ [الآية: 276] أي: يذهب/ بركته وينقص الأموال التي دخل فيها ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 276] أي: يكثرها وينميها

وأفاد الأستاذ: إنما كان بإذن منه سبحانه من التصرفات فمقرون بالخيرات مصحوب بالبركات وما كان بمتابعة الهوى والشيطان يسلط عليه المحق والنقصان وكان عاقبة أمره الخسران ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ [الآية: 276] لا

يرتضي في حكمه ﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [الآية: 276] فاجر بأخذه وأكله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 277] أي: بالله ورسله وبما جاءهم من قبله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 277] أي: الطاعات الباقيات ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 277] أي: قاموا بالعبادات البدنية والطاعات المالية وخصا بالذكر لإناقتهما وأصالتهما ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 277] أي: من المثوبات ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 277] من آتٍ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 277] على ما فات.

وأفاد الأستاذ: أن الذين كانوا لنا يكفيهم ما يأخذون منا فإنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ورجاء من فضلنا أملاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 278] أي: قوموا على تقواه ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [الآية: 278] اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 278] أي: في إيمانكم موقنين.

وأفاد الأستاذ: أن الاكتفاء بموعود ربه خير للمسلم من تعلق قلبه بمقصود نفسه مقصودك من تسويلات النفس وعادات الخلق وموعودة ما ضمنه الحق.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [الآية: 279] أي: ترك ما بقي من رباكم ﴿فَأْذَنُواْ﴾ [الآية: 279] وفي قراءة شعبة بالمد والكسر أي: فاعلموا بأنفسكم ثم اعلموا غيركم ﴿بِحَرْبٍ﴾ [الآية: 279] أي: بقتال عظيم مبتدأ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 279] لكم.

وأفاد الأستاذ: إن صاحب الأضرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ولا قدر ولا خطار ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ [الآية: 279] من أفعالكم ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 279] ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 279] بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والمنقصة ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [الآية: 280] أي: إن وقع غريم صاحب عسرة من شدة فاقة وحاجة ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ [الآية: 280] أي: فعليكم انتظار وتأخير في المطالبة ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [الآية: 280] بفتح السين لغير نافع أي: تيسر يسار بعد عسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ [الآية: 280] بالتخفيف لعاصم أي: وأن تتصدقوا بالإبراء

ووضع الأوزار ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 280] أكثر ثواباً من الانتظار من الإعسار إلى الإيسار مع أن البراءة سُنَّة والنظرة فريضة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 280] ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل.

وقال الأستاذ: إذا تقرر عند القاضي إفلاس المحبوس وفقره فلا يحل له استدامة حبسه وإن لم يظهر لذي الحق حجته والمفلس مرتهن بحق خصمه ولكنه في إمهال وانتظار من ربه لا يحكم بهذا علينا ثم مع علمه بإعسارنا وعجزنا لديه وصدق افتقارنا إليه وانقطاعنا عن غيره عليه/ ألا يرحمنا ولا يسامحنا مع أنه أمرنا في التصدق في إبرائنا. 97/ب

وفي «العرائس» أدب قوماً بتأدبه في كرمه ورحمته على المعسرين على الطاعة والمكثرين من المعصية وهذا إخبار عن غاية شفقته على عباده إذ أمر بعضهم أن يمْهِل بعضاً في واجب حقوقهم أشار بهذا أن حقيقة الحقوق له يهب بفضله ما قصروا في واجب أمره وأيضاً رمز لأصحاب المعاني في هذه الآية أي إن كان أهل المعرفة في عسر من المشاهدة وكشف القربة فلا تطالبوهم بإثقال المعاملات والتماس الكرامات إلى ميسرة الكشوف وبروز أنوار الحضرة في قلوبهم لأن للعارف مقامين الأول هو القبض والثاني هو البسط فإذا كان في القبض فهو في هبوط الهجران وهو عسر ظاهر ولا يؤدي في ذلك المقام حق الحقيقة وإذا كان في مقام البسط فهو في رجاء التوحيد ويطبق أن يؤدي ما وجب عليه من حق الطريقة لأنه في ذلك الحال يلتبس بأنوار الربوبية ويتهيأ له ما يريد كما وصف الله تعالى أنبياءه وأولياؤه في حال انبساطهم وبسطهم مثل عيسى عليه السلام.

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾ [الآية: 281] أي: يوم القيامة أو يوم الموت أو حساب يوم أو عذاب وقت ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 281] بصيغة المجهول لغير البصري أي: تردون أو تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 281] أي: حكمه وأمره فتأهبوا لِمصيره ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 281] أي: جزاء ما كسبت من أعمال سبقت وأحوال سلفت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 281] بتنقيص ثواب ولا بتضعيف عقاب

روي أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يوماً وقيل: سبعة أيام وقيل: ثلاث ساعات.

قال الواسطي: هذا ترهيب للعام فأما الخاص فقوله ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41] وأفاد الأستاذ أن الرجوع على ضربين بالأبشار والنفوس عند توفي الأنفس وبالأسرار والقلوب في كل نفس أنفس ومحاسبته نقد ووعد فنقد مطالبته أدق مما سيكون في القيامة من وعده.

وفي «العرائس» أي: خافوا يوم الفصل من وقوف مقام الحياء والخجلة بين يدي ملك يمنع المستدرجين عن مشاهدته ويعاتب أولياءه بالخطرات والإشارات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ [الآية: 282] أي: تعاملتم بسلف معيّر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية: 282] أي: زمن محدود معلوم/ ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ 98/ أ [الآية: 282] لأنه أوثق للمطالبة وأدفع للمنازعة والجمهور على استحباب الكتابة ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ﴾ [الآية: 282] أي بين المستدين والمدين ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [الآية: 282] أي: من يكتب بالسوية لا بزيادة ولا منقصة ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ﴾ [الآية: 282] أي: لا يمتنع من ذلك إذا أمر ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 282] أي: مثل ما علمه من كتبة الوثائق والمعنى أنه لا يأب من نفعه للناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص: 77] بل يكتب أمر بها بعد النهي عن إبائها تأكيداً في شأنها ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 282] أي: وليكن المملي من عليه الحق على طريق الصدق ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية: 282] أي: كل من المملي والكاتب عذابه ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الآية: 282] أي: لا ينقص من الحق شيئاً ولو قليلاً ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾ [الآية: 282] ناقص العقل مبذراً محجوراً ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 282] صبياً أو مجنوناً أو شيخاً مخبلاً ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [الآية: 282] أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس في لسانه أو جهل باللغة في بيانه ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾ [الآية: 282] أي: متولي أمره من وصيه أو وكيله ومترجمه ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [الآية: 282] أي: بالصدق والحق ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ﴾ [الآية: 282]

أي: يطلبوا أن يشهدوا على الدّين شاهدان ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية: 282] من رجال المسلمين إذا كانت المعاملة فيما بينهم بقرينة أن الخطاب في صدر الآية لهم فلا ينافي ما قاله إمامنا أبو حنيفة من أن شهادة الكفار تسمع لبعضهم على بعض منهم ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ [الآية: 282] أي: الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ [الآية: 282] أي: فليشهد رجل ﴿وَامْرَأَتَانِ﴾ [الآية: 282] وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعية ربما عدا الحدود والقصاص عند الحنفية ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [الآية: 282] لعلمكم بعد التهم ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [الآية: 282] بالتخفيف للمكي والبصري ﴿إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [الآية: 282] أي: لأجل أن إحديهما إن نسيت الشهادة ذكرتها الأخرى وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وفي قراءة حمزة بكسر إن على الشرط فتذكر بالرفع مع التشديد إذ الفاء مانعة من الجزم ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [الآية: 282] لتحمل الشهادة وأدائها إذا تعينوا ومنه علم أن تحمل الشهادة فرض كفاية ثم ما بعد إذا في الكلام مزيدة ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ [الآية: 282] أي: ولا تملوا من كثرة المداينة بين الأصحاب أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب ﴿صَغِيرًا/ أَوْ كَبِيرًا﴾ [الآية: 282] 98/ب قليلاً كان الحق أو كثيراً ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [الآية: 282] أي: وقت حلوله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 282] أي: الكتاب ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 282] أعدل في حكمه ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ [الآية: 282] أي: أثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [الآية: 282] وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله ونحوه ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ [الآية: 282] أي: تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ [الآية: 282] وفي قراءة عاصم بنصبهما أي: إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة وهو استثناء من الأمر بالكتابة أي: إلا أن تبتاعوا مبايعة ناجزة وهذا معنى قوله ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [الآية: 282] فلا بأس ألا تكتبوها لبعده عن النسيان والمنازعة ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [الآية: 282] والأوامر في هذه الآية للاستحباب عند جمهور الأمة وكذا النواهي محمولة على الكراهة التنزيهية على خلاف في أحكامهما ونسخهما ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ [الآية: 282] يحتمل البيانين ﴿كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [الآية: 282] فنهيهما عن ترك الإجابة والتحريف بالنقصان والزيادة والنهي عن

الضرار بهما بأن يكلفا الخروج عما حد لهما ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ [الآية: 282] الضرار وسائر ما عنه نهيتم ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ [الآية: 282] خروج عن الطاعة لا حق بكم ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 282] في أوامركم ونواهيكم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 282] أي: أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 282] وإظهار الجلالة في مواضع إضمارها لأنه أدخل في التعظيم من الكناية مع عدم الملالة بتكرار الجلالة وقد قيل أن آية المداينة أرجى آية في القرآن لأنها دالة على غاية رحمة من الرحمن حيث أمرهم في المعاملة الدَّينية مع أنها ليست من الأمور الدينية بما لا يشوش عليهم من الأحوال العارضية والدنيوية مع أنه قد ورد أن الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً من مائها شربة[1].

وتوضيحه ما قال الأستاذ إنّ الله سبحانه أمر الخلق بالقيام بالصدق وعلمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم بالحق والأخذ بالاحتياط والاستشهاد لئلا يجري من بعضهم على بعض حيف في المطالبة أو الإنكار وذلك من مقتضى رحمته سبحانه عليهم وموجب رفقه بهم لئلا يتخاصموا فيما بينهم فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة والإشهاد وأمر/ الشهود بالتحمل ثم بالإقامة ومن 99/أ شرع اليوم ما ينقطع الخصومات به بينهم فبالحري أن يجري ما يرفع في الآخرة آثار الخصومة عنهم وفي الخبر المنقول تواهبوا فيما بينكم[2] فقد وهبت فيكم مالي عليكم فإن الكريم إذا قدر غفر.

وفيما شرع من الدين ـ مع أن الدين شين ـ الدين رفق لأرباب الحاجات لأنه يمسه الحاجة فيحمله الحال على الاحتيال ويضيق به الصبر على الاحتمال ويمنعه حفظ التجمل عن الكدية والسؤال فأذن له في الاستدانة ليجبر أمره في الحال وينتظر فضل الله في المآل وقد وعد على الإدانة المثوبة الكبرى وذلك كله من لطفه تعالى.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7847)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 157) رقم (5840)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4110)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320).

(2) أورده القشيري في تفسيره (1/ 271).

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 283] أي: على جناح سفر يعني مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ [الآية: 283] أي: فعليكم والوثيقة رهان ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ [الآية: 283] من يد صاحب الحق وفي قراءة المكي والبصري فرهن بضمتين وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم﴾ [الآية: 283] أي: من الدائنين ﴿بَعْضًا﴾ [الآية: 283] من المديونين واستغنى بالأمانة عن الارتهان والكتابة ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [الآية: 283] أي: دينه بملك الذي هو بمنزلة الأمانة ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية: 283] في الخيانة ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية: 283] فإنها من جملة الأمانة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ﴾ [الآية: 283] أي: الكاتم ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية: 283] وأسند الإثم إليه لأنه رئيس الأعضاء وأشرف الأجزاء فكأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وفاق سائر ذنوبه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 283] وعد ووعيد.

وفي «العرائس» ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية: 283] أي: لا تكتموا ما أشهدكم الله من مقام أهل الولاية بأن تحملوا ذكرهم حسداً عليهم ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ [الآية: 283] يعني ما خصهم به ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية: 283] أي جزاء كتمانه قساوة قلبه وإثم القلب الحسد بأهل الولاية وجزاء الحسد الطبع والختم وسوء الخاتمة.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 284] ملكاً وملكاً.

قال ابن عطاء الكونان هو مبدؤهما من غير شيء سبقهما فمن اشتغل بهما قطعاه عن الله ومن أقبل على الله وتركهما لله ملكهما الله إياه.

وقال صاحب «العرائس» أي: لله خزائن ملكوت الكونين وأسرار غيب العالمين لا يكشفها إلا لخواص أجلته من العلماء العالمين ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية: 284] من السوء والعزم عليه ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 284] في الدنيا/ بالمكفرات أو في العقبى بالعقوبات. 99/ب

وفي «العرائس» أن تظهروا ما في قلوبكم من حقائق المكاشفات والمخاطبات ليقتدي به أهل الإرادة أو تخفوا عجائب الغيب التي ترى عيون الأرواح المقدسة تورعاً لئلا يفتتن بها أقوام من ضعفاء المؤمنين لقلة فهمهم

يربيكم الله بتمكين الظاهر بما أظهرتم حتى لا تفتتنوا بدقائق الرياء والسمعة ويبقين الباطن بما أخفيتم من الخلق إخلاصاً وصدقاً لتذوقوا حلاوة صفاء الإخلاص في كتمان الأسرار ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] عقوبته وجزمهما عطف على جواب الشرط وفي قراءة الشامي وعاصم برفعهما على الاستئناف ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 284] من الإحياء والمحاسبة والغفران والمعاقبة.

قال الواسطي: من أراد الكون أو المكون يحاسبه الله فيغفر لمن أراد له الجنة ونعيمها الغفلة ويعذب من آثر الدنيا على الآخرة.

وقال الأستاذ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 284] من المعاني والدواعي أو القصود والرغائب وفنون الحوائج والمطالب أو ما تبديه العبادة وما تخفيه الإرادة أو ما تبديه السكنات والحركات وما تخفيه الخطرات ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة فلا تغفل خطره ولا لحظة ولا تمهل وقتك نفساً ولا لمحة.

وفي «العرائس» ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] لمن يدفع خطرات الباطن ترغيباً ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] لمن يتبع هواه بدخوله في الزلات تهذيباً.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 285] تنصيص من الله على صحة إيمانه وتخصيص للاعتداد بشأنه وتنبيه على كمال اتباعه في اتباع تصديقه وبرهانه ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [الآية: 285] وفي قراءة حمزة والكسائي كتابه على إرادة جنسه ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 285] والترتيب باعتبار حصوله وانفرد ضمير آمن للفظ كل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [الآية: 285] أي: بالتصديق والتكذيب فلا ينافي الفصل بالتفضيل والتقدير قالوا هذا القول ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 285] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 285] أمرك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] غفرانك أو اغفر لنا غفرانك ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 285] بحذف حرف النداء ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] أي: المرجع بعد الموت والغناء

بالبعث والجزاء والبقاء.

100/أ وقال /الأستاذ: شهادة الحق سبحانه لنبيه عليه السلام أتم من إخباره عن نفسه بشهادة الإسلام ويقال آمن الخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسل بالعيان.

وفي «**العرائس**» أن الله قدس باطن رسوله عليه السلام من سوائب النفسانية وخطرات الشيطانية وكحل عين سره بنور الملكوت حتى قيل بالصدق والإخلاص ما كشف له من عجائب الجبروت ورأى بمصابيح القرآن أسرار الأزل والأبد وما جرى في بطنان الغيب وغيب الغيب رؤية عيان وآمن بها إيمان المشاهدة والعرفان ثم المؤمنون على قسمين منهم العارفون والصادقون والمشاهدون والمقربون والمكاشفون والمحافظون والمحسنون والراضون والمتوكلون والمحبون والمريدون والمرادون كل شاهدوا بعض ما شاهد الرسول عليه السلام لولا ذلك لم يشرعوا في بذل الأرواح ومجاهدة الأشباح لكن للنبي ﷺ مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات ولهم مشاهدة اليقين بوسائط الالتباس ممتحنين بالوسواس والقسم الثاني من المؤمنين هم الذين آمنوا إيمان الفطرة بإرشاد العلم والعقل والبيان والبرهان.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [الآية: 286] أي: إلا ما يسعه من قدرتها وما دون غاية طاقتها لا ما لا يملك دفعه من حديث النفس وخطراتها.

وفي «**العرائس**» لو أظهر من جمال عز الأزل صفة من صفاتي لا يطيق الخلق أن يستقيموا عند كشف ذرة منها لكن أواسيهم بلوائح التجلي بنعت الالتباس لكيلا يغنوا مثل تجلي موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أيضاً لا يكلف الله حق عبوديته نفوس أوليائه إلا قدر ما يطيقون من جهة التقصير والضعف عند تحمل حقيقة العبودية لا من حق الربوبية أن يذوب الأرواح والأشباح في أول تكبيرة كبروا تعظيماً وإجلالاً وأن الله تعالى ما أظهر للخلق من معرفته إلا مقدار ما يعيشون به من جهلهم بربوبية ربهم ولو أيقنوا أنهم في

معزل من حقيقة العبودية وإدراك صرف الربوبية لماتوا حسرة على ما قالوا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غير ذاتها.

وفي «العرائس» لها ما كسبت أرواحهم من مقاسات/ الهجران في دار 100/ب الامتحان وعليها ما اكتسبت نفوسهم من جرائم الخطرات عند مكاشفة الغيب للمخفيات يجازي الله النفوس في الدنيا بالذنوب في المجاهدات ويجازي الأرواح في الآخرة لِصرف المشاهدات ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [الآية: 286] أي: قولوا ذلك وهو تعليم للعباد من آداب الدعاء من تصديره بالنداء والثناء والمعنى لا تحاسبنا ولا تعاقبنا ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ [الآية: 286] بخلاف من كان قبلنا فإنهم إذا نسوا شيئاً من الشريعة عجلت لهم العقوبة ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [الآية: 286] أي: بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة فإن النسيان والخطأ ليسا من الأمور الاختيارية ثم هذان بالنسبة إلى الحقوق الإلهية دون الآدمية.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى لا يلقنهم الدعاء في الدنيا ثم يمنعهم الإجابة في الأخرى.

وفي «العرائس» لا تحجبنا بك عنك إن نسيناك أو أخطأنا بالالتفات إلى غيرك ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [الآية: 286] أي: أمراً يثقل لدينا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [الآية: 286] من قتل النفس وقطع موضع النجس وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة وسائر ما أصابهم من الشدة والمحنة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [الآية: 286] من البلية أو العقوبة أو التكاليف لا تفي بها الطاقة فالدعاء به الاستدامة واعتداداً بالنعمة ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ [الآية: 286] بمحو ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 286] بستر ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ [الآية: 286] بالتعطف بنا والتفضل علينا ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [الآية: 286] أي: ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 286] من الأعداء الظاهرة والباطنة في أمر الدين.

وقال الأستاذ: أعف عنا في الحال ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ في المآل ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ في

جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك فأنت مولانا فاجعل النصرة على ما يشغلنا عنك ويذهلنا منك.

وفي «العرائس» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ قلة المعرفة بك ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ التقصير في عبادتك وارحمنا بمواصلتك ومشاهدتك فانصرنا على القوم الكافرين هذا نجوى أهل الامتحان من المكاشفين والمشاهدين أي: نحن أسرار معرفتك وضعفاء محبتك فارحمنا بتجلي العظمة حتى يقوى منك بك في محل العبودية وكشف الربوبية وانصرنا بمعاونة المعرفة وجند حقائق الإلهام عن مشاعر الألوهية على القوم الكافرين أو على بأس الطبيعة حتى يهربوا عن ميادين معارفك بتأبيد معرفتك وتسريح من تشويشهم في صرف عبوديتك وطلب مشاهدة حضرتك.



[مدنية]

وآيها مائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

/يتيامن باسم ذاته ووسم صفاته كل بيان في كل زمان ومكان وفي تكرار 101/أ البسملة إشعاراً بأنّ كل سورة في قضية وصورة ما نزلت إلا ناشئة عن عموم الرحمة الإلهية الشاملة للعموم في الدنيا وللخصوص في العقبى ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم 25] .

ثم العلماء اختلفوا في أن الله اسم مرتجل أو مشتق من أله بمعنى عبد فإله مصدر بمعنى معبوداً ومن وله ثم أبدل واوه همزاً بمعنى تحير فإله بمعنى متحير فيه سبحان من تحير في ذاته سواه حتى تحير أرباب العقول في تحقيق اسمه أيضاً كما تحير الكل في مسماه وقيل من لاه بمعنى احتجب فلاه مصدر بمعنى الفاعل أي: محتجب عن الأبصار وعن مشاهدة الأغيار في جميع الأعصار.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التحقيق اختلفوا في أن اسم الله هل هو مشتق من معنى أم لا فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معنى وهو له سبحانه على جهة الاختصاص يجري في وصفه مجرى اسم الأعلام في صفة غيره فإذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم يذهب فهومَهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه فحق هذه القالة أن تكون مقرونة لشهود القلب في كل حالة فإذا قال بلسانه الله أو سمع بأذنه الله شهد بقلبه الله وكما لا تدل هذه الكلمة على معنى سوى الله لا يكون مشهود قائله إلا الله فيقول بلسانه الله ويعلم بفؤاده الله ويعرف بقلبه الله ويحب بروحه الله ويشهد بسره الله ويتملق

بظاهره بين يدي الله ويتحقق بسره بالله ويتخلق بأحواله لله وفي الله فلا يكون فيه نصيب لغير الله وإذا أشرف على أن يصير محواً في الله لله بالله يتداركه الحق برحمته فيكاشفه بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] استبقاءً لمهجتهم أن يتلف وإرادة قلوبهم أن يبقى فتلطف سنة منه سبحانه أن لا يفني أولياءه بالكلية.

﴿الٓمٓ﴾ [آل عمران: الآية 1] أكثر أرباب العبارة على أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم دقائق مبناها وحقائق معناها غير منزلها وعبروا عن ذلك بقولهم الله أعلم بمراده مع أن هذه العبارة لا تخلو أيضاً عن الإشارة وهو الله أعلم أو أعلم بصيغة المتكلم وحده أو بصيغة الأمر بمعنى أنا أعلم فأنت أعلم أتينا ببعض الحروف إيماءً وإسقاطاً لبعضها اكتفاءً ليكون من رموز المحبوب للأحباء على وجه لا يشعر/ به الرقباء والأعداء. 101/ب

وفي «تفسير السلمي» قيل: الألف من الأحدية واللام من اللطف والميم من الملك ومعناه أن من وحد على الحقيقة بإسقاط العلائق والأعراض عن الأعواض تلطفت له وأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال لمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك.

وقال الأستاذ: أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفايتك على عموم أحوالك فأنت في أسر الغفلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك وهو مجرٍ ما يجبرك وكافٍ بما ينصرك فبغير سؤالك بل بغير علمك بحالك يكفيك من حيث لا تشعر ويعطيك من غير أن تطلب والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر حتى أنه لا يظهر عليك محل المنّة في قيام البر والإشارة من الميم موافقة جريان القضاء بمتعلقات الطلبة من الأولياء فلا يتحرك في العالم شيء ولا يظهر في الكون ذرة إلا وهو بمحل الرضا منهم حتى أن قائلاً لو قال في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن، الآية: 29] أن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء لم يكن ذلك ببعيد عند أرباب التأييد ويقال تفرق عن القلوب باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب كل معلوم

ومرسوم ومعتاد وموهوم من ضرورة أو حس أو اجتهاد حتى إذا خلا القلب عن الموهومات والمعلومات وصفا السر عن المعتادات والمعهودات يرد هذا الاسم وهو قوله:

﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية: 2] على قلب مقدس عن كل غير وسر مصفى عن كل كيف ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 2] أي لا معبود بل ولا موجود في نظر أرباب الشهود إلا ذات الواجب الوجود وصفاته من الكرم والجود ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [الآية: 2] أي: الذي حياته بذاته أبداً وقيامه في مقام البر بتدبير مصنوعاته على وقف صفاته سرمداً.

وقال الأستاذ هو الذي لا يلهو فيشغل عنك ولا يسهو فتبقى عنك فهو على عموم أحوالك رقيب سرك إن خلوت فهو رقيبك وإن توسطت الخلق فهو قريبك وفي الجملة كيفما دارت بك الأحوال فهو حبيبك.

وقال صاحب «**العرائس**»: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [الآية: 2] الذي لا يقاس حياته ببعد الأوهام ولا يدرك سرمدية ذاته بغوص قطر الأنام وأيضاً الحي الذي حياته قام بها العالم واستنارت بنورها روح آدم والقيوم الذي/ يبقى ببقائه أهل الفناء ويفنى بقهر قيوميته أهل البقاء. 102/أ

﴿نَزَّلَ﴾ [الآية: 3] أي: أنزل الله منجماً مدرجاً ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 3] أي: بالصدق والصواب ليقع فيه كثرة الخطاب ويسع السؤال والجواب ويكون الرسول والمرسل إليهم دائماً في انتظار الوحي الرباني وفي التوجه إلى نزول السفير السبحاني وهو اشتغال بالحق لما ورد أن انتظار العبادة عبادة بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه ما كان حينئذٍ مراجعة ولا مراودة بل كان يأساً وانقطاعاً عن ذلك بالكلية.

وقال الأستاذ: وما كنت يا محمد تدري ما الكتاب ولا قصة الأحباب ولكن صادفك اختيار أزلي واصطفاء أولي فألقاك في أمر عجيب شأنه جليل برهانه عزيز محله ومكانه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [الآية: 3] أي: موافقاً لما تقدمه من الكتب ومطابقاً لما سبق به الرسل.

وقال الأستاذ: محققاً لموعوده لك في الكتب على ألسنة الرسل عليهم السلام ﴿وَأَنزَلَ﴾ [الآية: 3] أي: مجمله مكمله ﴿التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 3] أي على موسى وعيسى عليهما السلام.

﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 4] أي: قبل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 4] أي: الموجودين في ذلك الزمان وهو حال من كل من المفعولين مجازاً أو من الفاعل حقيقة ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 4] أي: ما فرق به بين الحق والباطل من التبيان والمراد به جميع الكتب المنزلة على الأمم في سائر الأديان فهو تعميم بعد تخصيص لمزيد البرهان وقال الأستاذ أي: إنا وإن أنزلنا قبلك كتبنا على المرسلين فما أخلينا كتاباً من ذكرك قال قائلهم:

فعندي لأحبابنا الغائبين صحائف ذكرك عنوانها[1]

وكما أتممنا بك أنوار الأنبياء زينا بذكرك جميع ما أنزلنا من الذكر والأنباء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 4] أي أنكروا الحق أو ستروا وجحدوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 4] أي: من كتبه وأنبائه ومعجزات أنبيائه وكرامات أصفيائه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية: 4] وحجاب أكيد ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عزة وغلبة على أوليائه ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عقوبة ونقمة من أعدائه.

قال الأستاذ: عزيز يطلبه كل أحد ولكن لا يجده كثير عدد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 5] من الإخفاء ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 5].

أفاد الأستاذ: أنه لا يتنفس عبد نفساً إلا والله سبحانه محصيه ولا يحصل في السماء والأرض ذرة إلا وهو سبحانه مجريه/ ومبديه ولا يكون أحد بوصف ولا نعت إلا وهو متوليه هذا على العموم وأما على الخصوص فلا يرفع أحد إليه حاجة إلا وهو قاضيها ولا يراجعه أحد في نازلة إلا وهو كافيها.

102/ب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 276)، (6/ 365).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الآية: 6] أي: أرحام الأمهات ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية: 6] من أنواع التصويرات.

وفي «تفسير السلمي» قيل يصور كل أحد منكم عالماً به وبصفاته وبأوامره وسائر حالاته فمن لم يصحبه حزن ما قدر عليه في وقت تصويره من الشقاوة والسعادة فهو الجاهل والآمن مكره المقتضى إبعاده.

وقال الأستاذ: هذا فيما لا يزال من حيث الخلقة وهو الذي قدر أحوالكم في الأزل كيف يشاء وهذا فيما لم يزل من حيث القضاء والقسمة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 6] إذ لا يعلم غيره ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لا إله إلا هو فيتعقب حكمه بالنقض أو يعارض تقديره بالإهمال والرفض ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 6] إيماءً إلى غاية قدرته ونهاية حكمته.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 7] أي جملة القرآن بأحسن الخطاب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [الآية: 7] أي: بعضه دلالات محكمة العبارات محفوظة من نشأة الاحتمالات ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 7] أي: تلك الآيات أصل الخطاب الذي يرجع إليه ويتفرع عليه بقية آيات الكتاب وأحكام الأبواب وفي إفراد اللام إيماءً إلى أن الكل بمنزلة آية واحدة في هذا البناء ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [الآية: 7] أي: وبعضه آيات آخر إشارات محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالاجتهاد في تدبر مبانيها وتفكر معانيها ليحصل المطابقة بين متشابهاتها ومحكماتها أو ليظهر العجز عن إدراك كنه حقائقها ودقائقها في بعض دلالاتها ولا ينافي هذا التقسيم قوله تعالى كتاب أحكمت آياته فإن معناه أنها حفظت من كساد المبنى وفساد المعنى ولا قوله سبحانه كتاباً متشابهاً إذ المراد أنه يشبه بعضها بعضاً في غاية الفصاحة ونهاية البلاغة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [الآية: 7] أي: مَيل وعدول عن الحق كالمبتدعة من المجسمة والمعطلة والمتعلقة بالشك والشبهة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [الآية: 7] فيتعلقون بظاهره المنافي للمحكمات أو بتأويل باطل يكون من

الممتنعات ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لأجل طلب افتنان الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس المقتضي للغواية عن يقينهم / ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [الآية: 7] ولقصد طلب 103/أ تأويله على ما يشتهونه ويبنون مذاهبهم الباطلة عليه أو لإرادة حقيقته ما يؤول أمره إليه ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ [الآية: 7] أي الذي يجب أن يحمل عليه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [الآية: 7] أكثر القراء والعلماء ذهبوا إلى الوقف على الجلالة وإن قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية: 7] مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية: 7] ويؤيده قوله سبحانه إخباراً عنهم ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [الآية: 7] أي كل من المحكم والمتشابه من عند مولانا وما لنا إلا الإيمان بأنه من كلامه والعجز عن إدراك مرامه يريده قراءة ابن مسعود وإن تأويله إلا عند اللّه وكذا قراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ كما أخرجه سعيد ابن منصور عنه بإسناد صحيح وغريب إلى أبي أيضاً[1].

وقد أخرج الطبراني وابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن عائشة أنها قالت في قوله تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ انتهى علمهم إلى ان آمنوا بمتشابهه ولم يعلموا تأويله[2].

وفي «**صحيح البخاري**» عن عائشة أنه عليه السلام تلا هذه الآية وقال فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللّه فاحذروهم[3].

وأخرج ابن أبي حاتم أنّ رسول اللّه ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم[4] وبعضهم ذهبوا إلى ان الواو للعطف وجملة يقولون استئنائية بيانية ولغوية وبقوله تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [الآية: 7] أي متذكر مقصود الخطاب من الكتاب ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية: 7] والتحقيق أنّ بعض الآيات المتشابهات لا يعلم حقيقة معناها أحد إلا اللّه وبعضها يعلم معناه الثابتون في

---

(1) تفسير الطبري (6/ 202، 204).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 293) رقم (4342)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (2/ 423).

(3) الصحيح (4/ 1655) رقم (4273).

(4) تفسير ابن أبي حاتم (2/ 421) رقم (3252) و(4/ 441) رقم (6301).

العلم المجتهدون في تحقيق مبنى القرآن ومعناه وبه يرتفع النزاع ويحصل الاجتماع ثم الرابطة بين هذه الآية وما قبلها أنّ الأولى في تصوير الاشباح وتسويتها والأخرى في تصوير الأرواح بالعلم وتزيينها.

وأفاد الاستاذ: ان اللّه سبحانه أنزل الكتاب وجنس فيه الخطاب فمن ظاهر واضح تنزيله ومن غامض مشكل تأويله القسم الأول لبسط الشرع واهتداء أهل الظاهر والقسم الثاني لصيانة الأسرار عن اطلاع الأجانب عليها فسبيل العلماء الرسوخ في طلب معناه على ما يوافق الأصول فما حصل/ 103/ب عليه الوقوف فمقابل بالقبول ما امتنع من التأثر فيه بمعاول الفكر سلموه إلى عالم الغيب وسبيل أهل الإرشاد والفهم إلقاء السمع بحضور القلب فما يسنح لفهومهم من لوائح التعريفات بنوا على إشارة الكشف أن طولبوا باستدامة الستر وطي السر تخارسوا عن النطق وإن أمروا بالإظهار والنشر وأطلقوا على بيان الحق نطقوا عن تعريفات الغيب فأما الذين أيدوا بأنوار البصائر فمستضيئون بشعاع شموس الفهم وأما الذين ألبسوا غطاء الريب وحرموا لطائف التحقيق فينقسم بهم الأحوال ويترجم لهم الظنون ويطيحون في أودية التلبيس فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ونفوراً على شك وما يعلم تأويله إلا الله ومن وجد علمه من الله فيكون إيمانهم بلا احتمال بجولان خواطر التجويز بل عن صريحات الظهور وصافيات اليقين وأما أصحاب العقول الصاحية ففي صحبة التذكر ظهور وجوه البراهين وسر أحكام التحصيل في الدين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [الآية: 8] الظاهر أنه من مقال الراسخين ويحتمل أن يكون استئناف تعليم للسالكين والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الرضي إلى اتباع المتشابه بالتأويل الغير المرضي فعنه ﷺ قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن[1] إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الآية: 8] إلى الحق والصواب والإيمان بالقسمين من الكتاب ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 706) رقم (1926)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 147) رقم (1530)، ومسلم في الصحيح (2654/ 17)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 538) رقم (3522).

[الآية: 8] أي: من عندك ومن طريق فضلك ﴿رَحْمَةً﴾ [الآية: 8] تزلفنا إليك وتدلنا عليك وتذلنا بين يديك لنفوز بها لديك.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما ازدادوا قرباً إلا ازدادوا أدباً واللياذ إلى التقاعد أقوى أسباب رعاية الأدب ويقال حين صدقوا في حسن الاستغاثة أمدوا بأنوار الكفاية ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [الآية: 8] لكل مسؤول من كل باب.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 9] أي: لحساب يوم أو لجزائه وإلى يوم أو في يوم ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [الآية: 9] أي: في وقوع اليوم وما فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية: 9] أي: وعده ووعيده في حق العباد لا أن وعيد الفساق تحت المشيئة كما أن وعيد الكفار مشروط بعدم التوبة/ وكذا وعد مثوبة الأبرار موقوف على حسن الخاتمة. 104/أ

وأفاد الأستاذ: أن اليوم جمع الأحباب على بساط الاقتراب وغداً جمع الكافة لمحل الثواب أو لعقاب اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجمال وغدا جمع الأبشار لشهود الأهوال ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾ [الآية: 10] أي: لن تدفع ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية: 10] ولن تنفعهم ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 10] بل ولا أعمالهم وأحوالهم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ [الآية: 10] بل ولا آباهم وأجدادهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 10] أي: بدل رحمته أو طاعته أو من عذابه وعقوبته ﴿شَيْـًٔاۖ﴾ [الآية: 10] من الإغناء ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 10] أي: حطبها فإنهم حملوا الأوزار باختيار الأغيار.

قال الأستاذ: لا فداء ينفعهم ولا غنى يرفعهم ولا مال يقبل منهم ولا حجاب يرفع عنهم ولا مقال يسمع فيهم بهم يسعر الجحيم ولهم الطرد الأليم والبعد الحميم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 11] أي: دأب قومك وعادتهم في كفرهم وجهلهم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 11] استئناف بيان لصنيعهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 11] أي: شديد عقابه كما أنه سريع حسابه.

وقال الأستاذ: أصروا في العتو على سُنَّتهم وأدمنا لهم في الانتقام سُنَّتنا

فلا من الإصرار أقلعوا ولا في المبار طمعوا ولعمري أنهم هم الذين ندموا وتحسروا على ما قدموا ولكن حينما وجدوا الباب مسدوداً والندم عليهم مردوداً.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 12] أي: مشافهة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ [الآية: 12] في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 12] في العقبى وفي قراءة حمزة والكسائي بالغيبة أي: قل في شأنهم وقد حقق الله ذلك في بدر وقضايا أخر من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر ووضع الجزية عليهم ممن ظهر فالآية من دلائل النبوة وشواهد المعجزة ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية: 12] أي: فراش البعاد وما مهدوه ليوم المعاد.

وقال الأستاذ: أي أخبرهم أنهم يفوتهم حديث الحق في الأجل ولا يكون لهم لذة عيش في الأجل والذي يلقون في الآخرة من شدة العقوبة بالحرقة ليس فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة ولكن سقمت بصائر أهل الحجاب فلم يحسوا/ بأليم العقاب. 104/ ب

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية: 13] أيها الكفار أو الأبرار أو لجملتكم ﴿آيَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: معجزة ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: في جماعتين مختلفتين يوم بدر اجتمعتا فئة أي: طائفة عظيمة ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [الآية: 13] تقاتل في طريق نفسه وهواه ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ [الآية: 13] أي: يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب ألف فرأوهم ألفين ليحصل لهم الرعب أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم فإن أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم ويؤيده قراءة نافع ترونهم بالخطاب وكلا المعنيين صدق وصواب إذ قللهم الله في أعين المشركين أولاً حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا إليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى لهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 44] ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: 13] رؤية ظاهرة معاينة بلا شبهة ولا مرية ولا احتياج

إلى رؤية ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 13] أي: له النصرة كأهل بدر.

وفي «تفسير السلمي» قيل يوفق من يشاء من عباده بلزوم السُّنَّة وترك البدعة ولا يبعد أن يقال بلزوم الحضرة وترك الغفلة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: فيما ذكر من كون الواقعة ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الآية: 13] لفظة معتبرة لذوي البصائر تعبر بِصاحبها من منزلة الجهلاء الفجار إلى رتبة العلماء الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد إمضاء أمر قلل الكثير في أعين قوم وكثر القليل في أعين قوم وإذا لبس على بصيرة قوم أيقنهم نفاذ أبصارهم وإذا فتح أسرار آخرين فلا يضرهم انسداد أبصار آخرين قلت: وإذا أراد الله بقوم فتح باب علم أو عمل هون عليهم طريقه وحسن لهم تحقيقه وإذا أراد بقوم خلاف ذلك طول عليهم سبيله وبعد لهم تحصيله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً مما قدر لكل سالك أن يكون لأمر مخلوقاً ومجبولاً.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 14] أي: من ذوي الغفلات ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [الآية: 14] أي: المشتهيات والمزين على الحقيقة هو الله المتعالي فإنه خالق الأفعال/ 105/أ والدواعي أو الشيطان على طريق السببية والإسناد المجازي ابتلاء ليتميز من يختار حب الله ممن يحب سواه ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 14] حرة أو أمة ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ [الآية: 14] وخصوا لكراهة البنات طبعاً في غالب الناس ولا يبعد أن يكون من باب الاكتفاء أو نوعاً من التغليب ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [الآية: 14] أي: الأموال الكثيرة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [الآية: 14] وما يشترى بهما من سائر الأشياء المرغوبة ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [الآية: 14] المعلمة أو المرعية أو المطهمة ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 14] من الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ [الآية: 14] أي: الزراعة ويدخل فيه سائر الصناعة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 14] أي: جميع ما ذكر ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 14] وهي مع كونها قليلة ناقصة مكدرة منقصة وزائلة فانية ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [الآية: 14] أي: المرجع بالمثوبة في الجنة التي نعيمها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة بل دائمة باقية دل عليه ما بعده من الآية

الآتية والحاصل أنه تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الناقصة الفانية الردية وقد قيل من مال إلى هذه الأشياء واستحسنها قطعة عن طريق الحق وعوقه العوائق ومن استصغرها وأعرض عنها عوض عليها السلامة منها وفتح له الطريق إلى الحقائق.

وقال الأستاذ: نبه بذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في معناها وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود فهو من جملتها وأصعب العوائق في هذا الطريق الشهوة الخفية وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم في جملة الشهوة ومن المقاطع المشكلة السكون إلى ما يلقيك به من فنون تقريبك وكأنه في حال ما يناجيك به ويناغيك فإنه بكل لطيفة يصفك ويطريك تحتها خدع خافية ومن أدركته السعادة كاشفة بشهود جلاله وجماله لإثباته في لطيف أحواله وما يخصه به من أفضاله وإقباله.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: من الذي ذكرت لكم وفيه تقرير أن ثواب الله في العقبى خير وأبقى من مستلذات الدنيا لأهل التقوى كما قال ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 15] خبر مقدم مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 15] حال مقدرة والجملة استئنافية مبينة لما هو خير ولمن لا يكون له الخير ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 15] بضم/ 105/ب الراء لشعبة حيث جاء ما عدا رضوانه سبل السلام في المائدة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] أي: عالم بأعمالهم وأحوالهم فيثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم وقد نبه الله سبحانه في هذه الآية على مراتب نعمه جملة فأدناها متاع الدنيا وأوسطها نعيم العقبى وأعلاها رضاء المولى وكذا قيل من عمل لرجاء الجنة وحصولها فإن غايته بلوغها ووصولها أو من كانت معاملته على رؤيته الرضا فإن له الرضوان وقد قال عزَّ وجلَّ ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] وعباداتهم عالم بهمم العالمين وإرادتهم.

وقال الأستاذ: بين فضيلة أهل التقوى على أرباب الدنيا فقال هؤلاء لهم متابعة المنى وموافقة الهوى وأولئك لهم الدرجات العلى والله بصير بالعباد

أنزل كل قوم وأوصله إلى مآله.

وأهله ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الآية: 16] بلسان القال أو بيان الحال ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 16] أي صدقنا بما يجب علينا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 16] أي: تقصيراتنا التي صدرت عنا ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 16] بانضمام الأغيار في دار البوار والجملة منصوبة بأعني ليلائم قوله ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 17] على بلياتهم.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 17] في نياتهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17] أي: الخاشعين في طاعاتهم ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [الآية: 17] أموالهم في خيراتهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] أي: في أفضل أوقاتهم وآخر عباداتهم عن تقصيراتهم وزلاتهم أو عن جميع معاملاتهم وقال بعضهم الصابرين مع الله في موارد قضائه فيهم والصادقين في توحيدهم ومحبتهم والقانتين الراجعين إلى الله في سرّائهم وضرّائهم والمنفقين ما سواه له حال بذلهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] من أفعالهم وأقوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس وذلك على ثلاث مراتب صبر على ما أمر به العبد وصبر عن ما نهي عنه وصبر هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد أما في فوات محبوبك أو هجوم ما لا تستطيعه فإذا ترقيت عن هذه الصفة بأن لا يصيبك مشقة أو تنال راحة فذلك رضا لا صبر ويقال الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17] بنفوسهم بالاستقامة في محبة الله ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [الآية: 17] عن جميع ما فعلوا/ 106/أ لرؤية تقصيرهم في الله ويقال ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 17] بقلوبهم ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 17] بأرواحهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17] بنفوسهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [الآية: 17] بألسنتهم ويقال الصابرين على صدق القصود في العهود والقانتين بحفظ الحدود والمستغفرين عن أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد ويقال الصابرين الذين صبروا ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب وهجروا كل راحة وطلب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى ولم يقطعهم شيء من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا في الطلب فقصدوا ثم

وردوا ثم صدقوا حتى شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا قربتهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود والقانتين الذين لازموا الباب وداوموا على تجرع الاكتفاء وترك المحاب ورفض الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [الآية: 17] الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ثم جادوا بميسورهم من الأموال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل والآجل استهلاكاً عن القرب والوصال بما لقوا به من الاصطلام والاستئصال والمستغفرين عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الأسحار يعني ظهور الأسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار.

وفي «العرائس» الصابرين عن جميع حظوظهم لله والصادقين في معاملة الله والقانتين بنعت الرضا عن الله والمنفقين نفوسهم لله وبالله والمستغفرين عن التفاتهم إلى غير الله بالأسحار حين أشرقت أنوار المشاهدة وأسرار المكاشفة ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] بين ألوهيته وعين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليهما وإنزال الآيات الناطقة بهما.

وقال الأستاذ: أي علم الله وأخبر الله وحكم الله بأنه لا إله إلا هو فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق وأول من شهد أنه الله هو الله فشهد في آزاله بقوله وكلامه الأزلي وأخبر عن وجوده الأحدي وكونه الصمدي وعونه القيومي وذاته الديمومي وجلاله السرمدي وجماله الأبدي فقال.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 18] أي: بين الله بما نصب من البراهين وأثبت/ من دلائل اليقين وأوضح من الآيات وأبدى من البينات فكل جزء من جميع ما خلق وفطر ومن كتم العدم أظهر وعلى ما يشاء من الصفات الذاتية حصل من أعيان مستقلة وآثار في ثاني وجودها مضمحلة وذوات للملاقاة قابلة وصفات في المحال متعاقبة فهو لوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد وللعقول مخبر بأنه واحد عزيز ماجد شهد سبحانه بجلال قدره وكمال عزه حين لا جحد ولا جهول ولا عرفان لمخلوق ولا عقل ولا وفاق ولا كفر ولا حدثان ولا غير ولا إلحاد ولا شرك ولا فهم ولا سماء ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء و وصول

106/ ب

للمزدوجات ولا فصول باختلاف الأوقات ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 18] أي: وشهدت الملائكة بمعنى أقرت بألوهيته واعترفت بتوحيده في ربوبيته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يؤيد شهادته لوحدانيته بشهادة الملائكة بل أسعدهم وأيدهم حين وفقهم بشهادته وسددهم إلى معرفة وحدانيته أرشدهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية: 18] أي: من الأنبياء والأولياء والأصفياء والعلماء والعبرة بشهادتهم وشهادتهم دالة على سبق عنايتهم وسعادتهم وفيه شهادة على أن من لم يشهد عن جهل أو جحد أو عناد وارتداد فهو من الذين غلبت عليهم شقاوتهم.

وأفاد الأستاذ: أن المراد بأولي العلم أولاد بني آدم إذا علموا جلال قدره وعزّ نعته أكرمهم حيث قرن بشهادته شهادتهم فشهدوا عن شهود وتعيين لا عن ظنون وتخمين إن لم يدركوه اليوم ضرورة وحساً لم يعتقدوه ظناً وحدساً تعرف إليهم فعرفوه وأشهدهم فلذلك فشهدوا ولو لم يقل لهم أنه من هو لما عرفوا من هو ولكن العلماء يشهدون بصحو عقولهم والموحدون يشهدون بعد خمودهم فهم كما قيل:

مستهلكون بقهر الحق قد همدوا واستنطقوا بعد إفناءٍ بتوحيد[1]

فالمجرى عليهم ما يبدو منهم سواهم والقائم عنهم بما هم عليه وبه عيّرهم ولقد كانوا لكنهم بانوا.

وأولوا العلم على مراتب فمن عالم نعته وفاق ورهبانية ومن عالم وصفه فناء وربانية وعالم يعرف أحكامه وحلاله/ وحرامه وعالم يعلم أخباره وسننه 107/أ وآثاره وعالم يحفظ كتابه وتفسيره وتأويله ومحكمه وتنزيله وعالم يعلم نعوته وصفاته ويستقري حججه وتوحيده وعالم لاطفه حتى أحضره ثم كاشفه فقهره فالاسم باقٍ والعين محو والحكم طار والعبد محق قال قائلهم:

بنو حق غدوا بالحق صرفاً نعت الخلق فيهم مستعار[2]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 290).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

ليست الإشارة من هذا إلا إلى فنائهم عن إحساسهم وعن علومهم بأنفسهم فأما أعيانهم فمخلوقة وما يقوم بذواتهم من أحوالهم فمسبوقة وذات الحق لا يتصف بقبول حدثان وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات تقدس الحق عن كل ضد وند ووصل وفصل وجمع وفرق وعين وخلق وملك وفلك ورسم وأثر وعبد وبشر وشمس وقمر وغير ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [الآية: 18] أي: مقيماً للعدل في قسمه وحكمه أو ثابتاً بصفات الكمال من نعوت الجلال والجمال ونصبه على المدح أو الحال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] أي: في الحقيقة والمآل ويشهد به جميع الكائنات بلسان القال أو ببيان الحال ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] الموصوف بنعت القوة والقدرة ووصف الحكم والحكمة.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [الآية: 19] أي: الدين المرضي في حكم الملك العلام إنما هو الاستسلام للأحكام على وفق ما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام وقرأ الكسائي بفتح أن على أنه بدل من أنه.

وأفاد الأستاذ: أن الدين الذي يرتضيه والذي حكم لصاحبه بأنه يجاريه ويعليه وبالفضل يلاقيه هو الإسلام والإسلام هو الإخلاص والاستسلام وما سواه فمردود وطريق النجاة على صاحبه مسدود ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 19] من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الخطاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الآية: 19] بحقيقة الإسلام وأحكامه في جميع الأبواب ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [الآية: 19] أي: لطلب أعراض فاسدة وأعواض كاسدة من أخذ الرشوة وطلب الرئاسة والحسد على النبوة ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] واختار طريقاً سوى رضاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية: 19] وشديد العقاب.

وقال الأستاذ: جاءهم العلم الذي عليهم حجة لا المعرفة التي لهم بيان/ ومحجة فأصروا عن الجحود لأنهم حجبوا عن محل الشهود. 107/ ب

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ [الآية: 20] أي: جادلوك في الدين وخاصموك بعد تبين اليقين ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 20] أي: أخلصت ذاتي وأصلحت صفاتي لحكم تحقيقه ولطلب مرضاته بتوفيقه ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [الآية: 20] أي: وأسلم من اتبعني

وتبع أمري وجهه كوجهي في مقصدي وتوجهي ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 20] أي: اليهود والنصارى ونحوهم ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الآية: 20] أي: المشركين من العرب وغيرهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [الآية: 20] أي: كما أسلمت أنا وأتباعي أم أنتم باقٍ على كفركم ونزاعي والمراد التحضيض على الإسلام والأمر بالاستسلام ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [الآية: 20] طريق الصواب في الدنيا وحس المآب في العقبى ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 20] أي: أعرضوا عن الباب بعد دعائك إلى الجنان ورفع الحجاب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الآية: 20] وقد بلغت وحصل لك الأجر والثواب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية: 20] في جميع الأبواب.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ﴾ [الآية: 20] أي: فطالعهم بعين التصريف كي لا يفترق بك الحال في شهود اختلافهم وتباين أطوارهم فإن من طالع الكائنات بعين القدرة علم أن المثبت لِلكل على ما اختص به كل واحد من الكل واحد فادعهم جهراً بجهر وأشهد تصريفنا إياهم سراً بسر واشغل لسانك بنصحهم وفرغ قلبك عن حديثهم وأفرد سرك عن شهودهم فليس الذي كلفناك من أمورهم إلا البلاغ والمجري للأمور والمبدي نحن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 21] التي أنزلت إليهم ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 21] حتى في زعمهم ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 21] وقرأه حمزة يقاتلون ﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 21] أي: بالعدل والحق والصدق الواضح لدينهم ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 21] أي: من علمائهم وفضلائهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 21] تهكماً بهم ففي الحديث المرفوع قتلت بنو إسرائيل [ثلاثة وأربعين نبياً...] [1] فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم ولم ينقطع سوقهم من قساوة القوم[2].

قال الأستاذ: إن الذين ربطناهم بالخذلان ووسمناهم بوصف الحرمان

(1) الزيادة من كتب التفسير.

(2) تفسير الطبري (6/ 286، وتفسير ابن كثير (2/ 27)، وتفسير القرطبي (4/ 46).

أخبرهم بأن إعراضنا عنهم مؤبد في الزمان وأن حكمنا سبق بنقلهم عن دار الجنان إلى دار الهوان وإلى العقوبة والنيران.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ﴾ [الآية: 22] أي: بطلت/ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الآية: 22] إلى شيء يدعونها ويحسبون أنهم يحسنونها ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 22] أي: مما تعقلت بالأمور الدنيوية أو بالأحوال الأخروية ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 22] يدفع عنهم العقوبة الأبدية. 108/أ

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين ليس لهم اليوم توفيق بأعمال ولا غداً تحقيق لا مآل وإنما ذلك لأنهم فقدوا في الدار من تصرفنا ولم يشهدوا عزتنا وقدرتنا.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾ [الآية: 23] أي: حظاً قليلاً ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 23] وهو مجرد القراءة ومحض الرواية والعمل بكل آية ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 23] أي: الكتاب فيما وقع لهم من الخلاف في باب من الأبواب ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 23] أي: يعرضون عن القبول والامتثال ويدبرون بدل الإقبال مع أنهم يدعون العلم والكمال ﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية: 23] أي: قوم عادتهم الإعراض والاعتراض في جميع الأحوال.

وقال الأستاذ: امتحناك بدعوة من سبق علمنا بأنهم لا يستجيبون فاصبر على ما أمرت فيهم واعلم سري في أحوالهم فإنهم أهل التولي عن الإجابة لأنهم فقدوا منا حسن التجلي بسابق الإرادة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 24] أي: التولي عن الأنبياء والإعراض عن قبول الآيات ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية: 24] من أن النار لن تصيبهم إلا أزمنة قليلات وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فيما صدر عنهم من السيئات.

وقال الأستاذ: عاقبناهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب والإخراج وسوف يعلمون تضاعف البلاء عليهم ويظهر خلود العذاب ودوام الحجاب إليهم.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 25] حالهم في مآلهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 25] أو المعنى حينئذٍ كيف يصفون وعن عذابنا كيف يتخلصون ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الآية: 25] أي: أجر ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 25] في كل ساعة ونفس على وفق ما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 25] أي: بتنقيص الحسنات ولا بتضعيف السيئات.

وأفاد الأستاذ أن هذه الكلمة تعجيب بما أخبر به عن تعظيم الأمر وتفخيم الشأن عند بهت عقولهم ودهشة أسرارهم وانقطاع دعاويهم وانخلاع قلوبهم عن مكانها وترقيها إلى تراقيهم ثم ما يلقونه من الحساب والعذاب وعدم الإكرام والإيجاب وما في هذا الباب/ . 108/ب

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [الآية: 26] قيل أصله يا الله آمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء وإسقاط همزة الوصل وترك الفضلة ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [الآية: 26] نداءٌ ثانٍ أو نعت للأول.

وأفاد الأستاذ: أن معناه يا الله فالميم في آخر اللّهم بدل عن حرف النداء وهذا تعليم الحق لِلخلق كيف الثناء أي: صفني بما أستحقه من جمال القدر فقل يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين ولا ظهير ولا قرين ولا وزير ولا مقاسم له في الذات ولا مساهم له في الصفات ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [الآية: 26] أي: من ملكك الذي هو ملكك ﴿مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] من خلقك وعبيدك ما تشاء من فضلك وبرك وهو شامل لملك النبوة والولاية والسلطنة والمعرفة والقناعة والعبادة والطاعة والعزلة وترك المذلة ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] على وفق ما تعلق به المشيئة ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بإيتائه أو نزعه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بإعطائه أو منعه.

وقد قال ابن عطاء الله رحمه الله: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فطوبى لمن ملك ربه قلبه على نفسه وهواها حتى يسلم من شرورها ويخلص من غرورها ويمنعها من فجورها.

وقال الأستاذ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بشد نطاق خدمتك ﴿وَتَنزِعُ

ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بنفيه عن بساط حضرتك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بإقامته بالإرادة ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] برده إلى ما عليه أهل العادة ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بعرفانك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بخذلانك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن يشهدك ويوحدك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن يجحدك ويفقدك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بيمن إقبالك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بوحشة إعراضك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تؤنسه بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن توحشه عنك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تشغله بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تشغله عنك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بطوالع إنسه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بطوارق نفسه ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] ببسطه بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بقبضه عنك.

ومن «**نفائس العرائس**» خص الله نفسه بالألوهية ومدحه بملك الربوبية وأنه ذو الملك والملكوت والعز والجبروت وهو موصوف به في الآزال باقٍ عليه فيما لا يزال ثم خص بملكه الذي هو بعض صفاته من يشاء من أنبيائه وصفوته وأوليائه من أهل طاعته/ فالملك الذي خص به الأنبياء هو الاصطفاء 109/أ والاجتباء والخلافة والخلة والمحبة والتكليم والرسالة والنبوة وظهور الآيات والمعجزات والنهاج والمعراج فكسى الله تعالى سفرة الأنبياء عليهم السلام كسوة الربوبية والسلطنة فظهر منهم الآيات الباهرة المعجزات القاهرة وقهروا بعز ملك الرسالة والنبوة جبابرة الأرض وعتاة الظلمة وهذا موهبة خاصة سبقت لهم العناية وحرم عنها أهل الخذلان والغواية وأما الملك الذي خص به أولياءه فعلى أقسام أربعة منها قسم الكرامات والآيات كطي المسافات واستجابة الدعوات وهؤلاء أهل المعاملات ومنها قسم المقامات وهو أشرف مما قبلها كالزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والطمأنينة والاستقامة وهؤلاء أهل الدرجات وقسم منها وهو أشرف من الثاني هو الوجد والنجوى والمراقبة والحياء والخوف والرجاء والمحبة والشوق والعشق والشكر والصحو وهؤلاء أهل الحالات وقسم منها وهو أشرف من الثالث وهو الكشف والمشاهدة والمعرفة والتوحيد والتفريد والغناء والبقاء وهؤلاء أهل المعاينات

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [الآية: 26] أي: الخير الدنيوي والأخروي والملك الصوري والمعنوي والمعنى أنه بتصرفك الخير والشر فحذف الثاني للاكتفاء أو اقتصر على الخير لأنه المرغوب فيه بالدعاء أو لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بعرض الحادثات إذ لا تلقى شراً جزئياً ما لم يتضمن خيراً كلياً أو لأن الشر لا ينسب إليه تأدباً لما ورد من أن الخير بيديك والشر ليس إليك[1] ونبه على أن الشر أيضاً بيده بقوله ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 26] أي من الخير والشر وغيرها.

وقال الأستاذ: أي من الحجب والجذب والأخذ والرد والفرق والجمع والقبض والبسط.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] أي: تدخل أحدها في مكان الآخر بالتعقيب في الزمان أو بالزيادة والنقصان ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الآية: 27] خفف ياء الميت ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة والمراد بإخراج الحي من الميت وعكسه إنشاء الفروع والأشجار من الحبوب والأثمار وإبداء الحيوان من النطف والبيض من الطير والطير من البيض وإخراج المؤمن والصالح من الكافر/ والفاجر وعكس ذلك كله وكان عليه السلام إذا رأى عكرمة بن أبي جهل يقول ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] . 109/ب

وقال الأستاذ: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 27] حتى يغلب سلطان ضياء التوحيد فلا يبقى من آثار النفس وظلماتها شيء ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] حتى كان شموس القلب كسفت أو كأن الليل دام وكأن الصبح فقد ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن الفترة لم تكن وعهد الوصال رجع فتياً وعود القرب صار غضاً طرياً ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن شجرة البرم أورق شوكاً وأزهر شركاً وكأن البائس لم يجد خيراً ولم يشم ريحاً وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (771/ 201)، وأبو داود في السنن (1/ 277) رقم (760)، وابن حبان في الصحيح (5/ 71) رقم (1773)، وأبو يعلى في المسند (1/ 433) رقم (574).

ومن «**نفائس العرائس**» تولج دخان ظلمات البشرية في سلطان ضياء الربوبية أو ظلمة الأشباح النفسيّة في أنوار الأرواح القدسية وأيضاً تحرق سجون ليالي الهجران بطلوع شموس العرفان وأيضاً تحرق حجب قضاء أنس الحدوثية عن ظهور سناء قدس الصمدية ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] أي: سبل حجاب الفناء على وجوه أهل البقاء وأيضاً ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] حين كسفت شمس المعرفة في منازل الفكرة وغلبت ظلمة الفترة على نور المعاملة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] أي: تخرج أشجار أنوار المعرفة بكشف جمال المشاهدة من القلوب الميتة بتواتر الفترة وأيضاً تخرج أرواح القدسية بأصوات جرس الوصلة عند غلبات الوجود من الأشباح المضمحلة تحت أثقال سلطان كشف توحيد الوحدانية إلى فضاء السرمدية لتجول في سرادق الكبرياء وخيام الملكوت طلباً لمشاهدة جمال الجبروت تخرج مياه دموع العارفين بنيران الوجد من قلوبهم الخالية عن آثار المشاهدة وأيضاً إذا يبست عيون المعرفة في قلوب العارفين من حرارة اليقين وأورقت فيها أشجار الغفلة بأوراق هموم المذمومة ويبست رياحينها بالانقطاع عنها مياه صفاء المعاملة ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 27] أي: ما تشاء من الأوراق الحسية والأخلاق الإنسية والحالات الدنيوية والأخروية والمقامات العلية الصفية ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 27] أي: بكثرة زائدة عن دائرة الحساب أو بدون محاسبة وعذاب وقد روي مرفوعاً أنه ﷺ/ ذكر عقيب 110/أ هذا الدعاء المصدر بحسن الثناء حيث قال رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وفيه تنبيه نبيه على أن أحداً لا يوجد ممنوعاً من عطائه سبحانه بالكلية فيوافق ما جاء في الآية ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20].

وأفاد الأستاذ: بعد قوله ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 27] حتى لا كد ولا جهد ولا عرق جبين ولا تعب يمين ليله روح وراحة ونهاره طرب ومهجة وساعاته كرامات ولحظاته قربات وأجناس أفضاله على التفصيل لا يحصره لسان ولا يأتي على استقصاء كنهه عبارة ولا بيان.

ومن «عرائس النفائس» ترزق العارفين مقام المشاهدة وترزق المشتاقين مقام المكاشفة وترزق المحبين مقام المداناة وترزق الموحدين مقام البقاء والنقاء والصحو والسكر والمحو ترزق العاشقين مقام الجمع والتفرقة وترزق الأحرار مقام التلوين والتمكين بغير حساب أكثر من أن يحصى عدد أسرارها وبعد حقائق أنوارها.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 28] أي: من المشركين والمنافقين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 28] أي: أنصاراً وأعواناً وأحباباً وأخداناً ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 28] أي: مما عدا المخلصين الموافقين كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119] والحاصل أنهم نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة بجاهلية ونحوها من أغراض نفسية حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في الله ولا يقع الاستعانة والاستغاثة إلا بأهل الله.

وأفاد الأستاذ: أن من حقائق الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله وأولى من تسومه الهجران والإعراض من أهل الخذلان نفسك فإنها مجبولة على المجوسية حيث تقول لي وعني وبي وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123] وأن الإيمان بهذه الطريقة عزيز ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام وإن كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً فليس بأهل لموالاتك والشكل بالشكل أليق والمثل بالمثل أحق ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 28] أي: اتخاذهم أولياء ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 28] /110/ب/ أي: من ولايته ﴿فِى شَىْءٍ﴾ [الآية: 28] يصح أن يسمى ولاية فإن المتعادين لا يجتمعا موالاة.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الحق سبحانه وقربته لا يكون مقرونة بصحبة الأضداد وقربهم ألبتة ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [الآية: 28] أي: إلا أن تخافوا من جهنم ما يجب اتقاؤه ويؤيده أنه قرأ تقية والحاصل أنه سبحانه منع أولياءه عن موالاة أعدائه ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها وفي الحالات جميعها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة للضعفاء رخصة وقد روي عن عيسى عليه السلام كن

وسطاً وامش جانباً متوسطاً ومختلطاً في معاشرتهم ومخالفتهم وامش جانباً بعيداً عن موالاتهم وموافقتهم ومنه قول الشاطبي قريباً غريباً مستمالاً مُئِطاً أي: قريباً بالقالب مع الخلق ظاهراً في الجلوة وغريباً بالقلب عنهم باطناً في الخلوة وكما قيل:

ودارهــم مــا دمــت فــي دارهــم ....[1]

وقد صرح ابن عباس رضي الله عنهما أنه سبحانه يريد مداراة ظاهرة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [الآية: 28] أي: يخوفكم الله عن مخالفة ذاته تعالى في نفوسكم وما يتبعها من الهوى والميل إلى سوى المولى ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية: 28] أي: المرجع والمأوى فلا يتعرضوا لسخطة بموالاة أعدائه أو بمعاداة أوليائه.

قال ابن عطاء: إنما يحذر نفسه من يعرفه فأما من لا يعرفه فإن هذا الخطاب زائل عنه ومائل منه.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة فأما الذين نزلت رتبهم عن هذا فقال لهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: 131] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [البقرة: 48] إلى غير ذلك أو المعنى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [الآية: 28] أن يكون عندكم أنكم رضيتم فإن خفايا المكر تعتري اكابر قال قائلهم:

فـأمـنـتـه فـأتـاح لـي مـن مـأمـنـي مـكـراً كـذا مـن يـأمـن الأحـبـابـا[2]

ويقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [الآية: 28] أي: يجري في وهم أحد أنه يصل إليه مخلوق أو يطأ بساط العز قدم همه بشر جلت الأحدية وعزت الصمدية أن من ظن أنه أقربهم إليه ففي الحقيقة أنه أبعدهم عنه.

---

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

وارضــهــم مــا دمــت فــي أرضــهــم

وقد نسب إلى أبي نصر محمد بن محمد بن أحمد. انظر: الوافي بالوفيات (1/ 59) ونسب إلى المغربي علي بن فضال بن علي أبي الحسن. انظر: الوافي بالوفيات (6/ 479)، والنجوم الزاهرة (2/ 223) وإلى غيرهم...

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(1/ 300) و(5/ 37).

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 29] من موالاة الكفار أو معاداة الأبرار ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ [الآية: 29] أي: تظهروه من جنانكم على لسانكم ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 29] لأن عنده يستوي إخفاؤكم وإعلانكم/ خصوصاً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 29] عموماً جزئياً وكلياً مظهراً ومخفياً وهو إتمام للتحذير لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء منهما فكيف عليه ما في الضمير ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 29] زيادة تقرير للتحذير من عقاب من لا يعجزه شيء مما تعلق به المشيئة والتقدير. 111/أ

وقال الأستاذ: لا يعزب معلوم عن علمه فلا يحتشم مع علمه بحالك من نازلة بك تسؤك وعن قريب سيأتيك الغوث والإجابة وعن قريب سيزول البلاء والمحنة ويتعجل المدد والكفاية.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية: 30] أي: صحيفة عملها أو جزاء فعلها ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 30] أي: طاعة وبر وذكر وفكر ﴿مُّحْضَرًا﴾ [الآية: 30] أي: معيناً مبيناً ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾ [الآية: 30] أي: وكذا ما اكتسبت من معصية وغفلة مستحضراً ﴿تَوَدُّ﴾ [الآية: 30] أي: تتمنى كل نفس في كل نفس حينئذٍ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ [الآية: 30] أي: وبين سوء أعماله أو وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 30] أي: مسافة بعيدة ومباعدة عميقة لئلا ترى سوء أعماله أو جزاء قبح أفعاله أو شدة أحوال ذلك اليوم وأهواله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 30] أي: في العقبى كما يحذركم نفسه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 30] عطوف بالعباد فيرجى رحمته وثوابه كما يخشى سخطه وعقابه.

قال الأستاذ: ود أهل الطاعات أن لو استكثروا منها في دنياهم وودّ أرباب المخالفات أن لو كبحوا لجامهم عن الركض في ميدانهم قال قائلهم:

ولو أنني أعطيت من دهري المنى ... وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين: ألا ارجعي ... وقلت لأيام أتين ألا ابعدي[1]

والإشارة من قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 30] للعارفين ومن قوله

(1) نسب إلى أبي العالية. انظر: نور القبس (1/ 78).

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [الآية: 30] للمستأنفين فهؤلاء أصحاب العنف والعنوة وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة ويقال لما قال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ اقتضى سماع هذا الخطاب تهويلهم فقال مقروناً به ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ليحقق تأميناً لهم وكذا سنته يطمعهم في عين ما يروعهم ويقال: أفناهم بقوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ ثم أحياهم وأبقاهم ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [الآية: 30] ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 31] وتدعون بغض ما سواه ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ [الآية: 31] في طريق المحنة وتحقيق الطاعة ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 31] أي: كما أحبني فإنه يحب من أحبه بل ولولا أنه أحبه ما أحبه فمحبته سابقة ولاحقة فالمرتبة الحبيبية وهي المرتبة الجامعة بين المحبة والمحبوبية/ خالصة له ﷺ أصالة ولأتباعه على قدر اتباعه تبعية ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [الآية: 31] بأن يستر عنكم عيوبكم ويطهر عن محبة الغير قلوبكم فيقربكم في جوار قدسه ويطربكم إلى خطار أنسه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 31] لتقصيرات المحبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 31] متفضل على المحبوبين ثم من المعلوم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمال فيما سواه فهو من الله ابتداءً وبالله بقاء وإلى الله انتهاء فلا ينبغي لأحد أن يكون حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي أن لا يطيع إلا إياه.

111/ ب

ومن «نفائس العرائس» أن حقيقة المحبة عند العارفين والمحبين احتراق القلب بنيران الشوق وروح الروح بلذة العشق واستغراق الجنس في بحر الأنس وطهارة النفس بنهر القدس ورؤية الحبيب بعين الكل وغمض عين الكل عن الكونين وطيران السر في غيب الغيب وتحلق المحب بخلق المحبوب وهذا أصل المحبة وأما فرع المحبة فهو موافقة المحبوب في جميع ما يرضاه ويقبل بلاءه بنعت الرضا والتسليم في ما قدره وقضاه بشرط مراعاة الوفاء ومتابعة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأكمل الثناء وأما آداب أهل المحبة والانقطاع عن الشهوات واللذات والمسارعة في الخيرات والمبرات والسكون في الخلوات والجلوات ومراقبة الأنفاس والساعات واستنشاق نفحات الصفات والتذلل حال المناجاة ودوام النوافل من العبادات حتى صاروا متصفين بصفات الحق ومنورين بنور الحق بين الخلق وفي

الحديث القدسي والكلام الأنسي لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وجناناً ويداً ومؤيداً(1) وصرف المحبة لا يكون إلا بعد أن ترى الروح الناطقة بعين السر مشاهدة الحق بنعت الجمال وحسن القدم لا بنعت الآلاء والنعمة لأن المحبة إذا كانت من قوله رؤية لِلنعماء يكون محبة معلولة وحقيقة المحبة ما لا علة فيما بين المحب والمحبوب شيء سوى المحبوب وقال أبو عمرو بن عثمان المكي محبة الله هي معرفته ودوام خشيته واشتغال القلب واشتغاله وانتصابه بذكره ودوام أنسه وفكره.

112/أ وقال محمد بن خفيف: المحبة الموافقة لله فيما يحبه/ ويرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن قوله سبحانه ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 31] فرق ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] جمع ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 31] مشوب بالعلة ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] بلا علة بل هو حقيقة الوصلة محبة العباد لله حالة لطيفة يجدها السالك من نفسه تحمله تلك الحالة على موافقة أمره بالرضا دون الكراهة وتقتضي منه تلك الحالة إيثاره سبحانه على كل شيء وعلى كل أحد وشرط المحبة أن لا يكون فيها حظ بحال فمن لم يغنى عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية ومحبة الحق سبحانه للعبد إرادة إحسانه إليه ولطفه به وامتنانه عليه وهي إرادة فضل مخصوص فيكون من صفات ذاته وقد يكون بمعنى ثنائه عليه ومدحه له وإيصال جزائه إليه فعلى هذا يكون من صفات فعله ويقال شرط المحبة امتحان كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك وهذا فرق بين الحبيب والخليل قال الخليل: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم، الآية: 36] وقال الحبيب: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] إن كان تابع الخليل نال منه إفضالاً فإن متبع الحبيب محبوب الحق سبحانه مآلاً وكفى بذلك قربة وحالاً ويقال قطع أطماع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وأمامهم سيد الأولين وسيد الآخرين محمد ﷺ ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب لطاعة وتجرد عن

(1) تفسير القرطبي (16/ 28)، وتفسير البغوي (7/ 194)، وتفسير الرازي (10/ 170)، وتفسير النيسابوري (2/ 136).

آفة لأنه قال ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية: 31] وبين أنه يجوز أن يكون عبد له ذنوب كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله ويقال: قال أولاً ﴿يُحْبِبْكُمُ﴾ [الآية: 31] ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 31] والواو تقتضي الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة للغفران أولاً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ ثم يغفر لهم ويستغفرونه والمحبة توجب الغفران لا العفو يوجب المحبة انتهى كلامه وكأنه أراد أن الترتيب الذكري يفيد الترتيب الوجودي ولا منع أن يكون الواو لمطلق الجمع كما عليه الجميع وأن المغفرة مقدمة على المحبة لأنه سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين فيظهر المحب المذنب أولاً بالتوبة وغيرها من أسباب المغفرة ثم يجعله في مرتبة المحبوبية لأن هذه المنزلة مرتبة على المتابعة والمتابعة هي الموافقة وترك المخالفة كما قيل: إن المحب لمن يحب مطيع/ نعم المحبة الأزلية سابقة على 112/ب المحبة التنجيزية المبنية على تحقق المتابعة كما يشير إليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه.

ثم أفاد الأستاذ: أن المحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان وهو صفاؤها والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر ومنه أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب والحب حرفان حاء وباء الحاء إشارة إلى الروح والباء إلى البدن فالمحب لا يدخر من محبوبه لا بدنه ولا قلبه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 32] أي: كونوا على وفق الكتاب والسُّنَّة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 32] يحتمل الماضي بمعنى اعرضوا والمضارعة بمعنى فإن تعرضوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 32] لا يرضى عنهم ولا يثيبهم بل يغضب عليهم ويعاقبهم والعدول عن المضمر إلى المظهر للتنبيه على أن غير الكافرين من عصاة المؤمنين لا يخرجون عن درجة المحبوبين لكن فيه إيماء إلى أن المعرضين يحومون حول وادي الكافرين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 33] أي: إسماعيل وإسحاق وأولادهما معه ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية: 33] أي: موسى وهارون ابني عمران أو عيسى وأمه مريم بنت عمران وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

[الآية: 33] أي: اصطفاهم بالرسالة الربانية والفواضل الروحانية والفضائل الجسمانية على المخلوقات السفلية والعلوية قيل: اصطفى الخواص للمشاهدة والتقريب واصطفى المؤمنين للمطالعة والتهذيب واصطفى العامة للمخاطبة والتأديب كذا في تفسير السلمي.

وقال الأستاذ: اتفق آدم وذريته في الظنية وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قبله لا بالنسب ولا بالسبب.

ومن «**نفائس العرائس**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية: 33] بعلم الصفات وكشف جمال الذات قبل خلق الخلق في أزل الآزال فلما أراد خلق روحه نظر بجماله إلى جلاله وبجلاله إلى جماله فظهر بين النظرين روح آدم فخلقها بصفة الخاص ونفخ في روحه روحاً وهو علم الصفات بفعل الخاص الذي يتعلق بالذات فلا يؤثر في نعوت الأزل ولا طوارق الحدوث آخراً وأيضاً اصطفاهم لنفسه عن خلقه لموقع الخطاب وكشف النقاب لاستعدادهم/ تحمل أثقال أمانته والتعمق في بحار أزليته والسيران في ميادين وحدانيته والطيران في هواء فرادنيته لطلب كشف أحديته وجمال سرمديته والإشارة في نوح وآل إبراهيم أن الاصطفائية في أسباب المحبة الأزلية لا من جهة الأسباب الحدثية. 113/ أ

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [الآية: 34] حال من كل حال والمعنى أنهم ذرية واحد متشعبة بعضها من بعض في الملّة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 34] بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 34] بالأفعال والأحوال.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية: 35] وهي حنة أم مريم جدة عيسى عليه السلام حين رأت طائراً يطعم فرخة فحنيت إلى الولد وتمنته فقالت إن لك عليّ نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ﴾ [الآية: 35] أي أوجبت على نفسي أن أجعل لأجلك ﴿مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [الآية: 35] أي: معتقاً لخدمة بيتك أو مخلصاً لعبادتك ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ [الآية: 35] أي: نذري أو منذوري ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 35] بقولي وفعلي ومقدوري.

وأفاد الأستاذ: أن المحرّر هو الذي ليس في رق شيء من المخلوقات حرره الحق في سابق حكمه عن رق الأشغال بجميع الوجوه والأحوال.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ [الآية: 36] أي: ما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] أي: وهي لا تصح أن تكون محرراً فذكرته تحزناً واعتذاراً وتحسراً ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [الآية: 36] أي: بالشيء الذي وضعت وبالأمر الذي نذرت فالجملة استئناف تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر بصيغة المتكلم على أنه من كلامها تسلية لنفسها في عدم حصول مرامها أي: ولعل لله فيه سراً والأنثى كان خيراً ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] بيان لقوله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت في القضية التي نذرت. قال الأستاذ: لعمري ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] في الظاهر ولكن إذا تقبلها الحق سبحانه طاح عنه كل أعجوبة في الخاطر ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [الآية: 36] تفاؤلاً لعود فائدة إذ هي في لغتهم بمعنى عائدة ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [الآية: 36] أجيرها بحفظك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ [الآية: 36] أي: أولادها على فرض وجود ولادتها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [الآية: 36] أي: المطرود من باب الكريم الرحيم والله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة من أمهما كما روي عنه ﷺ ما من/ مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها[1] والحديث يفيد أن الإعاذة إنما صدرت من حنة قبل وضع مريم وأن الواو لمطلق الجمع من غير مراعاة الترتيب الذكري تكملة لدعائها. 113/ ب

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ [الآية: 37] فرضي بها في النذر مكان الذكر المحرر المقرر محلها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [الآية: 37] بوجه حسن مقبول.

وقال الأستاذ: حيث بلغها فوق ما تمنت أمها ويقال حتى أفردها لطاعته وتولاها بما تولى به أولياءه من خاصته وأفضى العجب جميع من في عصرها من حسن تولية أمرها ويقال: القبول الحسن حسن تربيته لها مع علمه سبحانه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3431)، ومسلم في الصحيح (2366/ 146).

بأنه يقال فيه بسببها ما يقال فلم يبال بقبح مقال الأعداء:

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم[1]

وكما قيل:

ليقل من شاء ما شاء فإنني لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن رباها على نعت العصمة نقياً حتى كانت تقول: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18] ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [الآية: 37] أي: رباها تربية صالحة لها مصلحة لأعمالها في جميع أحوالها.

وقال الأستاذ: أنبتها نباتاً حسناً حتى استقامت على الطاعات وآثرت رضاه سبحانه في جميع الأوقات وحتى كان الثمرة منها عيسى عليه السلام ابنها وهذا هو ذا النبات الحسن والثمر المستحسن ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآ﴾ [الآية: 37] قرأ الكوفيون بتشديد الفاء وقصر زكريا إلا أن شعبة يقرأ مهموزاً منصوباً على أنه مفعول ثانٍ وأن الفاعل هو الله تعالى فالمعنى جعله كافلاً لها وضامناً لمصالح حالها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعاً فالمعنى ضمن زكريا القيام بأمرها فبنى غرفة يسمى محراباً بالمسجد لها لا يرقى إلا بسلم إليها.

وأفاد الأستاذ: أن من القبول الحسن والنبات الحسن أن جعل كافلها والقيم بأمرها وحفظها نبياً من الأنبياء عليهم السلام مثل زكريا وقد أوحى الله إلى داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ﴾ [الآية: 37] روي أنه كان لا يطلع غيره إليها وإذا خرج أغلق الباب عليها ثم كان يجد فاكهة الصيف/ في الشتاء وبالعكس لديها فعند ذلك ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ [الآية: 37] من أين لك هذا المرزوق والحال أن الباب عليك مغلوق ﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 37] فإنه لا رازق سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] أي: بغير احتساب أو بغير محاسبة وعتاب. 114/أ

(1) نسب إلى أبي الشيص. انظر: العقد الفريد (2/ 342)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 420).

وأفاد الأستاذ: أن من إمارة القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ومن كان مسكنه وموضعه الذي فيه يتعهد ويتفقد هو المحراب فذلك عبد عزيز في الباب وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] إيضاح عن عين التوحيد وأن رزقه للعباد وإحسانه إليهم بمقتضى مشيئته وإرادته دون أن يكون معللاً بطاعة أحد ووسيلة عبادته.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية: 38] أي: في ذلك المكان أو الزمان ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [الآية: 38] أي: كما وهبتها لحنة أو كما رزقت مريم الفاكهة ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [الآية: 38] مجيب للنداء.

وقال الأستاذ: لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ورجاء على رجاء فسأل الولد على كبر سنه وكانت تلك الإجابة نقضاً للعادة ويقال: أن زكريا عليه السلام سأل الولد ليكون عوناً له على الطاعة ووارثاً من نسله في النبوة وليكون قائماً بحق الله فلذلك استحق الإجابة فإن السؤال إذا كان لحق الحق لا لحظ النفس لا يكون له الرد وكان زكريا عليه السلام يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء وبالعكس فسأل الولد حال الكبر ليكون له آية ومعجزة أي: كما كان وجود الفاكهة لها آية وكرامة.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 39] قرأ حمزة والكسائي بالتذكير والإمالة لأن الفاعل مؤخر وهو مؤنث غير حقيقي والباقون بالتأنيث باعتبار جماعة من الملائكة وهو جبريل ومن معه ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [الآية: 39] .

أفاد الأستاذ: أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى أن يستجاب ويقال: إن الله سبحانه حكم أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو موافق للخدمة فأما من أعرض عن الطاعة فإنه ألقاه في ذل الوحشة.

ومن «**نفائس العرائس**» أن المحراب مقر العباد وملجأ الزهاد ومعصم المتوكلين ومحبس المشتاقين ومسند الراضين وبستان المحبين وسرور المريدين ورياض العاشقين/ وكعبة المستأنسين وحرم المؤمنين وفوز القائلين 114/ب وقيد الموحدين وستر الشاطحين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [الآية: 39] أي: بأن الله وقرأ

ابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة الفعل أو لأن النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 39] أي: بعيسى عليهما السلام وسميت بها لأنه وجد بكلمة كن في شأنه أو لتكلمه في غير أوانه وهو حال مقدرة ويحيى اسم عجمي وقيل: عربي.

قال الأستاذ: قيل: سمي يحيى به لحياة قلبه بالله ولسان التفسير أنه حي به عقر أمه وقيل: لأنه سبب حياة من آمن به بقلبه ﴿وَسَيِّدًا﴾ [الآية: 39] كريماً على ربه ويسود قومه ويفوقهم ومن سيادته المحضة أنه قطع لهم بالمعصية ولا يبعد أن يقال السيد هو الحر الذي لم يستعبده هواه ولم يسترقه دنياه فيكون عبداً مختصاً لله معتوقاً عن قيد ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل له سيداً لأنه لم يطلب لنفسه مقاماً ولا شاهد لنفسه قدراً ولما أخلص في تواضعه لله بكل وجه رقاه على الجملة وجعله سيداً للجميع ﴿وَحَصُورًا﴾ [الآية: 39] أي: مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات ومنعها عن اللهوات مع القدرة على حصول اللذات روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 39] أي: الكاملين في الصلاح الواصلين إلى كمال الفلاح ممن لم يأتِ كبيرة ولا صغيرة من الجناح.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [الآية: 40] استبعاداً من حيث العادة أو استعظاماً وتعجباً من هذه الحالة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الآية: 40] أدركني كبر السن وأثر فيَّ ضعف القوى وكان له من السن تسع وتسعون أو مائة وعشرون ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [الآية: 40] وكان لها من العمر ثمانٍ وتسعون ﴿قَالَ﴾ [الآية: 40] أي: الله أو الملك ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 40] أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر فإنه على كل شيء قادر.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ [الآية: 41] علامة أعرف بها حبل المرأة لأستقبله بالشكر والبشاشة ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ [الآية: 41] أي: أن لا تقدر على

تكليم الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 41] مع أنك صحيح سوي تقدر على الحمد والتسبيح والذكر وإنما حبس لسانه عن مكالمة الخلق خاصة لتخلص/المدة لذكر 115/أ الله وشكره قضاء لحق النعمة فكأنه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر والذكر فإن أحسن الجواب ما اشتق عن السؤال ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [الآية: 41] أي: بالرمز والإشارة بنحو يد أو رأس أو حاجب ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ [الآية: 41] بلسانك وجنانك ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية: 41] أو زماناً كثيراً فإن الأذكار ليس لها وقت معين ولا قدر مبين ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [الآية: 41] من طلوع الفجر إلى الضحى فما بينها وقت القيلولة من النهار وزمان المشغلة المقتضية للغفلة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 42] بأن سمعت كلامهم وشهادتهم أو هتفوا بها وما رأتهم ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [الآية: 42] أي: بما لطف بك واجتباك حتى انقطعتِ إلى طاعته وتجردت إلى عبادته ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ [الآية: 42] أي: من ملامسة الرجال وعن مساوىء الأحوال ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ [الآية: 42] أي: فضلك واختارك ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 42] أي: مطلقاً أو عالمي زمانها لما صح من أن مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها[1].

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى﴾ [الآية: 43] أي: قومي ﴿لِرَبِّكِ﴾ [الآية: 43] أي: لطاعته أو لمرضاته ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [الآية: 43] أمرت بالصلاة مع الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة على شأنها وقدم السجود مع أنه مؤخر في الوجود لكونه كذلك في شريعتهم أو للاهتمام بشأن السجود والركوع مع أن الواو لا توجب الترتيب في الوقوع أو المراد بالقنوت إدامة الطاعة وبالسجود الصلاة وبالركوع الخشوع والخضوع.

قال الأستاذ: أي لازمي بساط العبادة وداومي على الطاعة ولا تقصري في استدامة الخدمة فكما أفردك الحق بمقامك وتعظيم شأنك كوني في عبادته أوحد زمانك.

---

(1) مسند الحارث زوائد الهيثمي (2/ 909) رقم (990)، والمطالب العالية (11/ 241) رقم (4053).

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 44] أي: ما ذكر من قصة مريم وزكريا ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 44] أي: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 44] أي: نمليه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية: 44] أي: عندهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [الآية: 44] أي: أقداحهم بالاقتراع ليعلموا ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 44] أي: في تربيتها وحضانتها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية: 44] تنافساً في كفالتها وذلك أن حنة[1] لما ولدت مريم أتت بها سدنة بيت المقدس وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فتنافس فيه الأحبار وتنازع فيه الأخيار حتى اقترعوا عليها فخرجت القرعة لزكريا.

115/ب وقال الأستاذ/: أي هذه القصص نحن عرفناكها وخاطبناك بمعانيها وإن قصصنا نحن عليك هذا بعزيز خطابنا أعز وأتم من أن لو كنت مشاهداً لها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 45] أي: بمن حصل لمجرد كلام من الله من غير أب ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 45] المسيح بمعنى المبارك لقبه وعيسى علمه وفي الخطاب بها تنبيه لها على أنه يولد من غير أب إذ الولد لا ينسب إلى الأم إلا عند فقد الوالد ﴿وَجِيهًا﴾ [الآية: 45] أي: ذا وجاهة ومكانة وهو حال مقدرة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية: 45] بالنبوة والشفاعة ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 45] إشارة إلى علو درجته في الجنة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [الآية: 46] حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت في مراتب الأبناء وفيه الإيماء بأنه يعيش سالماً من كيد الأعداء ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 46] كاملين في الصلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده في الدين.

قال الأستاذ: لم يبشرها بنصيب لها في الدنيا ولا بحظ لها في الأخرى ولكن بشرها بما أثبت في ذلك من عظيم الآية وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة ويقال ربط على قلبها بما عرفها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براءة ساحتها ينطق الله عيسى عليه السلام بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها.

(1) هي امرأة عمران واسمها حنة بنت فاقوذ بن قتيل. انظر: تفسير الطبري (6/ 328).

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [الآية: 47] استفهام تعجب واستعظام واستبعاد عادي لما في ما بين الأنام ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 47].

وأفاد الأستاذ: أن المعنى كما شاهدت ظهور الأشياء ناقضة للعادة في رزقنا لك فكذلك ينقض العادة في خلق ولد من غير مسيس بشر ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [الآية: 47] إذا أراد إمضاء حكم أو وجود شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية: 47] إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجة مرتبة يقدر أن يخلقها دفعة واحدة فلا يتعسر عليه إبداء ولا يصعب عليه إنشاء.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ [الآية: 48] أي: نحن وقرأ نافع وعاصم بالياء أو يعلمه ﴿الْكِتَابَ﴾ [الآية: 48] أي: الكتابة أو جنس الكتب المنزلة عموماً ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 48] خصوصاً.

﴿وَرَسُولًا﴾ [الآية: 49] أي: ويرسله مرسلاً ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية: 49] معلماً ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: بمعجزة ظاهرة ودلالة قاهرة وعلامة باهرة هي ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع بالكسر/أي: 116/أ قائلاً إني أقدر لأجلكم وأصور ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [الآية: 49] أي: شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [الآية: 49] أي: في ذلك المماثل ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 49] فيصير ﴿طَيْرًا﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع طائراً ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 49] أي: بأمره وتيسيره ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ [الآية: 49] الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 49] ونحوهما مما عجز عنه الأطباء ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 49] أي: الحقيقية والحكمية ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 49] إعادة لدفع توهم دعوى الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية: 49] الآن ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ [الآية: 49] لاستقبال الزمان ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 49] من المغيبات التي لا تشكون فيها من أفعالكم وأحوالكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 49] أي: في كل ما ذكر ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: علامة عظيمة على صدق دعوى الرسالة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 49] أي: مصدقين للحق غير معاندين أو مريدين للإيمان موفقين.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ [الآية: 50] عطف على رسولاً أي: وموافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية: 50] النازلة إليكم لأمركم بما في كتاب لديكم ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 50] في شريعة موسى نبيكم من الشحوم والسمك ولحم الإبل والعمل في السبت ونحو ذلك ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: بحجة على صدقي في إخباري لكم وأفردها مع أنها آيات متعددة لأنها في جنس الدلالة متحدة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 50] ولا تبالوا مما سواه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية: 50] فيما آمركم وأنهاكم على وفق هداه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية: 51] أي: وحدوه ﴿هَٰذَا﴾ [الآية: 51] أي: طريق التوحيد والدين القويم ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية: 51] الموصل إلى جنة النعيم وقرب الرب الكريم وختم الكلام بالاستقامة فإنها أفضل من ألف كرامة.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [الآية: 52] أي: أدرك من قومه آثار إصرار الكفر وعدم رجوعهم إلى التوبة بالإيمان والشكر ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ [الآية: 52] أي: من أعوان ديني وخلان يقيني ممن يقيني من أعدائي ملتجئاً ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 52] غير ملتفت إلى ما سواه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [الآية: 52] أي: أصحابه المخصوصون في محبتهم الثابتون في ملّتهم بخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 52] أي: أنصار دينه وأعوان نبيه ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 52] وتبرأنا مما سواه ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 52] أي: منقادون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه حين بلغهم الرسالة واختلفوا في اختيار الموافقة فمنهم من صدقه ومنهم وهم الأكثرون من كذبه علم أنه لا ينفك أمر النبوة/ 116/ب من البلاء وتسليط الأعداء انقطع عنهم قلبه وصدق إلى الله قصده وقال لقومه ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ومن يساعدني على التجرد لحقه والخلوص في قصده فقال من انبسط عليه بآثار العناية واستخلص بآثار التخصيص بالهداية ما ظهر من كلامه أنه تعلق به الرعاية.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ [الآية: 53] أي: حلينا وأعلّنا ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 53] فيما أمرنا ونهانا ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 53] بوحدتك

والقائمين بخدمتك أو من أمة محمد ﷺ الذين يشهدون يوم القيامة على سائر الأمم.

قال ابن عطاء: آمنا بما نور به قلوب أصفيائك من علوم غيبك واتبعنا الرسول فيما أظهر من أوامرك ونواهيك أن يوصلنا اتباعه إلى محبتك فاكتبنا مع من يشهدك ولا يشهد معك سواك.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ [الآية: 54] أي: الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن سلطوا عليه من يقتله خفية خيفة من الحواريين ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: عاملهم معاملة مكرهم بأن رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد قتله حتى قتل بدله والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها إلى مضرة لا لِسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والمشاكلة أو بمعنى المجازاة أو مماثلة المعاملة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الآية: 54] أي: أقواهم وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يتصور.

وقال محمد بن علي: مكروا أنفسهم فحسن الله مكرهم عندهم وكان في الحقيقة الماكر بهم لتربيته ذلك عندهم ألا تراه يقول ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

ومن «**نفائس العرائس**» سقطوا عن مشاهدة سابق مكر الحق فاحتالوا مع أهل الولاية بتدبير النفس فكان مكرهم مكر الحق عليهم وهم لا يعلمون أنهم مخدوعون وسئل بعض أهل الحقيقة كيف نسب المكر إلى الله فصاح وقال لا علة لصنعه وأنشأ يقول:

فديتك قد جبلت على هواكا ... فنفسي لا تنازعني سواكا
ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا[1]

وحاصله أن في الصفات السبحانية ما هو مستحسن كالتكبر والتجبر

(1) نسب إلى رجل يقال له فلان الطبراني. انظر: الكشكول (1/ 83).

والمنّة على خلاف النعوت الإنسانية.

117/أ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [الآية: 55] أي: قابضك/من غير موت لك وافياً تاماً لم ينالوا شيئاً منك أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى العلويات ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [الآية: 55] إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 55] من سوء جوارهم وقصدهم إذ ذاك بإمكارهم.

وأفاد الأستاذ بقوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [الآية: 55] عنك وقابضك منك ﴿وَرَافِعُكَ﴾ [الآية: 55] عن نعوت البشرية ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ [الآية: 55] من إرادتك بالكلية حتى تكون مصرفاً بنا لنا ولا يكون عليك شيء من اختيارك ويكون إسبال القول عليك قائماً عنك وبهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدرة جلت ويقال: طهر قلبه عن مطالعة الأغيار ومشاهدة الآثار والأمثال في جميع الأحوال والأطوار ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 55] أي: ومصير أتباع دينك من المؤمنين بك ولو في الصورة ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 55] بغلبة الحجة أو بقوة الشوكة إذا لم يتفق لليهود ملك ودولة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية: 55] أي: مرجعك ومرجعهم من مؤمنهم وكافرهم ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 55] من أمر دينكم وبيان الحكم قوله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 56] أي: بالعقاب ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 56] أي: مانعين ودافعين في كل باب.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 57] من ارتكاب المأمورات واجتناب المحظورات ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 57] بالنون لغير حفص أي: فنجازيهم جزاءً وافياً بإعطاء المثوبات ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 57] فلا يرفع لهم الدرجات بل يوقعهم في الدركات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 58] ما سبق من نبأ عيسى وغيره ﴿نَتْلُوهُ﴾ [الآية: 58] أي نقرؤه ﴿عَلَيْكَ﴾ [الآية: 58] بلسان جبريل ﴿مِنَ الْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 58] حال كونه من الدلالات الواضحات على نبوتك والمعجزات اللائحات على رسالتك فإنه من

العلوم الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الذي أطلعك وأعلمك بها ﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الآية: 58] أي: ومن الذكر المشتمل على الحكم والأحكام على وجه الإتقان والأحكام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: نعرفك يا محمد حق معانيه بما يوحى إليك لا بتكلفك ما تصل إلى علمه وبتعلمك من الامتثال أو استنباطك بنوع من الاستدلال.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ [الآية: 59] أي: شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في الخلق والإنشاء ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ [الآية: 59] /بل قضية آدم أغرب وخلقته أعجب أن عيسى خلق من أم بلا أب وآدم من غير أب وأم بل ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ [الآية: 59] جعله طيناً ثم صلصالاً ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ [الآية: 59] بشراً بنفخ الروح فيه إدخالاً ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 59] أي: فكان والعدول لحكاية الحال الماضية مع مراعاة الفواصل الماضية والآتية. 117/ب

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خصهما بتطهير الروح عن النتاج في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء وعيسى بنفخ الروح فيه على وجه الإعزاز والإغراب وهما وإن كانا كبيري الشأن فنقص الحدثان والمخلوقية لازمة لهما.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 60] المطابق للصدق المطلق من ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 60] ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الآية: 60] أي: من جملة الشاكين فضلاً عن أن يقع منك شك في الدين وهذا نهي تكوين له ﷺ مفيد للتمكين ومانع من التلوين ولذا قال ﷺ لما نزل ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ﴾ [يونس: 94] فسئل[1]: ولا أشك ولا أسأل وحاصله الأمر بالثبات على اليقين أو الخطاب له والمراد غيره من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فلا تشكن يا محمد في أنه لا يماثله في الإيجاد أحد ولا على إثبات سنية سيد لمخلوق قدره والموجودات التي حقت بوجودها عن كتم العدم من الله بدؤها وإليه عودها.

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211)، وأبو داود في السنن (4/ 489) رقم (5112).

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ [الآية: 61] أي: خاصمك وجادلك من النصارى وغيرهم في شأن عيسى ونحوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 61] أي: من الآيات المبينات للعلوم اليقينيات ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ [الآية: 61] أي: هلموا بالرأي والعزم منا ومنكم ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله إلى المباهلة وقدمهم على الأنفس فيما رتبهم لأن الشخص يخاطر بنفسه لهم ويحارب عدوه دونهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [الآية: 61] أي: نتباهل ونتضرع إلى الله في الدعاء ليجعلنا من المقبولين ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية: 61] أي: طرده وإبعاده على من يكذب منا ليتبين المحق والمبطل ممن حضر مجلسنا روي أن وفد نجران جادلوه ﷺ في أمر عيسى عليه السلام فدعاهم إلى المباهلة فقالوا: حتى ننظر فلما تخالوا وتشاوروا قالوا للعاقب وهو صاحب رأيهم الثاقب ماذا ترى في هذا الأمر فقال والله لقد عرفتم/نبوته 118/أ ولقد جاءكم بالبيان الفصل في شأن صاحبكم والله ما بأهل قوم نبياً إلا هلكوا فإن أبيتم إلا إلف دينكم فصالحوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهم رضي الله عنهم وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا فقال: أسقفهم وهو أعلمهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولا اضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر[1] وفيه دليل عظيم على تحقق نبوته وفضل من أتي بهم من أهل بيته.

وقال الأستاذ: يعني بعدما ظهرت على صدق ما يقال لك وتحققت بقلبك معرفة ما خاطبناك فلا تحشم من حملهم على المباهلة وثق بأن لك القهر والنصر فإنا توليناك وفي كنف قربنا آويناك ولو أنهم رغبوا في هذه المباهلة لأضرمت الأودية عليهم نيراناً مؤججة ولكن أخّر الله سبحانه ذلك

(1) تفسير البيضاوي (1/ 46).

عنهم لعلمه بمن في أصلابهم من المؤمنين والإشارة في هذه الآية ولمن نزلت حالته عن أحوال الصديقين فإنه إذا ظهرت أنوارهم انخنس آثار هؤلاء فلا قرار ولا عنهم آثاراً.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية: 62] أي: الذي أوحينا إليك ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 62] أي: الإخبار الصدق الدال على التوحيد المطلق ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 62] أي: ليس من يستحق أن يعبد سواه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 62] أي: المنعوت بالقدرة التامة والحكمة البالغة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 63] أي: هم وأنتم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] أي: بهم وبكم من أهل الفساد في أمر دنياكم ودينكم.

وأفاد الأستاذ أنه لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهه ولا يدرك سر حكمه سبحانه وهم مخلوق ولا يدانيه معلوم حصره الوجود أو موهوم يصوره التقدير فإن تولوا يا محمد فإنه لا ثبات عند شعاع نورك لِشبهة مبطل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ/ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] إما أن يجتاحهم أو يحلم عنهم حتى إذا استمكن 118/ب ظنونهم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ولا ينصرون.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 64] يعم أهل الكتابين ومن يجري مجراهم في الخطاب ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [الآية: 64] أي: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 64] مما لا يختلف فيه الرسل الواردة عليكم والكتب المنزلة إليكم والكلمة يطلق على الجملة وتفسيرها ما بعدها وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] أي: نوحده بالعبادة ونخلصه في الطاعة ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من الإشراك لا جلياً ولا خفياً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ولا نطيع الرهبان والأحبار فيما أحدثوا من الأحبار والمقصود انقطاع الرؤية عن المكونات كما قاله السلمي ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 64] أي: أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 64] منقادون للطاعة على طريق التفريد.

وأفاد الأستاذ: أن الكلمة هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود وقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] لا تطالع بسرك

مخلوقاً فكما لا يكون غيره معبودك لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك وهذا هو اتقاء الشرك وأنت أول الأغيار الذين يجب أن لا يشهدهم وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ فيظهر صدق هذا بترك المدح والذم لهم ونفي الشكوى عنهم وتنظيف السر عن حسبان ذرة من المحو والإثبات منهم قال ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل[1].

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 65] أي: لم تخاصمون في حقه وتصرفونه عن الملّة الحقيقية وتنسبونه إلى اليهودية والنصرانية ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [الآية: 65] الجملة حالية والمعنى أن إبراهيم كان قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين فكيف يكون إبراهيم تابعاً لهما ومتبعاً لدينهما ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 65] قبح المقال وادعاء المحال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ضرب على خليله نقاب الضنة وحجاب الغيرة فقطع سببه عن جميعهم بعد ادعاء الكل فيه بتعارض شبههم.

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 66] أي: تنبهوا أنتم المخاطبون الغافلون يا هؤلاء المجادلون الجاهلون ﴿حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية: 66] أي: فيما زعمتم به في الجملة ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية: 66] بالكلية كقضية/ الحنيفية واليهودية والنصرانية ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 66] ما حاججتم فيه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 66] جاهلون به. 119/أ

وقال الأستاذ: يعني ما كان في كتابكم له بيان ويصح أن يكون لكم عليه برهان فخصّهم في ذلك إما بحق وإما بباطل فالذي ليس لكم البتة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف تصديتم للحكم فيه وادعاء الإحاطة به.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [الآية: 67] تصريح بما علم ضمناً ﴿وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 67] أي: مائلاً عن العقائد الزائغة وفيه نوع من التعريض والكتابة ﴿مُّسْلِمًا﴾ [الآية: 67] أي: منقاداً لأمر الله ومستسلماً لما قدره وقضاه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6147)، ومسلم في الصحيح (2256/ 2).

وهذا التوحيد المطلق الذي أجمع عليه أهل الحق وليس المرام أنه على ملّة الإسلام فإنه مشترك الإلزام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 67] رد لادعاء المشركين أنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 68] أي: أخصهم منه وأقربهم به ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [الآية: 68] من أمته الثابتين على ملّته ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الآية: 68] أي: من ذريته ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 68] على طريق موافقته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 68] أي: ناصر جميع المؤمنين إذا كانوا من أرباب اليقين.

قال الأستاذ: ولأنهم تولوا دينه ووافقوا توحيده ثم ولاية الله إنما تكون بالعون والنصرة والتخصيص والقربة.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: تمنوا أن يضلوكم وعن طريق الحق يدفعوكم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 69] فإن المؤمنين لا يقبلون شيئاً من أقوالهم فيرجع إلى أنفسهم وبال ضلالهم وقصد إضلالهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 69] بتثقيل وزره عليهم وعود وباله إليهم واختصاص ضرره بهم.

وأفاد الأستاذ: أن من حلت به فتنة وأصابته محنة واستهوته غواية رضي لِجميع الناس ما حل به من البلية فأهل الكتاب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 70] أي: المنزلة في الكتب الدالة على حقية ملّة الإسلام وصدق دعوى نبوة محمد عليه السلام ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 70] صدقها في كتبكم أو تشاهدون المعجزات الملزمة لكم.

قال الأستاذ: وأنتم تشهدون قبل بعثته على صحة نبوته فما الذي حملكم على غيكم حتى جحدتم ما علمتم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ [الآية: 71] أي: تخلطون/ ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ 119/ ب [الآية: 71] أي: بالتحريف والتزوير وإبراز الباطل في صورة الحق المنير ﴿وَتَكْتُمُونَ

﴿ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 71] أي: والحال أنكم عالمون غير ناسين ولا ساهين ولا جاهلين بل متعمدين قاصدين ضالين مضلين.

قال الأستاذ: فهل هذا إلا حكم الخذلان وقضية الحرمان ثم أخبر أن منهم من ينافق في حالته فيريد أن يندفع عنه عوادي المسلمين ولا يخالف إخوانه من الكافرين فتواصوا فيما بينهم بموافقة المسلمين جهراً والخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سراً بقوله:

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 72] أي: بالقرآن وما يقتضي أمره ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 72] أي: أوله وصدره ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 72] أي: عن دينهم ويشكون في يقينهم ظناً منهم أن كفر مخالفيهم بعد موافقتهم صدر عن شبهة توجب وهن أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن نفاقهم كشف للمسلمين وأن ذلك لا ينفعهم في الدين أما في الدنيا فلاطلاع الله نبيه والمؤمنين عليه وأما في الآخرة فلفقد إخلاصهم فيه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 73] أي: لا تقروا عن تصديق قلبكم ويقينكم إلا لأهل دينكم.

وقال الأستاذ: يحتمل أن يكون هذا ابتداءُ أمر من الله للمسلمين والإشارة فيه ألا تعاشروا الأضداد ولا تفشوا أسراركم للأجانب والأنداد ويؤيده ما نقله السلمي عن بعضهم لا تعاشروا إلا من يوافقكم على أحوالكم وطرائقكم ولكن يلائم الأول قوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 73] أي: الهدى الحقيقي هو الهدى الموصل إلى توحيد الحق وتفريده عما سواه فيخص من عباده من يشاء إلى هداه والجملة معترضة بين المتعلَّق والمتعلِّق قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 73] والمعنى لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا يكون لهم حجة على أتباعكم وقرأ ابن كثير بزيادة همزة الاستفهام الإنكاري والمعنى يتصور إيتاء أحد غيركم مثل ما أوتيتم حتى

يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] فهو الذي يختص من يشاء بأنوار العرفان ويختص من يشاء بحكم الخذلان والحرمان.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: 74] أي: بأنواع نعمته ومن جملتها إدخال جنته وإيصال/ قربته وإفضال رؤيته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] وفق ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 74] على من تعلقت مشيئته باختصاص رحمته وامتيار نعمته بتوفيق ديانته ورعاية أمانته. 120/ أ

وأفاد الأستاذ: أن الرحمة تكون بمعنى النبوة والولاية والعصمة وجميع أقسام الخيرات التي يختص بشيء منها عبداً من عباده يدخل تحت قوله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] أي: بنعمته من يشاء فقوم اختصهم بنعمة الأخلاق وقوم اختصهم بنعمة الأرزاق وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الإرادة وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين بتحقيق السرائر وآخرين بعطاء الأبشار وآخرين بلقاء الأسرار قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18] ويقال لما سمع قوله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] علموا أن الوسائل ليس بها شيء وإنما الأمر بالابتداء والمشيئة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: مال كثير ومتاع كبير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كعبد الله بن سلام رضي الله عنه استودعه قرشي ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: نحوه من درهم وشيء قليل ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [الآية: 75] أي: إلا مدة دوامك أيها الطالب قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته للمآرب ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ [الآية: 75] أي: ليس علينا في شأن من لم يكن على ديننا عقاب ولا ذم وعتاب ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية: 75] في ادعائهم ﴿وَهُمْ

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 75] أن هذا من افترائهم والحاصل أنهم استحلوا حرمة من خالفهم وقالوا لم يجعل في كتابنا احتراماً لهم.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 76] أي: عليهم سبيل منهم ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ [الآية: 76] في الإيمان وأداء الأمانة ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 76] بترك العصيان والخيانة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 76] للشرك والطغيان فيجازيهم بالإحسان ويعاقب غيرهم بالخسران والحرمان.

وقال الأستاذ: أخبر أنهم مع كفرهم وأنواع ضلالهم وإضلالهم متفاوتون في أخلاقهم وأحوالهم وكلهم خونة في أمانة الدين/ ولكن منهم من يرجع إلى 120/ب سداد معاملة وإن كانت معاملتهم بالصدق لا تنفعهم في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب إذ الكفار مطالبون بتفصيل الشرائع فإذا كانوا في كفرهم أقل ديناً كانوا بالإضافة إلى الآخرين أحق عذاباً وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبدة ثم بين أنه ليس الحكم إليهم حتى ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [الآية: 75] لتجري عليهم هذه الحالة أو تنفعهم هذه المقالة بل الحكم لله تعالى كما قال بلى من أوفى بعهده واتقى فصاحب الوفاء مستوجب للوصلة وأهل الكرامة ومستحق للمحبة وصاحب الخطأ مبعود عن القربة وأهل للمهانة ومتعرض للخجلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: يستبدلون بما عاهدوا الله عليه من الإيمان والوفاء بالأمانة ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: وبما أكدوا عهودهم بالإيمان المغلظة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 77] من أعراض الدنيا وأعواضها الدنية ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ﴾ [الآية: 77] أي: لا نصيب ولا حظ لهم ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 77] من رحمة الله تعالى وسائر نعيم الأخروية ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 77] أي: بما يسرهم أو مشافهة بلا واسطة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 77] نظر عناية ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: لا يثني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 77] على أفعالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الذين آثروا هواهم على عقباهم وقدموا مناهم على

موافقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في الآجل ولا استماع بما اختاروا في العاجل خسروا في الدارين بقوا من الحق وما استمتعوا بالحظ جمع عليهم فنون المحن السرمدية والعقوبات الأبدية.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: من المحرفين في الدين ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] أي: يصرفونها بقراءته فيميلونها عن صرافته من المنزل إلى المحرف من الكتاب في تعبير الخطاب وتغيير الباب ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] من جهة المبنى أو من طريقة المعنى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] زيادة تشنيع عليهم وتسجيل على جرأة عظيمة لديهم في ادعائهم وافترائهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 78] فكيف على غيره سبحانه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون ويتعمدون فيما يفترون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من/هذه الآية إلى المبطلين في الدعاوى في 121/أ هذه الطريقة يزينون العبارات ويطلقون ألسنتهم بما لا خبر لقلوبهم من الحالات ولا لهم بذلك تحقيق في بشارة الإشارات تلبيساً على الأغبياء وتدليساً على الأغنياء حتى العوام وأهل البداية يتوهمون أن لهم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم من طي المقالات وحالات أرباب النهاية قال تعالى في صفة هؤلاء: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] كذلك أرباب التدليس والتلبيس يروجون قالتهم على المستضعفين في المعرفة فأما أهل الحقائق وأسرارهم عندهم مكشوفة ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون كذلك أهل الباطل في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة وأسرار محجوبة ونعوذ بالله من استحقاق المقت في الوقت.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الآية: 79] أي: الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الآية: 79] أو الحكومة والولاية ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] أي قوموا بالخدمة على وجه العبودية والعبودة تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وفي قوله ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] إيماءً إلى أن

عبوديته لا تجتمع مع عبودية من سواه ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 79] يقول: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 79] منسوبين إلى الرب في العبادة مخلصين له الدين أو إلى التربية للمريدين وإرشاد السالكين ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [الآية: 79] أي: لسبب كونكم معلمين لفظ الكتاب ومعناه للطلاب وبسبب كونكم تدرسون فيما بينكم وتداومون وتحافظون على علمكم وعملكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وتعلمون بمعنى عالمين فتدرسون من الدرس بمعنى التدريس كما قرئ به وفيه حث على الجمع بين العلم والعمل والتعليم فإنه الكمال والتكميل الموجب للتعظيم وقد روي من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيماً[1] وكفى بالله عليماً قال الجريري ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 79] سامعين من الله ناطقين بالله.

وقال الواسطي: هم الذين يملكون الأشياء ولا يملكهم شيء.

وقال الأستاذ: ليس من صفة من اخترناه للنبوة واصطفيناه للولاية أن يدعو الخلق إلى نفسه أو يقول بإثبات/ نفسه وحظه لأن اختياره إياهم للنبوة والولاية يتضمن في عصمتهم وحفظهم عن ما لا يجوز من المقالة فتجويز ذلك في مقالهم منافٍ لحالهم وإنما دعاء الأنبياء والأولياء الخلق إلى الله سبحانه وهو معنى قوله ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 79] وهم العلماء بالله الحكماء في الله القائمون بالله الفانون عن غير الله المستهلك حظوظهم المستغرقون في حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم ينطقون بالله ويسمعون بالله وينظرون بالله فهم بالله بمحو ما سوى الله ويقال الرباني من هو محق في وجوده ومحو عن شهوده فالقائم عنه غيره والمجري لما عليه سواه ويقال الرباني الذي لا يستفزه محنة ولا تهزه نعمة فهو على حالة واحدة في اختلاق الطوارق المتعددة ويقال الرباني الذي لا يبالي بشيء من الحوادث بقلبه وسره وإن كان لا يقصر في شيء من الشرع بفعله وأمره بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون من توالي إحساني إليكم وتضاعف نعمتي لديكم ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ

121/ب

(1) عون المعبود (4/ 229) رقم (1452).

﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [الآية: 80] قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفاً على يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي والمعنى ليس لبشران يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه خصوصاً ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً عموماً ورفعه الباقون على الاستئناف أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون منقاودون لله مخلصون وهو استفهام تعجيب أو إنكار وترهيب

وأفاد الأستاذ: أنهم لا ينسبون إليهم ذرة من الإثبات في الخير والشر ويقال يعرفكم حد البشرية وحق الربوبية وأدب العبودية ويقال يأمركم بتوقيرهم من حيث الأمر والشريعة وتحقير قدر الخلق بالإضافة إلى مرتبة الربوبية ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 80] أيأمركم بإثبات الخلق بعد شهود الحق ويقال يأمركم بمطالعة الأشكال ونسبة الحدثان إلى الأمثال بعد أن لاح في أسراركم أنوار التوحيد وطلعت في قلوبكم شموس التفريد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 81] أي: الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الأمم الأولين ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [الآية: 81] وفي قراءة نافع لما آتيناكم ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [الآية: 81] اللام/ موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى 122/أ الاستحلاف وما شرطية أو خبرية ومن بيانية وقرأ حمزة بكسر اللام على أن ما مصدرية ومن تبعيضية والمراد بالحكمة النبوة والرسالة أو الحكومة والمكانة بالولاية ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 81] أي: عظيم وهو محمد ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 81] أي: موافق لأصولكم المتفق عليها عندكم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [الآية: 81] أي: في أمر دينه ولذا قال ﷺ لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[1] وكذا عيسى إذا نزل من السماء لا يكون إلا من أتباعي ومثل هذا لم يتصور في حق نبي قبله ولا بعده والظاهر أن هذا الميثاق الخاص كان يوم الميثاق العام وهو الملائم لأن يكون بشهادة التوحيد والربوبية مقرونة بشهادة النبوة والعبودية إظهاراً لربوبيته العلية ومنزلته البهية وقد ورد أنه ﷺ أول من قال بلى وذلك لظهور نوره أولاً بل ولا كان وجود موجود لولا أوان هذا في عالم

(1) سبق تخريجه.

الأرواح قبل ظهور الأشباح كما يشير إليه قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد[1] فهو نبي الأنبياء في عالم الابتداء كما صار إمام الأنبياء في ليلة الإسراء ويكون شفيع الأنبياء يوم اللقاء حين اجتماعهم تحت اللواء رزقنا الله ذلك الإيواء ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 81] أي: اعترفتم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [الآية: 81] أي: وقبلتم على ما ذكرت لكم عهدي ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾ [الآية: 81] وأخذنا وحذف لِلاكتفاء ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ [الآية: 81] قال فليشهد بعضكم على بعض أو أشهدوا على أنفسكم وأممكم أو الخطاب للملائكة ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 81] وهو تأكيد عظيم وتحذير جسيم.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 82] أي: أعرض بعد هذا الميثاق الواقع عليه الاتفاق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 82] أي: المتمردون من أهل الكفر والنفاق.

وقال الأستاذ: أخذ الله ميثاق محمد ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته سبحانه وهذا غاية تعظيم ونهاية تكريم حيث قرن اسمه باسم نفسه وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه فلا يوجد له في الخاصية نظير في الرتبة ثم سهل سبيل الكافة في معرفة جلالته بما أظهر على يده من المعجزة فمن حاد عن سُنَّته أو زاغ عن اتباع طريقته/ بعد ظهور دليله ووضوح معجزته فأولئك هم الذين خست درجتهم ووجب المقت عليهم بجحدهم وسقوطهم عن تعلق العناية بهم. 122/ب

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لأبي عمرو وحفص أي: أيتولون فيطلبون غير دين الله الذي اجتباه ولأنبيائه ارتضاه ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 83] أي: ولأمره وقضائه وحكمه انقاد من في عالم العلويات والسفليات ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الآية: 83] أي طائعين خاشعين خاضعين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 665) رقم (4209)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 92) رقم (12571)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 585) رقم (3609)، وأحمد في المسند (4/ 66) رقم (16674).

كالملائكة والمؤمنين وكارهين مسخرين مذللين كالمشركين والمنافقين بأنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم في أمر الدنيا والدين فهم أرباب العدل كما أن الأولين أصحاب الفضل فلا إكراه ولا ظلم في الفضل فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما فعل كل أحد أو لم يفعل وفي الحقيقة منشأ الاختلافات الحالية إنما هو مقتضى الصفات الجمالية والنعوت الجلالية فافهم هذه النكتة الإيمانية ولا تلج في لجة البحار الأزلية من الحكومات القضائية والقدرية التفصيلية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لحفص على أن الضمير لمن باعتبار معنى الجمعية.

وأفاد الأستاذ: أن من لاحظ غير الحقيقة أو طالع سواه في توهم الإلهية كـ (رأى) السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء وله أسلم طوعاً لإسبال أنوار التجلي على أسرارهم وكرهاً لإجراء حكم الإلهية.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 84] أي: معشر المسلمين وقدم لأن الإيمان به مستلزم لما بعده وللإشعار بتقديم رتبة نبينا وجلالة كتابنا من حيث نسخ ما قبله ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 84] من الصحف بطريق الأصالة ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 84] كيوسف وغيره عليه السلام على وجه التبعية ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 84] من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 84] من الإنجيل ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 84] تعميم بعد تخصيص يدفع حصر الأنبياء وكتبهم ويقيد الإيمان الإجمالي بكلهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 84] بالتصديق والتكذيب بخلاف اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 84] أي؛ منقادون في طاعته مخلصون في عبادته.

وقال الأستاذ: أي بالله آمنا لا بنفوسنا ولا بحولنا وقوتنا ولا بجهدنا واكتسابنا ولولا أنه عرفنا من هو وإلا متى علمنا/ أنه من هو. 123/أ

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [الآية: 85] أي: من يطلب ديناً غير دين الإسلام وهو الاستسلام التام ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [الآية: 85] أي: في جميع الأحكام

﴿وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في خسارة التجارة حيث باع العقبى بالدنيا واختار السوى على المولى.

قال سهل الإسلام: هو التفويض التام فمن لم يفوض إلى مولاه في جميع أحواله لن يقبل شيء من أعماله.

وأفاد الأستاذ: أن من سلك غير الحمود تحت جريان حكمه سبيلاً قلت قدمه في وهدة من المغاليط لا مدى لقعرها ويقال: من توسل إليه بشيء دون الاعتصام به فخسرانه أكثر من ربحه ويقال: من لم يفن عن شهود الكل [لم] يصل إلى من به الكل ويقال: من لم يمش تحت راية المصطفى في قدره المعلى في وصفه لم يقبل منه شيء ولا ذرة ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ [الآية: 86] أي: والحال أقروا ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 86] أي: الدالة على أن كلامه صدق وهو استبعاد أن يهديهم بعد الارتداد فإن الجائر عن الحق بعد ما وضح له الأمر الصدق بعيد عن الرشاد ومستبعد عن قبول الإرشاد واستفهام نفي وإنكار لإيمانهم ممن علم الله بشأنهم على كفرانهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أبعده عن استحقاق الوصلة في سابق حكمه وفق حكمته متى يقربه إلى بساط الخدمة بفضله في وقته ويقال: الذي أقصاه حكم الأزل متى أدناه صدق العمل والله غالب على أمره بحكم قضائه وقدره ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 86] الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر على الإيمان بعد ظهور الحق وتبيان العيان.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 87] أي: أصالة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 87] تبعيته والمراد بالناس عمومهم فإنهم يلعنون منكر الحق ويسبونهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 88] أي: في اللعنة والعقوبة أو النار الدالة عليها اللعنة الموجبة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 88] بل يزاد فوقه الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 88] يمهلون ساعة من العقاب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: بعد ارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية:

89] أي: وتداركوا ما عملوا من الفساد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 89] أي: يقبل توبة العباد ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 89] بتفضل على العبّاد.

وأفاد الأستاذ أن أولئك قصارى حالهم ما سبق لهم من حكمة في ابتداء أمرهم ابتداؤهم رد القسمة ووسائطهم الصد عن الخدمة ونهايتهم/ المصير إلى 123/ ب الطرد والذلة خالدين في تلك المذلة لا يفتر عنهم العذاب لحظة ولا يخفف عنهم الفراق دونهم ساعة إلا الذين تداركتهم الرحمة ولم يكونوا في سبق السبق من تلك الجملة وإن كانوا في توهم الخلق أنهم من تلك الزمرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الآية: 90] كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ [الآية: 90] بمحمد ﷺ والقرآن ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [الآية: 90] لأنهم لا يتوبون كما علم الله منهم أو لأنهم لا يتوبون إلا عند حلول البأس أو نزول اليأس وتلك التوبة غير مقبولة عنهم بل مردودة عليهم ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية: 90] أي: في ضلالهم ثابتون وعلى كفرهم مصرون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن الذين رجعوا إلى أحوال أهل العادة بعد سلوكهم طريق الإرادة وآثروا الدنيا ومطاوعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ثم أنكروا على أهل الطريقة وازدادوا في وحشة ظلماتهم على الحقيقة لن تقبل توبتهم ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية: 90] عن طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة وعقوبتهم أنهم على ممر الأيام لا يزدادون إلا نفرة قلب عن الطريقة ولا يتحسرون إلا على ما فاتهم من صفاء الحالة ولو أنهم رجعوا عن إصرارهم [لها] لقبلت توبتهم ولكن الحق سبحانه أجرى سُنَّته مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجعوا إلى أحوال أهل العادة إذ لا يتأسفوا على ماضي أوقاتهم قال الله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام، الآية: 110] وأن المرتد عن الإسلام لأشد عداوة للمسلمين من الكافر الأصلي فكذلك الراجع عن هذه الطريقة لأشد إنكاراً لها وأكثر اعتراضاً على أهلها من الأجنبي عنها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 91] أي: حال حياتهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [الآية: 91] عند مماتهم ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم﴾ [الآية: 91] حين بعثهم وإرادة عذابهم ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [الآية: 91] أي: قدر ما يملؤها من الذهب ونحوه فداءً له ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أي: ولو تحقق افتداؤه بملئها ذهباً لا ينفعه فالأول فرضي والثاني وقوعي وتحقيقه إن هذه الواو إنما يؤتى بها حيث يراد تحقق الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه حتى ذهب بعضهم إلى أنها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور أي: لو لم يفتد به ولو افتدى به والمقصود هاهنا عدم قبول الفدية سواء وجدت أو لم توجد والله أعلم/ أو التقدير فلن يقبل من أحدهم ملؤ الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في العقبى أو المعنى ولو افتدى بمثله في الفداء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 91] من شفيع ولا حميم. 124/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه لمن مات بعد فترة وإن كانت له بداية حسنة فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ولو تشفع له ألف عارف لدفع القصة بل من كمال المكر معه أنه يلقى شبهة في الآخرة حتى يتوهم معارفوه من أهل المعرفة أنه هو فلا يخطر ببال أحد أن يشفع له.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ [الآية: 92] أي: حقيقة البر منكم الذي هو كمال الخير لكم أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرضا والرحمة والجنة والوصلة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [الآية: 92] أي: من المال وبذل الجاه في مرضاة الله وإذابة البدن في عبادته وإراقة المهجة في طاعته ومن للتبيين أي: شيئاً تحبونه أو للتبعيض ويقويه أنه قرأ بعض ما تحبون وهو يفيد أن الكل بالأولى يفيد المرتبة الأعلى.

قال الواسطي: الواسطة إلى البر بإنفاق بعض المحاب والوصول إلى البار بالتخلي عن الكون وما فيه من كل باب.

قال ابن عطاء: لن تصلوا إلى قرب ربكم وأنتم منعطفون إلى حظ نفسكم.

وأفاد الأستاذ: لما كان وجوه البر ذكر فيه من التي هي للتبعيض فمن

أراد البر فلينفق مما يحبه ومن أراد البار فلينفق جميع ما يحبه ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من المولى ومن كان مربوطاً بحظ نفسه لم يحظ بقرب ربه ويقال إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظك وفي «العرائس» نفائس في هذا الباب تركت ذكرها مخافة الأطناب ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 92] أي: محبوب فيه أو مرغوب عنه أو قليل وكثير أو جليل وحقير ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 92] فيجازيكم عليه من فضله الكريم.

وقال الأستاذ: منهم من ينفق على ملاحظة العوض والجزاء ومنهم من ينفق على مراقبة رفع المحن ودفع البلاء ومنهم من ينفق اكتفاءً بعلمه سبحانه وإرادة الرضا وطلب الثناء كما قال قائلهم:

ويهتز للمعروف في طلب العلى لتذكر يوماً عند سلمى شمائله[1]

/ ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ [الآية: 93] أي: المطعومات من المأكولات والمشروبات والمراد تناولها ﴿كَانَ حِلًّا﴾ [الآية: 93] أي: حلالاً ﴿لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ [الآية: 93] أي: يعقوب عليه السلام ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية: 93] كلحوم الإبل وألبانها بأمر من ربه أو باجتهاد من عنده ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [الآية: 93] لأنها كانت محرمة على إبراهيم ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كما ادعته اليهود وأسندوه إلى كتابهم ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 93] فبهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته وافترائهم في حرمته. 124/ب

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [الآية: 94] أي: ابتدع واخترع ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: بعد ما ألزمه الحجة بما هنالك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 94] أي: المكابرون المعاندون.

وأفاد الأستاذ: إن الأصل في الأشياء أن لا شرع فيها بالتحليل والتحريم فما لا يوجد فيه حد فذلك من الحق سبحانه توسعة ورفق إلى أن يحصل فيه

(1) نسب إلى كثير. انظر: ديوان المعاني (1/ 111).

أمر وشرع فإن الله وسع أحكام التكليف على أهل النهاية فسبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لتمام ما هم به من أحكام القلوب فإن الذي على قلوبهم من المشاق أشد وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في الوظائف والأوراد فسبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغتهم بقلوبهم من المعاني فمن ظن بخلاف هذا فقد غلط والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية: 94] إلى أحوال أهل الدعاوى والمغاليط فإنهم يخلون بنفوسهم فينسبون إلى الله هواجسها والله بريء عنها وعزيز عبد يفرق بين الخواطر والهواجس.

ومن «**نفائس العرائس**» الإشارة فيه إلى أهل هذه القصة يجوز لهم أن يتركوا شيئاً من المأكولات من جهة المجاهدات واختيار الرياضات لا من جهة تحريم الطيبات وأيضاً فيه إشارة إلى ترك اللحوم على الدوام لما فيها ضرارة كضرارة الخمر من جهة المجاهدة لا من جهة التحريم والمضاددة وأيضاً حرم نبي الله يعقوب عليه السلام على نفسه أشهى طعام فالإخبار عنه تعليم لله تعالى أهل محبته ليتركوا ما أحب إليهم من الأطعمة الشهية وما تشتهي أنفسهم من زهرة الدنيا ولذتها الدنية.

125/أ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 95] أي: في هذا أو غيره ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 95] أي: ملّة الإسلام التي هي في الأصل ملّة إبراهيم عليه السلام أو مثل ملّته الحنيفية حتى يتخلصوا من اليهودية المقتضية للافتراء الموجب للأعراض الدنيوية والأعراض النفسية الدنية ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] بل كان موحداً صرفاً في أعلى مراتب اليقين وفيه تعريض باليهود وغيرهم من كفار مكة في دعواهم أنهم على ملّة إبراهيم مع إشراكهم في الدين.

وأفاد الأستاذ: أن ملّة إبراهيم الخروج إلى الله بالكلية والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية وإثبات ذرة في الحسبان من الإثبات للحدثان شرك في التحقيق عند أهل العرفان.

ومن «**نفائس العرائس**» أن ملّة إبراهيم الشوق والعشق والمحبة والخلة

والفتوة والمروءة والشجاعة والسخاوة والحلم والأمانة والديانة والكرامة وإكرام الضيف والصبر في البلاء والشكر في النعماء والهجرة والخروج عن الله بالكلية والتأوه والصدق والإخلاص والتوحيد والتجريد والتفريد والسماع والوجد والإنصاف بصفة الحق من رسوم البشرية وبهذه الخصال صار إماماً للعارفين وأمر الله أحب عباده إلى متابعته وموافقته في جميع أحواله ومن زاغ عن طريقه ولو ذرة فيكون النفس له صنماً قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130] وقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] أي: لم يمل من الحق إلى جبرائيل حيث عرض عليه اللياذة بقوله ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا[1] لم يداهن في دينه لمحبة أبويه وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] وقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99] وكسر أصنام الكفر بفأس الحمية وبذل في محبته الأموال والأولاد لا يخاف في الله لومة لائم ولأجل ذلك قال: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 95] وأيضاً نفى عنه خاطر الشك حيث قال: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] .

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] أي: لعبادتهم وجعل متعبداً لطاعتهم والواضع هو الله ويدل عليه أنه قرئ بصيغة الفاعل ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [الآية: 96] أي: للبيت الذي بمكة فإنها لغة فيها وسميت بها لأنها تبك أعناق الجبابرة عليها أو لازدحام الناس إليها وقد روي أنه كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الصرداح[2] لأنه صرح من الأرض وأبعد وهو المشهود ببيت المعمور المحاذي إلى السماء الرابعة المحاذي إلى البيت المذكور يطوف به الملائكة فلما هبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ثم رفع في الطوفان إلى السماء الرابعة/ يطوف به 125/ ب الملائكة كل يوم سبعون ألفاً لا يحصل لهم الاعادة وهو لا ينافي ظاهر الآية فإن موضع التشريف هو تلك البقعة الكريمة والجهة المعينة العظيمة وهو لا يمكن رفعها وإنما رفع البيت الموضوع محلها المتشرف بوضعه في مكانها

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077).
(2) المكان الواسع الأملس. انظر: لسان العرب (2/ 512).

العلي شأنها ثم بناه إبراهيم عليه السلام في تلك البقعة ثم هدم فبناه قوم من جرهم وهم حي من اليمن أصهار إسماعيل عليه السلام ثم العمالقة من ملوك مصر أو الشام ثم قريش قبل بعثته عليه السلام ثم عبد الله بن الزبير بناءً على حديثه ﷺ(1) وعلى طبق ما قصد به من المرام من فتح باب غربي وإدخال الحطيم فيه على وجه تمام النظام فتعقبه الحجاج وسد الباب الثاني وأخرج الحطيم ورد الجدار الذي يليه إلى ما كان عليه ولعل الحكمة في ذلك أن كل أحد يتمكن من دخول البيت في الجملة ولو بالدليل الظني وإن تميز ما ثبت من البيت بالدليل القطعي عن غيره مراعاة للأحوط اليقيني في استقبال الصلاة التي هي الركن الديني وبسبب تعظيم هذه البقعة بعد اصطفاء الله ما شاء من الأفراد الإنسانية والحيوانية والأشياء الجمادية والنباتية والأحوال الزمانية والمكانية أن الله سبحانه على ما ورد في بعض الآثار وروي في بعض الأخبار عن بعض الأحبار من الأخيار لما خلق الله عرشه على الماء قبل خلق الأرض والسماء نظر إلى الماء وتجلى على الهواء فتموج واضطرب الماء وخرج منه دخان مرتفع خلق منه السماء وتزبد فوق الماء قطعة مقدار البقعة فجعلت الأرض منها ودحيت من جوانبها وأطرافها، ولذا سميت أم القرى ثم لما كانت تميد وتميل مراراً ولم تستقر قراراً خلق الله الجبال أوتاداً وألقاها عليها اشتداداً وأولها جبل أبو قبيس المسمى بأم الجبال اعتماداً ثم وقع البناء على تلك البقعة للدلالة على الوقعة إرشاداً ﴿مُبَارَكًا﴾ [الآية: 96] كثير الخير المعنوي والنفع الدنيوي والأخروي لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله خصوصاً ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 96] أي: عموماً لأنه قبلة لحيهم وميتهم وسبب هداية إلى جهة عبادتهم وأدب جلستهم في طاعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن البيت حجرة والعبد مدرة فربط المدرة بالحجرة فالمدر مع الحجر وتقدس وتعزز من لم يزل عن الغير ويقال البيت/ مطاف النفوس والحق سبحانه مقصود القلوب البيت أطلال وآثار ورسوم وأحجار ولكن 126/أ

(1) الحديث: «لولا أنّ قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة... وجعلت لها بابين...».

إنّ آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار[1]

ويقال البيت حجر ولكن ليس كل حجر كالذي يجانسه من الحجر فإنه لقلوب الأحباب مزعج لا بل لأكباد الفقراء منضج بل لقلوب قوم مثلج مبهج هو بيت مقصد الأحباب ومزارهم وعنده يسمع أخبارهم ويشهد آثارهم بيت من طالعه بعين التفرقة عاد بسر خراب ومن لاحظه بعين الإضافة حظي بكل تقريب وإيجاب بيت كما قيل:

إنّ الديار وإن طمست فإن لها عهداً بأحبابنا إذ عندها نزلوا[2]

بيت من زاره بنفسه وجد ألطافه وعناياته ومن شهده بقلبه نال كشوفاته ومشاهداته ويقال: قال سبحانه ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: 26] فأضافه إلى نفسه وقال هنا إن ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] وفي هذا طرف من الإشارة إلى عين الجمع وسميت مكة بكة لازدحام الناس عليه فالكل يتناجزون على البدار إليه ويزدحمون في الطواف حواليه ويبذلون المهج في الطريق وهم مقبلون عليه في التحقيق والبيت لم يخاطب أحد منذ بني بسينه ولم يستقبل واحد بخطوة ولا أرسل أحداً برسالة فإذا كان البيت الذي خلقته للحجّ هذا وصفه في التعزز فما ظنك بمن البيت له فيما يرويه عن ربه قال ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري»[3] ويقال: إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل من ناحية من نواحيه إلا بقطع المفاوز والمتاهات فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالهوينا دون تحمل المشقات ومفارقة الراحات ويقال لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرد سرك لأول حبيب آثرك ويقال شتان بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له ويقال ازدحام الفقراء حول البيت بهممهم ليس بأقل من ازدحام الأغنياء الطائفين بقدمهم ويقال الكعبة بيت

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 294).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 129) رقم (203)، وابن ماجه في السنن (2/ 1397) رقم (4174)؛ وابن حبان في الصحيح (2/ 35) رقم (328)، وأبو داود في السنن (4/ 102) رقم (4092).

الحق سبحانه في الجهر والقلب بيت الحق سبحانه في السر قال قائلهم:

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السير فيه وهو ركني إذا أردت استلاما[1]

126/ب / فاللطائف بقلوب العارفين والحقائق تعتكف في قلوب الموحدين والكعبة مقصود حج العبد والقلب مقصود الحق بإفراده إياه بالتوحيد والوجد وقوله ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 96] بركاته اتصال الألطاف والكشوفات فمن قصده بهمة ونزل عليه بقصده هداه إلى طريق رشده.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [الآية: 97] كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وإن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم بلا أضرار وإن كل جبارٍ وقصده بسوء كأصحاب الفيل أهلكه وقهره الملك القهار وكذا ذكره المفسرون والمؤرخون لكن في الآيتين الأوليين نظر ظاهر لأنهما خلاف مشاهدة الحاضر ولعلهما كانتا أيام الجاهلية للدلالة على تعظيم البقعة العلية ولما جاءت الشريعة السنيّة والآيات النقلية والدلالات العقلية الدالة على تعظيم الكعبة البهية ارتفعت العلامات الحسية والصورية اكتفاءً بالحقائق المعنوية على أنه قد قيل أن جلوس بعض الطيور فوق البيت الشريف إنما هو استشفاء لما فيه من الداء ببركة قرب المحل المنيف ويؤيد ما قدمنا قول الأستاذ ولكن لا يدرك تلك الآيات بإبصار الرؤوس ولكن ببصائر القلوب.

وقال السلمي: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ﴾ [الآية: 97] أي: علامات ظاهرة يستدل بها العارف على معروفه ولا بعيد أن يقال ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 97] أي جمع حواليه ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾ [الآية: 97] أي: علامات بينات أي: واضحات ودلالات لائحات من المشاعر العظام منها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 97] لأنه خارج عن داخل البيت الكريم أو بدل من الآيات بدل البعض من الكل أو عطف على بيان أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين على وجد الإبداء من الابتداء إلى الانتهاء وتخصيصها بهذه إلا لأنه من بين الصخار وسائر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357) و(5/ 186).

الأشياء وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه ألوف سنة مع كثرة الأعداء ويريد البيان أنه قرئ آية بينة على توحيد البناء وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام إبراهيم على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه وظهر هذا الأثر وفي بعض الآثار أنه لما فرغ من بناء البيت أمر بنداء الناس إليه فصعد عليه ونادى الخلق لديه وقال: أيها الناس حجوا/ بيت ربكم فقالوا في عالم الأرواح والأصلاب والأرحام لبيك لبيك بعدد ما كتب الله لهم من أحد التسكين. 127/أ

وقال الشبلي: مقام إبراهيم الخلة فمن شاهد مقام الخليل فهو شريف ومن شاهد في المقام الحق الجليل فهو أشرف.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم في الظاهر ما تأثر بقدمه وفي الإشارة ما وقف الخليل عليه بهممه ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر الخليل ولأثر الخليل عند الجليل أثر جميل وخطر جزيل ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [الآية: 97] ليس الضمير راجعاً إلى المقام كما يتوهمه العوام فإنه لا يتصور فيه المرام بل هو عائد إلى نفس البيت أو حرمه وهو أبلغ في احترامه فيفيد أن من التجأ إليه لا يجوز الاعتراض عليه وقد ثبت في الحديث أن من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً ويدل عليه صريحاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: 67] ويختطف الناس من حولهم والجملة خبرية مبنى وإنشائية معنى فالمراد من دخله فأمنوه أو من دخل بشرائط آدابه كان آمناً من عذاب الله وحجابه.

قال الثوري: من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان من هواجس النفس ووساوس الشيطان آمنا.

وقال الواسطي: من دخله على الحقيقة كان آمناً من رعونات النفس في الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم التسليم ومن كان مسلماً لأموره إلى الله لم يبق له اختيار فإذا لم يبق له اختيار كان آمناً لأن ضد الأمن الخوف والخوف إنما يكون على أن لا يحصل مرادك على ما تريد فإذا لم يكن للعبد إرادة ولا اختيار فأي مساغ للخوف في وصفه ويقال إن قيل أن الكناية بقوله

دخله راجعة إلى البيت فمن دخل بيته على الحقيقة كان آمناً وذلك أن يكون دخوله على وصف الأدب ولا محالة دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت فإن من لم يكن صاحب التسليم فهو معارض للتقدير ودخول البيت إنّما الأدب فيه أن يكون دخولاً على التسليم دون المعارضة والنزاع فيؤول إلى المعنى المتقدم وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة أمن من نوازع البشرية وهواجس النفسية/ فإن من التجأ إلى ظل الملك لم يتخط إليه محظور ويقال لا يكون دخول البيت على الحقيقة إلا بخروجك عنك فإذا خرجت عنك صح دخولك في البيت وإذا خرجت عنك أمنت ويقال دخول بيته لا يصح مع تعريجك في أوطانك ومعاهدك فإن الشخص الواحد لا يكون في حالة واحدة في مكانين فمن دخل بيت ربه فالحري أن يخرج عن معاهد نفسه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] متعلق بالعامل في الخبر وهو لله أي يجب عليهم ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية: 97] أي: قصده للزيارة على الوجه المخصوص في الشريعة وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالكسر وهو لغة نجد ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [الآية: 97] بدل من الناس مخصص له والضمير في إليه للبيت أو الحج والمعنى من قرأ في نفسه فلا يلحقه المشقة في ركوبه وله القدرة على الراحلة وملك النفقة لذهابه وإيابه فاضلاً عما لا بد له منه فقد وجب عليه الحج وقد روى رسول الله ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة[1] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: 97] بامتناعه عن الحج وقبول فرضه أو باستحلال تركه فلا يضر إلا نفسه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 97] أي: عباد الخلق أجمعين أو المراد بالكفر كفران النعمة أو قرب الكفر بقربان المعصية المؤدية إلى سوء الخاتمة وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركه ولذا ورد من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً وتخصيصها بالذكر لأنهما لم يقولا بفريضة الحج عليهما.

127/ب

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 225) رقم (2998)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 433) رقم (15714)، وابن ماجه في السنن (2/ 967) رقم (2897)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 235) رقم (11596).

وأفاد الأستاذ: إن شرط الغني أن لا يدخر عن البيت شيئاً من ماله وشرط الفقير أن لا يدخر عن الوصول إلى نيته نفساً من روحه ويقال الاستطاعة فنون فمستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ومستطيع بغيره وهو الزمن المعضوب وثالث غفل الأكثرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص متحقق فإن عطاياه لا يحملها إلا مطاياه ويقال حج البيت فرض على أصحاب الأموال وحج رب البيت فرض على أرباب الأحوال وقد ينسد الطريق إلى البيت ويمنع الحاج عن البيت ولكن لا ينسد الطريق إلى رب البيت ولا يمنع الفقير عن رب البيت ويقال الحج هو القصد إلى من تعظمه فقاصد بنفسه إلى زيارة البيت وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت فشتان بين/ 128/أ حج وحج فهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند قضاء نسكهم وأداء فرضهم وهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند شهود ربهم فأما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعهودات من محرمات الإحرام وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الأنام.

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بآداب الحج فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق وينقض كل عزم يرده عن هذا التحقيق وإذا تطهر تطهر كل دنس من آثار الأغيار بماء الخجل ثم بماء الحياء ثم بماء الوفاء ثم بماء الصفاء فإذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الأخلاق الذميمة فإذا لبى بلسانه وجب أن لا يبقى شعرة من بدنه إلا وقد استجاب لله فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وفقه الحق بلا اختيار ومقام ولا تعرض لتخصيص فإذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه وعرف له تعالى حقه على نفسه ويتعرف إلى الله بتبرئه عن منته وحوله والحق سبحانه يتعرف إليه بتوليه له بمنته وطوله فإذا بلغ المشعر الحرام يذكر لمولاه بنسيان نفسه ولا يصح ذكره لربه مع ذكره لنفسه فإذا بلغ مِن نفي عن قلبه كل طلب ومُنى وكل شهوة وهوى وإذا رمى الجمار رمى عن قلبه وحذف عن سره كل علاقة في الدنيا والعقبى فإذا ذبح ذبح هواه بالكلية وتقرب به إلى الحق سبحانه فإذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان الشريعة

وبيان الطريقة وإشارة الحقيقة فإذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه رب البيت فإذا طاف بالبيت أخذ سره بالجولان في الملكوت فإذا سعى بين الصفا والمروة صفا عن كل كدورة بشرية وكل آفة إنسانية فإذا حلق قطع كل علاقة بقيت له فإذا تحلل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربه استأنف إحراماً جديداً بقلبه فكما خرج من بيت نفسه إلى بيت ربه يخرج من بيته إلى ربه فمن أكمل نسكه فإنما عمل لنفسه ومن تكاسل فإن الله غني عن العالمين وقال ﷺ الحاج أشعث أغبر[1] فمن لم يتحقق بكمال الخضوع والذوبان عن كليته فليس بأشعث ولا أغبر.

128/ب ومن «نفائس العرائس» أضاف/الحج إلى نفسه لما فيه من آثار الربوبية وحقائق العبودية وأيضاً ألزم على عباده حق العبودية لأداء شكر الربوبية وأيضاً أضاف الحج في أول الآية لنفسه ونزه نفسه في آخرها ليعلم أهل خبرة العبودية له شفقة على عباده لأن العبادة ترجع إليهم بالثواب وهو منزه عن الأسباب والقاصدون إلى بيت الله على ثلاثة أقسام قسم منهم قاصدون إلى البيت بأموالهم وأنفسهم لطلب الثواب وقسم منهم القاصدون إلى البيت بقلوبهم الصافية عن الدنيا وما فيها لامتثال الأمر ومرضات رب الأرباب وقسم منهم القاصدون إلى مشاهدة رب البيت بأرواحهم العاشقة لطلب حقائق المعرفة والقربة وصفاء الوصلة وزيادة مشهد التجلي والتدلي فأهل الظاهر يحرمون عن المحظورات ويحلون عند فراغ العبادات وأهل الباطن يحرمون عن الكائنات ولا يحلون ما داموا في الدنيا إلى مشاهدة الذات وكشف الصفات فشتان بين من يحرم من المعهودات وبين من يحرم من المسكنات وشهود المكونات آهٍ ذهبوا وذهب معهم البركات وغربت بغروبهم في مغارب الأبد شموس الكرامات وأقمار الآيات رحمة الله عليهم من الأحياء والأموات.

(1) أورده القشيري في تفسيره بهذا اللفظ وقد عنون المحدثون أبواب الحديث بهذا اللفظ، لكن جاء بروايات أخرى في نفس المعنى.

وفي «النفائس» عرائس لم نذكرها خوفاً من الملالة الناشئة عن الهواجس.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 98] بآياته البقلية والعقلية والأفاقية والأنفسية وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح في هذا الباب وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بكل كتاب لا سيما وهم منكرون الحج مردودون عن هذا الجناب.

وأفاد الأستاذ: أن الخطاب بهذه الآية تأكيد الحجة عليهم فمن حيث الشرع يؤكد الحجة عليهم ومن حيث الحقيقة والقهر يسد المحجة عليهم فهم مدعوون شرعاً وأمراً مطرودون حكماً وقهراً ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 98] أي: مطلع على أعمالكم وأحوالكم فيجازيكم بأقوالكم وأفعالكم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ [الآية: 99] أي: تعرضون أو تمنعون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 99] أي: دينه وكتابه ونبيّه ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية: 99] حال كونكم باغين طالبين لها اعوجاجاً عن الحق وميلاناً عن الصدق بالتلبيس والتزوير أو التحريش بين الكبير والصغير/ ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ [الآية: 99] 129/أ أي: عارفون أنها سبيل الكمال وأن الصد عنها ضلال وإضلال ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 99] من الأفعال في كل الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يصد غيره من هو مصدود في نفسه أن في هذا السر الربوبية أي: لتسليم العبودية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 100] وهم طائفة من أهل الإضلال ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 100] من أهل الضلال فيرجعوا بعد علو الكمال إلى حضيض النكال والوبال في الحال والمآل.

وأفاد الأستاذ: أن الوحشة ليست بلازمة لأصحابها بل هي متعدية إلى كل من يحوم حولها فمن أطاع عدو الله أبى شؤم صحبته إلا لقاءه في وهدته ثم الآية نزلت في نفر من الأوس والخزرج حيين من الأنصار حين أغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم إلى أن تداعى بعضهم بعضاً إلى القتال

فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم بالاجتماع والتضام فألقوا السلام وأظهروا الصلاح واستغفروا وتعانقوا فخاطبهم وعاتبهم[1] بقوله:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 101] أي: بعد الإيمان ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: من القرآن ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 101] أي: بالمشهادة والعيان فالاستفهام للإنكار على وجه التعجيب والاستبعاد مع ظهور أسباب الإرشاد والإسعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه لا ينبغي لمن أشرق في قلبه شموس العرفان أن يوقع الكفر عليه ظله فإنه إذا إقبل النهار من هاهنا أدبر الليل من هاهنا ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: يتمسك بدينه ويلتجيء إليه في جميع أمره ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 101] أي موصل إلى وصله.

قال الأستاذ: إنما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله فأما من لم يهده الله فمتى يعتصم فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك به في النهاية لا الاعتصام منك يوجب الهداية وحقيقة الاعتصام به صدق اللجيء إليه ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ومن كشف عن سره غطاء التفرقة تحقق بأن لا غير به ذرة ولا منه سينة وقد ورد أعوذ بك منك[2] ومن اعتصم بنفسه دون أن يكون محواً عن حوله وقوته في اعتصامه فالشرك وطنه وهو لا يشعر به/ .

129/ ب

ومن «**نفائس العرائس**» من اعتصم به منه اهتدى به إليه لأنه في محل المعرفة ومن عرفه يستفيد برضاه من سخطه وبما فاته من عقوبته وبه منه وهذا سيد الأنبياء عليه أفضل التحية والثناء قال في سجوده حال شهوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي

(1) الكشاف (1/ 304)، وتفسير أبي السعود (2/ 64)، وتفسير البيضاوي (1/ 72).
(2) سبق تخريجه.

ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] وكان عليه السلام ذلك الوقت في مشاهدة الجلال والجمال والكمال والقدم والبقاء والجبروت والكبرياء بنعت المعرفة على بعض أسرار إرادته فخاف به منه واستعاذ منه إليه وأيضاً من اعتصم بالله هداه الله إلى معرفة عيوب النفس ومكائد الشيطان وأخلاق القلب وشمائل الروح وأوصاف العقل وأمور المعاملات وحقيقة الحالات وطلب المكاشفات والاطلاع على المشاهدات ولمة الملائكة وعلوم الإلهام والفراسات وأيضاً الاعتصام انجذاب القلب عن الأسباب والأرباب والتبري إلى الله تعالى من الحول والقوة ومن قطع حبل الطلب عن الخلق ارتفع قيام البين بينه وبين الحق والاعتصام قبل المعرفة محال والمعرفة قبل المشاهدة محال ومن شاهد الله تعالى بنعت المعرفة اعتصم به في جميع مراده.

في «تفسير السلمي» عن الواسطي: الاعتصام أن ترى نفسك في ظله وكرمه وحسن قيام نظره لك في أزله وأبده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: حق تقواه وعلى وفق ما يرضاه من استفراغ الوسع في اكتساب الأوامر واجتناب الزواجر لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في بيان تقوى أرباب الكمال في محبة المولى هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعن بعض العارفين هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها.

وقال الثوري: حق تقواه أن لا يرى في قلبك شيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أن حق التقوى أن يكون على وفق الأمر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وهذا هو المعتمد من الأقاويل فيه وأمره على وجهين على وجه الحتم وعلى وجه الندب وكذلك القول في النهي/على قسمين تحريم 130/أ وتنزيه فيدخل في جملة هذا أن يكون حق تقاته أولاً اجتناب الزلة ثم اجتناب

(1) سبق تخريجه.

الغفلة ثم التوقي عن كل خلة ثم التنقي عن كل علة فإذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك وحق التقوي رفض العصيان ونفي النسيان وصون العهود وحفظ الحدود وشهود الإلهية والانسلاخ عن الأحكام البشرية والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بشيء من طاعتك دون صرف كرمه لك والتحقق بأنه لا يقبل أحداً بعلة ولا يرد أحداً بعلة ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: كونوا على الإسلام وداوموا على الاستسلام حتى إذا أتاكم الموت صادفكم على حال النظام فهو في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام فالمعنى لا تكونن عن حال سوى الاستسلام التام في جميع الليالي والأيام فإن مأتي الموت إنما هو على الإبهام وفيه إيماءٌ إلى أن مدار السعادة على حسن الخاتمة ولما أريد بالإسلام كمال الانقياد والاستسلام بمتابعة جميع الأحكام فسر المسلمون بمتزوجون أي كاملون عاملون بكتاب الله وسُنَّة النبي ﷺ.

وقال الأستاذ: أي لا يصادفكم الوفاة إلا وأنتم بشرط الوفاء.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 103] أي: بدينه الذي ارتضاه أو بكتابه المشتمل على أحكامه وما سواه بوصف المبين لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين واستعير له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي ومن حيث أنه وسيلة للصعود عن بئر غوايته إلى شرف هدايته وقابل للتنزل من العلو في حالته ولذا ورد: «القرآن حجة لك أو عليك»[1] وفي رواية القرآن شافع مشفع أو ما حل مصدق[2] ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 103] أي: حال كونكم مجتمعين عليه غير متفرقين عنه فإنّ الاجتماع المشعر بالإجماع من أقوى الحجج عند الأسماع كما يشير إليه قوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [الآية:

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (223/ 1)، وابن ماجه في السنن (1/ 102) رقم (280)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 535) رقم (3517)، والدارمي في السنن (1/ 174) رقم (653)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 5) رقم (2217).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 757) رقم (2087)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 132) رقم (8655)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 130) رقم (30052).

103] وفي رواية البزي فبتشديد التاء والمعنى لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف في قضية الصدق ثم الاعتصام بالله/ فنسبة حقيقية والاعتصام بحبل الله 130/ ب سببية إضافية.

وقال الواسطي: من يعتصم بالله للخاصة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 103] للعامة.

وأفاد الأستاذ: أن الاعتصام بحبله سبحانه التمسك بآثار الواسطة وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسُّنَّة ويصح أن يقال الخواص يقال لهم ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 103] وخاص الخاص قيل لهم: واعتصموا بحبل الله ولمن رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياله أو فكرته واستدلاله أو معارفه وأشكاله أو التجأ إلى ظل تدبيره أو استضاء بنور عقله وتفكيره فمرفوع عنه ظل العناية وموكول إلى سوء حاله في الرعاية والتفرقة أشد العقوبة وهي قرينة الشرك المعبر عنه بالفتنة.

ومن **«نفائس العرائس»** أن وحشة التفرقة تكون في الغيبة وحقيقة الجمعية يكون في مشهد المشاهدة وحبل الله أنواع الواسطة للجمعية من الهداية والكفاية والرعاية والعبودية والمعرفة والمحبة والخدمة والأدب والحرمة والحشمة والنبي والكتاب والسُّنَّة أوجب على الجمهور الاعتصام بهذه الوثائق حتى وصلوا إليه ولا تفرقوا عنه لأن من رجع إلى معاملته ومجاهدته وحيلته وفكرته فهو بمعزل عن ظل العناية وكنف الكفاية والاعتصام بالله من باب المعرفة أرشد طائفه إلى نفسه بلا وسائط وأغرقهم في بحار وجوده حتى يلتجئوا من قعر بحر الذات إلى سفن الصفات لينقذهم من لطمات النكرة بأنوار المعرفة وفي مشهد التوحيد الاعتصام للمحبين جهل بعلم القدم وللعارفين مكر وحجاب برسوم المعرفة عن حقائق الأسرار وللموحدين كفر لأن حقيقة التوحيد حالان خمود السر عن الإرادة عند إرادة الحق وفناء الموحد عن الموحدية في رؤية الموحد لأن من التفت عنه بعد شهوده عن القدم إلى رسوم الربوبية والعبودية فهو شرك في الحقيقة وهذا من غرائب

شطحياتي ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: الذي من جملتها الهداية والتوفيق للرعاية المؤدية إلى الإلفة المألوفة من المعية والحالة الجمعية والهيئة الاجتماعية ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ [الآية: 103] أي: في زمن الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: فأوقع/ الإلفة وأثبت المحبة فيما بينكم بالإسلام وموافقة الأحكام. 131/أ

وفي «حقائق السلمي» قيل: أي كنتم أعداء بملازمة حظوظ أنفسكم فألف بين قلوبكم فأزال عنكم حظوظ الأنفس وردكم منها إلى حظ الحق فيكم ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [الآية: 103] أي: فصرتم بإنعام هدايته وإكرام رعايته متحابين مجتمعين على الأخوة في الله والمحبة في رضاه.

وقال الأستاذ: كانوا أعداء حين كانوا قائمين بحظوظهم معرجين على ضيق البشرية متزاحمين بمقتضى شح النفوس فألّف بين قلوبهم بإخلاص عن أسر المكونات ودفع الأخطار عن أسرارهم فصار مقصودهم جميعاً واحداً وألف ألف شخص في طلب واحدهم في الحقيقة واحد ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ [الآية: 103] التي هي عصمته إياكم ﴿إِخْوَٰنًا﴾ [الآية: 103] متفقي القصد والهمة متفانين عن حظوظ النفس وخفايا البخل والشح وسائر الدنس ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 103] أي: طرف محفورة منها والمعنى وكنتم مشفين ومشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة من التفرقة لوقعتم في نار الهاوية كما أن من أدركه الموت في حال الإسلام من الجمعية لوقع في روضة الراضية وقد أشار إليها حديث «القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران»[1] ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [الآية: 103] أي: أخلصكم من الحفرة أو النار بالإيمان والإقرار قيل المعنى كنتم على شفا حفرة من النار برؤية النجاة بالعمل فأنقذكم منها بمشاهدة الفضل كذا في «حقائق السلمي».

وقال الأستاذ: كنتم تحت أسر مناكم ورباط حظوظكم وهواكم فأنقذكم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 272) رقم (8613)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 639) رقم (2460).

منها بنور الرضا والخمود عند جريان القضاء وتلك حقاً هي المملكة العظمى والدرجة الكبرى ويدخل في جملة هذا ترك السكون إلى ما منك من المناقب والتقى والعقل والحجى والتحصيل والنهى والفرار إلى الله عن كل غير وسوى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 103] أي: مثل ذلك التبيين المبين كالعيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 103] أي: دلائله المؤيدة بالبرهان ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 103] إلى مدارج العرفان ومعارج الإيقان.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ [الآية: 104] أيها المؤمنون ومن بيانية متقدمة أو تبعيضية مفيدة أن الأمر للوجوب على وجه الكفاية ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 104] أي: جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى الإسلام/ أو الاستسلام بالمواعظ واستحسان الكلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 104] وهو امتثال الطاعات ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 104] وهو ارتكاب السيئات ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 104] أي: الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 104] أي: الكاملون في الفلاح الفائزون بالنجاح.

131/ب

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية إشارة إلى أقوام قاموا بالله لله لا يأخذهم لومة ولم يقطعهم عن الله استنامة إلى علة وقفوا جملتهم على دلالة أمر الله وقصروا أنفاسهم واستغرقوا عمرهم في تحصيل رضاه عملوا لله ونصحوا لدين الله ودعوا خلق الله إلى الله فربحت تجارتهم وما خسرت نفقتهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ [الآية: 105] أي: في شأن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [الآية: 105] أي: في أمر نبيهم اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 105] أي: الآيات الواضحات والدلالات اللائحات الموجبة للاتفاق المبينة لعدم الافتراق والمراد النهي عن التفرق في الأحوال الممهدة دون الفروع المرتبة لقوله ﷺ على ما رواه جماعة من علماء الأئمة اختلاف أمتي رحمة[1] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 105] أي: الموصوفون بالتفرق في الدين القويم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 105] وحجاب جسيم وهذا وعيد لهم وتهديد لمن تشبه بهم.

(1) جامع الأحاديث (2/ 40) رقم (874)، وكنز العمال (10/ 136) رقم (28686).

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء رقوم طلب الوصلة ثم وسمهم في الانتهاء بكي الفرقة فباتوا في نفق الأحباب وأصبحوا في زمرة الأجانب وراء الحجاب ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [الآية: 105] قيل: بياض الوجوه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور والنعمة وكآبة الحزن والمحنة والأظهر أنهما على ظاهر معناها ثم قيل تبيض وجوه بالشهادة في سبيله وتسود وجوه بالفرار عن طريقه وقيل تبيض بالقناعة بإعطاءهم الحق وتسود وجوه بالطمع في الخلق وقال: محمد بن علي تبيض وجوه بنظرهم إلى مولاهم وتسود وجوه باحتجابهم عنه كذا في الحقائق للسلمي والأظهر أن يقال تبيض بالعلم وتسود بالجهل أو تبيض بالإيمان وتسود بالكفران لقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [الآية: 106] أي: يقال لهم توبيخاً أكفرتم بالباطن ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [الآية: 106] بالظاهر فالخطاب للمنافقين أو أكفرتم بمحمد ﷺ/ بعد ظهور نبوته ووضوح رسالته بعد إيمانكم به قبل بعثته فالخطاب لأهل الكتاب أو أكفرتم بالافتراق بعد إيمانكم جميعاً يوم الميثاق ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 106] أي: بالنفاق أو الشقاق. 132/أ

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [الآية: 107] فلا يقال لهم بواسطة من العلم والعمل لِكونهم من أهل التوحيد والفضل بل يقال لهم ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الآية: 107] أي: فأنتم منغمسون في رحمته ومنطمسون في نعمته للإشعار بأن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعته لا يدخل الجنة إلا بفضله ورحمته ثم قدم ذكرهم في الإجمال المذكور وآخر في التفصيل المسطور ليكون مطلع الكلام ومقطع المرام حيلة المؤمنين ومثوبة الموقنين ﴿هُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 107] أي: في رحمته التي هي كناية عن جنته التي هي محل نعمته ﴿خَالِدُونَ﴾ [الآية: 107] دائمون باقون بخلاف الكفار فإنهم في العذاب مخلدون ولعله ترك بيان خلودهم لظهور أمرهم أو للاكتفاء بضدهم أو للإعراض عن ذكرهم ويمكن أن يكون التقدير فذوقوا العذاب المخلد بكفركم بدل شكركم.

وأفاد الأستاذ: أن أرباب الدعاوي تسود وجوههم وأصحاب المعاني

تبيض وجوههم وأهل الكشوفات غداً تبيض بالإشراق وجوههم وأصحاب الحجاب تسود بالحجبة وجوههم فتعلوها غبرة وترهقها قترة ويقال من ابيض اليوم قلبه ابيض غداً وجهه ومن كان بالضد فحاله عكسه ويقال من أعرض عن الخلق عند سوانحه ابيض وجهه بروح التفويض ومن علق بالأغيار قلبه عند جوائجه أسود محياه بغبار الطمع وأما الذين ابيضت وجوههم ففي أنس وروح وأما الذين اسودت وجوههم ففي محن ونوح.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: الواردة في وعده ووعيده ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 108] أي: بالوجه الثابت الصدق ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 108] إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يجب شيء عليه فيظلم بنقضه ولا يمنع عن شيء يكون ملك غيره فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 109] ملكاً وملكاً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية: 109] علماً وحكماً فيجازي كلاً بما وعد له وأوعده فضلاً وعدلاً.

وأفاد الأستاذ: أن نديم مخاطبتنا معك على دوام الأوقات/ بالإمداد في كل قليل وكثير عمارة لسبيل الوداد وما الله يريد ظلماً للعباد وأنّى لِجوازِ الظلم في وصفه تقديراً ووجوداً فَالخلق كلهم خلقه والحكم عليهم حكمه. 132/ب

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [الآية: 110] أي: في علم الله أو في اللوح المحفوظ أو فيما مضى من الأمم أو المعنى أنتم أيها الصحابة وأتباعكم خير أمة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 110] أي: أظهرت لهم على طريقة تنفعهم كما بينه بقوله ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استحسنه الشرع أو ما نشأ عن المعرفة.

وقال الصادق المعروف ما وافق الكتاب والسُّنَّة ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استقبحه الشرع أو ما نشأ عن النكرة يحتمل النكرة أو ظهر من أهل البدعة وهذا مقام التكميل ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 110] وبما جاء من عنده على وفق ما قضاه إيماناً ثابتاً في مقام الكمال غير مقيد بحال من الأحوال ولذا قال بعض العارفين الصوفية بخير ما تناقلوا في الأقوال والأفعال ولعل وجه

تأخيره مع اقتضاء الترتيب تقديمه ليلائم قوله ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 110] إيماناً كإيمانكم ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 110] أي: إيمانهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ [الآية: 110] مما هم عليه من شر أحوالهم وسوء أعمالهم ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 110] أي: الكاملون الإيمان الداخلون في الإسلام كعبد الله بن سلام وهم قليل منهم أو بعضهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 110] أي: المعاندون أو المنافقون.

قال يحيى بن معاذ: هذه الآية مدحة لهذه الأمة وما كان الله ليمدحهم ثم يعذبهم كذا في «الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان المصطفى ﷺ أشرف الأنبياء كانت أمته أشرف الأمم ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم ولما كان شوق الأمم إليه كانت أعمارهم أقصر الأعمار وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض ثم ما حصلت خيرتهم بكثرة صلاتهم وعبادتهم ولكن بزيادة إقباله عليهم وتحصيله إياهم ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لما ينالوا نصيبا[1]

والمعروف خدمة الحق والمنكر صحبة النفس والأنس بالخلق المعروف إيثار حق الحق والمنكر اختيار حظ النفس المعروف ما يزلفك إليه والمنكر ما يحجبك عنه وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف وحق الناهي عن المنكر أن يكون منصرفاً عن المنكر انتهى وهذا شرط الكمال في مقام الإكمال لقوله تعالى/ : ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44] 133/أ فالأظهرأن العاصي يحب أن ينهى غيره من ولده وعبده ونحوه عما يرتكبه بنفسه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر.

ثم قال الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لو دخل الكافة تحت أمرنا لوصلوا إلى حقيقة العز في الدنيا والعقبى ولكن بعدوا عن القبول في سابق الاختيار فصار أكثرهم موسوماً بالشرك والتعلق بالأغيار.

---

(1) نسب إلى العباس. انظر: الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أعداؤكم من أهل الكتاب ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ [الآية: 111] أي: ضرراً يسيراً كطعن وتهديد فوجب لكم بالصبر عليه أجراً كثيراً ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الآية: 111] أي: ظهورهم عند ظهوركم عليهم بالفرار ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 111] في هذه الدار ويعذبون بالنار في دار القرار.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لا يسلط أعداءه على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله فرارهم فإذا حق فرارهم أكرم لديه قرارهم وإن استطالوا على الأولياء بموجب حسبانهم انعكس الحال عليهم بصغارهم وهوانهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [الآية: 112] أي: ألزمهم الله المذلة والمهانة بهدر النفس والمال والأهل أو الجزية ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ [الآية: 112] أي: وجدوا في جميع الأحوال ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 112] أي: إلا معتصمين بذمة الله وعهده الذي عاهدهم أو كتابه الذي أتاهم وذمة المسلمين وعهدهم بالمهادنة لهم أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَبَآءُو﴾ [الآية: 112] أي: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: مستوجبين للسخط واللعنة بعد ما كانوا من أهل الرضا والرحمة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية: 112] أي: الظاهرة والباطنة حيث سكنوا واطمأنوا بالدنيا عن الآخرة أو المعنى أحيطت بهم إحاطة الخيمة المضروبة على أهلها الساكنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب الموجب للبعد عن الرحمة ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: المنزلة أو دلالات المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 112] أي: بغير جرم من الأنبياء حتى في زعم الأعداء ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: بما ذكر من الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 112] أي: بسبب عصيانهم القاصرة والمتعدية فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى ارتكاب الكبائر والاستمرار على الكبائر يؤدي إلى الكفر الموجب للمقت في الوقت والبعد عن السعد والفرقة والحرقة/ وحرمان الوصلة وسائر النعمة. 133/ ب

وأفاد الأستاذ: إن علم الهجران لا ينكتم وسمة البعد لا تخفى ودليل القطع لا يستتر فهم في صغار الطرد وذل الرد يعتبر بهم أولوا الأبصار ويغتر

بهم أضرابهم من الكفار والفجار ﴿لَيْسُواْ﴾ [الآية: 113] أي: أهل الكتاب.

﴿سَوَآءً﴾ [الآية: 113] أي: مستويين في المساوىء لما سبق من أن منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ولقوله ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [الآية: 113] بالحق مستقيمة في الصدق وهم الذين أسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ﴾ [الآية: 113] أي: يقرؤون أو يتبعون ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 113] أي: من القرآن ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 113] الظاهر استيعاب ساعاته وأجزائه ويراد استيعاب المجموع لا من كل واحد في أثنائه ولعله لم يذكر آناء النهار للاكتفاء أو للإيماء بأنه الوقت الأولى والأصفى للتلاوة والعبادة ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم يصلون ويتلون القرآن في تهجدهم أو أنهم يصلون صلاة العشاء المختصة بالمسلمين لما روى أحمد في «مسنده» أنه عليه السلام أخر صلاة العشاء ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم[1] ثم قرأ ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 113] الآية ولا يبعد أن يقال المعنى وهم ينقادون لحكم ربهم فيما يتعلق بأمرهم ونهيهم ثم مدحهم سبحانه بأوصاف جمة من مختصات هذه الأمة بقوله:

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 114] أي: كإيمان المسلمين ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 114] كأكابر المؤمنين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 114] أي: الموصوفين بالأوصاف المذكورة ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا ثناؤه ورضاه أو المراد بالصالحين القائمون بحقوق الله وحقوق ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما غير بين النور والظلام مغايرة تضاد فكذلك أثبت منافاة بين أحوال الأولياء وأحوال الأعداء ومتى يستوي الضياء والظلمة واليقين والتهمة والوصلة والفرقة والبعاد والإلفة والمعتكف على بساط الأدب والمنصرف عن الباب والمتصف بالولاء والمنصرف عن الوفاء

---

(1)- أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 313) رقم (11073)، وأبو يعلى في المسند (9/ 206) رقم (5306)، وأحمد في المسند (1/ 396) رقم (3760).

هيهات لا يلتقيان وكيف يتفقان أو يستويان.

﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ [الآية: 115] بالغيبة قرأه حفص وحمزة والكسائي فلن يحرموه ولن يضيع عند الله ثوابه وسمي ذلك كفراناً كما سمي جزاء الثواب شكراً ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ/ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 115] أي: بشارة لهم وإشارة إلى أن التقوى مبدأ خبرهم وقال الأستاذ لن يخيب عن بابه قاصد ولن يخسر عليه تاجر ولن يستوحش معه مصاحب ولن يذل له طالب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ﴾ [الآية: 116] أي: لن تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية: 116] أي: من العذاب فيكون مفعولاً به أو لن تنفعهم ولا تكفيهم شيئاً من الغِنا بمعنى الكفاية فيكون مفعولاً مطلقاً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 116] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 116] أي: مخلدون مع الأغيار وقال الأستاذ لا في الحال لهم بدل ولا في المآل عنهم خلف فهم في عاجلهم في نقص وخسر وفي آجلهم في قطع وهجر وبلاء وضر وعذاب وفكر.

134/أ

تبدلت وتبدلنا فأخسرنا ... من ابتغى عوضاً يُسْلي فلم يجد(1)

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 117] أي: صفة ما ينفق الكفرة قربة صورية أو مفاخرة جاهلية أو المنافقون رياءً وسمعة ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 117] أي: الأزمنة الفانية أو في أمور الدنيا الدنية ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ﴾ [الآية: 117] فيه نوع من اللطافة المكنية ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ [الآية: 117] أي: صوت شديد وبرد أكيد ﴿أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ﴾ [الآية: 117] أي: زراعة جماعة من الأمور الحسية ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 117] أي: بالكفر والمعصية ﴿فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾ [الآية: 117] أي: عقوبة لأفعالهم السيئة بحيث لم يبق لهم منفعة دنيوية ولا أخروية ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 117] أي: بضياع نفقاتهم وإهلاك زراعاتهم لأن أفعاله سبحانه إما عدل وإما فضل لا باطل ولا هزل ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية: 117] بارتكاب الظلم الموجب للظلمة المانعة عن رؤية نور المعرفة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما وجدوا ميراث ما بذلوا لغير الله إلا حسرات

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345).

متتابعة وما حصل من حسباناتهم إلا على محن مترادفة وذلك جزاء من أعرض وتولى أي عن طريق محبة المولى إلى متابعة الهوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [الآية: 118] أي: نفساً أجنبية وليجة دخالة في أموركم وأخباركم مطلعة على أسراركم وأفعالكم كالبطانة المتصلة بأبدانكم كائنة من غير طريقكم وأديانكم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [الآية: 118] أي: لا يقصرون لكم في فساد أحوالكم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 118] أي: أحبوا عنتكم وتمنوا مضرتكم ومشقتكم ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 118] أي: ظهرت العداوة الكامنة في قلوبكم من ألسنتهم وكلامهم/ حيث لا يتمالكون ضبط أنفسهم لفرط بغضهم وعداوتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا لكم العلامات الدالة على موالاة المؤمنين الموافقين ومعاداة الكافرين والمنافقين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 118] أمر الدين على وجه اليقين. 134/ب

وأفاد الأستاذ: أن الركون إلى الصد بعد تبين المشاقة إعانة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو في المآل وأشار الحق سبحانه على المسلمين الأبرار بالتحرز عن الاغترار وإظهار البراءة عن الأغيار ودوام الخلوص للحق سبحانه بالقلوب والأسرار وأخبر أن مضارّة القوم للرسول ﷺ أصلية غير طارئة وكيف لا وهو عليه السلام محل الإقبال وهم في محل الإعراض والإدبار ومتى يجتمع الليل والنهار.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ [الآية: 119] المخاطبون في موالاة الكفار ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: بالاغترار ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [الآية: 119] أي: في الإسرار الدال عليها بعض الإظهار ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [الآية: 119] أي: بجنس الكتب جميعه وهم لا يؤمنون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 119] بآياتكم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ [الآية: 119] أي: مضوا إلى شياطينهم أو اختلوا في مساكنهم ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ﴾ [الآية: 119] أي: على عداوتكم ﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾ [الآية: 119] أي: أنامل

أصابعهم ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الآية: 119] أي: من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا سبيلاً إليكم في التشفي والغلبة عليكم ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 119] أي: بالحالات المضمرة في قلوبكم كما هو عالم بالأمور المظهرة في أفواهكم.

وقال الأستاذ: أنتم بقضية كرمكم تصفو عن الكدورات قلوبكم فتغلبكم الشفقة عليهم والرحمة إليهم وهم لعتوهم وحنقهم يكيدون لكم ما استطاعوا ولفرط وحشتهم لا يترشح منهم إلا قطرات غيظهم ففرغ يا محمد قلبك منهم ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [الآية: 119] دعهم ينفردوا بمقاساة ما يتداخلهم من الغيظ بهم واستريحوا بقلوبكم عما يحل بهم فإن الله أولى بعباده يوصل إلى من يشاء ما يشاء من مراده ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 120] أي: تصبكم أدنى منفعة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ [الآية: 120] أي: تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 120] أي: مضرة ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [الآية: 120] والتغاير بين فعلي الشرطية بعد اعتبار التفنن في الصنعة التعبيرية للإيماء بأن فرحهم إنما يكون بإصابة المصيبة/ العظيمة ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ [الآية: 120] على عداوتهم وأذياتهم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ [الآية: 120] موالاتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 120] أي: من ضرر مكيداتهم وقرأ نافع وحمزة وابن كثير وأبو عمر ولا يضركم من ضاره يضيره بمعنى يضره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 120] أي: بأعمالهم ﴿مُحِيطٌ﴾ [الآية: 120] فيجازيهم على وفق أحوالهم وفي قراءة شاذة بالخطاب على التقليب. 135/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة الراجعين إلى أحوال العادة لا يعجبهم أن يكون لمريد نفاذ وإذا رأوا فترة لقاصد استروحوا إلى ذلك وأن الله تعالى بفضله ومنته يتم نوره على أهل عنايته ويذر الظالمين الزائفين عن سبيله في عقوبة بعادهم لا يبالي بما يستقبلهم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ [الآية: 121] أي ذهبت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ [الآية: 121] أي: من حجرة عائشة رضي الله عنها حال كونك ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 121] أي:

تنزلهم أو تسوي وتهيىء لهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [الآية: 121] أماكن ومصاف لقتال المشركين يوم أحد ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 121] بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 121] بأحوالكم وفيه تنبيه على مباشرة الأسباب والتوكل على رب الأرباب في النصرة وفتح جميع الأبواب.

قال الأستاذ: وإقامة النبي ﷺ بتوجيه الأماكن للقتال فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكتوبات سره فالمدار على قضائه وقدره والاعتبار بإجرائه واختياره.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ [الآية: 122] أي: جماعتان ﴿مِنكُمْ﴾ [الآية: 122] وكانتا جناحي العسكر فيكم ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ [الآية: 122] أي: تجبنا وتضعفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [الآية: 122] أي: حافظهما عن اتباع خواطر مما ترك ما يجب عليهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 122] لا على غيره من الأسباب لا سيما في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبرز الجميع في صدار الاختيار كان الأمر إليهم في نفيهم وإتيانهم وفعلهم وتركهم وفي الحقيقة لا يتقلبون إلا بتصريف القبضة وتقليب القدرة.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 123] أي: قبل ذلك ﴿بِبَدْرٍ﴾ [الآية: 123] وهذا تذكير ببعض ما أفادهم التوكل للنصر ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] أي: حال كونهم قليلين ذليلين في العدة والعدة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 123] أي: في الثبات وطلب النصرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 123] ما أنعمنا عليكم من النعمة.

وفي «الحقائق» ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [الآية: 123] لضعفكم وصحة توكلكم على ربكم وانقطاعكم عن حولكم وقوتكم وردكم الأمر بالكلية/ إليه ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] عند أنفسكم لقلتكم وما كان بدو عز قط إلا بتذليل النفس في الطاعات ومنعها عن الشهوات واللهوات. 135/ب

وقال الأستاذ: تذكر ما سلف من الإنعام فتح باب التملق في اقتضاء أمثاله في مستأنف الأيام وما أحسن قول الشاطبي: إليك يدي منك الأيادي تمدها.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [الآية: 124] وبالتشديد للشامي.

﴿بَلَىٰٓ﴾ [الآية: 125] أي: يكفيكم بل زيادة المدد بزيادة العدد يأتيكم ﴿إِن تَصْبِرُواْ﴾ [الآية: 125] على المقاتلة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 125] المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ [الآية: 125] أعداؤكم ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [الآية: 125] وحالهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [الآية: 125] معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء كقوله ﷺ سوموا فإن الملائكة سومت أي[1]: بالعمامة وقيل: مع العذبة وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقال الأستاذ كان تسكين الحق سبحانه لقلب المصطفى ﷺ بلا واسطة من الله تعالى والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول عليه السلام فلولا بقية بقيت عليهم وإلا ما ردهم في حديث النصرة إلى إنزال الملائكة وأنى بحديث الملك والأمر كله بيد الملك.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 126] أي: إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية: 126] أي: بشارة للنصرة لكم لتستبشروا ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 126] ولتسكن نفوسكم من الخوف إليه ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 126] لا من العدة ولا من العدد في جميع المدة وإنما بشارة المدد من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ليتكلوا أو لا يبالوا بمن تقدم وتأخر ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية: 126] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية: 126] في تدبير أمر عباده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم أو تناقضت إراداتهم أو أشرفت قلوبهم على بعض فتراتهم أراهم من صنوف عناياته وفنون كراماته ما يقوي به أسباب عرفانهم ويتأكد حقائق إيقانهم فعلى هذه السُنَّة أنزل هذا الخطاب إلى الجملة ثم قطع قلوبهم وأسرارهم عن الأغيار بالكلية فقال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 126] قلت فهذا

---

(1) انظر: السنن لسعيد بن منصور (6/ 459) رقم (2675)، وتفسير الرازي (4/ 376).

تدريج للتوحيد الصرف الذي لا يرى في الكون سواه.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 127] أي ينصركم يوم بدر ليهلك جمعاً من أعدائكم بقتل سبعين ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: يخزيهم/ بأسر سبعين فالتنويع في مقام التبيين ﴿فَيَنقَلِبُواْ﴾ [الآية: 127] أي: فينهزم الباقون منهم ﴿خَآئِبِينَ﴾ [الآية: 127] منقطعي الآمال خاسرين. 136/أ

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه لا يشمت بأوليائه عدواً فالمؤمن وإن إصابته نكبة فعدوه لا محالة يكبه الله في الفتنة والعقوبة يعني في الآية تسلية لقلوب الأمة مما أصابهم في أحد من الغمة.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] أي: من أمر النصر وغيره شيء من التصرف في فعله وتركه والجملة اعتراضية بين المتعاطفين وهو يكبتهم وقوله ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 128] أو يعذبهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإمّا أن يهلكهم أو يكبتهم إن قاتلوا أو يتوب عليهم إن أسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [الآية: 128] إن أصروا ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 128] أي: كاملون في ظلمهم حيث أصروا على كفرهم.

ومن «نفائس العرائس» أراد السيد عليه السلام تقديس حضرة الجلال عن أنفاس المجرمين في قولهم بما لا يليق بجلال الله من الشرك والكفر لئلا يبقى في ساحة الكبرياء في قلبه غير الله في جمال وجهه تعالى ومن سرعة حبه وشدة إرادته لم يطالع أمر القدم الذي جرى بالعناية في حق المستورين من بينهم بأستار عوارض الامتحان فعاتبه أين أنت من مشاهدة سبق عنايتي لهم أنعم نظرك في ديوان الأزل فإنهم سواء وليس لك في هذه الغيرة من أمر القدم ومشيئة الأزل في وقتك حين احتجبت بغيرتك على أمرهم شيء وإن صرفت منك أي: رأيت المشيئة واستغنيت بالدعاء عليهم وتصديق ذلك قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإله من له النهي والأمر فلما لم يكن له تعالى في

الإلهية نظير لم يكن إليه ﷺ عليه من الأمر والنهي شيء ويقال جرده بما عرفه وخاطبه عن كل غير ونصيب ودعوى حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء فإنه إذا لم يجز أن يكون سيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمن نزلت رتبته عن منزلته فمن يكون له شيء من الأمر ويقال استأثر بسر عباده في حكمه فقال أنا الذي أتوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء والعواقب عليك مستورة وإنك يا محمد لا تدري فيهم سري ويقال أقامه في وقت مقاماً رمى بقبضته من التراب فأصاب جميع الوجوه/ وقال ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: 17] وقال في وقت آخر ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] ثم زاد في البيان فقال: 136/ب

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الآية: 129] وإذا كان الملك ملكه والأمر أمره والحكم حكمه فمن شاء عذبه ومن شاء قربه ومن شاء هداه ومن شاء أغواه كما قال ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [الآية: 129] يعني الأمر كله لله وليس الأمر لأحد سواه وإن الأمر تابع لمشيئته على وفق قضائه وحكمته فالمعنى يغفر لمن يشاء تائباً كان أو غير تائب ويعذب من يشاء ظالماً كان أو غير ظالم لحكم ومصالح لا يحيط بها إلا هو وحده سبحانه ولا يجب عليه تعذيب ولا إثابة في أمر عباده لأنه الغني المطلق الذي لا يسأل عما يفعل وأن أفعاله لا تخلوا عن العدل أو الفضل بلا فصل إلا أن غالب وصفه الكرم والرحمة ولذا قال ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 129] أي: يغفر ذنوب العاصين ويرحم على المطيعين ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: : 193] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾ [الآية: 130] وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة أي: زيادة مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع عند نزول الآية وإلا فأنواع الربا بأجمعها منهية سواء كانت قليلة أوكثيرة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 130] أي: مخالفته أو معاقبته بترك الفساد وفعل الصلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 130] راجين الفلاح ومتوقعين النجاح.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 131] أي: بالتجوز عن متابعتهم

والاجتناب عن مشابهتهم وفيه تنبيه على أن النار معدة للكفار بالذات وبالعرض للعصاة.

وقد أفاد الأستاذ: في هذا الباب أن دليل الخطاب يقتضي أن المؤمن لا يعذب بها وإن عُذِّب بها مدة فلا يخلد فيها.

ومن «**دقائق الحقائق**» قال ابن عطاء أمر العوام باتقاء النار لخوفهم منها وتركهم المعاصي لأجلها وأمر الخواص بأن يتقوه وينظروا إليه دون غيره من الأسباب حيث قال ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: 197] [الآية: 131] قلت وكذا قال في الآية السالفة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 130] فكان الآية الأولى خطاب للسابقين والأخرى عتاب اللاحقين.

ومن «**نفائس العرائس**» أن في الآية الشريفة إشارة عجيبة لطيفة في وضوح عيان الحق سبحانه حقائق الآية أن النار لم تعد للمؤمنين ولم تخلق لهم لقوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 131] فإذا كانت للكافرين لم تخلق للمؤمنين/ لكن 137/ أ خوف المؤمنين بها زجراً وعظة كالأب البار المشفق على ولده الذي خوف ولده بالأسد أو بالسيف وأنه لا يضربه بالسيف ولا يلقيه عند الأسد فبقي أن هذه الآية تلطف وشفقة على عباده المؤمنين الصادقين وأعجب من ذلك أن الله تعالى خوفهم بالنار والنار للغير ومقصوده تجلي القهر من عظمته للنار وعظمة النار من تجلي عظمته أي اتقوني في النار لأني أخوف النار وأعذبها بي وهذا سر عين الجمع.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 132] أتبع الوعيد السابق بالوعد اللاحق ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الموافقة ولعل في مثل ذلك دلّ على عزة التوصل إلى ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قرن طاعة الرسول بطاعة نفسه تشريفاً لقدره وتخفيفاً على الأمة في أمره حيث ردهم إلى شخص من أنفسهم بل وإلى ذات من أنفسهم فإن الجنس إلى الجنس أسكن إلى غير جنسهم.

﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [الآية: 133] عطف على ما قبله وفي قراءة نافع وابن عامر

باستئنافه أي: بادروا وسابقوا أو اقبلوا أو توجهوا ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 133] إلى ما يوجب لكم المغفرة كالإسلام والإخلاص والتوبة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الآية: 133] أي: كعرضهما كما جاء في آية أخرى عرضها كعرض السماء والأرض وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ثم إذا كان هذا عرضها فما ظنك بطولها ففيه دليل على أنها خارجة عن هذا العالم لأنه لا يسعها ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 133] هيئت بالذات لكمل المتقين وبالعرض لفساق المؤمنين وفيه وفي ما قبله دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان رداً على المعتزلة.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في المسارعة على أقسام فالعابدون يسارعون بقدمهم في الطاعات والعارفون يسارعون بهممهم في القربات والعاصون يسارعون بندمهم إلى تجرع الحسرات فمن سارع بقدمه وجد مثوبته ومن سارع بهممه وجد قربته ومن سارع بندمه وجد رحمته.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 134] أي: في حالتي النعمة والشدة الناشئة منهما المسرة والمضرة أو في الأحوال كلها إذ السالك لا يخلو عن منحة ومحنة أي: لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه/ من قليل أو كثير من المال أو بذل جاه وعلم وحال نافعة في المآل. 137/ ب

ومن «دقائق الحقائق» قيل أن الذين يتبرون من الأملاك والنفوس والقلوب وينفقونها في مرضات الله ولا يبخلون بشيء مما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يدخرون عن الله شيئاً من المال ويؤثرونه على الأشياء في كل حال ينفقون أبدانهم في الطاعات وفنون الأوراد والاجتهاد بالرياضات وأموالهم في اقتناء الخيرات وابتغاء الخيرات لوجوه الصدقات وقلوبهم في الطلب ثم دوام المراعاة وأرواحهم على صفاء المحاب والوفاء على عموم الحالات وأسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات منتظرين إشارات المطالبات مشمرين للبدار إلى دقيق المطلوبات ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [الآية: 134] أي: الحابسين له الكافين عن إمضائه مع القدرة على إجرائه ففي

الحديث من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً[1].

وأفاد الأستاذ: أن أقواماً يتجاوزون عن الخلق لملاحظتهم إياهم بعين النسبة وأقوام يحلمون عن الخلق علماً بأن ذلك بِسبب جرمهم فيشهدونهم بعين التسليط وآخرون يكظمون الغيظ تحققاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فالتحمل عنهم حينئذٍ يهون وآخرون فنوا عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الراحات في المذلة لأنّ نفوسهم ساقطة فانية وآخرون لم يشهدوا ذرة من الأغيار من الإنشاء والأجراء فعلموا أن المنشيء الله فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله فلما أفردوه بالإبداع انقادوا لحكمه فلم يروا معه وجهاً غير التسليم لأمره وأكرمهم الحق سبحانه ببرد الرضا فقاموا له بشرط الموافقة وعهد الوفاء ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [الآية: 134] أي: المتجاوزين عنهم التاركين عقوبة من يستحقها منهم وفي الحديث أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت ذكره الثعلبي[2] عن مقاتل ابن حيان.

ولعل وجه حكمته في تقدير صحته ما رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً الحدة تعتري خيار أمتي[3] وفي رواية ابن عدي عن معاذ مرفوعاً الحدة تعتري حملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم[4].

فالمعنى أنهم لا يعفون عن الخلق في مخالفتهم للحق لأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهوهم عن المنكر من غير مراعاة الاستئناس لقوله سبحانه ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة، الآية: 54] /. 138/أ

(1) أخرجه أبو داود في السنن (4/ 394) رقم (4779)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 372) رقم (2021)، وابن ماجه في السنن (2/ 1400) رقم (4186)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (415).
(2) الكشاف (1/ 324)، تفسير ابن أبي حاتم (3/ 179)، تفسير أبي السعود (2/ 86)، وتفسير البيضاوي (1/ 93).
(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 151) رقم (11332)، وأبو يعلى في المسند (4/ 327) رقم (2450)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 228) رقم (617).
(4) كشف الخفا (1/ 354) رقم (1120)، وكنز العمال (3/ 127) رقم (5802).

الحاصل أن حدتهم من الغيرة الإلهية لا من الحمية الجاهلية وهذا فيما يكون متعلقاً بحق الله أو العباد وأما إذا تعلق بأنفسهم فرأوا عفوهم عنهم فرضاً على أنفسهم لا فضلاً منهم عليهم كما قال قائلهم:

رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه[1]

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 134] أي: إلى أنفسهم فإن مال إحسانهم لغيرهم أيضاً إليهم قال الله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7] .

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا في معاملة الحق وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدع جميع حقك بالكلية كم كان على من كان وتقبل بقبوله منه ولا تقلده في ذلك منة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [الآية: 135] أي: فعلة قبيحة من أفراد الكبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 135] بارتكاب بعض أصناف الصغيرة أو هذا تخصيص بعد تعميم أو الأولى في المعصية المتقدمة والثانية في السيئة القاصرة.

وفي «الحقائق» قيل الظلم متابعة النفس ما تشتهيها قلت وهي الفاحشة الجامعة الصادرة من أم الخبائث الشاملة للمعاصي بأجمعها ما قيل:

وجودك ذنب لا يقاس له ذنب[2]

وأفاد الأستاذ: أن فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك ظلمهم وأن خطورهم المخالفات ببال الأكابر كفعلها من الأغيار وقال قائلهم:

أنت عيني وليس من حق عيني غض أجفانها على الأقذاء[3]

---

(1) نسب إلى بهلول. انظر: عقلاء المجانين (1/ 25)، وغرر الخصائص الواضحة (1/ 128).

(2) هذا عجز البيت، وصدره: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني نسب إلى عبد الغني النابلسي. انظر: داووين الشعر العربي (85/ 203).

(3) نسب إلى ابن الرومي. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 24)، والتذكرة الحمدونية (2/ 37).

وليس الجرم على البساط كالذنب على الباب قلت ولذا قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي[1]

ثم قال الأستاذ: وقد أوحى الله إلى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكروني فإني أوحيت أن أذكر من ذكرني وذكري للظلمة اللعنة وقيل لظلمة هذه الأمة أو ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 135] انتهى والظاهر أن المراد بالنهي عن الذكر هو الذكر الناشىء عن الغفلة الموجب للطرد واللعنة والمراد بإثباته هاهنا ذكر عذابه وتذكر عقابه أو حكمه الكريم أو حقه العظيم المقتضي للندامة والتوبة ولذا رتب عليه المغفرة/ والجنة ويقال كما أفاد 138/ب الأستاذ أنهم إذا فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم فاستغفروا لذنوبهم وسيئاتهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم على حلماً منهم بأنهم لا وسيلة لهم إليه إلا به فخلصهم من ظلمات نفوسهم وأن رؤية الأحوال والأفعال ظلمات عند ظهور أنوار الحقائق ومن طهره الله بنور العناية الأزلية صانه عن التورط في مغاليط البشرية ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 135] أي: لا يغفرها سواه والجملة معترضة بين المتعاطفين للإيماء بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [الآية: 135] أي: ولم يقيموا على ذنوبهم ولم يديموا على عيوبهم غير ذاكرين ولا مستغفرين بل كل ما صدر عنهم معصية أتبعوها توبة فلم يكونوا فاسقين لعدم صيرورتهم مصرين لما في الحديث: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[2] ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 135] قبح أعمالهم الموجبة لنقض أحوالهم وأن ربهم يغفر الذنب ويقبل التوب عن عباده بفضله ورحمته.

ومن «نفائس العرائس» أن هذه الآية إشارة إلى قوم أخطؤوا في السماع ومجالستهم مع حظوظ أنفسهم وبقايا صفات البشرية فيهم حيث جلسوا بغير

(1) تزيين العشاق (1/ 10) رقم (1/ 114).

(2) أخرجه أبو داود في السنن (1/ 559) رقم (1516)، وأبو يعلى في المسند (1/ 124) رقم (139)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 409) رقم (7099).

حضور ولا شهود ولا مراقبة ولا محاسبة ولا تقديس الأسرار في طلب الأنوار فالفاحشة منهم سماع القول وإظهار الوجد مع حظوظ النفس والأهوية البشرية والظلم منهم دعوى المقامات والولايات وهم يعلمون أنهم ليسوا على التحقيق في السماع وإظهار الوجد فأدركهم الله بفيض رحمته حيث تعرفهم فضائح أنفسهم عنده ويلقنهم في رؤية التعيير والعتاب وتضييق صدرهم بتلك الفاحشة والظلم فيذكرون الله بشرط الندم ورؤية التقصير والخجل بين يديه وسقوطهم عن عيون المشايخ فيستغفرون الله من كذب دعواهم بنية الصدق في التبري عن دعوى ما ليس لهم وإذا كان الأمر كذلك ولم يصروا على ما فعلوا يغفر الله لهم ما سبق منهم بإيوائهم إلى قربه فإنه مولاهم وصاحبهم لا غير وذلك قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله وأيضاً فيها إشارة إلى عشاق الله الذين استغرقوا/ في بحار العشق والشوق واحترقوا بلوائح نيران الكبرياء وبغتة سطوات العظمة فيطلبون روح الإنس بالاستراحة في مشاهدة المستحسنات ويرتادون مشاهدة عروس القدم في مقام الالتباس وعين الجمع الذي فيه رؤية الحق في مرآة الخلق وذلك الإلتباس فاحشة منهم لأنهم في طلب القدم مع رؤية الحدث وليس هذا شرط تجريد حقيقة العشق وإذا كانوا محترقين بنيران التوحيد والتفريد في رؤية الأزل والأبد والقدم والبقاء يطلبون النزول في مقام التوحيد إلى مقام العشق وهذا ظلم منهم على أنفسهم لأنهم نقضوا حظ التوحيد بفرارهم من الفناء في التوحيد إلى بقائهم في العشق والتجريد. 139/أ

وقال الجزيري: الفاحشة النزول من الربوبية إلى العبودية يعني الانتقال من المواجيد والأحوال والمكاشفات إلى السلوك في مقام المعاملات من الطاعات والرياضات.

وقال الواسطي: الطاعات فواحش.

قال البقلي: وهذا تفسير بلسان الشطح قلت الظاهر أن مراده هو أن رؤية الطاعات من فواحش السيئات أو الطاعات من أصحاب الغفلات الذين لم يصلوا إلى مقام الجمع ولم يترقوا عن التفرقة في الحالات بمنزلة الفواحش

من أرباب المقامات فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين في الاعتبار أو إيماء إلى توهم الأثنينية من المطيع والمطاع له وهو شرك في مرتبة صرف الوحدة الربوبية ورتبة العبودية، ولذا قيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تفرقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جمع والله الموفق والمعين.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 136] لسيئاتهم ﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 136] في مقابلة حسناتهم على مقدار درجاتهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 136] لتخليص نياتهم وتصحيح طوياتهم.

وقال الأستاذ: مغفرة من ربهم يردهم إلى شهود الربوبية وما سبق لهم من الحسنى في سابق القسمة الأزلية وجنات مؤجلة في فراديس الأنس ومعجلة في روح المناجاة وتمام الأنس ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الآية: 136] ما ذكر من المغفرة من فضله والجنة من عدله.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [الآية: 137] أي: مضت وقائع سنها الله تعالى في/ الأمم الماضية من المكذبة والمصدقة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 137] أي: بسفر الظاهر أو بسير الباطن ﴿فَانظُرُوا﴾ [الآية: 137] أي: بنظر الاعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 137] للرسل الأخيار على ما ورد به الآثار والأخبار. 139/ب

وقال الأستاذ: يعني اعتبروا بمن سلف وانظروا كيف فعلنا بمن والى وكيف انتقمنا ممن عادى.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 138] الإشارة إلى القرآن أو إلى ما ذكر قبله من البيان والمعنى أنه حجة بينة لعموم العالمين وبسبب هداية ومحل عظمة لخصوص المخلصين من العالمين العاملين.

وأفاد الأستاذ: أنه بيان لقوم من حيث أدلة العقول ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب ولآخرين من حيث تجلي الحق في الأسرار.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [الآية: 139] أي: لا تضعفوا عن المجاهدة في الأمور الدينية ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية: 139] على ما فاتكم من النعم الدنيوية ولا على ما أصابكم

من الرياضات البدنية النافعة في الأيام الأخروية ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [الآية: 139] والحال أنكم الأغلبون شأناً والأظهرون برهاناً فإنكم على الحق الواضح وغيركم على البطلان اللائح ومجاهدتكم لله ومعالجة غيركم لما سواه والعبرة بالغلبة في العاقبة ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 139] أي: كاملي الإيمان فلا يخفى عليكم هذا البيان.

وقال الأستاذ: إذا قلتم بالله ووصلتم بالله فلا تخافوا من غير الله فإن النصرة من عند الله والغالب الله ومن سوى الله فليس بهم ذرة ولا منهم سينة فينبغي للمؤمن أن لا يظله من غير الله مهابة.

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [الآية: 140] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف والمعنى إن أصابوا منكم يوم أُحد قتل بعض وجرحه فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم إنهم لم يجبنوا فأنتم أحق بأن لا تهنوا لقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: 104] ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ﴾ [الآية: 140] أي: الأوقات الدنيوية والوقائع الكونية ﴿نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 140] نصرفها بين عمومهم وخصوصهم كما قيل:

فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر[1]

بخلاف الأيام الأخروية فإنها بالنسبة إلى المؤمنين أوقات النعم الأبدية/ 140/أ وبالنسبة إلى الكافرين أزمنة المحن السرمدية ولذا قال بعض الأبرار وما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إن نالكم فيه مشقة فالذين تقدمكم لقوا مثل ما لقيتم ومسوا بمثل ما به مسستم فمن صبر منهم ظفر ومن ضجر من تحمل ما لقي خسر والأيام نوب والحالات دول ولا يخفى على الحق سبحانه شيء أي لا من الآخر ولا من الأول وكأنه أشار إلى قوله سبحانه ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 140] إيماناً يتعلق به الجزاء فإنه لا يجازي بمجرد التقدير والقضاء

(1) نسب إلى النمر بن تولب. انظر: نهاية الأرب (1/ 269).

بل لا بد من شهور كسب العبد في دار الفناء ليرتب عليه الجزاء في دار البقاء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 140] جماعة في مرتبة الشهداء وأرباب الشهود في مقام المشاهدة ورؤية اللقاء ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 140] أي: الكافرين والمنافقين والفاجرين وإنما يجعلهم أحياناً غالبين استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين ليميز المخلطين من المخلصين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 141] أي: بتمحيص ذنوبهم وتطهير عيوبهم وتنظيف قلوبهم إن وقعت الغلبة عليهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 141] بهلاكهم إن كانت الدولة عليهم والحاصل أن أحوال المؤمنين دائرة بين الصبر والشكر المرتب على كل منهما الثواب والأجر كما هو مقتضى هذه الدار بتكليف النهي والأمر.

وأفاد الأستاذ: أن اختبارات الغيب سبك للعبد وباختلاف الأطوار يخلصه عن المشائب فيصير كالذهب الخالص لا خبث فيه كذلك يصفو عن العلل فيخلص لله ويمحق الكافرين في أودية التفرقة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد: 17] قلت بل هم ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 142] أي: بلا ابتلاء من المنحة والمحنة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز بعد في عالم الوجود ومقام الشهود بين مرتبة المجاهدين ورتبة القاعدين ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز الصابرين والشاكرين حالة الجزعين والفزعين وهو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع والمعنى ولم يكن العلم التنجيزي متعلقاً بالمجاهدين والصابرين من المؤمنين المخلصين وفيه إيماءٌ إلى قول بعض الشعراء:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال[1]

وقد قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات[2]/ وفي 140/ب

(1) نسب إلى المتنبي انظر: زهر الآداب (1/ 413)، وغرر الخصائص (1/ 142).
(2) سبق تخريجه.

الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات[1].

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أن يصل إلى محل عظيم من دون مقامات الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك وأن من عرف قدر مطلوبه ومقصوده سهل عليه بذل مجهوده وموجوده متى جاد دهر بلذاته على من يضنّ بخلع العذار قال قائلهم:

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب الرقاد[2]

انتهى. وشام بمعنى أبصر وفي رواية إذا رام الفتى نيل المعالي لكن الأول هو المعول فتأمل.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ [الآية: 143] أي: الشهادة أو الحرب المؤدي إلى الموت فإنها من أسباب السعادة ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [الآية: 143] أي: تشاهدوا شدته وتعرفوا حدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 143] معاينين له حتى قتل دونكم من قتل من إخوانكم ولعل من هنا ورد النهي في الحديث عن تمني[3] الموت ولقاء العدو[4].

وأفاد الأستاذ: إن طوارق التمني بعد الصبر على احتمال للمشاق ولكن.

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى[5]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] أي: ليس غاية مدحته ونهاية محمدته إلا كونه موصوفاً برسالته لا بأمر آخر خاص من بين خليقته بامتداد مدته ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [الآية: 144] أي: فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل والفوت

---

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى أبي القاسم السعدي. انظر: يتيمة الدهر (2/ 140)، وقرى الضيف (5/ 29).

(3) واللفظ «لا يتمنين أحدكم الموت...» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (6351)، ومسلم في الصحيح (2680/ 10).

(4) واللفظ «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية...». انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (2966)، والحاكم في المستدرك (2/ 87) رقم (2413).

(5) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 400).

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [الآية: 144] إنكاراً لارتدادهم بعد إسعادهم وإدبارهم بعد إقبالهم وانقلابهم على أعقابهم بموت رسولهم بعد وصولهم إلى معرفة ربهم وحصول محصولهم ورضي الله عن الصديق الأكبر حيث قرأ هذه الآية على المنبر بعد موت النبي عليه السلام واضطرب الأصحاب الكرام وقال بعد الحمد والثناء ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾ [الآية: 144] بارتداده بل يضر نفسه بإبعاده عن مقام إسعاده ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 144] أي: يثيبهم بالثبات على الدين من المؤمنين الصابرين ويعاقب المرتدين وسائر الكافرين أو المراد بالآية التوبيخ على من أراد الفرار من الكفار حين تفوه بعض الفجار أنه قتل النبي المختار فقال أنس بن النضر من أكابر الأنصار يا قوم إن كان/ قتل محمداً فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللّهم إني أعتذر إليك مما يفعلون وشد بسيفه فقاتل حتى قتل[1] رضي الله تعالى عنه. 141/أ

وأفاد الأستاذ: أنه لما توفي ﷺ سقمت البصائر إلا بصيرة الصديق رضي الله عنه فأمده الله بقوة السكينة وأفرغ عليه قوة التولي في رتبة الولاية فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فصار الكل مقهورين تحت سلطان قالته لما انبسط عليهم من نور حالته كالشمس بطلوعها يندرج في شعاعها أنوار الكواكب فيستتر فيها مقادير مضارح شعاع كلّ نجم وإنما قال ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [الآية: 144] لأنه ﷺ مات وقتل أيضاً لأنه قال ما زالت أكلة جبر تعاودوني فهذا أوان قطعت أبهري[2] انتهى فأو للتنويع ولعل الحكمة في الجمع بينهما له ﷺ حصول مرتبة شهادة السعادة مع الشهداء من الأنبياء ووصول رتبة الحفظ والعصمة من الإصابة الظاهرة والغلبة الباهرة للأعداء.

---

(1) الحاكم في المستدرك (3/ 252) رقم (5006)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 264) رقم (769)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 430) رقم (11403).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 323)، وتفسير القرطبي (5/ 163)، وتفسير البغوي (7/ 312)، وتفسير الرازي (2/ 212).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ [الآية: 145] أي: لذات نفس ولو نفيسة ﴿أَن تَمُوتَ﴾ [الآية: 145] أي: على المفرشة أو المعركة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 145] أي: بمشيئته وقضائه أو بأمره لملك الموت في قبض روحه ﴿كِتَٰبًا﴾ [الآية: 145] أي: إذناً مكتوباً في اللوح أو مفروضاً على الروح بالتعب أو الروح ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ [الآية: 145] مؤقتاً لا يتقدم ساعة ولا يتأخر أجلاً فإن الأنفاس محصورة لا زيادة فيها ولا نقصان منها ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 145] أي: النتيجة العاجلة لمجاهدته العاملة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: بعضها من الغنيمة ونحوها.

وقال الأستاذ: للصالحين العافية وللآخرين الغفلة ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 145] أي: المثوبة الآجلة بالصبر على المحن العاجلة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: من ثوابها في الدنيا ﴿وَسَنَجْزِي الشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 145] جزاءً كاملاً في العقبى كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: 20] أي: بأن نجمع له بين خيري الدنيا والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنّ ثواب الآخرة أولها الغفران ثم الجنان ثم الرضوان وجزاء الشكر الشكر يعني وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

﴿وَكَأَيِّن﴾ [الآية: 146] وقرأ ابن كثير وكأين وهما لغتان بمعنى وكم ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الآية: 146] وهو بيان له ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: 146] / أي: ربانيون من العلماء الأتقياء وعابدون لربهم من الأولياء الأصفياء. 141/ب

وقال أبو محمد الحريري: أي منقطون إلى ربهم فانون عن أوصافهم وإراداتهم مطلعون إلى إرادة الله فيهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو قتل بصيغة المجهول إشارة إلى أنهم جمعوا بين وصول القتال مع الأعداء وفي حصول مراتب الشهداء ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ [الآية: 146] أي: ما فتروا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 146] من الشدة والمحنة ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ [الآية: 146] أي: ما جبنوا عن المقاتلة والمجاهدة وما ضعفوا عن تحمل أمانة الديانة ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [الآية: 146] أي: لم يخضعوا للأعداء ولم يظهروا لهم المذلة والمهانة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 146] على المحنة والمشقة في دار البلية.

قال الواسطي: كانوا كأبي بكر لما كانت نسبته إلى الحق أتم لم يؤثر عليه فقدان السبب ولما ضعف نسبة عمر قال من قال مات محمد ضربت عنقه وأبو بكر نظر إلى ما دله عليه المصطفى فقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] الآية.

وأفاد الأستاذ: إن الذين درجوا على الوفاء وقاموا بحق الصفاء ولم يرجعوا عن الطريق وطالبوا نفوسهم بالتحقيق وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق وجدوا محنة الحق سبحانه ميراث صبرهم وكان الخلف عنهم عند نهاية أمرهم فما زاغوا في شرط الجهد ولا زاغوا عن حفظ العهد وسلموا تسليماً وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للعهد مقيماً مستديماً وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيماً.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 147] أي: صغائرنا ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [الآية: 147] أي: كبائرنا والمراد بالذنوب المعاصي القاصرة وبالإسراف المظالم المتعدية ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [الآية: 147] في مقام العبادة والمجاهدة ودعوى مرتبة المحبة ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 147] أي: بالحجة والغلبة وأفاد الأستاذ أنهم تحققوا بحقائق المعنى ثم تحرسوا عن إظهار الدعوى ثم نطقوا بلسان الاستغفار ووقفوا في مواقيت الاستحياء والاستصغار كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها ... فكأنما حسناته آثام[1]

قلت وهذا بيان كما قال قائلهم:

من لم يكن للوصال أهلاً ... فكل إحسانه[2] ذنوب[3]

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 148] أي: أعطاهم بسبب التجائهم إلى مولاهم ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 148] أي: النصرة والغنيمة والثناء الجميل والمعزة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

(1) نسب إلى أبي تمام. انظر: المثل السائر (2/ 81)، ودواوين الشعر العربي (11/ 288).
(2) في المخطوطة طاعاته.
(3) نسب إلى الشبلي. انظر: (1/ 204)، والطيوريات (14/ 35).

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ [الآية: 148] أي: الجنة والقربة والوصلة وخص بالحسن إشعاراً/ بفضله 142/ أ
وأن عنده هو المعتد به ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية: 148] فيحسن إلى من قام في مقام الإحسان في مراتب الإيقان وأعلاه أن يغفل عن ما سواه ويعبد الله كأنه يراه.

وأفاد الأستاذ أن ثواب الدنيا أقله القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الأنس في جلوسه بين يديه ثم كمال الفرح ببقائه ثم استقلال السر لوجوده وحسن ثواب الآخرة دخولهم الجنة وهم محررون عنها غير داخلين في سرها ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبة عن الدارين برؤية خالقهما وخص ثواب الآخرة بالحسن لمزية دوامها وتمامها وأن لا يشوبها ما ينافيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 149] في إضلالهم لكم ﴿يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ [الآية: 149] من إيمانكم وأعمالكم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 149] أي: فترجعوا عن حسن أحوالكم حال كونكم خاسرين في مآلكم وخائبين في آمالكم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الآية: 150] ناصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 150] فاستغنوا بنصره عن ولاية غيره.

وقال ابن عطاء: بل الله مولاكم معينكم على ما حملكم من أوامره ونواهيه إياكم وهو خير الناصرين على أنفسكم وهواكم.

وزاد الأستاذ: حيث أفاد أنه يعينكم على أنفسكم فيكفيكم شرها ومن سواه يزيد في بلائكم إذا نصروكم لأنهم يعينون أنفسهم عليكم وهو خير الناصرين لأن من سواه يمن عليك بنصرته إياك وهو يجازيك عن استنصارك به ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن تعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصر وقد لا ينصر فإذا استنصرته سبحانه يعطيك كل لطيفة ولا يرضى بأن لا ينصر.

﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الآية: 151] قرأ الشامي والكسائي بضم العين وهما لغتان بمعنى الخوف من الغير والمراد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب إلا تغير

البال ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت تدارك الحال فقال عليه السلام إن شاء الله الملك المتعال ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 151] سبب إشراكهم به ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ [الآية: 151] أي: آلهة ليس على إشراكها حجة ولا شبهة ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ [الآية: 151] في دار البوار ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 151] أي: مأوى الكفار والفجار.

وأفاد الأستاذ: إن الله سبحانه خص نبينا ﷺ بإلقاء الرعب في قلوب أعدائه/ قال: عليه السلام نصرت بالرعب وكذلك أجرى هذه السنة مع أوليائه بطرح الهيبة منهم في قلوب أعدائه فلا يكاد يكون محق إلا ومنه على المبطلين وأصحاب الدعوى والتمويه هيبة في صدورهم ومخافة في قلوبهم. 143/ب

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ [الآية: 152] أي: وعده إياكم بالنصر على شرط التقوى والصبر حتى خالف الرماة يوم أُحُد للاشتغال بالغنيمة كل أحد وذلك أن المشركين لما أقبلوا جعلوا الرماة يرشقونهم والباقون بالسيف يضربونهم حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ليقتلوا ويأسروا وهذا معنى قوله سبحانه ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [الآية: 152] أي: يقتلونهم بأمره على وفق قضائه وقدره ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ [الآية: 152] أي: جبنتم لضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة والأكل فإن الحرص من ضعف العقل ولذا قيل السخاوة والشجاعة ليس بينهما فصل ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [الآية: 152] أي: واختلفتم في أمر القتال أو أمره ﷺ للرماة بحفظ مركزهم وحراسة منزلهم فقال بعضم فما موقفنا هنا بعد انهزام المشركين واغتنام المؤمنين وقال آخرون لا تخالف أمره عليه السلام في ثبات المقام فوقف أميرهم مع نفر دون العشرة ونفر الباقون لأخذ الغنيمة وهو المعنى لقوله: ﴿وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [الآية: 152] أي: أظهر لكم ما تمنون من الغنيمة والنصرة وجواب إذا محذوف وهو منعكم النصر أو امتحنكم بالكسرة بتبيين المؤمن والمنافق وتعين المرائي والموافق وطالب الدنيا من طالب العقبى وصاحب المولى كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 152] وهم التاركون المركن للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الآية: 152] وهم الثابتون على موافقة الأمر مخافة المخالفة قال بعض العارفين يعني منكم من

يريد الدنيا ليستعين به على أمر العقبى ومنكم من يريد الآخرة بترك الدنيا لفنائها وقلة غنائها وكثرة عنائها وخسّة شركائها وعملاً بقول عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر ولقوله عليه السلام: لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها أو آخر يذكر الله لكان ذاكر الله أفضل(1).

ومن «دقائق الحقائق» قيل: قرأ هذه الآية بين يدي الشبلي فقال: أوه قطع الطريق الخلق ورد الأشباح إلى قيمتها وقال أيضاً: أسقط العظمتين/فقد 144/أ وصلت قيل وما العظمتان فقال: الكونين انتهى وقال غيره: خطوتان وقد وصلت وفي قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: 12] إشارة إلى هذا المعنى وقال بعضهم: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبى فأين من يريد المولى فقلت: الجواب بلسان العبارة أن من يريد المولى داخل فيمن يريد العقبى شمول العموم للخصوص في المبنى لأن لقاء المولى لا يحصل إلا في جنة المأوى فهم ما يريدون العقبى إلا لما فيه من زيادة الحسنى والحالة الأسنى وأما الجواب ببيان الإشارة فإن يقال منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبى ومن يريدنا فهو منا لا يغيب عنا في الدنيا والأخرى لأنهم فانون عن أنفسهم باقون بنا كالعرائس مستورون تحت حجابنا وساكنون تحت قبابنا لا يعرفهم غيرنا بل لا فرق في مقام الجمع بينهم وبيننا كما قال قائلهم:

أنــا مــن أهــوى ومــن أهــوى أنــا(2)

ولم يذكر الصراع الثاني لتوهم الحلول والاتحاد المنزه عنه رب العباد ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 152] أي: كفكم عن قتالهم بتقوية بالهم وإعانة حالهم وردكم بالهزيمة بعد أخذ الغنيمة حتى غلبوكم وأهلكوكم ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾ [الآية: 152] على المصائب ويمتحن ثباتكم في جميع المراتب.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 116) رقم (5969)، وانظر: مجمع الزوائد (10/ 72) رقم (16751).

(2) هذا صدر البيت وعجزه:

فــإذا أبــصــرتــه أبــصــرتــنــا

نسب إلى الحلاج انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 245)، وغرر الخصائص (1/ 251).

وقال محمد بن علي: صرف المريدين له عما دونه كذا في «الحقائق» والمعنى أنه يصرفهم الله عما سواه من حولهم وقوتهم ورؤية شوكتهم وحالة نصرتهم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [الآية: 152] أي: ما صدر منكم لما علم من ندمكم أو تفضلاً عليكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 152] أي: منكم ومن غيركم في جميع أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [الآية: 152] الآية الإشارة منه أن الحق سبحانه أقام أولياءه بحق حقه وأقعدهم عن تحصيل حظوظهم وقام سبحانه بكفايتهم من كل وجه فمن لازم طريق الاستقامة ولم يزغ عن حده ولم يزغ في عهده فإنه سبحانه يصدق وعده له بجميل الكفاية وداومها ومن ضل عن الاستقامة ولو خطوة عثرت في مشيته واضطربت عليه بمقدار جرمه حاله وكفايته فمن زاد زيد له ومن نقص نقص له وفي قوله جلّ جلاله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] الآية قيمة كل أحد إرادته فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيسة حقيرة كالدنيا ومن كانت همته الآخرة فشريف خطره ومن كانت له همة ربانية فهو سيد وقته ويقال من صفا عن إرادته/ وصل 143/ب إليه وأقبل بلطفه عليه وأزلفه بمحل الخصوصية لديه وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 152] الإشارة منه أنه صرف قوماً عنه فشغلهم بغيره منه وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له بكل خير فالزاهدون صرفهم عن الدنيا والعابدون صرفهم عن اتباع الهوى والمريدون صرفهم عن المنى والموحدون صرفهم عن ما هو غير وسوى.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [الآية: 153] أي: تذهبون في الأرض وتبعدون ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [الآية: 153] أي: لا تلتفتون إلى أحد حين شاع أنه ﷺ قتل في حرب أُحُد ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى منكم يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرُّ فله الجنة ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ [الآية: 153] عطف على صَرَفكم أي: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم ﴿غَمًّۢا﴾ [الآية: 153] متصلاً ﴿بِغَمٍّ﴾ [الآية: 153] من غم ذنبكم وظنكم قتل نبيكم وخوفكم من عدوكم وظفر المشركين عليكم على ما هو

منقول عن كثير من السلف واختاره بعض الخلف ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: لتتمرنوا على الصبر في ابتلائكم فلا تحزنوا على نفع فائت سابق ولا على إصابة خيرات لاحق ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 153] أي: عالم بأعمالكم حتى جزيئات أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية لا قوام يقع لهم فترة ودواعي الحق سبحانه من أنفسهم ومن جميع الأقطار حتى كان الأحجار من الشوارع واللبن من الجدران يناديه لا تفعل يا عبد الله وهو مصر في ليّه مقيم على غيه جاحد لما يعلم أنه هو الأحق والأولى من حاله فإذا قضى وطره واستوفى نهمته فلا محالة يمسك من إرسال عنانه ويقف عن ركضه في ميدانه فلا يحصل إلا على أنفاس متصاعدة وحسرات متواترة فأوثره الحق سبحانه وحشة على وحشة حتى إذا طال في التحسر مقامه تداركه الحق سبحانه بجميل لطفه وأقبل عليه بحسن عطفه وأنفذه عن ضيق أسره ونقله إلى سعة عفوه وفضله وكثير من هؤلاء يصلون إلى محل الأكابر ثم يقفون بالله لله حتى عدموا المقام والإكرام فقاموا بالله لله بلا انتظار وتقريب ولا ملاحظة ترحيب.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية: 154] أي: الحال الذي يغم النفس من الهم الأهم والحزن الأتم ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [الآية: 154] أي: أمناً ذا نعاس حتى قال أبو طلحة غشينا نعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط/ من يد أحدنا فيأخذه 144/أ ثم يسقط فيأخذه ﴿يَغْشَىٰ﴾ [الآية: 154] أي: الفأس وقرأ حمزة والكسائي بالتأنيث أي: يأخذ الأمنة ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [الآية: 154] وهو جماعة المؤمنين ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ [الآية: 154] أي: من المنافقين ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: أوقعتهم في الهموم الفاسدة ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 154] أي: غير الظن الحق وهو الظن الباطل ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية: 154] أي: من الظنون الكاسدة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] بناءً على ظنهم واستبعاداً في حقيقة أمرهم وإنكاراً لوعد نصرهم ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: هل لنا مما أمر الله وحكم ووعد بالنصر والظفر نصيب قطّ فمن زائدة للمبالغة في تأكيد النفي.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التوحيد يصلون بعد فتراتهم وتجرع حسراتهم إلى القول بترك أنفسهم وغسل أيديهم منهم ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون بالله لله بلا ملاحظة طمع وطلبه بل على عقيدة اليأس عن كل شيء من غيره عليه أكدوا العهد وبذلوا به الجهد وتركوا كل نصيب وحظ، هذه صفة من أنزل عليه الأمنة فأما الطائفة التي أهمتهم أنفسهم فبقوا في وحشة نفوسهم ومن عاجل عقوبتهم سوء عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 110] والإشارة من قوله سبحانه: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] لهؤلاء أنهم يتحيرون في أمرهم فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ولا إعراض عن الجناب بالكلية يحيلون فترتهم على سوء اختيارهم ويضيفون صفوة لو كانت لقلوبهم إلى اجتهادهم فينسون في الحالين ربهم ولا يبصرون تقدير الحق جارياً عليهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الآية: 154] أي: أمر النصر وغيره من النفع والضر جميعه له سبحانه يفعل ما يشاء فينقص ويزيد ويحكم ما يريد في حق المريد وقرأ أبو عمرو كله بالرفع على الابتداء وخبره ما بعده والجملة خبر الأول وجملة القول ومقوله معترضة بين السابق واللاحق لأن قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الآية: 154] من النفاق ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] وقت الوفاق حال من ضمير يقولون أي: يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر عازمون على الصبر مبطنين التكذيب والكفر والنكر ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] أي: بعضهم لبعض أو في أنفسهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [الآية: 154] أي: كما وعد محمد ﷺ أن الأمر كله لله وأولياءه يقولون: ألا إن حزب الله/ هم الغالبون ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [الآية: 154] 144/ب أي: لما غلبنا ولما قتل في المعركة من قتل منا ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 154] أي: مقيمين ومتحصنين ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [الآية: 154] أي: لخرج الذين قدر عليهم القتل إلى مضاجعهم بسبب من الأسباب لبروزهم وظهورهم فإنه سبحانه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه ولا معقب لحكمه في ابتدائه لمصالح جمة ولو كانت الحكمة عند الخلق مجهولة ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 154] ليبين لكم ﴿مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] من الإخلاص

والنفاق والوفاق والشقاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ [الآية: 154] أي: ويخلص ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 154] من أصناف الوساوس وأنواع الخطور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية: 154] أي: بخفياتها قبل ظهور جلياتها وفيه وعد للمخلصين ووعيد للمخلطين وتنبيه نبيه على أنه غني عن ابتلاء المكلفين وإنما هو لظهور حال المنافقين وتمرير أمر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: عند قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 154] إن من عرف أن المنشيء الله في أمر الدنيا والدين انسلخ من اختياره وأحواله انسلاخ الشعر من العجين وسلم أموره إلى الله بالكلية على طريق اليقين وإمارة من تحقق بذلك أن يستريح من كد تدبيره ويسعى في سعة شهود تقديره وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] يشير إلى أنهم لم يخلصوا في عقائدهم وأضمروا خلاف ما أظهروا وأعلنوا غير ما استسروا وأحالوا بالكائنات على أسباب ما توهموا في قوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ﴾ [الآية: 154] أخبر أن التقدير لا يزاحم والأزل لا يكابر وأن الكائنات محتومة وأن الله غالب على أمره قضية معلومة وفي قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] أما أهل الحقائق فإنه تعالى ينتزع من قلوبهم كل آفة وحجبة ويستخلص أسرارهم للإقبال والزلفة قلوبهم خالصة عن الشوائب صافية عن العلائق منفردة للحق مجردة عن الخلق محررة عن النفس والحظ ظاهرة عليها آثار الإقبال والتدلي غالبة عليها حسن التولي بادية فيها أنوار التجلي ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 155] أي: انهزموا ﴿مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الآية: 155] يوم أُحُد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 155] أي أوقعهم في الزلة وطلب منهم زلل المذلة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية: 155] من المعصية المتقدمة بترك المركز للحرص على الغنيمة فمنعوا التأييد وقوة القلب وحصول النصرة فإن المعاصي تجر بعضها إلى بعض كالطاعة/ ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 155] لاعتذارهم وتوبتهم عن قرارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 155] لمن تاب عن السيئات ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 155] لا يعجل بالعقوبة ليتوب من وفق للتوبة. 145/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سقمت إرادتهم

وضعفت نياتهم وقادتهم الهوى وملكتهم الفترة فيقابل لهم أنصح الناصحين ودعوة المنى أو وساوس الشياطين وركنوا إلى الغيبة وآثروا الهوى على التقوى فبقوا عنه لم يتهنوا بما آثروا عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 156] أي: فيما فعلوا فإن التشبه بالكفار من صنيع الفجار ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 156] أي: لأجلهم وفي حقهم ومعنى إخوتهم اتفاقهم في نسبتهم وجلدتهم أو مذهبهم وملتهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 156] سافر إخوانهم فيها للتجارة وغيرها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ [الآية: 156] أي: صار إخوانهم غزاة في طريق الآخرة صورة لا حقيقة ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا﴾ [الآية: 156] أي: لو ثبتوا أو أقاموا ولم يسافروا ولم يقاتلوا ﴿مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [الآية: 156] والجملة مقول قالوا: ويتعلق به أيضاً قوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 156] على أن اللام للعاقبة كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] وكقول القائل:

لدوا للموت وابنوا للخراب[1].

وأفاد الأستاذ: أن من تعود أن يتلهف على ماضيه وسالفه أو يدبر في مستقبله وآنفه فأقل عقوبة له ضيق قلبه في تفرقة همومه وحالته وامتحاءِ الحياة الطيبة عن قلبه لغفلته وقالته ليت كذا ولو كان كذا لكان كذا وثمرة الفكرة في ليت ولعل الوحشة والحسرة وضيق القلب والتفرقة انتهى وفي الحديث إياك واللو فإن لو من الشيطان[2] ورحم الله الشاطبي حيث قال: تفضلاً وكم لو وليت تورث القلب أنصلاً ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 156] أي: على وفق قضائه وقدره بحيث لا يتصور تغير في أمره سواء كان العبد في حضره أو سفره لأنه هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر وسائر الحالات فقد يحيي الله

---

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

فكلكم يصير إلى تباب

نسب إلى أبي العتاهية. انظر: بهجة المجالس (1/ 246)، والازدهار في ما عقده الشعراء (1/ 18).

(2) جامع الأحاديث (10/ 330) رقم (9732)، والمقاصد الحسنة (1/ 546)، وكشف الخفا (2/ 155) رقم (2098).

القارىء والمسافر ويميت المقيم والقاعد المجاور ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 156] قرأ ابن كثير حمزة والكسائي بالغيبة ففيه وعيد للكافرين كما أن في الخطاب تهديد للمؤمنين عن مماثلة المنافقين.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾ [الآية: 157] في طريق رضاه وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات/ والباقون بالضم من مات يموت 145/ب وتلطف أبو عمر وفي القضية بقوله: إن مت لم أقل مت لاختياره اللغة الجلية ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 157] على السيئة ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ [الآية: 157] بتوفيق الطاعة وحسن الخاتمة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الآية: 157] من حطام الدنيا بالغفلة والعيشة على الجيفة بالمذلة والمعنى أن السفر والغزوة ليس مما يجلب الموت والمحنة ولا تقديم الأجل ولو ساعة ومع ذلك فلو وقع موت أو قتل في سبيل المولى المرتب عليه نيل المغفرة والرحمة في العقبى خير مما يجمعون من الدنيا لو فرض أن لكم البقاء فإن الفناء في طريق المولى خير من البقاء مع وجود الهوى والسكون مع السوى وقرأ حفص بالغيبة على أن الخطاب للمؤمنين إعراضاً عن الكافرين المعرضين المعترضين.

وأفاد الأستاذ: أن بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله وما يؤثره العبد على المولى فغير مبارك إن شئت الدنيا وإن شئت العقبى.

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ﴾ [الآية: 158] على أي وجه اتفق هلاككم وبانتقالكم ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية: 158] فيجازيكم على أعمالكم وأحوالكم.

قال الأستاذ: إذا كان المصير إلى الله طاب المسير إلى الله وإن سفره إليه محط رحالها لمن العسل أجلى مقاساة حالها.

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [الآية: 159] أي: ما مزيدة للمبالغة أي: فنعمة عظيمة ورحمة وسيمة كائنة منه سبحانه تلينت للمنافقين وتلطفت للمؤمنين وهي عبارة عن ربطة على قلبه وتوفيق الرفق من ربه وفيه إيماءٌ إلى أنه كان مستغرقاً في بحر الشهود مع الله فانياً عن شهود وجود ما سواه في خلوة لي مع الله وقت

لا يسعني ملك مقرب ولا نبي مرسل مشير إلى جبريل ونفسه الجليل حيث لا يتصور الغير في حضرة الخليل فبإنعام من الله إلى الخلق صرف حبيبه الحق عن مقام الجمع الحقيقي إلى حالة الفرق الصوري ترقية إلى مرتبة جمع الجمع بحيث لا يمنعه شهود الوحدة من الكثرة ولا يحجبه مطالعة الكثرة عن وجود الوحدة مع النفع التام للخاص والعام وبهذا يندفع قول من قال من الأكابر الفخام الولاية خير من النبوة لأن الأولى هي الاستفاضة من الحق والثانية حالة الإفاضة على الخلق ولا شبهة أن التوجه إلى الحق أولى من الإقبال على الخلق لأنا نقول هذا إنما يكون بالنسبة إلى من لم/ يصل إلى مقام جمع الجمع الذي ليس فيه الدفع والمنع. 146/أ

ولذا قال الشبلي: ما أقول إلا لله ولا أسمع إلا من الله وأنا أقول لا والله بل القائل والسامع هو الله حيث يقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172].

كما قال بعض الأبرار ليس في الدار غيره ديار وقال بعض الأرباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد أبو يزيد حيث قال في نفي ما سواه ليس في جبتي سوى الله.

ويؤيد هذا المعنى ما أظهر لبيد اللبيب في المعنى بقوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل[1] وأشار إليه سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] لكن هنا مزلة القدم لبعض الجهلة من الصوفية وهم الطائفة الوجودية القائلة بالعينية فهم شر من الطائفة النصرانية لأنهم يحصرون القضية بعيسى ابن مريم وهؤلاء يدعون الأعم فهم يعمّون ويعمون وفي طغيانهم يعمهون.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه جرده عن الأوصاف البشرية وأفرده بما ألبسه من نعت الربوبية وأخبر أنما يلوح إليه لمن أنوار التولي لا من آثار الوفاق والتبري ولولا أنه استخلصه بما ألبسه من الرحمة وإلا متى كان بهذه الصفة ويقال: إن خصائص رحمته سبحانه عليه وعلى أمته أن قواه حتى

(1) سبق تخريجه.

صحبهم وصبر على تبليغ الرسالة إليهم مع الذي كان يقاسيه من اختلافهم مع سلطان ما كان مستغرقاً له ولجميع أوقاته من استيلاء الحق عليه فلولا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطاق صحبتهم ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسماع كلامه كيف لم يصبر على مخاطبة أخيه فأخذ برأس أخيه يجره إليه ويقال لولا أنه ﷺ شاهدهم محواً فيما كان يجري عليهم من أحكام التصريف وتحقق أن منشأها الله لما أطاق صحبتهم.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] سيئ الخلق في معاشرة الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ [الآية: 159] قاسياً وجافياً متجافياً ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [الآية: 159] أي: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فلم يهتدوا بك ولم ينتفعوا منك ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] في تقصيراتهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: في سيئاتهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية: 159] أي: أمور مهماتهم تطييباً لنفوسهم وتسكيناً لحالاتهم وزيادة إلفة في تحصيل جمعياتهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [الآية: 159] أي: قصدت بالاستخارة ووافقت معهم في الاستشارة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 159] لا على ما سواه في إمضاء أمرك على وفق ما قضاه لحديث ما خاب من استخار وما ندم من استشار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] على الله في أمر دنياه وعقباه.

قال الواسطي: جميع أوصافك وما يخرج من أنفاسك رحمة مني عليك وعلى من اتبعك ثم أمره بإقامة العبودية/ كما اقتضاه حقوق الربوبية في حسن المعاشرة مع أوليائه وتقريب منزلتهم والمشورة معهم في محاربة أعدائه ثم قال فإذا عزمت فانقطع منهم جملة وانقطع إلى سيدك كلية وارجع إليه وتوكل عليه وعاشرهم ظاهراً وطالع ربك سراً. 146/ ب

وأفاد الأستاذ في قوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] الآية لو سقيتهم صرف شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ لتفرقوا عنك هائمين على وجوههم غير مطيقين للوقوف معك لحظة ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فيما يكون تقصيراً منهم في حقك وتوقيرك وما عثرت عليهم من تفريطهم في خدمتنا فانتصب لهم شفيعاً في حضرتنا ويقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فإن حكمك

حكمنا ولا تعفو إلا وقد عفونا ثم رده عن هذه الصفة بما أثبته في مقام العبودية ونقله إلى وصف التفرقة فقال: ثم قف في محل التذلل مبتهلاً إلينا في استغفارهم وكذلك سُنَّته سبحانه مع أنبيائه وأوليائه يردهم من جمع إلى فرق ومن فرق إلى جمع فقوله ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 159] جمع ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [الآية: 159] فرق أقول والأظهر أن يقال إن قوله ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 159] هو الفرق لتوجهه إلى الخلق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [الآية: 159] هو الجمع للإقبال على الحق بل هو مقام جمع الجمع الذي ليس فرق بالمنع كما قالوا في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: 5] فرق ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] جمع وأنا أقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2] جمع و﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] فرق ثم قال: ويقال تجنسوا في أحوالهم فمن مقصر في حقه أمر بالعفو عنه ومن مرتكب لذنب أمر بالاستغفار له ومن مطيع غير مقصر وبمشاورته ثم قال: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ﴾ [الآية: 159] على الله أي: لا تتكل على أي مخلوق ولا تعتمد على ما سواه وكل الأمور إليّ بالكلية فإنا لا نخليك على تصريف القبضة في كل قضية من عطية وبلية وحقيقة التوكل شهود التقدير واستراحة القلب عن كد التدبير﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] يذيقهم برد الكفاية ليزول عنهم كل تعب ونصب يوجب الغواية وأنه يعامل كلاً بما يستوجبه في البداية والنهاية من الرعاية والحماية فقوم يغنيهم عند توكلهم بعطائه وآخرون يكفيهم عند توكلهم بلقائه وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفوا ببقائه ويقفوا معه به له على تكوينات قدره وقضائه.

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 160] على وفق قضائه وقدره ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [الآية: 160] أحد/ مما سواه ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ [الآية: 160] بغلبة العدو عليكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [الآية: 160] أي: بعد خذلانه إياكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 160] لا على ما عداه ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 160] أي: فيما يأتون ويذرون وقيل: إنما يدرك نصر الله على عدوه من تبرأ من حوله وقوته واعتمد في جميع أسبابه على ربه كذا في «**دقائق الحقائق**». 147/ أ

وأفاد الأستاذ: أن نصرته بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح ويقال: ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسديد السرائر ويقال النصرة إنما تكون على

العدو «وأعدى أعداؤك نفسك التي بين جنبيك»[1] والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي منتها بعواصم رحمته حتى تنقضي جنود الشهوات بهجوم وفود المنازلات فتبقى الولاية لله خالصة من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهوات النفوس الدنيئة وأمانيها التي هي آثار الحجبة ومواقع القربة فإن الخذلان التخلية مع المعاصي والغفلة والعترة ومن نصره قبض على يديه في تعاطي المكروه من فعله وكسبه ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله إلى سوء اختياره من وقعه وجلبه فيفترق عليه الحالات في أودية المباعدات فمرة يشرق غير محتشم وتارة يقرب غير محترم إلا ومن سيبه الحق فلا أخذ بيده ولا مجير له في حقه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 160] في وجدان الأمان عند صدق الابتهال وتصديق الإيمان وتحقيق الإيقان ويقال: لما كان حديث النصرة قال: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [الآية: 160] جزماً ولما كان حديث الخذلان لم يقل فلا ناصر لكم بل قال بالتلويح والرمز ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾ [الآية: 160] من بعده وفي هذا لطيفة شريفة لأولي الألباب في مراعاة دقائق أحكام الخطاب في هذا الكتاب.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [الآية: 161] أي: يخون في شيء من الوحي المنزل وقرأ نافع والشامي وحمزة والكسائي بصيغة المفعول أي: وما صح له أن يوجد غالاً أو ينسب إلى الخيانة أصلاً ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ [الآية: 161] أي: يخن في غنيمة وغيرها من أنواع الخيانة وأصناف الجناية ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 161] أي: يحضر بالذي غله يحمل على عنقه وقت الندامة كما جاء في الرواية أو بما احتمل من وبال إثمه فيما يستحقه من العقوبة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 161] يعطى جزاءً وافياً بسبب ما عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 161] بنقص ثواب وزيادة عقاب/. 147/ب

ومن «دقائق الحقائق» للسلمي قال يحيى العلوي: ما كان لنبي أن يضع أسراره المكنونة إلا عند الأمناء من أمته المصونة.

(1) سبق تخريجه.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله: تنزه أحوال الأنبياء عن التدنس بالخيانات فما حملناه من الرسالة إلى عبادنا يوصلها إلى مستحقيها واجباً ولا يعتني بشأن حميم له من دون أمرنا ولا يمنع نصيب أحد أمرناه بإيصاله إليه وحقد ينطوي عليه ألا ترى كيف قال: اذهب فواره لأبي طالب لما قال له علي رضي الله تعالى عنه مات عمك الضال وكيف قبل الوحشي قاتل حمزة لما أسلم في ثاني الحال ويقال: ما كان يضع نبي من الأنبياء أسرارنا في غير أهلها بل ينزلون كل أحد عند ما يستوجبه كما في الأثر: أمرنا أن ننزل الناس منازلهم.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 162] بالطاعة ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 162] أي: كمن رجع بغضب منه بالمعصية ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 162] أي: مسكنه دار الحرقة والفرقة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 162] مصيرهم الذي أوجبه مسيرهم والمعنى أنهما لا يستويان بل بينهما في المراتب شتان فأولهما في أعلى عليين من درج الرضوان وآخرها في أسفل سافلين من درك النيران فآه آه من تفاوت خلق الله حيث لا يسأل عما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي من رضي عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله وجعله متكلاً على أعماله ناسياً لشهود أفضاله ثم اتباع الرضوان بمفارقة ما زجر عنه ومعانقة ما أمر به فمن تجود عن المزجور وتجلد في اعتناق المأمور فقد اتبع الرضوان واستوجب الجنان.

﴿هُمْ﴾ [الآية: 163] أهل خيرهم وشرهم ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 163] أي: ذوو طبقات مختلفات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 163] أي: حكمه المقدر لهم من مراتب المقامات ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 163] من الحسنات والسيئات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أصحاب درجات في حكم الله أي: السابق في الأزل المطابق للأبد فمن سعيد مقرب ومن شقي مبعد.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 164] خصوا بالذكر لزيادة انتفاعهم مما بين المكلفين أو لأنهم المقصودون بالذات في أنعام بعث المرسلين ﴿إِذْ بَعَثَ

﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 164] أي: من جنسهم البشري أو من نوعهم العربي ليتبعوه في أمره ونهيه ويقتدوا بفعله وتركه أو ليفهموا كلامه ويقتفوا مرامه وقرأ بفتح الفاء أي: من أشرفهم لأنه ﷺ/ كان من أفضل قبائل العرب وبطونهم أو لأنه 148/أ أفضل جميع المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين كما يشير إليه المقام المحمود والمرتبة العظمى من الشفاعة وحديث آدم ومن ذريته تحت لواء يوم القيامة بل فيه إيماءً إلى أنه مبعوث إلى الخلق كافة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 164] القرآنية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 164] أي: يطهرهم من الطبائع والأخلاق الدنيئة وينميهم بالعقائد والأعمال والأحوال البهية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 164] أي: يبين مبانيه ويعين معانيه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 164] أي: الوحي المختص بالسُّنَّة الدالة على المواعظة الحسنة والحكم المستحسنة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: قبل نبوته وظهور بعثته ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 164] أي: ضلالة مبينة وجهالة معينة ففي إرساله منّة عظيمة ومحنة وسيمة لأرباب الهداية وأصحاب العناية في البداية والنهاية.

وفي «دقائق الحقائق» قيل أكبر منّتهُ سبحانه على الخلق وسائط الأنبياء عليهم السلام إليهم ليصلوا بهم إليه ويطلعوا ببركتهم عليه لأنه تعالى لو أظهر بغير واسطة عليهم من صفاته ذرة لأحرقتهم جميعاً ولم تترك منهم بقية وأضلوا عن الطريق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجزل لديهم العارفة العظمى وأحسن إليهم النعمى حيث أرسل إليهم المصطفى سيد الورى وعرفهم دينهم وأوضح لهم براهينهم وكان لهم بكل وجه معينهم فلا نعمته شكروا ولا حقه وقروا ولا بما أرشدهم استبصروا ولا عن ضلالتهم أقصروا هذا وصف أعدائه الذين جحدوا واستكبروا وأما المؤمنون فتقلدوا المنّة في الاختيار وقابلوا الأمر بالسمع والطاعة عن كنه الاقتدار فسعدوا في الدنيا والعقبى واستوجبوا من الله الكرامة والزلفى انتهى ويشير إلى هذا المعنى التخصيص الواقع في المبنى حيث قال جلت عظمته وعظمت منّته لقد منّ الله على المؤمنين حيث لم يقل على المكلفين لأنه حجة على الكافرين لا نعمة على المنكرين وفيه إيماءً إلى أنه

تعالى ليس له نعمة حقيقة بالنسبة إلى غير المطيعين بل كل نعمة صورية دنيوية سبب نقمة أخروية للعاصين أو موجب منقصة عطية لدرجة الكاملين وأما 148/ب المصيبة والبلية فتعكس هذه القضية ولذا قال/ابن عطاء ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ﴾ [الآية: 165] أي: حين حصلت لكم بلية عظيمة قوية وهي قتل سبعين في أحد ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [الآية: 165] يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين والجملة صفة لمصيبة وجواب لما قوله ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [الآية: 165] من أين هذا أصابنا وقد وعد الله سبحانه النصر لنا ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [الآية: 165] باختياركم النداء قبل أن يأذن الله لكم أو بترك بعضكم المركز للميل إلى الغنيمة وعدم ملاحظة المخالفة وفقد الموافقة الموحية للنصرة الكاملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية: 165] من النصر وإيصال الضر وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم.

وأفاد الأستاذ: أن عادة الخلق نسيان ما منهم من الخطأ والعصيان والرجوع بالتهمة فيما يتصل بهم من المحن والخسران وفنون المكاره والافتتان وأن من تعاطى صنوف الإجرام فحقيق بأن لا ينسى حلول الانتقام.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [الآية: 166] أي: جميع المسلمين وجمع المشركين يوم أُحُد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 166] أي: فبقضائه وقدره لتؤمنوا به.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ [الآية: 167] ليميز المنافقين من المؤمنين المخلصين ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 167] أي: والحال أنه قيل للمنافقين ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ [الآية: 167] أي: احضروا في المعركة أو ارتفعوا عن حالة الحجبة إلى مرتبة الوصلة والقربة ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: الكفرة ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ [الآية: 167] أي: ادفعوهم عن الضعفة أو بتكثير سواد المقاتلة فإنه يقوي قلوب أرباب المجاهدة ويكسر شوكة الأعداء المقاتلة قيل: قاتلوا أنفسكم على ملازمة الأوامر والنواهي وادفعوها عن طريق الشرك الجلي والخفي والظاهري والباطني كذا في «**دقائق الحقائق**» ﴿قَالُواْ

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [الآية: 167] أي: لو نحس قتالاً لاتبعناكم في المقاتلة ووافقناكم في المدافعة وإنما قالوه للدغل والمداخلة لقوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الآية: 167] لا نخزلهم وكلامهم هذا فإنه أول إمارات ظهرت منهم معلمة بكفرهم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: بألسنتهم ففيه مجاز يذكر المحل وإرادة الحال وتأكيد لما ذكره بعض أرباب القال والمعنى يتفوهون من غير ما يتفهمون ويظهرون خلاف ما يضمرون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 167] من المؤمنين فيما يبينون فإنه سبحانه يعلم الأشياء جليها وخفيها مفصلة وغيره/ يعلم بعضها مجملة. 149/أ

وأفاد الأستاذ: أن الله تعالى هون على المؤمنين وأصحاب البصائر من أرباب اليقين ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أُحُد في شهادة المسلمين بغلبة الكافرين بأن قال أن ذلك أجمع كان بإذن الله وأن بلاء يصيب بإذن الله لمن العسل أحلى ومن كل نعيم أشهى انتهى وكما قيل ضرب الحبيب أحلى من الزبيب وكما قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [الآية: 167] الآية أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصحبة خلوص كيف تعللوا وتكاسلوا وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال: كان وكانا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فلا جرم سقوا العسل ودسّ لهم فيه الحنظل ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54] .

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية: 168] قالوا أيضاً لأجل أشباههم أو أتباعهم وأشياعهم في نفاقهم وشقاقهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ [الآية: 168] أي: والحال أنهم قعدوا بأنفسهم في المقاتلة عن وفاقهم ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ [الآية: 168] أي: قائلين لو أطاعنا إخواننا في قعودنا أو انصرافنا ﴿مَا قُتِلُوا﴾ [الآية: 168] كما لم يقتل من كان معنا وقرأ هشام بالتشديد لِلتكثير ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الآية: 168] أي:

(1) سبق التعليق عليه.

ادفعوه وأسبابه عنها في مأواكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 168] في دعواكم ومقتضى فحواكم أنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه بعدم خروجكم ولزوم منازلم بولوجكم والمعنى أن القعود ليس بالدافع والمانع فإن أسباب الموت كثيرة بحسب الوقائع فربما يكون القتال سبباً للهلاك والقعود سبباً للخلاص من المهالك وربما يكون الأمر بخلاف ذلك فلا تغيير لِشيء مما قدر هنالك وهذا جواب لكلامهم وقد سبق رد آخر لمرامهم.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين ركنوا إلى ما سولت لهم نفوسهم من إيثار الهوى المشبه بالهواء والبهاء ثم اعترضوا على من صرفهم أحكام القضاء وقالوا لو تحرزوا عن البروز للقتال لم يسقطوا عن درجة السلامة في الحال والمآل لمذمومة تلك الظنون ولذاهبة عن شهود التحقيق تلك القلوب في جميع الفنون قل لهم يا محمد استديموا لأنفسكم الحياة وادفعوا عنها هجوم الوفاة ومتى يقدرون/ على ذلك هيهات هيهات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 169] قرأ الشامي بالتشديد وهشام بالغيبة ولا يحسبن حاسب كما أن الخطاب عام لكل حاسب والمراد بالنهي للحاضر والغائب من جميع الجوانب عن حسبان أن القتلى كالموتى في كل المراتب فإن قتلهم شهادة دالة على سعادة موحية لحياة أبدية ونجاة سرمدية كما قال ابن عطاء المقتول على المشاهدة باقٍ برؤية شاهده ومولاه والميت من عاش على رؤية نفسه ومتابعة هواه فكأنه أشار إلى ما قيل:

149/ ب

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء(1)

وقد قال قائلهم:

اقتلوني يا ثقاتي ... إن في موتي حياتي(2)

لأن أولياء الله لا يموتون ولكن من دارٍ إلى دار ينتقلون كما قال تعالى:

---

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني انظر: خزانة الأدب (3/ 446)، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة (1/ 14)، وزهر الأكم (1/ 65).

(2) نسب إلى الحلاج، انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [الآية: 169] أي: بل أحياء وغيرهم أموات لكونهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية: 169] أي: في دار كرامته وقرب مكانته ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ [الآية: 169] من نعيم جنته في هياكل طيور خضر تسرح في سقيها تأكل من ثمرتها وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش للاستقرار إلى يوم القرار كما ورد في الأخبار والآثار حال كونهم.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية: 170] وهو شرف الشهادة الذي هو أسباب السعادة والفوز بالحياة الأبدية والظفر بالمشاهدة الصمدية في المرتبة العندية التي هي غاية منى المقاصد العبدية.

وأفاد الأستاذ: أن الحياة بذكر الحق بعد ما تلت النفس في مقام الصدق أتم من البقاء ببعث الخلق مع الحجبة عن الحق ويقال أن الذي وارثه الحي الذي لم يزل ليس بميت وإن قتل:

فإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل امرىء في الله لا شك أفضل[1]

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الآية: 170] أي: يسرون بقلوبهم ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ [الآية: 170] وهم إخوانهم الذين لم يقتلوا فيتصلوا بهم كائنين ﴿مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الآية: 170] زمناً أو رتبة في شأنهم ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية: 170] ي: لكون الخوف منفي عنهم والحزن لا يتصور منهم.

وأفاد الأستاذ: أن من علم أن أحباءه ينتظرونه وهم الترفه والنعمة في حالهم ومآلهم لا يتهنأ بعيش دون التأهب والإلمام بهم والنزول عليهم قلت في هذه الحال قال بلال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه[2] ما أفلح من ندم.

﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي بمثوبة عظيمة لأعمالهم ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26] بمقتضى العدل ﴿وَفَضۡلٖ﴾ [الآية: 171] أي: زيادة على ما

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 417).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (5/ 92) رقم (8352)، وابن حبان في الصحيح (16/ 164) رقم (7192)، وأحمد في المسند (3/ 105) رقم (12045)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 386) رقم (32257).

150/أ اقتضاه/ بطريق الفضل كقوله تعالى: في حق أرباب السعادة الذين هم أعم من أصحاب الشهادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] وتنكيرهما للتعظيم في الإفادة ومشيراً إلى ما قاله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وبينه السُّنَّة مجملة بقوله في الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 171] أي: وبهذا أيضاً يكونون مستبشرين وأراد عموم المؤمنين لاقتضائه الأولوية بخصوص الشهداء المخلصين وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف تسلية لسائر المسلمين.

وفي «**دقائق الحقائق**» قيل يستبشرون بما أنعم عليهم من فضله القديم حيث جعلهم أهلاً لنعمته وفضله الكريم.

وأفاد الأستاذ: أن علة استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه لولا فضله عليهم ونعمته بهم وإلا لما استبشروا وليس استبشارهم بالنعمة وإنما استبشارهم بأنهم عباده وأنه مولاهم ولولا فضله ونعمته عليهم لما كانت هذه الحالة لهم.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] أي: بالوحدانية ﴿وَالرَّسُولِ﴾ [الآية: 172] بالمتابعة ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [الآية: 172] أي أنواع من الجرح.

وأفاد الأستاذ: أن للاستجابة مزية على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العربية أقول ولا بعد أن يوجه له وجه أيضاً في اصطلاح العلوم الأدبية بأن يقال أن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى ولذا قال تعالى في مقام العموم: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186] وفي مرتبة الخصوص فاستجاب لهم ثم قال وهو أنهم استجابوا طوعاً لا كرهاً ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] من غير نظر على تحمل مشقة بل بإشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستجلاء تحمل الحكم فاستجابة الحق تعالى بالتحقق بوجوده واستجابة

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

الرسول عليه السلام بالتخلق بما شرع من حدوده واستجابة الحق بالصفاء في حق الربوبية واستجابه الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية من بعد ما أصابهم القرح في ابتداء معاملاتهم قبل ظهور أنوار التجلي على قلوبهم وابتسام الحقائق في أسرارهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] أي: بالإيمان ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 172] أي: احترسوا من العصيان ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ/ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: 60]. 150/ ب

ومن دقائق ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في أداء الشرائع ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 172] في التوحيد أن يألفوا بشرك جلي أو خفي ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو حفظ أسرارهم وأوقاتهم عليهم من كل شاغل يشغلهم عنا لحق وقيل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في إجابة المصطفى ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 172] مخالفة وعلانية ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو البلوغ إلى المحل العظيم من مجاورة الحق ومشاهدته.

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهو المشاهدة فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو المراقبة في حال المجاهدة فلأصحابهما وأربابهما ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لأهل البداية مؤجلاً ولأهل النار معجلاً هذا وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومناً بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان أصحابه [أصابهم] القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت[1].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 173] أي: بعض منهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 173] أي: أبا سفيان وأتباعه ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [الآية: 173]أي: جيوشاً واجتمعوا لقتالكم ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: مقولهم للصحابة ﴿إِيمَـٰنًا﴾ [الآية:

(1) المعجم الكبير (11/ 247) رقم (11632)، السنن الكبرى (6/ 317) رقم (11083)، تفسير البغوي (2/ 136)، وتفسير الرازي (4/ 474).

173] أي: إيقاناً فأخلصوا النية وأظهروا الحمية الإسلامية ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 173] أي: كافينا ليس سواه ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [الآية: 173] أي: الله الموكول إليه أمرنا في ما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتلبس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا انفتح في أسرارهم طوالع من الكشوفات فازدادوا يقيناً على يقين ومن إمارات اليقين استقلال القلوب بالله عند انقطاع المنى من الخلق في توهم الإمداد والإعانة هذا وروي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أُحُد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام: إن شاء الله فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه فرجع هو وأشياعه بنعمة من الله(1).

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ [الآية: 174] أي: فانصرف النبي ﷺ وأتباعه ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 174] أي: مصحوبين بعافية وسلامة وزيادة معرفة/ ﴿وَفَضْلٍ﴾ [الآية: 174] 151/أ أي: ربح تجارة صورية في ضمن تجارة معنوية ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [الآية: 174] إساءة جراحة وشدة مشقة ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 174] أي: لا بطراً ولا أشراً ورياء وسمعة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 174] على العالمين عموماً وعلى المؤمنين خصوصاً.

قال الأستاذ: وكذا سُنَّة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقيله في ظل كفايته فلا البلاء يمسه ولا العناء يصيبه ولا النصب يظله.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [الآية: 175] أي: قائل أن الناس قد جمعوا لكم يصد أولياء الله عن أعدائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [الآية: 175] أي: الناس بأسرهم ﴿وَخَافُونِ﴾ [الآية: 175] أي: وخافوني كما قرأ به أبو عمرو والمعنى واخشوني وحدي واتقوا مخالفة أمري وجاهدوا مع رسولي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 175] بوعدي ووعيدي.

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 116).

وقال سهل: أي مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غيري.

وقال جنيد: يتوقع العذاب مع كل نفس في كل باب.

وقال الواسطي: الخوف من شرط الإيمان والخشية من شرط العلم كذا في «**حقائق السلمي**» وكأنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] وإلى ما ورد أنا أعلمكم بالله وأخشاكم[1] لله.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في تسليط دواعي الشيطان على قلوب الأولياء صدق فرارهم إلى الله كالصبي الذي فيه غرامة يخوف بشيء يفزع به الصبيان فإذا خاف لم يهتد إلى غير حجر أمه فإذا التجأ إليها آوته إلى نفسها وضمته إلى نحرها وألصقت خده بخدها كذلك العبد إذا صدق في ابتهاله إلى الله ومرجوعه إليه في مخاوفه آواه إلى كنف قربه وتداركه بحسن لطفه ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 176] يقعون سريعاً فيه حرصاً عليه وغفلة عما ينافيه وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي وحزنه وأحزنه لغتان والمعنى لا يوقعوك في الحزن مخافة أن يضروك ويعينون عليك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 176] أي: أولياءه ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 176] أي: بشيء أو شيئاً من الضر بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون به أنفسهم بالخسارة في التجارة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 176] ومعه حجاب جسيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زاد في قوة قلبه بما جدد له من تأكيد عهده بأنه لا يشمت به عدواً ولا يوصل إليهم من قبله سوءاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 177] أي: استبدلوه به واختاروه عليه/ ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 177] بمخالفتهم كما أنهم لن ينفعوه سبحانه بموافقتهم فإنه سبحانه غني عن الخلق وطاعتهم وعبادتهم وإنما يرجع نفع أعمالهم وضرر أحوالهم إليهم بالإقبال والوبال عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 177] أي: مؤلم بوصف الدوام فيفيد الكمية كما أن ما قبله يفيد بيان الكيفية فلا

151/ ب

(1) المسند الجامع (8/ 166) رقم (2427)، ومسند عبد بن حميد (1/ 435) رقم (1502).

تكرار في الآية الأولى يختصون بالمشركين والمنافقين من هذه الأمة وفي الآية الثانية للحكم على كفار سائر أهل الملّة وعظم عذاب الأولين على وفق عظم ثواب أضدادهم من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنهم إن أصروا فما أضروا إلا بأنفسهم وإن أضروا فما أصروا إلا على خسرانهم:

فما نحن عذبنا ببعد ديارهم ولا نحن ساقتنا إليهم نوازع[1]

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة فيه وفيما بعده بالخطاب والباقون بالغيبة فيهما أي: لا يحسبن حاسب ولا مخاطب ولا غائب من الكفار والفجار أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم وإمهالنا بإطلة عمرهم نفع لوجودهم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [الآية: 178] وزيادة الإثم موجبة لزيادة وبالهم وسوء حالهم ومآلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 178] أي: ذو إهانة في العقبى وحجاب متين في الدنيا وهذا في حق الكفار بخلاف حال الأبرار فإنهم كما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله[2] فلهم جنة معجلة في الدنيا وجنة مؤجلة في الأخرى كما أشار إليه قوله سبحانه في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من تمام المكر بهم والمبالغة في عقوبتهم أن تعذيبهم وهم لا يشعرون ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] نملي لهم فيظنون ذلك إنعاماً ولا يحسبونه انتقاماً فإذا برز لهم كوامن التقدير عن مجاراتها علموا أنهم لفي خسران مبين ولقد اتضح لكل ذي بصيرة أنما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام والإحسان.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 179] أي: من الاختلاط والمعنى لا يتركهم مختلطين معكم لا يعرف حال مخلصكم ومواقفكم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 424).
(2) مسند أبي الجعد (1/ 492) رقم (3431).

من مرائيكم ومنافقكم ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة والكسائي بالتشديد من التمييز والباقون من الميز وهما لغتان والمعنى حتى يبين المنافق من الموافق والمرائي الخالط من المخلص الضابط بالوحي إلى نبيكم وإخباره بأحوالكم أو بالتكاليف/ الشاقة من بذل أموالكم وأرواحكم. 152/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جمعهم من حيث الأشخاص والمباني ولكنه فرقهم في الحقائق والمعاني فمن طيب سجيته ومن خبيث طينته وإنهم وإن كانوا في رأي عين العوام مختلطون ففي بصيرة الخواص هم ممتازون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 179] لتطلعوا على ما في القلب من اليقين والريب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 179] أي ولكن يختار من يشاء لرسالته فيخبره ببعض مغيباته.

زاد الأستاذ فإن أسرار الغيب لا يظهر للمتلوثين بأدناس البشرية وأرجاس النفسية وأن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جل وقل من الأخبار فيخص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض الأسرار قلت وكذا لأوليائه ببركة متابعة أنبيائه ولعل وجه الاقتصار على الرسول إيماءً إلى الأصالة ومشيراً إلى ما يحصل لغيرهم إنما هو بطريق التبعية والنيابة لقول النبي الأجل ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزَّ وجلّ[1] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 179] أي: بصفة الإخلاص الموجبة للخلاص ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 179] على وفق الوفاق وتركوا عمل أهل النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 179] ونعيم مقيم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 180] أي: بخلهم ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [الآية: 180] لاستجلاب العقاب عليهم واستيجاب الحجاب لديهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 180] فيندمون على بخل مالهم وسوء مآلهم حيث لا ينفعهم الندامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 180] فيرث منهم ما يبخلونه ويمسكونه عن سبيله ولا

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127).

ينفقونه وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والندامة يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 180] من المنع والعطاء والبخل والكرم ﴿خَبِيرٌ﴾ [الآية: 180] أي: عالم بصير فيجازيهم على وفق أعمالهم وتفاوت أحوالهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من آثر شيئاً على الله ولم يبارك له فيه فلا يدوم له في الدنيا بذلك استماع ولا للعقوبة عليه في الآخرة عنه دفاع والبخل على لسان العلم منع الواجب وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شيء ولو ذرة من المال أو نفس من الأحوال.

ومن «دقائق الحقائق» قال ابن عطاء السلوك في طريق الحق على السخاء واجتناب البخل وهو بذل النفس والمال والسر والروح والكل فمن نظر في طريق الحق إلى غير لوامع أسرار الرب وسواطع أنوار القرب فهو نحيل روي عن سيد الأنبياء الأصفياء ما جبل ولي لله إلا على السخاء(1).

152/ب ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ/ قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 181] أي: من اليهود لكونهم أغنياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [الآية: 181] حين نزل من ذا الذي يقرض اللّه في الترغيب والتحريض بالتصدق على الفقراء وهذا من جهلهم بالله سبحانه وصفاته وأحكامه وحكمه في مخلوقاته من فقير وغني وصالح وكافر ونعمة ومعصية وطاعة ومنحة صورية ومحنة معنوية ونحو ذلك حيث يحتقرون الفقراء من الأولياء والأصفياء ويفتخرون بِكثرة الأموال وسعة الجاه وإن كانتا موجبتين للبعد عن الله والاشتغال بما سواه مع ما فيهما من الحساب والعقاب والحجاب والطرد عن الباب.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الخطاب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى أي: بالكتاب والعقاب والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سُنَّة الأحباب ويقال علم الله سبحانه أن في المؤمنين من يغتاب الناس وذلك قبيح من

---

(1) جامع الأحاديث (19/ 1) رقم (2007)، تخريج أحاديث الإحياء (7/ 346) رقم (3271)، الموضوعات لابن الجوزي (2/ 179).

مقالتهم فأظهر قبحاً فوق ذلك من حالتهم ليتصاغر قبح قول الأبرار بالإضافة إلى قول الكفار وفيه أيضاً إشارة إلى دعاء الخلق إلى حسن الخلق بالتجاوز عن الخصم فإن الله سبحانه لم يسلبهم ما أولاهم مع قبيح ما ارتكبوه من التقصير في حق مولاهم ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [الآية: 181] وهي تلك القولة وغيرها من هذه المقولة ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 181] أي: بلا جريمة ولا حاجة ومنفعة بل لمجرد كونهم ذوي شوكة وقوة والسين لتأكيد القضية والكتابة بمعنى إثبات القصة أو للتقرير في صحائف الكتبة ﴿وَنَقُولُ﴾ [الآية: 181] أي: على لسان الحزنة ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية: 181] أي: المحرق للأعضاء الظاهرة الموصل إلى الأجزاء الباطنة وقرأ حمزة سيكتب بالتحتية المفهومة والفوقية المفتوحة وقتلهم بالرفع عن النيابة ويقول بياء الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الكلمة من موجبات الخجلة لأهل التقصير بأدق إشارة يعني أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإنا ننشر لهم ما كتبنا عليهم من قبيح أفعالهم كما قيل:

صحائف عندي للعتاب طويتها ستنشر يوماً والعتاب يطول
سأصبر حتى يجمع الله بيننا فإن نلتق يوماً فسوف أقول[1]

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 182] أي: العذاب المقترن بالحجاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 182] من قتل الأنبياء أو بما عملت أنفسكم من احتقار الفقراء واستعظام الأغنياء وسائر الأسواء ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ/ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية: 182] أي: بذي 153/أ ظلم لعباده مع أنه مالك لملكه وملك في ملكه ولا معقب لحكمه بل ولا يتصور وقوع ظلم في حقه لأن أفعاله كلها إما عدل وإما فضل ليس بينهما فصل.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ [الآية: 183] أي: هم الذين قالوا أيضاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ [الآية: 183] أي: أمرنا في التوراة وأكد علينا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية: 183] أي: ممن يأتي بعد موسى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 183] أي: بأن لا نؤمن لرسول حين يأتينا بهذه المعجزة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل

(1) نسب إلى ابن الأحنف. انظر: أدب الكتاب (1/ 25)، ودواوين الشعر العربي (33/ 308).

عليه السلام خاصة وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي عنده فيدعو فتنزل ناراً سماوية فتأكله وهذا من مفترياتهم ليعللوا به عن إيمانهم ومتابعتهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات مستوفي هذه القضية ومع هذا رده سبحانه عليهم بالحجة الإلزامية حيث قال ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 183] بالمعجزات الواضحات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ [الآية: 183] من خصوص الآيات الموحية لمتابعة من أتى بها من الرسل كزكريا ويحيى عليهما السلام بالوجه المبين ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 183] أي: في هذه الدعوى فإن قتلكم إياهم مناقض للمدعى.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولون على الله سبحانه فيما تعللوا به [من ترك] الإيمان بنبي آخر الزمان فقالوا لقد أمرنا أن لا نصدق أحداً إلا إذا أتانا بقربان يتقرب به فتنزل نار من السماء فتأخذ القربان عياناً ببصر قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم من الأنبياء عليهم السلام أتوكم بما اقترحتم عليّ من القربان ثم لم تؤمنوا فلو أجبتكم إليه لم تؤمنوا بي أيضاً فإن من قصته السوابق فلو خاطبته الشمس بلسان فصيح أو سجد له الجبال فرآها بلحظ صحيح لم يلج العرفان في قلبه وما ازداد إلا شكاً على شكه انتهى ولعل الحكمة في عدم هذه المعجزة مع أن مثل هذه الكرامة قد تجري على بعض أولياء الأمة لأن سُنَّة الله سبحانه أن الإتيان بالمعجزة المقترحة موجب لاستئصال أهلها بالعقوبة وقد علم الله في بعضهم ولو في أصلاب جماعة منهم حصول الإيمان والمعرفة فأنزل الله تعالى لنبيه على وجه التسلية.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 184] المعجزات الواضحات التي من جملتها الآيات المقترحات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ [الآية: 184] أي: وبالزبر كما هو قراءة الشامي ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 184] قوله أي: وبالكتاب كما قرأ به هشام ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾ [الآية: 184] المبين للخلق طريق الحق بالوجه الصدق والزبر جمع زبور/ وهو الكتاب الذي بيانه على الحكم والمواعظ 153/ب مقصور دون الأحكام المبينة للنهي والمأمور بخلاف الكتاب فإنه في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام والمراد بالكتاب جنسه الشامل لأرباب الخطاب.

وأفاد الأستاذ: إن عادة الفجار تكذيب الأبرار وعلى هذا النحو درج سلفهم وبهديهم يقتدي خلفهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الآية: 185] أي: مرارة كأس سكراته وحرارة بأس غمراته وهذا وعد للمصدق ووعيد للمكذب ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: تعطون جزاء أعمالكم وافياً كان أو شراً بحسب أحوالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [الآية: 185] أي: يوم قيامكم من القبور ووقوفكم بين يدي عالم ما في الصدور ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 185] أي: أبعد عنها أو أخرج منها ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 185] أي: التي هي محل الوصلة والقربة ﴿فَقَدْ فَازَۗ﴾ [الآية: 185] أي: نجا وظفر بكل نعمة وبغية ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الآية: 185] أي: تمتعاتها ولذاتها ﴿إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الآية: 185] أي: ما ينتفع به المغرور وما أحسن ما قال أرباب الحال.

أضغاث نوم أو كظل زائل إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع[1]

وعن حيدر الكرار أنت نعم الدار لمن لم يرض بك داراً وكأنه رضي الله عنه وكرّم وجهه تبع في هذا المقال ما قال ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح[2] ونعم ما قال بعض العارفين الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وتوضيحه ما قاله سبحانه ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: 11] أي: نفساً فكل نفس يتخيل أن يكون آخر الأنفاس فيجب على السالك أن يراعيه ولا يضيعه بالاستئناس مع الناس فإنه موجب لحصول الإفلاس.

وأفاد الأستاذ: أن كأس الموت توضع على كف كل حي مخلوق فمن تحساها طيبة النفس أورثته سكر الوجد ومن تجرعها على وجه التعبيس وقع في هذه الرد ووسم بكي البعد يوم القيامة فمن أجير من النار وصل إلى

(1) نسب إلى أبي حصينة. انظر: معجم الأدباء (1/ 420)، ونسب إلى سليمان بن يزيد العدوي. انظر: حماسة الظرفاء (1/ 9).

(2) أخرجه ابن حبان في الصحيح (8/ 6) رقم (3210)، وأحمد في المسند (4/ 197) رقم (17798)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 91).

الراحة الكبرى ومن صلى بالسعير وقع في المحنة العظمى.

﴿لَتُبۡلَوُنَّ﴾ [الآية: 186] أي: والله لتختبرن ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بتكليف إنفاقها في جهات الخيرات وبما يصيبها من الآفاق ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بالجهاد والقتل والجراحات وبالقيام في الصلاة والصيام وسائر العبادات ربما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب وتغيير الحالات ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] / من المخالفين ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [الآية: 186] أي: من الطعن في الدين وإهانة المسلمين وقد أخبرهم الله سبحانه أولاً بهذا الابتلاء ليوطنوا أنفسهم على الصبر والتحمل في البلاء ولا يرهقهم نزولها بغتة فلا يكونن مستعدين للّقاء ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ [الآية: 186] على أنواع البلاء ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 186] بتحمل أصناف الوفاء ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 186] ما ذكر من الصبر والتقوى من طريق مرضاة المولى ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الآية: 186] أي: من معزوماتها ولزوماتها التي يجب العزم عليها لتحصيل الأجور.

154/أ

ومن «**دقائق الحقائق**» ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بحبها ومنع حقوقها وفي ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 186] برؤية أعمالها والاعتماد عليها.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 187] أي: علمائهم القائلين للخطاب على لسان أنبيائهم أو بما بين الكتاب من أنبائهم ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [الآية: 187] بالتاء الفوقية حكاية للمخاطبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشيبة بياء الغيبة واللام جواب القسم الدال عليه الأخذ المرسم والضمير للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ [الآية: 187] أي: الميثاق والكتاب ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [الآية: 187] بعدم الالتفات إليه وترك الاعتماد عليه ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ﴾ [الآية: 187] أي: أخذوا بدله أو اختاروا على حصوله ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [الآية: 187] من حطام الدنيا الدنية وأعراضها الفانية ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [الآية: 187] ما اختاروه لأنفسهم من الخسارة في الدنيا والآخرة بترك العمل في العلم إلى الإيمان والإحسان ومنعه عن أهله بالبخل والكتمان وفي الحديث من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة بلجام من

نار[1] وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا[2] وقيل أخذ الله المواثيق على عامة أوليائه أن لا يخففوا إكرامات الله عندهم لمن لا يفتتن بذلك ولا يتخذوه دعوى وأن يعلموا من قصدهم من المريدين الطريق إلى الحق كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عنهم أنهم أبرموا عهودهم ألا يزالوا عن وفائه ولكنهم نقضوا أسباب الذمام بما صاروا إليه من الكفران ثم تبين أنما اعتاضوا من ذهاب الدين بأعراض يسيرة وأعراض حقيرة لم يبارك لهم فيه.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [الآية: 188] أي: فعلوا وقرئ بما أوتوا وبما آتوا أي: أعطوا من أنفسهم وبذلوا من أموالهم ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 188] مع أن من المذموم مجمة الحمد على ما فعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ [الآية: 188] بمنجاة ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 188] ومخلص من الحجاب وقرأ/ الكوفيون بالخطاب في الأول وفي الثاني ابن كثير وأبو عمرو وكل على 154/ب أصله في فتح السين أو كسرها وباقي الخلافات في الآية من وجوهها والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون أنفسهم أو لا تحسب حاسب مخاطب أو غائب الفارحين بما فعلوا من نحو كتمان الحق ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 188] من نحو إظهار الصدق فائزين بالنجاة مع المؤمنين فإنهم معذبون مع المشركين لقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 188] وحجاب عظيم بوجود كتمانهم وعدهم إيمانهم.

وأفاد الأستاذ: أن من باشر رؤية الخلق قلبه ولاحظهم سره ولبه فلا تظن أن عقوبتهم مؤخرة إلى يوم القيامة بل ليسوا من العذاب ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ وأي عذاب أشد من الرد إلى الخلق والحجاب عن الحق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 189] أي: يملكهما وما فيهما ومنه اقتداره على حجابهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 189] فيقدر على عقابهم.

---

(1) كنز العمال (10/ 191) رقم (29002)، وكشف الخفا (2/ 255) رقم (2505)، والعلل المتناهية (1/ 97) رقم (117).
(2) فيض القدير (3/ 187) رقم (2965).

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه عن من في الكون وأنهم محتاجون إليه إيجاداً أو إمداداً بالعون وأنهم لا يجدون عنه خلفاً ولا عليه بدلاً ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 190] أي: أنفسهما أو نفوس من فيهما ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 190] أي: ينقص أولهما وزيادة آخرهما وعكسهما أو اختلافهما نوراً وظلمة وحرارة وبرودة ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 190] لدلالات واضحة لأصحاب العقول السليمة المجلوة الخالصة عن شوائب الوهم والغفلة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وفي الحديث ويل لمن قرأها ولم يتفكر[1].

أفاد الأستاذ: أن الآيات التي تعرف الحق سبحانه بها إلى العوام هي الآيات التي في الأقطار من العبر والآثار وأما الآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتي في أنفسهم قال سبحانه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] فالآيات الظاهرة توجب علم اليقين والآيات الباطنة توجب عين اليقين والإشارة من اختلاف الليل والنهار إلى اختلاف ليالي العباد فليالي أهل الوصال قصيرة وليالي أهل الفراق طويلة فهذا يقول:

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار[2]

ويقول:

صباحك سكر والمساء خمار نعمت وأيام السرور قصار[3]

والثاني يقول:

ليالٍ بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل[4]

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 386) رقم (620).
(2) نسب إلى أبي عمرو البجلي. انظر: الرسائل (1/ 163)، وأيضاً نسب إلى جعدة بن معاوية العقيلي. انظر: (1/ 151).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 342).
(4) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 46)، ومحاضرات الأدباء (1/ 366).

وثالث ليس له خبر/عن طول الليل ولا عن قصره فهو لما غلب عليه كما 155/أ قال:

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلّى[1]

قلت ولا يبعد أن يكون اختلاف الليل والنهار مشيراً إلى أثر صفة الجلال والجمال وما يترتب من الفناء والبقاء والغيبة والحضور والمراقبة والمشاهدة والبسط والقبض لأرباب كما أشار إليه القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني بقوله في «فتوح الغيب» ما أعظم تسخطك على ربك وتهتمك له عزَّ وجلَّ وإعراضك عليه واستبطاؤك له في الرزق والغنى وكشف الكرب والبلوى أما تعلم أن لكل أجلٍ كتاباً ولكل بلية وكربة غاية ونفاذ ألا يتأخر ذلك ولا يتقدم أبداً أوقات البلايا لا تتقلب فتصير عوافياً ووقت البؤس لا تتقلب نعمة وحالة الفقراء لا تستحيل غنى فأحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عزَّ وجلَّ لأنه سبحانه خلق الأشياء وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وعاقبتها وانقضاءها وانتظار الفرج إن عجزت عن موافقته بالرضا والغنا في فعله إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتسفر الحالة عن ضدها ببروز الزمان وانقضاء الآجال كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف وينقضي الليل فيسفر عن النهار فإذا طلبت ضوء النهار ونوره بين العشائين لم تعطه بل تزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر جاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته أوسكت عنه وكرهته فإن طلبت إعادة الليل حينئذٍ لم تجب دعوتك ولم تعط لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته انتهى ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله الصوفي ابن الوقت أو أبو الوقت بالفرق الرقيق بينهما في تحقيق أرباب الطريق.

قال الأستاذ: وأولو الألباب هم الذين صحت خمر عقولهم عن سكر

---

(1) نسب إلى ابن سهل اللغوي العسكري. انظر: معجم الأدباء (1/ 362)، وإلى أبي نوّاس. انظر: الكشكول (1/ 207)، وإلى خالد الكاتب. انظر: ديوان المعاني (1/ 145)، ومحاضرات الأدباء (1/ 366).

الغفلة عن الحضرة ولو لحظة وأمارة من كان كذلك أن يكون نظره بالحق فإذا نظر من الحق إلى الخلق استقام نظره وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته وآثاره وانقلبت أفكاره انتهى لا يخفى أن هذا هو المقام الأعلى وإلا فالسالك المجذوب مقبول وإن كان المجذوب السالك في حال الاعتبار هو الأولى/ وبالنظر إلى الأمرين اختلاف القولين حيث قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا وأريت الله قبله وقال آخرون بعده وإنما رجح المقام الأول لأنه ينبىء عن العيان والمشاهدة والثاني يخبر عن الاستدلال والمجاهدة والحاصل أن أولي الألباب ما بينه الله في الكتاب بقوله. 155/ب

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 191] في جميع أحوال الخطاب ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 191] أي؛ قائمين وجالسين ومضطجعين.

قال الأستاذ: استغرق الذكر جميع أوقاتهم فإن قاموا فبذكره قاموا كما إن فقدوا وقاموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن خلاف أمره ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها بعين الكمال وعن الدعوى فيها في مقام الدلال ويذكرون قياماً على بساط الخدمة ثم قعوداً على بساط القربة ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التقصير لم يسلم له قعوده في نهايته بوصف الحضور وذكر طريق الحق سبحانه ما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر وإن لم يكن فيه سوى قوله أنا جليس من ذكرني[1] لكان ذلك كافياً والذاكرون على أقسام وذلك لبيان أحوالهم فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره من تقصير سلف له أو قبيح حصل منه فيمنعه خجله ذلك عن ذكره فذلك ذكر قبض وذكر يوجب بسط الذاكر لما يحب من لذات الذكر ثم من تقريب الحق إياه بجميل إقباله عليه وذاكر هو محو في شهود مذكوره فالذكر يجري على لسانه عادة وقلبه مصطلم في ما بدا له وذاكر هو في محل الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه فكأنه لتصاغره عنده لا يزيد أن يكون له في الدنيا والآخرة ثناء وبقاء

(1) سبق تخريجه.

ولا كون ولا بهاء قال قائلهم:

ما إن ذكرتك إلا همّ يلعنني قلبي وروحي وسرى عند ذكراكا
حتى كأنّ رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياكا[1]

قلت: وقد يحصل هذا الحال في مقام الجمع الأول المعبر عنه بصرف التوحيد لإشعار التذكار بالأثنينيّة من الذاكر والمذكور ومقصود أهل الجمع هو الفناء في عين المذكور بحيث لا يكون لهم عن فنائهم أيضاً شعور لاستغراقهم في بحر/المشاهدة والحضور ولعل رابعة العدوية قالت في هذه الحالة 156/أ استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال آخر: أذنبت في مقام الاعتراف والإقرار لأجل الاستغفار وهذا الاعتذار أعظم ذنباً من الإصدار لاشتماله على دعوى الوجود والفعل والاقتدار ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الجبار ثم قال والذاكر عنوان الولاية وبيان الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء في جميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشئة عن الذكر قلت ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14] مشيراً إلى أن المقصود من أمر العبادات وجميع الطاعات هو الذكر بجميع الهيئات في كل الحالات إلا أن ذكر الله للعبد أتم من ذكر العبد إياه لأن ذكره قديم كسائر صفاته وذكر العبد حادث في حالاته ولأن ذكره للعبد هو الباعث لذكر العبد له كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [المدثر: 56] ويومىء إليه قوله سبحانه إنه: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45] أي: من ذكركم إياه ثم أفضل ذكر العبد إياه أن ينسى حال ذكره ما سواه كما يشعر إليه قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: 24] ويدل عليه قوله ﷺ أفضل الذكر لا إله إلا الله[2] ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 191] استدلالاً واعتباراً وتذكاراً لصفاته المتوقفة عليها الخلقة من الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة ولعل

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 436).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 676) رقم (1834)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 462) رقم (3383)، وابن حبان في الصحيح (3/ 126) رقم (846).

في الآية إشعاراً بما ورد تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات[1] الله لأن الخلق كلهم لا يحيطون به علماً.

وأفاد الأستاذ: أن التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بكل مطالب لكن بشرط العلم المقرون بالحلم فإذا سلم الفكر عن شوائب التعلق والتعليق ورد صاحبه على مناهل التحقيق وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر والفكر إلى حد والذكر سرمد ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فيزدادون بالفكرة زهداً فيها وفكر العابدين في جميل المآب وجزيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة إليه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [الآية: 191] أي: يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو إلى الخلق على أنه/ أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه في الأبدان ودليلاً يدله على الإيمان بوحدانيتك ويحثه على القيام بطاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وقد قال فارس الحكمة في إظهار الكون إظهار حقائق حكمته بالعقل الحكمي ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 191] أي: أنزهك تنزيهاً لك من العبث في فعلك من إظهار خلقك ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 191] أي: ما يوجب العذاب وما يجر إلى الحجاب.

156/ ب

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ [الآية: 192] أي: مخلداً ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [الآية: 192] لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: 8] مع أن المؤمن العاصي أيضاً سواء دخلها أم لا لا يخلو عن نوع خزي وفضيحة ومحنة ومشتقة لما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي أن العاروالخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار[2] وفي الآية إيماءٌ إلى أن

---

(1) تفسير ابن كثير (7/ 466)، والدر المنثور (2/ 411)، والمطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

(2) تفسير ابن كثير (2/ 187)، الدر المنثور (2/ 411)، المطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

العذاب الروحاني أبلغ من العقاب الجسماني حيث جعل حصول الأول مرتباً على وصول الثاني ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الآية: 192] أي: ينصرونهم بالمنع عن دخولهم أو بالإقدام على إخراجهم من النار وأما الشفاعة لعصاة المؤمنين فلا يقال لها نصرة لأن النصرة دفع بالغلبة والشفاعة بطريق المسألة

وقال الأستاذ: من ابتليته في الأجل بالحرقة فقد أخزيته ومن ابتليته بالفرقة في العاجل فقد أشقيته ومن أوليته بيمن الوصلة فقد آويته وأدنيته.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 193] وهو الرسول أو القرآن ﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ [الآية: 193] أي: بأن آمنوا أو أي آمنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [الآية: 193] فامتثلنا.

وقال الأستاذ: يعني أجبنا الداعي ولكن أنت الهادي فلا تكلنا إلينا ولا ترفع ظل عنايتك عنا ولا تسلط غيرك علينا والأمان الدخول في موجبات الإيمان وإنما يؤمن بالحق من أمنه الحق فإيمان الحق للعبد الذي هو إجارته يوجب إيمان العبد بالحق الذي هو تصديقه ومعرفته ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [الآية: 193] جمع بر أو بار والمعنى أختم لنا بالخير وأمتنا مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم محشورين في جملتهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم المختصون/ بحقائق التوحيد القائمون لله بشرائط التفريد الواقفون مع الله بخصائص التجريد. 157/أ

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [الآية: 194] أي: تصديقهم من الثواب أو على ألسنتهم من حسن المآب ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ [الآية: 194] أي: لا تفضحنا بسوء أعمالنا وقبح أحوالنا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 194] أي: حيث لا تنفع الندامة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية: 194] أي: وعد العباد بإثابة المؤمن العاصي وإجابة الداعي وتكرير ربنا للمبالغة بالتضرع في مقام الثناء وللإيماء إلى الاستقلال كل من إفراد الدعاء وفي الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف[1].

---

(1) وهو قول جعفر الصادق. انظر: تفسير القرطبي (4/ 318)، وتفسير الرازي (5/ 26).

وقال الأستاذ: حقق لنا ما وعدتنا على ألسنة الوسائط من إكمال النعمى وتكفير السوأى وغفران كل ما سبق منا من متابعات الهوى وفي دقائق الحقائق قيل لا تخزنا بأعمالنا وعد بفضلك ورحمتك علينا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية: 194] بقولك سبقت رحمتي غضبي.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية: 195] أي: طلبتهم وحصول بغيتهم واستجاب أخص من أجاب ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [الآية: 195] أي: بأني وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 195] بيان عامل ليكون الحكم بوصف شامل ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [الآية: 195] جملة حالية معترضة واستئنافية مبينة لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لفرط الاتصال والاتفاق في الدين المعتبر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لقن لهم الدعاء والثناء وهو الذي ضمن لهم الإجابة ووعدهم جميل الثواب على الدعاء زائداً على ما يدعون لأجله الحوائج من جلب النعماء أو دفع البلاء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [الآية: 195] الشرك أو الأوطان أو الشعائر للدين باختيارهم ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 195] بالإلجاء إلى خروجهم لاضطرارهم ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ [الآية: 195] بسبب إيمانهم وإظهار إقرارهم ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ [الآية: 195] الكفار أولاً ﴿وَقُتِلُواْ﴾ [الآية: 195] في الجهاد آخراً وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيباً أو لأن المراد لما قتل منهم قاتل الباقون ولم يضعفوا حيناً وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي: لأمحونها وأغفرنها ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 195] أي: من تحت أشجار أثمارها أو من تحت تصرف أهلها ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 195] أي: أثيبهم بذلك إثابة تفضلاً منه لا واجباً عليه ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [الآية: 195] أي: الجزاء الحسن ومستحسن المآب. 157/ب

وقال الأستاذ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [الآية: 195] يعني الديار والمزار وجميع المخالفين والموافقين من الأغيار ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي أخرجوا إلى مفارقة معاهدهم من مألوفاتهم ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ [الآية: 195] بالفقر والملام

وفتنوا بفنون المحن والآلام ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [الآية: 195] ذاقوا من اختلاف الأطوار الحر والمز والحلو والقر والنفع والضر ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الآية: 195] الآية يعني لنعطينهم فوق آمالهم وأكثر ما استوجبوه بأعمالهم وأحوالهم.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [الآية: 196] الخطاب عام لجميع العباد والنهي للمخاطب للمبالغة وجعل التقلب تنزيلاً للسبب منزلة المسبب والمعنى لا ينظر إلى ما للكفرة عليه من السعة وكذا لإخوانهم من الفجرة والظلمة وهذا لأن ذلك التقلب ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [الآية: 197] يسير زمانه لقصر مدة الدنيا بالنسبة إلى العقبى أو حقير شأنه في جنب أعداء الله لأهل التقوى في الأخرى كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77] وكما ورد في الحديث ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع[1] ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ﴾ [الآية: 197] أي: مثواهم ومنقلبهم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الآية: 197] أي: ما مهدوه لأنفسهم واختاروهم لعاقبة أمرهم قال بعضهم لا يفتننك الدنيا لوقوع الجهال عليها والاغترار بما فيها والتكثر بنعيمها فإنها زادهم إلى النار ومعادهم في دار البوار.

وقال الأستاذ: لا يتداخلنك تهمة أن لهم عندنا قدراً وقيمة إنما هي أيام قلائل وأنفاس معدودة ثم بعدها حسرات مترادفة وأحزان متضاعفة.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ [الآية: 198] أي: الشرك الجلي والخفي وسائر أنواع المعاصي ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية: 198] مشتملة على القصور وأشجار الأثمار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 198] مقدرين الخلود فيها مؤيدين آمنين بها ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 198] حال كونهم نازلين بها من عنده ومن فضله وجوده ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 198] لكثرته ودوامه وخيرته ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [الآية: 198] مما يتقلب فيه الفجار لقلة بقائه وسرعة فنائه وكثرة عنائه وخسة شركائه.

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 561) رقم (2323)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4108)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 303) رقم (722)، وابن حبان في الصحيح (10/ 173) رقم (14330).

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال جئت فإذا رسول الله ﷺ في سرية وأنه لعلى/حصير ما بينه وبينها شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.

158/أ

ومن «**دقائق الحقائق**» قيل: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [الآية: 198] فما يطلبونه بأفعالهم ولعل المعنى ما عندهم من الفضل خير للأبرار ما يطلبونه بأعمالهم من الأجر بطريق العدل.

وأفاد الأستاذ: أن المراد الذين وسمناهم بذل الفرقة بئست حالتهم المورثة للحرقة والذين رفعوا قدماً لأجلنا فنعمة الحالة والزلفة وصلوا إلى الثواب المقيم وبقوا في الوصال والنعيم وما عند الله مما ادخرنا لهم حال اضرارهم خير مما أملوه باختيارهم.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 199] أي: من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين دخلوا في الإسلام ﴿لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: بوجوده ووحدة ذاته وسائر صفاته ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 199] من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 199] من الكتابين ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 199] حال من فاعل يؤمن وجمع باعتبار المعنى وأفرد في يؤمن باعتبار المبنى ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: لا يأخذون بدلها ولا يختارون عليها ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ [الآية: 199] من الرشوة وغيرها كما يفعله المحرفون من أحبارهم في تغييرها مبنى وتعبيرها معنى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [الآية: 199] زيادة على قدر كسبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية: 199] لعلمه بالأعمال وما يستوجبه العمال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على مشاق الطاعة ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] غالبوا أعداء الله في الصبر على شدة المجاهدة وأعدى عدوكم في الصبر عن الهوى بالمخالفة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] أبدانكم وخيولكم في ثغور

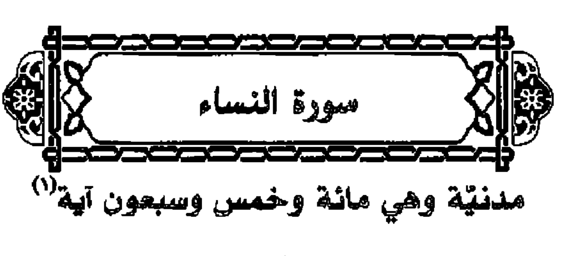
المجاهدين مخافة هجوم أعداء الدين وفي الحديث أن من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 200] بالتبري عما سواه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 200] لكي تفوزوا بمقام رضائه وحصول لقائه وقال بعض أرباب اللسان وأصحاب البيان اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وأبطؤا في دار الأعداء واتقوا الله إله الأرض والسماء ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 200] في دار البقاء.

وفي الجنيد ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] أمرهم/ بالصبر على الصبر ثم قال ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] وهو ارتباط السر مع الله سراً والوقوف مع البلاء جهراً. 158/ ب

وقال ابن عطاء الصبر ألماس الله في أرضه والمتقين سيف النفس وأن الشيطان ليتعوذ من الصبر كما يتعوذ من الشيطان.

وقال الخلدي: خير الدنيا والآخرة صبر ساعة أي: بتحصيل طاعة.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر فيما يتفرد به العبد والمصابرة مع العدو والرباط نوع صبر ولكن على وجه مخصوص ويقال أول الصبر التصبر ثم المصابرة ثم الاصطبار وهو نهايته ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] في ترك الهوى والشهوات وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] بالاستقامة في الصحبة في عموم الأوقات ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على ملاحظة المثوبة ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] على ابتغاء القربة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] في محل الدنو والزلفة على شهود الجمال والعزة والصبر مر مذاقته إذا كان العبد يتحساه على الغيبة وهو لذيذ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية.



سورة النساء

مدنيّة وهي مائة وخمس وسبعون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنّ العلماء العارفين اختلفوا في الاسم عن ما إذا اشتق فمنهم من قال اشتق من السمة وهي الكية ومنهم من قال أنه مشتق من السمو وهو العلو وكلاهما فيه الإشارة فمن قال من السمو فهو اسم من ذكره سمت رتبته ومن عرفه سمت حالته ومن صحبه سمت همته فسمو الرتبة يوجب وفور المثوبة والمبار وسمو الحال يوجب ظهور الأنوار في الأسرار وسمو الهمة يوجب التحرز عن رق الأغيار ومن قال أصله من السمة فهو اسم من قصدة وسم بِسمة العبادة ومن صحبه وسم بسمة الإرادة ومن أحبه وسم بسمة الخواص ومن عرفه وسم بسمة الاختصاص فسمة العبادة توجب هيبة النيران أن ترمي صاحبها بشررها وسمة الإرادة توجب حشمة الجنات أن يطمع في استرقاق صاحبها مع شرف خطرها وسمة الخواص توجب سقوط التعجب من استحقاق القربة للماء والطينة على الجملة وسمة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة ويقال اسم من واصله سما عن الأوهام قدره/ ومن فاصله وسم بكي الفرقة قلبه على هذه الجملة يدل اسمه انتهى 159/أ وبرحمته العام أنعم على العوام كالإنعام بأنواع الإنعام في هذا المقام وبرحمته الخاص أكرم الأنبياء والأصفياء من ذوي الاختصاص بإيصالهم إلى مقام الإخلاص من الموجب للخلاص عما سواه يوم لا مفر فيه ولا مناص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء، الآية 1] خطاب يعم بني آدم من الموجودين ومن سيوجد في العالم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ [الآية: 1] أوجدكم من العدم ﴿مِّن نَّفْسٍ

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وَٰحِدَةٖ﴾ [الآية: 1] وهي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾ [الآية: 1] من ضلع من أضلاعها ﴿زَوۡجَهَا﴾ [الآية: 1] أي حواء ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ [الآية: 1] أي: نشر بواسطة ازدواجها واجتماعها ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [الآية: 1] أي ذكوراً كثيراً وإناثاً كثيراً واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر بجواز أن يكون لرجل واحد أربع منهن وتذكير كثيراً حمل على الجمع دون الجماعة وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة الكبرى لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة المولى.

وقال الأستاذ: يا من أظهرتكم عن كتم العدم بحكم تكلفي ثم خصصت من شئت منكم بتشريفي وحرمت من شئت منكم هدايتي وتشريفي ونقلتكم إلى ما شئت بل أوصلتكم إلى ما شئت بحكم تصريفي اتقوني وأطيعوني فالتقوى جماع الطاعات وأوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير وأول الأغيار لك نفسك ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال لله لا لحظ في الدنيا والعقبى ثم حكم الحق سبحانه بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل وإلى رد المثل للمثل فربط الشكل بالشكل وتفرق إلى العقلاء على كمال القدرة بما لاح من براهين الربوبية ودلالات لحكمة الألوهية حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد على اختلاف هيئتهم وتفاوت صورهم وتباين أخلاقهم وأن اثنين منهم لا يتشابهان بكل وجه في الصورة والخلق والهمة والحالة فسبحان من لا مدى لقدراته ولا غاية لمعلوماته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 1] بتشديد السين على أن أصله تتساءلون فأذغمت الثانية بعد قلبها سيناً في السين وقرأ الكوفيون بتخفيفها على حذف إحدى التائين والمعنى يسأل بعضكم بعضاً فيقول أسألك بالله ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [الآية: 1] / بالجر 159/ ب والظاهر كما قرأ به حمزة وهذا على عادة العرب أنهم كانوا يتوسلون بالأرحام ويتوصلون إلى ذوي القربى على وجه العام والباقون بالنصب واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها ففي الحديث الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [الآية: 1] حافظاً مطلعاً فاتقوه ولا تخالفوه أو فاذكروه ولا تنسوه أو راقبوه وشاهدوه فإن من نَسِيَ الحق فلا

شيء أخسَّ منه ومن نسي الخلق فلا أحد أخص منه ومن نسي الحق فلا نهاية لمحنته ومن نسي غيره فلا غاية لمحبته وعلو حالته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول للمذنبين يا من نسيت عهدي ورفضت ودي وتجاوزت حدي حان لك أن ترجع إلى بابي فتستحق لطفي وإيجابي ويقول للعارفين يا من نسيت فينا حظك وصنت [عن] غيرنا لحظك ولفظك لقد عظم علينا حقك ووجب علينا نصرك وجل عندنا قدرك فأنا شهيد على حالك وانتقالك أعد عليك أنفاسك وأرى حواسك وأنا متولي خطراتك ومنشيء حركاتك وسكناتك انتهى والحاصل أنكم راقبوا من هو الرقيب عليكم.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 2] أي: التي بأيديكم إذا بلغوا وظهر رشدهم إليكم ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [الآية: 2] لا تستبدلوا الحرام لكم من أموالهم بالحلال من أموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 2] منضمة ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 2] من غير تسوية وتفرقة في انتفاعهما ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 2] أي: الأكل على هذا المنوال والانتفاع من الأموال من غير تفصيل الأحوال ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [الآية: 2] أي: ذنباً عظيماً وإثماً مبيناً.

وأفاد الأستاذ: أن من أقيم بمحل الرعاية فجاء على رعيته فخصم رعيته ربه فإنه لَينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه فولي اليتيم إن أنصف وأحسن فحقه على الله وإن أساء وتعدى فخصمه الله انتهى وكأنه إشارة إلى ما روي كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته(1) وإيماءً إلى قوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 3] توقعتم وظننتم أن لا تعدلوا في أمر يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 3] فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن وسهل عليكم من أمرهن ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [الآية: 3] أي: ثنتين

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2554)، ومسلم في الصحيح (1829/ 20).

ثنتين وثلاثاً ثلاثاً/ وأربعاً أربعاً. 160/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح للرجال الأحرار التزوج بأربع في حالة واحدة وأوجب العدل بينهن في مراعاة القسمة وحقوق النفقة والكسوة فيجب على العبد أن يراعي الواجب فإن علم أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المباح وإن علم أنه يقصر في الواجب فلا يتعرض لهذا المباح فإن الواجب مسؤول عنه وعما يترتب عليه من الجناح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [الآية: 3] أي: فاختاروا واحدة واتركوا الجماعة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية: 3] فإنهن أيسر عليكم لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 3] التقليل منهن ﴿أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [الآية: 3] أقرب أن لا تميلوا عن الحق فيهن.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ [الآية: 4] مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ [الآية: 4] عطية عن صفاء طوية ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [الآية: 3] أي: تمييز لبيان الجنس والأصل فيه الإفراد والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من صداقهن عن طيب أنفسهن ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [الآية: 4] فخذوه وانتفعوا به حلالاً بلا تبعة في الدنيا ولا مذمة في العقبى وفي الحديث هنيئاً ما لا إثم فيه ومريئاً لا داء فيه.

وأفاد الأستاذ: إن هذا دل على أن طعام الفتيان والأسخياء مريء لأنهم لا يطعمون إلا عن طيبة أنفسهم وطعام البخلاء رديء لأنهم يرون أنفسهم وإنما ينفقون عن تكلف لا عن طيبة نفس قال ﷺ طعام السخي دواء وطعام البخيل[1] داء انتهى.

وعن علي رضي الله عنه من أراد الشفاء والدواء فعليه بأربعة أشياء مهر المرأة والعسل والقرآن وماء السماء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ [الآية: 5] الجهال من العيال والأولاد المبذرين للأموال المفسدين في الأحوال ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [الآية: 5] وقرأ نافع وابن عامر قيَماً بمعناه أي: ما تقومون بها وتنتعشون فيها ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 5] أي:

---

(1) جامع الأحاديث (14/ 116)، والمقاصد الحسنة (1/ 426) رقم (653)، وكشف الخفا (2/ 38) رقم (1653).

منها ﴿وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الآية: 5] يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع والمراد تأديبهم بآداب الديانة وزجرهم عن الخيانة في الأمانة.

قال سهل: أسفه السفهاء نفسك فإن زجرتها بالعلم والخوف والورع وإلا حجزك عن طريق نجاتك من الخروج عن الدنيا والآخرة كذا في «حقائق الدقائق».

وأفاد الأستاذ: أن السفيه من يمنعك عن الحق ويشغلك عن الرب والسفيه/ من العيال والأولاد من يؤثر حظوظهم عن حقوق الله ثم قال وحفظ 160/ب التجمل في الحال أجدى عليكم من أن تتعرضوا للتبذل والسؤال والكدية والاحتيال وإنما يكون البذل خيراً من الإمساك عند تجرد القلب والثقة بالرب وتقويته بالصبر وتأييده بالشكر فأما على نية الكدية ولا تجعل نفسك وعيالك كلاً على الناس فحفظك ما جعله الله كفاية لنفسك أولى ثم الجود لفاضل كفايتك أحرى.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 6] اختبروهم قبل بلوغهم بتتبع أحوالهم في أمر دينهم وضبط مآلهم وحسن تصرفهم في بعض ما يدفع إليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ [الآية: 6] أي: حد البلوغ فإنه يصلح للنكاح عنده ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [الآية: 6] أبصرتم منهم رشاداً وسداداً يصلح أحوالهم ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [الآية: 6] .

وأفاد الأستاذ: أن إيناس الرشد العفة والديانة والسخاء والصيانة وصحبة الشيوخ والحرص على مشاهدة الخير وأداء العبادات على قضية الأمر ويقال الرشد من اهتدى إلى ربه عند من يسنح له من حوائجه لا من يتكل على حوله وقوته وتدبيره واختياره.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ﴾ [الآية: 6] أي: أموال اليتامى ﴿إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ [الآية: 6] أي: مسوفين ومبادرين كبرهم ولا مفهوم لهما في أمرهم لقوله ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ [الآية: 6] من أكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [الآية: 6] أي: بقدر أجرة سعيه فيها وعند حاجته واضطراره بها ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [الآية: 6] أي: بعد بلوغهم ورشد بين أحوالهم ﴿فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 6] بقبضهم فإنه

أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية: 6] أي: محاسباً رقيباً.

﴿لِّلرِّجَالِ﴾ [الآية: 7] أي: الذكور ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 7] أي: من العصبة وذوي الأرحام ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ [الآية: 7] بدل مما ترك بإعادة العامل ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية: 7] نصب نصيباً على أنه مصدر مؤكد كقوله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 11] أو على الاختصاص بمعنى نصيباً مقطوعاً واجباً.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنقبة ولا يتفاوت بالذنب والعيب والمنقصة فلو مات رجل وخلف ابنين تساويا في استحقاق القسمة وإن كان أحدهما براً تقياً والآخر فاجراً عصياً فلا للتقي زيادة لتقواه ولا للفاجر بخس لفجوره/ والمعنى فيه أن الميراث ابتداء عطاء من قبل الله 161/أ فتساوى فيه البر والفاجر وكذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32] ثم قال فيهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [الآية: 8] أي: قسمة الميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 8] ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ [الآية: 8] أي: من الأجانب ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [الآية: 8] فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل: أمر وجوب على خلاف نسخه ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية: 8] أمر لهم بأن يدعوا لهم ويستقلون ما أعطوهم ولا يمنعوا عليهم ويلطفوا في العبارة معهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا إشارة لطيفة للمذنبين إذا حضروا العرصة غداً والحق سبحانه يغفر لِلمطيعين ويعطيهم ثواب أعمالهم فمن كان من فقراء المسلمين لا يحرمهم الغفران إن شاء الله الرحمن بعد ما كانوا من أهل الإيمان وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ولا لك استحقاق ثابت فيفضله أهلك لمعرفته مع علمه بما يحصل منك في مستأنف أحوالك من زلتك.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 9]

أمر للأوصياء بأن تخشوا الله وتتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضّعاف بعد موتهم ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9] أمرهم بالتقوى الذي هو غاية خشية المولى بعدما أمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني في العقبى ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والخصال الحسنى.

وفي «**دقائق الحقائق**» قيل استعينوا على كثرة العيال وقلة ذات اليد بالتقوى فإنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير.

قال جعفر الصادق: التقوى تزيد في الرزق وتوسع في المعيشة قال عزَّ وجلَّ ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخر لعياله التقوى والصلاح لا المال لأنه لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لهم العقار والأسباب وليخلفوا العقد والأثاث بل قال ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 9] فإنه يتولى الصالحين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [الآية: 10] أي: يأخذونها على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 10] أي: ملئها ﴿نَارًا﴾ [الآية: 10] أي: ما يجر إلى دخولها وما يؤول إلى حصولها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [الآية: 10] قرأ 161/ ب ابن عامر/ وأبو بكر بضم الياء أي: يدخلون ناراً تتسعر بهم وتتوقد منهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما تولى خصيمة اليتيم لأنه لا أحد لليتيم غيره فكل من وكل أمره إليه وتبرأ من حوله وقوته واعتمد عليه فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: يعد كل ذكر بأنثيين، حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه لِحكمة إلٰهية يعجز عنها الأوهام العقلية ولا يبعد أن يكون وجهها أن الذكر يحتاج إلى نفقته ونفقة الأنثى والأنثى ينفق عليها الذكر بأمر المولى فهو بالمضاعفة أحرى ويندفع به ما قال بعضهم من أن الأمر لو كان بالقياس لكانت الأنثى بالتفضيل أولى لضعفها

وعجزها عن الحراك على أنه روعي عجزها بإعطاء البعض لعدم دوام استغنائها أو لضعف قلبها ومحبة دنياها وفيه رد على أهل الجاهلية حيث كانوا يحرمون الإناث بالكلية ويقولون إنما يحتاج إلى المال أرباب الإنفاق من الرجال ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ [الآية: 11] أي: إن كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر فإن الخلط قد ذكر وأنث الضمير باعتبار الخبر ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: نساء زائدة على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [الآية: 11] أي: المتوفى منكم ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ [الآية: 11] أي: المولودة ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالرفع على كان التامة، قال ابن عباس حكم البنتين حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقها وهو ظاهر وقال الجمهور حكمها حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن حظهما الثلثان ثم لما أمرهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك الوهم بقوله ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] ولحديث عطاء نزلت بسبب سعد بن الربيع أحد النقباء استشهد بأحد عن بنتين وزوجة وأخ فأخذ الأخ المال فشكت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام للأخ أعط لبنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن فما بقي فهو لك رواه الترمذي بسنده عن عطاء عن جابر وكذا أخرجه أحمد وأبو داوود والطيالسي وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم(1) ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [الآية: 11] ولوالدي الميت ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية: 11] بدل مما قبله بتكرير العامل وفائدة التنصيص على أن استحقاق كل منهما ﴿ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾ [الآية: 11] له للميت ﴿وَلَدٌ﴾ [الآية: 11] ذكراً وأنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصبية ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [الآية: 11] والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [الآية: 11] وقرأ حمزة والكسائي فلأمه بكسر الهمزة فيهما اتباعاً للكسرة التي قبلها ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [الآية: 11] متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من

162/أ

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 414) رقم (2092)، وأبو داود في السنن (3/ 80) رقم (2893)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 229) رقم (12091).

وصية أو دين وإنما أتى بأو التي للإباحة لِلدلالة على أنهما متساويان في وجوب التأدية متعديان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم اهتماماً بشأنها لئلا يتسامح في أمرها فإنها مشبهة بالميراث من حيث أنها توجد بعد الموت وهي شاقة على الورثة والدين إنما يكون مقرراً عندهم لا سيما والمطالب غالباً موجود لديهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: هم ورثتكم غالباً فيكم ومن جانبهما لكم ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾ [الآية: 11] أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيه ما وصاكم الله به في شأنه ولا تقصدوا إلى تفضيل بعض أو حرمانه قيل ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ ببرهم ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ بالشفقة عليهم والتأديب لهم هما محلّ النفع كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن الأبناء ينفعونكم بالخدمة والآباء بالرحمة والآباء في حال ضعفك في بداية عمرك والأبناء في حال ضعفك في نهاية أمرك ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 11] مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 11] بما رتب ودبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 11] بما قضى وقدر.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نساؤكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] ذكر أو أنثى ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] أي: وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ / فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾ [الآية: 12] 162/ب فرض للرجل ضعف ما للمرأة كما في النسب ويستوي الواحدة والأكثر منهن في الربع والثمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ [الآية: 12] أي: ميت من نعته أنه ﴿يُورَثُ﴾ [الآية: 12] أي: يورث منه ﴿كَلَٰلَةً﴾ [الآية: 12] وهو خبر كان وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ [الآية: 12] عطف على رجل ﴿وَلَهُۥٓ﴾ [الآية: 12] أي: وللرجل واكتفى بحكمه عن حكمها لدلالة العطف على تشاركهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [الآية: 12]

أي: من الأم إجماعاً ويدل عليه قراءة سعد بن مالك وقراءة أُبي من الأم ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ﴾ [الآية: 12] الأخوة ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 12] أي: مما ذكر من أخ أو أخت ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ [الآية: 12] سوى بين الذكر والأنثى في القسم لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [الآية: 12] وافق حفص أبا بكر هنا في فتح الصاد ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّۚ﴾ [الآية: 12] أي: قاصد للضرر للورثة بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين ليس له في الذمة وهو حال من فاعل يوصي المذكور على قراءة البناء للفاعل أو المدلول عليه على قراءة البناء للمفعول فإنه الفاعل المتروك ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 12] مصدر مؤكد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 12] بالموصي وقصد مضرته ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 12] لا يعجل في عقوبته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب والسبب أن الميت إذا مات تحمل القريب أحزانه فعوّض الله الموارث على ما يقاسيه ويخامر قلبه من التوجع للميت مال المورث وكذا سنته سبحانه وتعالى التعويض على مقاساة الأدنى جوداً لا وجوباً عليه كما توهمه قوم وكل من كان أقرب نسباً أو أقوى سبباً من الميت كان أكثر استحقاقاً لميراثه.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 13] الأحكام المتقدمة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 13] شرائعه التي كالحدود المحدودة لا يجوز مجاوزتها البتة.

وأفاد الأستاذ: أن حدوده أوامره ونواهيه وما تعبد به عباده وأصل العبودية حفظ الحدود وصون العهود ومن حفظ حده لم يصبه مكروه ولا آفة في الوجود وأصل كل بلاء مجاوزة الحدود قلت: وكذا أصل كل عطاء ملازمة الحدود كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 13] / 163/أ فالوقوف على العهود ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [الآية: 13] أي: مقدرين الخلود وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون فيه وفيما بعده ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 13] لما يترتب عليه من النعيم المقيم باتصال الجنة المعجلة وإيصال إلى الجنة المؤجلة لما يقترن بها من عزة

الطاعة ولذة العبادة التي فوق رقبته.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [الآية: 14] ولعل المغايرة بالجمع والوحدة في الجمل الجزئية من باب التفنن في العبادة ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 14] لاستهانته في أمر الدين المستبين.

وقال الأستاذ: إنما هما عقوبتان معجلة ومؤجلة ويقترن بهما جميعاً الذل الإهانة ولو اجتهد الخلائق على إذلال العاصي بمثل الذي يلحقه بارتكاب معصيته لم يقدروا عليه ولذا قال قائلهم:

من بات ملماً بذنب أصبح وعليه مذلته[1]

فقلت:

ومن أصبح مبراً ببر ظل وعليه مهابته[2]

قلت: لو قال معزته لكان أنسب مبنى ومعنى في مقابلته.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: يفعلن الزنا وسمي فاحشة لزيادة قباحتها ومزية شناعتها ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [الآية: 15] واطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين يشهدون عليهن ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ [الآية: 15] فأجلسوهن في بيوتهن واجعلها سجناً عليهن ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 15] إلى ملك الموت أو يأخذهن الموت قيل وكان ذلك عقوبتهن في صدر الإسلام فنسخ بالحد وفيه تسامح لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 15] كتعيين الحد المخلص عن الحبس وقد صح في حديث مسلم عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: خذوا عني، خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال البغوي: في نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 458).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 458).

وعن علي: أنه يجمع بينهما ودليل الجمهور أنه ﷺ رجم ماعزاً[1] والغامدية[2] ولم يجلدهما ثم التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر عند أبي حنيفة أو محمول على الزجر والسياسة وثابت عند غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما اعتبر في ثبوت/الفاحشة التي هي الزنا زيادة الشهوة إسبالاً لستر الكرم والجود على إجرام العباد فإن إقامة الشهادة على الوجه الذي في الشرع في إثبات تلك الحالة كالمتعذر في قوله ﷺ: لماعز لما قال يا رسول الله إني زنيت فطهرني فقال: لعلك لامست لعلك قبلت ثم قال: في بعض المرات استنكهوه[3] ففي هذا أقوى دليل لما ذكر من إسباله الستر على الأعمال القبيحة. 163/ب

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ [الآية: 16] بتشديد النون لابن كثير ﴿يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ [الآية: 16] أي: يفعلا الفاحشة من الزاني والزانية ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [الآية: 16] بالتوبيخ والتقريع قبل ثبوت أمرهما عند الحاكم الشرعي ﴿فَإِن تَابَا﴾ [الآية: 16] عن فعلهما ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ [الآية: 16] في حالهما ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ [الآية: 16] فاقطعوا عن إيذائهما أو أعرضوا بالإغماض والستر عنهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 16] لهما أو لغيرها وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات بقرينة صيغة الإناث وهذه في اللواطين بقرينة صيغة الذكرين والزاني والزانية في الزناة بكراً وآية الرجم فيهم ثيباً.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بفنون العقوبات لهم على فعل ذلك أبلغ شيء

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6824)، والطبراني في المعجم الكبير (22/ 202) رقم (531).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (1695/ 22)، وأبو داود في السنن (4/ 275) رقم (4436)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 283) رقم (7186)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 542) رقم (28807).

(3) انظر: تخريج الحديث قبل السابق.

في الردع والمنع منه بالرفق الأتم لعل العبد يحذر ذلك فلا يستحق التعذيب العظيم.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 17] أي: قبولها كالواجب عليه سبحانه بمقتضى وعده ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 17] متلبسين بها سفاهة وقد أطبق السلف والخلف على أن من عصى الله فهو جاهل ولو كان يزعم أنه عالم كامل ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [الآية: 17] أي: من زمان قريب وهو قبل حلول الموت لقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180].

وقوله عليه السلام: إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[1] وسماه قريباً لأن أمد الحياة غير بعيد لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77] أي: زماناً وشأناً كمية وكيفية وقيل: هم الذين يتقربون بالطاعة إلى من لا يتقرب إليه إلا به والمعنى قبل أن يشرب في قلوبهم حب السوء فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع بها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: يقبل توبتهم ويغفر حوبتهم وفاءً بما وعد به وأداءً بما كتب على نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 17] لا على غيره وسواه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 17] / بنياتهم ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 17] في معاملاتهم. 164/أ

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار مع الإصرار فإن التوبة مع غير إقلاع سمة الكذابين وقوله: ﴿ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 17] يعني عمِل عمَل الجهال وذنب كل أحد يليق بحاله فالخواص ذنوبهم حسبانهم أنهم بطاعاتهم يستوجبون محلاً وكرامة وهذا وهن في المكان إذ لا وسيلة إليه إلا به وقوله ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ [الآية: 17] من قريب على لسان العلم قبل الموت وعلى لسان المعاملة قبل أن تتعود النفس ذلك فيصير له عادة قال قائلهم:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً ... فارجعي قبل أن يسد الطريق[2]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 286) رقم (7659)، وابن حبان في الصحيح (2/ 394) رقم (628)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 395) رقم (7062).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 461) و(3/ 483) و(4/ 49) و(5/ 289).

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ [الآية: 18] أي: التوبة منفى قبولها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ [الآية: 18] أي: يرتكبونها في كل زمان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [الآية: 18] سوى بين مسوف التوبة إلى حضور الموت من الفجار وبين من مات من غير توبة من المنافقين والكفار في انتفاء قبول التوبة وعدم الاعتداد بها في تلك الحالة وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار فعلى هذا قيل المراد القريب زمن الدنيا وأن توبة اليأس من المؤمن مقبولة كما ذهب إليه بعض الأئمة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 18] وحجاباً عظيماً.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كشف الغطاء وصارت المعارف ضرورية أغلق باب التوبة فإن من شرط التكليف أن يكون الإيمان غيبياً ثم إن في هذه الطريقة إذا عرف بالخيانة لا يشم بعد حقيقة الصدق والأمانة قال داوود عليه السلام في آخر بكائه لما قال له ولم تبكي يا داوود وقد غفرت لك وأرضيت خصمك وقبلت توبتك؟ فقال: إلهي الوقت الذي كان لي رده إليّ فقال هيهات يا داوود ذاك ودّ قد مضى في معناه أنشدوا:

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع[1]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 19] أي: ذواتهن ﴿كَرْهًا﴾ [الآية: 19] وبالضم حمزة والكسائي كان الرجل في الجاهلية إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها/ وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت 164/ ب من زوجها أو منعها من الأزواج لتموت فيرثها فنهوا عن ذلك بما سبق ولحق بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 19] عطف على لا يحل أو على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي ويؤيده أن قرىء ولا أن تعضلوهن وقيل: الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 462) و(6/ 317) و(7/ 246).

أو يختلعن بمهرهن ويؤيده قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [الآية: 19] أي: ظاهرة وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالفتح وهي كالنشوز والمخالفة وسوء العشرة وعدم العفة.

وأفاد الأستاذ: أن التلبيس على المستضعفين والتدليس على أهل السلامة من المسلمين غير محمود عند الله تعالى فمن تعاطى ذلك انتقم الله منه ولم يبارك له فيما يختزل من أموال الناس بالباطل والاحتيال ومن استصغر خصمه في الله فأهون ما يعاقبه الله به أن يحرمه الوصول إلى ما يأمله من محبوبه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [الآية: 19] بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول.

وقال الأستاذ: أي بتعليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحسن الصحبة على كراهة النفس وأن تحتمل أذاهم ولا تحملهم كلفة خدمتك وتتحامى عن مواضع خجلتهم ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 19] فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الآية: 19] مثل أن يرزق منهما ولد كبير ويكون فيه خير كثير والحاصل عدم متابعة كراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً وقد تحب ما هو بخلافه فليكن النظر إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير أو التفويض والتسليم إلى ما قدر له من الأمر.

وقد حكي أن امرأة جميلة كانت تحت رجل قبيح الصورة فقيل لها كيف رضيت بهذه الحالة فقالت لعلي أذنبت ذنباً جوزيت بعملي أو هو عمل صالحاً كوفئ بي.

وفي «حقائق السلمي» قيل غيّب عنك العواقب لئلا تسكن إلى مألوف ولا تقر من مكروه وقيل: السكون إلى كراهية النفس جعل فيه خير الدارين إذ الخير الكثير ما يتصل بالعقبى لأنه لا كثير في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان على نفسك أشق كانت عاقبته أهنأ وأمرأ واعلم بأن الحق سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه فأكثر ما يعافه الإنسان تكون الخيرة فيه أتم وقد حكم الله سبحانه/ بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى 165/أ

أعلى المنازل وبعكس ذلك موافقتها كما أن مخالفة القلب توجب عمى البصيرة وبعكس ذلك موافقتها انتهى ولعل من هذا المقام ما ورد عنه عليه السلام أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك يوماً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[1] إيماءً إلى أن محبة غير المولى وما يتعلق به من السوى لا عبرة بوجود حصولها ولا بفقد وصولها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [الآية: 20] بتطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [الآية: 20] مالاً كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ [الآية: 20] من القنطار ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 20] قليلاً ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَـٰنًا﴾ [الآية: 20] ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 20] ذنباً ظاهراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلمهم حسن العهد في المحبة ونعت الكرم في العشرة بقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها فإن ذلك ترك الكرم وإن خوّلت واحدة مالاً كثيراً ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير في جنب ما أذقتها من الفراق.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ [الآية: 21] أي: المهر منهن ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 21] أي: وصل إليهن بالجماع أو الخلوة الصحيحة وتقرر المهر لهن ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 21] عقداً وثيقاً وعهداً أكيداً وهو حق الصحبة والممازحة المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [البقرة: 229] أو ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: أخذتموهن بأمانة الله[2] أي: بالرفق بهن والشفقة عليهن واستحللتم فروجهن بكلمة الله أو بأمره وحكمه.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 360) رقم (1997)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 260) رقم (6593)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 214) رقم (5120).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (2/ 421) رقم (4001)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 463) رقم (16028)، وعبد الرزاق في المصنف (10/ 195) رقم (18805)، وأبو داود في السنن (2/ 122) رقم (1907).

وأفاد الأستاذ: أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة فقفوا عند مراعاة الزمام وأوفوا بموجب الميثاق كالكرام.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 22] بالعقد أو الوطء ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 22] لكن ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 22] أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الآية: 22] عند الله وفي أحكام الرسالات ﴿وَمَقْتًا﴾ [الآية: 22] ممقوتاً عند ذوي المروءات ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 22] سبيل من يراه ويفعله على وفق هواه.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حفظ الذمام والوقوف على حد الاحترام فإن السجية يتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره فنهي الأبناء عن تخطي حقوق الآباء في استفراش منكوحة الأب.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: نكاحهن وهن من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت/ 165/ب ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] من الأب والأم أو الأب أوالأم وكذا حكم الباقية في الوجوه الثلاثة ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك بعيداً أو قريباً ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك كذلك ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [الآية: 23] تتناول القربى والبعدى ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [الآية: 23] نزل الله سبحانه الرضاعة منزلة النسب في النسبة حتى سمى المرضعة أماً والمراضعة أختاً وفي الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[(1)].

واستثنوا مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتجوز أخت ابنه من الرضاعة لأن المانع في النسب وطء أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب إياها

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2645)، ومسلم في الصحيح (1446/ 13).

وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ [الآية: 23] بنات نسائكم ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [الآية: 23] في بيتكم وتربيتكم وهذا القيد بناءً على الغالب لا أنه تقييد للحرمة خلافاً لما روي عن علي كرّم الله وجهه أنه جعله شرطاً وإليه ذهب داوود الظاهري وابن حزم ونقل عن الإمام مالك.

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [الآية: 23] أي: دخلتم معهن في الستر وهو كناية عن الجماع وفي معناه الخلوة الصحيحة وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول وفي الترمذي أنه ﷺ قال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ثم الأمهات والربائب يتناولان القربى والبعدى ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 23] في نكاحهن وهو تصريح بالمقصود دفعاً للقياس على الأمهات ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ [الآية: 23] أي: مواطوأتهم ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [الآية: 23] احترازاً عن المتبنى لا عن أبناء الولد نسباً ورضاعاً ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [الآية: 23] أي: وحرم عليكم الجمع بينهما والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في ملك النكاح فهي محرمة/ في ملك اليمين وطئاً ولذا قال عثمان وعلي رضي الله عنهما: حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 3] في أول السورة فرجح علي التحريم احتياطاً وعثمان التحليل بناءً على الأصل والجمهور مع علي كرّم الله وجهه ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 23] لكن ما مضى مغفور لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 23]. 166/أ

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 24] أي: ذوات الأزواج أحصنهن التزويج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 24] يريد ما ملكت إيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين بعد الاستبراء والنكاح مرتفع بتباين الدارين عندنا وبمجرد السبي عند الشافعي ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: ما سوى ما ذكر من المحرمات وخص عنه بالسُّنَّة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات

الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وقرأ حمزة والكسائي وحفص أحل بصيغة المفعول عطفاً على حرمت ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾ [الآية: 24] أي: لا تطلبوا النساء مما وراءه ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾ [الآية: 24] سبب صرفها في مهورهن أو أثمانهن وإنفاقهن حال كونكم ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ [الآية: 24] مريدين الإحصان والعفة بالنكاح وملك اليمين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [الآية: 24] أي: زانين وفيه دليل على أن المهر لا بد أن يكون مالاً كما قاله أبو حنيفة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ [الآية: 24] فمن تمتعتم به من المنكوحات ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 24] أي: مهورهن ﴿فَرِيضَةً﴾ [الآية: 24] مفروضة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [الآية: 24] فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 24] بمصالح العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 24] فيما قضى وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن تكلف انتزاع المعاني التي لأجلها حصل هذا التحريم محال من الأمر لأن الشرع غير معلل بل الحق تعالى حرم ما يشاء على من شاء وكذلك الإباحة ولا علة للشرائع بحال ولو كانت المحرمات من هؤلاء محللات والمحللات محرمات لكان ذلك سائغاً وكذا قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 24] الآية فإذا حفظت الحد وراعيت العهد وحصل التراضي بحكم الشرع فلا يكون للخلق فيه خصيمة ولا من الحق سبحانه فيه تبعة فذلك مباح طلق.

166/ب ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [الآية: 25] غنى واعتلاء بالقدرة/ على مهر النساء ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [الآية: 25] أي: يتزوج التي أحصنهن أزواجهن وقرأ الكسائي بكسر الصاد أي: أحصن أنفسهن بالعفة ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] أي: الحرائر دون العفائف والمتزوجات لقوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] وظاهر الآية مع الشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعلة صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً وأول أبو حنيفة وأصحابه طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله: من فتياتكم المؤمنات على الإرشاد بالأفضل كما حمل عليه قوله: ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾ [الآية: 25] أي: بتفاضل

ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان والحسب لا فضيلة النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الأمة ومنهم عن الاستنكاف والأنفة على ما كانوا عليه في الجاهلية ويؤيده قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [الآية: 25] أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون في الالتئام نسبكم من آدم وحسبكم الإسلام فلا تستنكفوا عنهن عند الحاجة لهن ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مهورهن بإذن أهلهن أو المعنى آتوا مواليهن وذهب مالك إلى ظاهر الآية وجوز إعطاء المهر للأمة وهو خلاف جمهور الأمة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 25] أي: من غير مطل واستهانة بهن ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ [الآية: 25] حال كونهن عفائف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [الآية: 25] أي: مجاهرات بالسفاح وهو الزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ﴾ [الآية: 25] أخلاء وأحباب يزنون بهن في السر وكانت العرب تحرم الأولى دون الثانية ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [الآية: 25] بالتزويج وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتحتين أي: حفظن فروجهن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [الآية: 25] يعني الحرائر الأبكار ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِۚ﴾ [الآية: 25] أي: الحد لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 25] أي: نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ﴾ [الآية: 25] أي: لمن خاف الوقوع في الزنا بغلبة الشهوة وأصل العنت المشقة وسمي الزنا عنتاً لأنه سبب المشقة في الدنيا والآخرة وخوف/ العنت شرط نكاح الأمة عند الشافعي وهو 167/ أ ليس شرط عند أبي حنيفة وإنما هو بيان الأفضل كقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ﴾ [الآية: 25] لئلا يصير ولدكم عبداً لغيركم أو المعنى صبركم عن نكاح الإماء متعفيفين خير لكم لما ورد الحرائر صلاح البيت والإماء فساده وقال بعض العارفين الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 25] لمن يصبر منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 25] بأن رخص لهم.

وأفاد: الأستاذ أن الرخص جعلت للمستضعفين فأما الأقوياء فأمرهم

الجد والأخذ بالاحتياط والتضييق إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق بأن كان أمر بالظاهر يشغلهم عن مراعاة القلوب فالأخذ في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف واليسر أولى من الاستقصاء فيما يمنع من مراعاة السر لأنه ترك بعض الأمور لما هو الأهم والأجل فمن نزلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فمباح له الانحدار إلى وصف الترخص ثم قال في آخر الآية ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 25] يعني على مقاساة ما فيه الشدة وفي هذا نوع استمالة للعبيد حيث قال ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ بل قال ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ انتهى.

وقال الجنيد: الصبر مفتاح كل خير.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 26] ما خفي عليكم من مصالح أفعالكم ومحاسن أعمالكم واللام مؤكدة لإرادة التبيين لا في اللام من معنى الإرداة نحو جئتك لإكرامك ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 26] مناهج من تقدمكم من أهل الرشد كملّة إبراهيم عليه السلام وسائر مكارم أخلاق الأنبياء عليهم السلام لتسلكوا طريقهم وتدركوا حقيقتهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 26] يعفو عنكم من المآثم والمحارم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 26] بها ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 26] في وصفها.

ومن «دقائق الحقائق» ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 26] فتبينوا ولا تكونوا عمياً عما بيّن لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريد أن يكاشفكم بأسراره فيكم ليظهر لكم ما خفي على غيركم ويهديكم طريق الأنبياء والأولياء وهو التفويض والرضا والاستسلام للحكم والقضاء.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 27] إن وقع تقصير منكم بتوفيق التوبة لكم وبرجوع الرحمة إليكم ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [الآية: 27] أي: حظوظ النفس والهوى والركون إلى السوى بالغفلة عن المولى ﴿أَن تَمِيلُوا۟﴾ [الآية: 27] عن الحق ﴿مَيْلًا﴾ [الآية: 27] بموافقتهم على اتباع/ الشهوات 167/ب واستحلال المحرمات ﴿عَظِيمًا﴾ [الآية: 27] بالإضافة إلى من اقترف خطيئة على

ندرة غير مستحل للخطيئات.

وأفاد الأستاذ: أن إرادتهم منكوسة معبودة وهي عند إرادة الحق سبحانه ضائعة مردودة فعزل بهذا الحديث المبين حديث الأولين والآخرين فمن أراد الله توبته وهدايته ورحمته وحمايته فلا يشمت به عدو ولا يناله في الدارين سوء ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ [الآية: 28] فلذا شرع الشريعة الحنيفية السمحة السهلة لكم ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] لا يصبر على حر ولا برد من أمور الكائنات ولا عن ارتكاب الشهوات ولا في تحمل مشاق الطاعات مع قبول حمله بظلمه وجهله.

ومن «**دقائق الحقائق**» أي: ضعيف الرأي ضعيف العقل لا من أيد بنور اليقين.

وقال الأستاذ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ [الآية: 28] ثقل الأوزار بمواترة الأوراد إلى قلوبكم أو إتعاب الخدمة بحلاوات الطاعة أو مقاساة المجاهدات بما يليح لقلوبكم من أنوار المشاهدات أو كلف الأمانات بحملها عنكم وإتعاب الطلب بروح الوصال والطرب ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] وصف بهذا فقرهم وخسرهم ولم يبسط بها عذرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ [الآية: 29] أي: أموال بعضكم ﴿بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 29] أي: بأنواعه ما لم يبيحه الحق في شرع الأنبياء كالغصب والربا والسمعة والرياء وقيل يشمل مال غيره ومال نفسه من غير وجهه الذي شرع له ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ [الآية: 29] أي: تقع مبادلة وقرأ الكوفيون بالنصب أي: إلا أن تكون المعاملة ﴿تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ [الآية: 29] وهو استثناء منقطع أي: لكن اقصدوا كون تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين منكم والمتعاطين فيما بينكم والمراد بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه وبالتجارة صرفه فيما يحبه الله.

وأفاد الأستاذ: أن كل نفقة كانت لغير الله فهي أكل مال بالباطل ويقال: القبض إذا كان على غفلة والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة فكل ذلك باطل

انتهى ويشير إليه ما ورد من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل إيمانه[1] والحاصل أن الدنيا كالحية فمن أمسكها بغير رقية أهلكته وهي أن يأخذها من محلها ويضعها في محلها ويعلم أن كل ما يمنعه عن مولاه فهو شؤم عليه في دنياه وأخراه ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [الآية: 29] كما يفعله جهلة/ الهند وبعض الحبشة أو بإلقاء النفس إلى التهلكة أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس عند العارفين بها أو لا يقتل بعضكم بعضاً والمراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة في حقيقة يقينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [الآية: 29] فأمره بمنافعكم ونهاه عن مضاركم لفرط رحمته بكم أو معناه كان بكم يا أمة محمد بخصوصكم رحيماً لما أمر بني إسرائيل بقتل النفس ونهاكم عنه.

168/أ

وقال الأستاذ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [الآية: 29] بارتكاب الذنوب ويقال: بتعريضها لمساخطته سبحانه ويقال: بنظركم إليها وملاحظتكم إياها واستحسانكم شيئاً منها وبإيثارها دون رضى الحق عنها.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا﴾ [الآية: 30] تعدياً على الغير ﴿وَظُلۡمٗا﴾ [الآية: 30] على نفسه بترك الخير ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ [الآية: 30] أي: ندخله إياها.

وقال الأستاذ: فإنا لا نخليه من عقوبة شديدة وهي أن نكله إلى صاحبه ونلقي حبله على غاربه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 30] لا عسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ [الآية: 31] أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [الآية: 31] نغفر لكم صغائركم ونمحها بسبب طاعاتكم والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حداً أو بين فيه وعيداً وقيل: ما علم حرمته بدليل قاطع وعنه ﷺ أنها سبع الإشراك بالله

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 178) رقم (2694)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 670) رقم (2521)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47) رقم (15).

وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعقوق الوالدين[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبع مائة منها إلى سبع[2] والأظهر أن يراد بها هاهنا أنواع الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48] ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن جبير كبير ما تنهون عنه بالإفراد على إرادة الجنس ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [الآية: 31] الجنة وما وعد من المثوبة أو إدخالاً مع الكرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر فتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن الكبائر على لسان العلم هاهنا الشرك يعني فالجمع لمقابلة أصحابه أو إرادة أنواعه وعلى بيان الإشارة أيضاً الشرك الخفي ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاء قبولهم والتودد إليهم والإغماض على الله سبحانه بسببهم/ وندخلهم في أموالكم وأحوالكم مدخلاً كريماً إدخالاً حسناً لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المصرّف لكم. 168/ب

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 32] من الأمور الدنيوية كالجاه الوسيع والأموال الكثيرة فلعل عدمه خير من وجوده لكم والمقتضى للمنع عن النهي كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي ومعربة عن عدم الرضا بما جرى من القضاء وأنه مجرد تشبه لحصول الشيء من غير طلب له واجتهاد لأجله وهو مذموم وصاحبه معلوم لأن تمني ما لم يقدر معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب وجد وكد بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب في الحال ضياع في المال بل معدود من الحال.

وأفاد الأستاذ: أن لسان المعاملة أن الأمر بالعقبى لا بالتمني ولسان التوحيد أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة والمنى ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامهم بحق الله ولا تتعرضوا لنيل ما خصوا به من فضل الله

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 552) رقم (1447)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 48) رقم (102)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 265) رقم (284).

(2) تفسير الطبري (8/ 245)، وتفسير ابن كثير (2/ 283)، وتفسير الكشاف (1/ 402)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 129) رقم (5259).

قوموا بحق مولاكم ولا تقوموا بمتابعة هواكم واختيار مناكم ويقال كن طالب حقوقك لا طالب حظوظك فإنك إذا قمت لطلب نصيبك على أي وجه شئت دنيا وأخرى أشركته في توحيدك من حيث لا شعور لك بك ويقال خمودك تحت جريان حكمه على ما سبق له اختياره أحظى لك من تعرضك لوجود مناك إذ قد يكون بغيتك في أمنيتك ويقال من لم يؤدب ظاهره بفنون المعاملات ولم يهذب باطنه بوجوه المنازلات فلا ينبغي أن يتصدى لنيل المواصلات وهيهات متى يكون ذلك هيهات ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ [الآية: 32] بيان لما سبق والمعنى لكل من الرجال والنساء نصيب من الفضل بحسب ما كتب له من الكسب وسبب ما قدر له من القضاء على طريق العدل فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني والأمل كما قال عليه السلام ليس الإيمان بالتمني[1] وكما صرح به سبحانه في قوله: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [النساء: 123] الآية وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض منه.

وأفاد الأستاذ بقوله: لا يتمنوا مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم وتلازموا سيرهم وتعملوا عملهم فإن ذلك جور من الظن/ويقال لا تتمنى مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله وهم معدودون فما لم يمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره قال تعالى: ﴿جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ [الأنعام 156] والخليفة من يخلف من تقدمه فإذا تمنيت مقام ولي من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته على ما قدر له من القضاء ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 32] قرأ المكي والكسائي بالنقل والباقون بالأصل أي: وادعوه فاطلبوه ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [الآية: 32] أن يسوقه إليكم ويسهله عليكم فإن الغبطة محمودة وخصلة الحسد مذمومة مردودة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الآية: 32] وبعباده رحيماً فيعلم ما يستحقه كل إنسان ويتفضل به عن علم وتبيان فينبغي الرضاء بالقضاء والتسليم في جميع مراتب الإحسان.

169/أ

(1) جامع الأحاديث (18/ 244) رقم (19318).

وأفاد الأستاذ: أن الفرق بين التمني والسؤال من فضله من وجوه منها كون التمني للشيء مع غفلتك عن ربك فتتمنى بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقعه من الله فإذا سألت الله فلا محالة تذكره ومنها إن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيحمله صدق الإرادة على التملق والتضرع والمسألة والتمني لا يخلو عن هذه الجملة ومنها أن الله نهى عن تمني ما فضل الله به غيرك ومعناه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويعطيك إياه وأباح السؤال من فضله بأن يعطيك مثل ما أعطى صاحبك ويقال لا تتمنّ العطاء واسألوا الله أن يعطيك من فضله [الرضا] بفقد العطاء وذلك أتم من العطاء وأن التحرر عن رق الأشياء أم من تملكها عند الأصفياء.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 33] ولكل تركة جعلنا وارثاً يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفضل بالعامل وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ [الآية: 33] والكوفيون عقدت ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 33] أي: بالموالاة ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [الآية: 33] كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ذكره القاضي.

وقال التفتازاني: فيه نظر لأنه لا دلالة على نفي إرث الحليف لا سيما والعاملون به إنما يرثونه عند عدم العصبات وأولي الأرحام انتهى وصورة مولى الموالاة عندنا على ما ذكره السيد الجرجاني شخص مجهول النسب قال الآخر: أنت مولاي ترثني إذا مت ويعقل/عني إذا جنيت وقال الآخر: قبلت 169/ب فعندنا يصح هذا العقد ويصير القابل وارثاً عاقلاً ويسمى مولى الموالاة وإذا كان الآخر مجهول النسب وقال للأول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه.

وكان الشعبي يقول: لا ولاء إلا ولاء العتاقة وبه أخذ الشافعي وهو مذهب زيد بن ثابت وما ذهبنا إليه مذهب عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية: 33] أي: عالماً مطلعاً فلا

تجاوزوا عن أمره ولا تبعدوا عن حكمه وفيه وعد بالعطاء على الوفاء ووعيد على منع النصيب بالجفاء.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 34] كقيام الولاة على الرعية والرعاة على الماشية بأمرين أحدهما وهبي وثانيهما كسبي كما بينهما فقال ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الآية: 34] من كمال العقل والدين وحسن التدبير ومزيد اليقين ولذا خصوا بالنبوة والأمانة ووجوب الجهاد وإمامة الجمعة والجماعة ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [الآية: 34] في نكاحهن كالمهر والنفقة والكسوة وسائر مطالبهن.

وقال الأستاذ: خص الرجال بالقوة فزيد في الحمل عليهم على حسب القوة والعبرة بالقلوب والهمم لا بالنفوس والجثث انتهى والمعنى أن هذا الجنس خير من جنس النساء لوجود هذه الفضائل في بعض أفرادهم دون غيرهم وإلا فكم من امرأة فضلت رجالاً في مراتب الفضيلة ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ [الآية: 34] مطيعات لله في أوامرهن قائمات بحقوق أزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ [الآية: 34] أي: لموجبات الغيبة كحفظهن في حال الحضرة ما يجب حفظه في النفس وفي المال والأسرار الخفية ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 34] أي: بسبب حفظه سبحانه إياهن بالعصمة فإن المحفوظ من حفظه الحفيظ في الحقيقة.

قال السلمي: قيل بحفظ الله لهن صرن حافظات للغيب ولو وكلهن إلى أنفسهن لهتكن ستورهن وفي الحديث خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرّتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها[1] وتلا الآية والمراد بمالها ماله في تصرفها فالإضافة لأدنى الملابسة ولزيادة البعث على المحافظة فكأن ماله مالها أو للمبالغة فإنها إذا راعته في مالها فبالأولى أن تراعي ماله بعدم صرفها في غير ضرورة حالها ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [الآية: 34] عن إطاعة أزواجهن/ ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ انصحوهن وذكرونهن بعقاب الله إياهن في 170/أ

(1) جامع الأحاديث (12/ 365) رقم (12105)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 139) رقم (5285).

عصيانهن ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [الآية: 34] أي: مراقدهن بأن لا تدخلوا تحت اللحف معهن وقيل: لا تأتوهنّ أو لا تجامعهوهن ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [الآية: 34] أي: ضرباً غير مبرح لهن والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن تقع مدرجة فالآية تتضمن آداب الخلطة وحسن العشرة ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 34] أي: بالتوبيخ لهن وأزيلوا التعرض عنهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فيهن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له منهن ومن غيرهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [الآية: 34] برهانه فهو أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

وأفاد الأستاذ تبعاً للسلمي: إن لك عليها الطاعة بالبدن والقالب فأما المحبة والميل إليك بالقلب فذلك إلى الرب فلا تكلفها ما لم يرزقك الله فيها فإن القلوب بقدرة الله يحبب إليها من يشاء ويبغض إليها من يشاء وقال: لا تنسى وفاءها بالماضي بنادر جفاء يبدو في الحال فربما يعود الأمر إلى الجميل في الاستقبال والاستحسان في المال.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [الآية: 35] أي: ظننتم أو توقعكم خلافاً فيما بين الزوج والمرأة لدلالة السياق عليهما ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [الآية: 35] إذا اشتبه عليكم حالهما لتبيين أمرهما من إصلاح ذات بينهما بجمعهما أو تفرقهما وخص أقاربهما لأنهما أعرف ببواطن أحوالهما وأقرب إلى طلب صلاح أمرهما وهذا على وجه الاستحباب فلو نصّبا من الأجانب جاز أيضاً في هذا الباب والخطاب للحكام وللولاة أو للأزواج والزوجات قيل واستدل به على جواز التحكيم في الخصومات لكن ليس لهما ولاية التفريق عندنا على ما ذكره صاحب «**المدارك**» إلا إن فوض إليهما وقال مالك لهما: كان يتخالعا إن وجدا فيه صلاح حكمهما ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ [الآية: 35] أي: الحكمان ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [الآية: 35] بين الزوجين والمعنى إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين بإصلاح حالهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 35] بظواهركم ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية: 35] بسرائركم فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 36] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿وَلَا/ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 36] من مخلوقاته أو شيئاً من إشراكه جلية أو خفية. 170/ ب

وقال ابن عطاء: الشرك أن تطالع غيره أو ترى ممن سواه ضره أو خيره وقال أيضاً: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن العبودية معانقة الأمر ومفارقة الزجر والشرك جلية اعتقاد معبود سوى الله وخفيه ملاحظة موجود مما عداه والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله قائمة به فهو منشئه ومجريه ومبقيه وليس بأحد ذرة ولا شظية ولا سنية ولا شتمة من الإيجاد والإبداع في كل عضيه ودقائق الرياء وخفايا المصانعات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق واستحلاء مدحهم والذبول تحت ردهم وذمهم كل ذلك من الشرك الخفي.

ومن «نفائس العرائس» ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 36] لله لا على رؤية العوض والعبادة فإنهما شرك العابدين واعبدوه على رؤية التقصير فإنه عبادة الموحدين وأيضاً شغلهم به منه ولو أحبهم الحب البالغ لأسكرهم بشراب القرب والمشاهدة وأوقعهم في بحار القدم بعد خروجهم من العدم.

قال أبو يزيد: إن الله سبحانه نظر في هذا العالم فلم ير أهلاً لمعرفته فشغلهم بعبادته أقول ولعل معناه أنه لما كان هذا العالم مكان الفناء ولم يحمل دوام المشاهدة واللقاء فأشغلهم بعبادته ليكون وسيلة إلى مشاهدته ولذا قال بعضهم العبودية فناؤك عن مشاهدتك في مشاهدة من تعبده ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الآية: 36] أي: وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَٰنًا﴾ [الآية: 36].

قال صاحب «العرائس»: المراد بالوالدين مشايخ المعرفة وإحسان المريدين إليهم بوضع أعناقهم عند ساحاتهم بنعت ترك مخالفاتهم مع نشر فضائلهم عند الخلق والدعاء لهم بمزيد القرب إلى الحق.

قال الجنيد: أمرني أبي أمراً وأمرني السري أمراً فقدمت أمر السري على أمر أبي وكل ما وجدت فهو من بركاته ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 36] وبصاحب القرابة أو إخوان المحبة من أهل القربة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 36] من الأقارب والأجانب في «العرائس» اليتامى أهل فرقة الله الذي وقعوا في النفرة وآفة الشهوة

واحتجبوا بها عن المشاهد فإحسانهم ترغيبهم إلى طاعة مولاهم وتشويقهم إلى مشاهدة/ سيدهم مع التلطف والظرافة في دعائهم إلى الله ومن مات أستاذه قبل بلوغه إلى درجة القوم فهو يتم المعرفة والإحسان إليه تربيته بآداب القوم لئلا ينقطع عن الطريق ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [الآية: 36] أي: الفقراء والضعفاء المعسرين. 171/أ

قال البقلي: أراد بالمساكين السالكين غير المجذوبين فإن المساكين سلكوا طريق المقامات بالمجاهدات وإحسانهم كشف أسرار المشاهدات عندهم ليقع آثار المحبة في قلوبهم فيسكنون عن المجاهدات الظاهرة ويطلبون الحق بالقلوب الحاضرة والأسرار الظاهرة ليصلوا بطرفة عين المقام لا يصلون إليه بألف سنة بالمجاهدة والرياضة ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 36] الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار قرب واتصال بدين أو نسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [الآية: 36] البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب[1].

وفي «**العرائس**» الجار القريب من كان مقامه مواقعاً لمقاماتكم لأنه في طريق المعرفة جار قربه الله وهو قرابتكم في معرفة الله والجار الجنب هو المؤيد المبتدىء فإحسانك إليه أن ترغبه إلى سلوك مدارج الصديقين وتيسر له مطويات أسرار المحبين وفضائل أحوال المشتاقين وأيضاً الجار الجنب صورتك التي هي حاملة الروح والإحسان إليها أن تعظم جوارحها من حظوظ المعاصي والشهوات.

وأفاد الأستاذ: أن من جيرانك ملكاك فلا تؤذهما بعصيانك وراع حقهما بما تملي عليهما من إحسانك فإذا كان جار دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك وهو قلبك أولى أن لا تضيعه ولا تغفل عنه فلا تمكن حلول الخواطر الردية بها وإذا كان جار نفسك هذا حكمه فجار قلبك

---

(1) جامع الأحاديث (1/ 264) رقم (410) و(12/ 86) رقم (11491)، (37/ 21) رقم (39933)، وشعب الإيمان (7/ 83) رقم (9560).

وهو معرفتك أولى أن تحامي على حقها فلا تمكّن ما يخالفها في مساكنتها ومجاورتها وجار روحك وهو سرك أولى أن تراعي حقه فلا تمكنه من الغيبة عن أوطان الشهود على دوام الساعات ثم الإشارة من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] غير ملتبسين على قلوب ذوي التحقيق والله ولي التوفيق.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [الآية: 36] أي: الرفيق في أمر حسن أو مباح كتعلم وصناعة ومرافقة فإن صحبك وحصل بجنبك أو المرأة وهو/ قول علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة. 171/ب

وقال البقلي: هو قلبك وإحسانك إليه أن تفرده من الحدثان وتشوقه إلى جمال الرحمٰن وأيضاً هي النفس الأمارة لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[1] وإحسانك إليها أن تحبسها في سجن العبودية وتميتها عن الشهوة وتحرقها بنيران المحبة وتذرو ترابها برياح المعرفة حتى لا يبقى في دار الله غير الله.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 36] أي: المسافر والضيف وقال البقلي: أراد بابن السبيل غريب الله في بلاد الله حيث لا يعرفه سوى الله الذي يتطرق من نور الأفعال إلى نور الصفات ومن نور الصفات إلى نور الذات وهو في غربة الأزل والأبد لا يسكن روعته ولا يطفئ حرقته ويزيد تحيره وتغربه لا يعرفه أحد يؤانسه قال عليه السلام إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا[2] لا يفتح لهم السدد ولا يزوجهم المنعمات أنوار قلوبهم من نور الشمس والإحسان إليهم بذل المهجة بين أيديهم وزيادة الاستطابة في أوقاتهم ودفع الأغيار عن صحبتهم حتى لا يطلع عليهم أحد يمنعهم ساعة من حالاتهم.

وقال السهل الجاذري: القربى وهو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب العقل الذي ظهر على فقه السُّنَّة والشرع ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 44) رقم (4) و(3/ 303) رقم (5182)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 163) رقم (4950)، وابن ماجه في السنن (2/ 1320) رقم (3989)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 328) رقم (6812).

[الآية: 36] الجوارح المطيعة لله.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 36] من العبيد والإماء وسائر الأشياء.

وفي «العرائس» هم مريدوكم الذي هم أرقاء الإرادة والإحسان إليهم تربيتهم في طريق الله بآداب الله ونشر كرامة الله عندهم ودعاؤهم إلى طريق الرجاء لأن الراجي طيار والخائف سيار وتعليمهم طريق المشاهدة بلزوم المراقبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [الآية: 36] متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ومماليكه يتفاخر عليهم أو يفتخر بهم على غيرهم مع عدم إحسانه إليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الآية: 37] في أموالهم أن ينفقوها في مرضاة مولاهم عموماً وفيما أمرهم الله به من بر الوالدين والأقربين وغيرهم خصوصاً وقرأ حمزة والكسائي البخل بفتحتين.

وأفاد الأستاذ: أن البخل على لسان العلم منع الواجب وعلى بيان الإشارة ترك الإيثار في زمان الاضطرار وأمر الناس بالبخل منعهم من مطالبات الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع/ وبيان هذا أن يقع 172/أ لسالك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات حاله فينصحه بأن يقول ربما لا تقوى على هذا ولأن تكون مع معلومك الحلال أولى بك أن تصير مكدياً إذ ربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على المسلمين ويروى له في هذا الباب الأخبار والآثار وأمثال هذا من حكايات الأبرار ولولا بخله المستكن في قلبه لإعانة بهمته فيما سنح لقلب ذلك المسكين بدل ما يمنعه بقول في معرض النصح ومن كان هذا صفته أدركه عاجل المقت حين أطفأ شراره ذلك المستضعف بما هو عند نفسه أنه نصيحة وشفقة في الشريعة ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 37] أي: المال والعلم والحال فإن البخيل يستر نعمة الله ويجحدها في المآل وقد ورد أن الله إذا أنعم على عبد وأحسن إليه أحب أن يظهر أثرها عليه[1] وقيل: لا يشكرون نعمة العافية عليهم

(1) تفسير ابن كثير (2/ 303).

ويلائمه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 37] كما هانوا النعمة بالبخل ولم يجعلوا آثارها مبيناً والآية نزلت في طائفة من اليهود وكانوا يقولون للأنصار تنصحاً لا تنفقوا أموالكم فإنّا نخشى الفقر عليكم وعن ابن عباس وغيره أنها نزلت في الذين كتموا نعمة محمد ﷺ وهو من أفضل النعم.

وأفاد الأستاذ: أن بخل الأغنياء يمنع النعمة وبخل الفقراء يمنع الهمة.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ النَّاسِ﴾ [الآية: 38] أي: لا لوجه الله ولا فيما يحبه ويرضاه ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 38] ليتحركوا بالإنفاق ثوابه ويتحرزوا بترك البخل عقابه ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [الآية: 38] أي: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة في الدنيا بالوسوسة وفي العقبى بالمشاركة في العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أدخل هؤلاء أيضاً تحت قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36] فعقوبتهم في العاجل أنهم ليسوا من أهل المحبة وكفى بذلك من المحنة والمختال هو الذي ينظر إلى نفسه والمرائي الذي ينظر إلى أبناء جنسه وكلاهما موسومان بالشرك الخفي وكذلك الذي يرى من نفسه حالاً ورتبة وهو في ذلك المدعي.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 39] أي: أي شيء من الضرر عليهم وأي تبعة راجعة إليهم لو استقاموا على صحيح الاعتقاد/ وقاموا بالإنفاق على وجه السداد ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [الآية: 39] أو باختلاف حالهم حكيماً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية: 40] أي: لا ينقص من الثواب ولا يزيد في العقاب مقدار أصغر شيء من الأشياء كالذرة التي هي عبارة عن جزء من أجزاء الهباء، بل لا يتصور الظلم مطلقاً في حقه فإنّه عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه أو عن التعدي في غير ملكه وكلاهما محال في فعله لأنه إما عدل في أمره وإما فضل في حكمه كما بينه بقوله: ﴿وَإِن تَكُ﴾ [الآية: 40] أي: الذرة من العمل ﴿حَسَنَةً﴾ [الآية: 40] وقرأ الحرميان بالرفع أي: وأن تقع حسنة واحدة في مقام العدل ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ [الآية: 40] في مرتبة الفضل

172/ب

وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعِّفها ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ [الآية: 40] أي: يعط من عنده على سبيل الفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل بالعدل ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 40] أي: عطاءً جسيماً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 41] حال هؤلاء الخلق في معرض الحق ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [الآية: 41] أي: نبي يشهد على صدق أحوالهم أو قبح أفعالهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية: 41] من المشهودين والشهداء ﴿شَهِيدًا﴾ [الآية: 41] يشهد على الشهداء بصدق مقالهم وتزكية أحوالهم وعلى المشهودين بما يستحقون من سوء وبالهم وقبح مآلهم على وفق أعمالهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [الآية: 42] أي: أن يدفنوا فيسوى بهم التراب ليخلصوا من العقاب والحجاب وقرأ نافع بفتح التاء وتشديد السين وحمزة والكسائي بتحقيقها مع فتح التاء والباقون بالضم والتخفيف والكل على تشديد الواو ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [الآية: 42] أي: ولا يقدرون على كتمانه لما عرفوا من علو شأنه وظهور برهانه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 43] أي مواضعها فضلاً عن صنعها ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [الآية: 43] حال من فاعلها ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [الآية: 43] أي: تعرفوا قراءتكم وتفهموا عبادتكم وتتركوا عادتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة أي: ضيافة ودعا نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا أو شربوا حتى ثملوا أي: سكروا وجاؤوا صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم وهو علي أو عبد الرحمن أو غيرهما فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت[1] وقيل: غلبه النوم في معنى الخمر وبه ورد الخبر وفي الأحياء قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من كثرة الهموم المتعلقة بالسوى.

وقال الواسطي: لا تقرب/إلى مواصلتي إلا وأنت منفصل عن جميع كائناتي. 173/أ

(1) تفسير الطبري (8/ 376)، تفسير الرازي (5/ 212)، والكشاف (1/ 412).

أفاد الأستاذ: أن النهي عن موجب السكر من الشراب لا من الصلاة أي: لا تصادفنكم الصلاة وأنتم بصفة السكر أي: امتنعوا من شرب ما يسكر فإنكم إن شربتم سكرتم ثم إذا صادفكم الصلاة على تلك الحالة لا يقبل منكم صلاتكم والسكر ذهاب العقل والاستشعار ولا يصح معه المناجاة مع الحق والمصلي مناجي ربه فكل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بهذا من حيث الإشارة ولأجل هذه الجملة حصل السكر على أقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء الدنيا وأصعب السكر من نفسك وهو الذي يلقيك في الفرقة عنه فإن من سكر من الخمر فقصاراهُ الحرقة إن لم يغفر ومن سكر من نفسه فحاله الفرقة في الوقت عن الحق فأما السكر الذي يشير إليه القوم فصاحبه محفوظ عليه وقته حتى يصلي والأمر مخفف عليه فإذا خرج عن الصلاة يهجم عليه وغالبه فاختطفه عنه ومن لم يكن محفوظاً عليه أحكام الشرع فمسيب فتان ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ [الآية: 43] عطف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [الآية: 43] إذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب هو الذي أصابه الجنابة ويستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه يجري مجرى المصدر وهو الإجناب والمعنى ولا مجنبين ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [الآية: 43] استثناء من أعم الأحوال أي: لا تقربوا المساجد التي هي مواضع الصلاة تعظيماً لها إلا حال كونكم مجتازين فيها غير لابثين بها إذا كان فيه الماء أو الطريق منحصر إليها وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [الآية: 43] أي: من الجنابة وهو غاية للنهي عن القربان للصلاة حال الجنابة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أذن للمضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة فإذا عرج زائراً على قدر الضرورة فمعاتب غير معذور كذلك فما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت فموضوع على صاحبه المطالبة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [الآية: 43] أي: مرضاً يخاف معه الضرر باستعمال الماء الواجد له حينئذٍ كالفاقد ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 43] أي: على جناح سفر والمعنى مسافرين ولا تجدون الماء فيه ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [الآية: 43] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 43]

أي: جامعتموهن كما فسره به علي وابن عباس/ وأكثر الصحابة والتابعين وقرأ 173/ ب حمزة والكسائي لمستم وهو كناية عن الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ [الآية: 43] أي: فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود له ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ [الآية: 43] أي: شيئاً من وجه الأرض طاهراً أو حلالاً وما روي أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه[1] والقياس على الوضوء دليل على أن المراد هاهنا ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6] خلافاً للإمام أحمد بن حنبل فكأنه حمل الزيادة على الاستحباب كما ورد عن ابن الخطاب أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ كما رواه ابن جرير[2] وتارة يتوضأ ويصلي كما رواه الدارقطني[3] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [الآية: 43] فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص في الحكم لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بفضله جعل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند إعواز الماء كذلك النزول إلى ساحات الفرق عن ارتقاء ذروة الجمع بقدر ما يحصل من الضعف بدل لأهل الحقائق ثم إن التيمم الذي هو بدل الماء أعم وجوداً من الماء وأحل استعمالاً من الأصل فإن كل من كان أقرب كانت المطالبة عليه أصعب ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستشعار الخضوع واستدامة الذبول ورد التيمم إلى التقليل وراعى فيه صيانة لرأسك من التراب ولقدمك فإن العز بالمؤمن ومولاه باستحقاق الجلال أولى من الذل لما هو مفلس فيه من الحال ولئن كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذلل فعرفانه بجلال سيده يوجب كامل التعزز والتجمل.

ومن «**نفائس العرائس**» هذا خطاب لأهل العشق والمحبة والشوق الذين أسكرتهم أنوار القدسية وسبحات السبوحية وهم حيارى سكارى مبهوتون في

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (1/ 211) رقم (817)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 146) رقم (1673)، والدارقطني في السنن (1/ 182) رقم (25).

(2) تفسير ابن كثير (2/ 315)، وأمّا ما ذكره الطبري في تفسيره (8/ 396) و(8/ 397) فإنه روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(3) لم يرد عند الدارقطني في سننه أنه توضأ.

نهبة الأحوال تائهون في مشاهد الجلال والجمال فغالب أحوالهم العبرات والغلبات والزعقات والشهقات والهيجان والهيمان لا يعرفون الأوقات ولا يعرفون الليل من النهار ولا النهار من الليل لا يقدرون في حال سكرهم أن يأتوا على شرائط الصلاة من القيام والقراءة والركوع والسجود وكهشام بن عبدان وبهلول وسعدان وجميع عقلاء المجانين أي أيها العارفون بذاتي وصفاتي وأسمائي ونعوتي السكارى من شراب محبتي وسلسبيل إنسي وتسنيم قدسي وزنجبيل قربي وخمر عشقي وعقار/ مشاهدتي إذا كشفت لكم جمالي 174/أ وأوقعتكم في مقام ربوبيتي فلا تكلفوا أنفسكم أمر صورة الظاهر لأنكم في جناب مشاهدتي وليس في جنة جلالي تعبد حتى إذا سكنتم في سكركم وصرتم صاحين على نعت التمكين فإن جنود العشق ترفع قلم التكليف عن جنون محبتي فإذاً تصلون وتفرقون مقام البدايات على حد الصحو وإن كنتم مضطرين في خمار ذلك السكر لأن السكران والصاحي يذهبان عن صورة العقل إلى عالم العشق عند طلوع جلال عظمتي من مطالع قدمي في عيون إبصار سرائرهم فعند ذلك يستوى حالهما:

إذا طلع الصباح لنجم راحي تساوى فيه سكران وصاحي

وإذا بقي العقل الإلهي في إشراق أنوار سلطان المشاهدة ذرة فينبغي أن يصلي ويؤدي حق أوقات فإن بعض مشايخنا لما حان عليهم وقت الصلاة وهم في وجد وحالة قاموا إلى الصلاة ومريدوهم عدوا ركعاتهم وسجداتهم وركعاتهم فإذا سهوا عن شيء ذكروهم ذلك وهذا من كمال ظرفاتهم في المعرفة وأيضاً خاطب أهل الغفلة وسكارى الجهل من شراب الهوى والشهوة أن لا يأتوا إلى مقام مناجاته وقربه ومشاهدته حتى يخرجوا منها فإن الفاعل لا يؤدي فرائضه على شرائط السُنَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 44] أي: ألم تنظر نظر تعجب أو لم ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 44] أي: حظاً يسيراً من علم التوراة ونحوه بحسب لفظ مبناه أو فهم معناه ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [الآية: 44] أي: يختارونها عن الهداية بنحو التحريف وأخذ الرشوة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية: 44] أي:

سبيل الحق لافتدائكم بهم في طريق باطلهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ [الآية: 45] أي: منكم ﴿بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ [الآية: 45] وقد أخبركم بعداوتهم إياكم فاحذروهم فيما يريدون بكم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية: 45] يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [الآية: 45] يعينكم فاكتفوا به عن غيره والتجؤا إليه واعتمدوا عليه والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وقد يزاد في مفعوله كقول حسان:

وكفى بنا فضلاً من غيرنا حب النبي محمد إيانا[1]

يعني الأنصار.

وأفاد الأستاذ: أنهم مكروا ولم يشعروا وجهة مكرهم إن/ أعطوا الكتاب 174/ب ثم حرموا بركات الفهم من الخطاب حتى حرفوا وأصروا ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الآية: 46] أي: من اليهود ومن تبعهم من أهل الجحود ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ [الآية: 46] أي: قوم يميلونها ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية: 46] التي وضعها الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيرها مكانها أو يؤدونها على ما يشتهون فيها ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا﴾ [الآية: 46] قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ [الآية: 46] أمرك سراً أو غيرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ [الآية: 46] أي: غير مجاب إلى ما تدعو إليه ﴿وَرَٰعِنَا﴾ [الآية: 46] انظرنا نكلمك أو نفهم قولك ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ [الآية: 46] أي: فتلاً بها وصرفاً عن ظاهرها بما تظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما تضمرون من السب والتحقير حيث وضعوا ﴿غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ [الآية: 46] موضع لا أسمعت مكروهاً ﴿وَرَٰعِنَا﴾ [الآية: 46] المشابه لما يتسابون به موضع وانظرنا ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [الآية: 46] استهزاء وسخرية بالأمر اليقين ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ [الآية: 46] بدل عصينا ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ [الآية: 46] من غير مسمع ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ [الآية: 46] بدل راعنا ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 46] ما ذكر ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ﴾ [الآية: 46] أي: أعدل بهم ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [الآية: 46] أبعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم واستحقاق نقمته ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الآية: 46] منهم آمنوا أو سيؤمنون.

---

(1) نسب إلى أبي القاسم. انظر: الحلل في شرح أبيات الجمل (1/ 71).

وأفاد الأستاذ: أنهم تركوا حشمة الرسول ﷺ ورفضوا حرمة قدره، فعوقبوا بالشك في أمره وكذلك لم يترك أحد حشمة محتشم إلا حيل بينه وبين بركات صحبته وزوائد خدمته ولو أنهم عاجلوا في نفي ما داخلهم من الحسد وقابلوا حاله عليه السلام بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركات المتابعة فأسعدوا به في الدنيا والآخرة لكن أقصتهم السوابق فأقعدتهم القسمة عن بساط الخدمة وأن من قعدت به الأقدار لم ينهض به الاختيار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [الآية: 47] من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [الآية: 47] من التوراة والإنجيل والزبور في التبيان ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [الآية: 47] أي: نمحو تخطيط صورها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [الآية: 47] أي: ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو العقبى ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ [الآية: 47] على لسانك المحمود ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: 47] على لسان داوود فنجعلهم قردة وخنازير وكلاباً من أصحاب السعير ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 47] بما حكم وقضاء/ ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية: 47] نافذاً كائناً فيما أمضاه. 175/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى صرف القلوب عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواعيه تتوفر في رفض الدنيا فصار لا يصبر على جمعها ومنعها بمقتضى الهوى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [الآية: 48] أي: لعبد لقيه مشركاً به لحكمه عن خلود عذابه عدلاً ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 48] أي: ما عدا الشرك صغيراً كان أو كبيراً هنالك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 48] إحساناً وفضلاً وهذا كله في حق من لم يتب عن فعله وإلا فالتائب من الذين كمن لا ذنب له من أصله ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 48] أي: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام فإن الشرك لظلم عظيم وصاحبه مقيم في عذاب أليم.

وأفاد الأستاذ: أن العوام طولبوا بترك الشرك الجلي والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي فمن توسل إليه بعمله وبظنه منه أو توهم أن أحكامه سبحانه معلولة بحركاته وسكناته أو رأى خلقاً أو لاحظ نفساً فوطنه الشرك

عند أهل الحقائق والله لا يغفر أن يشرك به وكذلك من توهم أن مخالفاته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 49] من أهل الكتاب حيث قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: 18] وفي معناهم من زكى نفسه ومدح علمه وعمله قيل ليست النفس بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيئاً فقد أسقط من باطنه أنوار اليقين كذا في «**دقائق الحقائق**» ولعل معناه أن الأحوال المستحسنة والأفعال الحسنة كلها وقعت بسبب الإعانة الإلهية وإلا فالنفس لو خليت بطبعها فهي منبع الحالات الرديئة والخيالات الدنيئة ولذا ورد اللّهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين[1] ولا أقل من ذلك فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة[2] ولا حول ولا قوة إلا بالله يشير إلى ما ذكرناه في مبناه ومعناه.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 49] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9] ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 10] وفي الحديث اللّهم آتِ نفسي تقواها وزكّاها أنت خير من زكاها[3] وفيه تنبيه نبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإن العالم بما ينطوي عليه الإنسان من القبح والإحسان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية: 49] أدنى ظلم وأصغره ولو/ قليلاً والفتيل هو الخيط الذي في شق النواة أو ما فتلت من أصابعك من الوسخ يضرب به المثل في الحقارة والمعنى ينقص من ثواب أعمالهم المحمودة ولا من عقاب أفعالهم المردودة شيئاً قليلاً ولو كان فتيلا. 175/ب

وأفاد الأستاذ: أن من ركن إلى تزكية الناس له واستحلى قبول الخواص حاله فهو مزكي نفسه جاهل بيومه وأمسه أن رؤية النفس أعظم حجاب ومن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 730) رقم (2000)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 43) رقم (3565)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 147) رقم (10405).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 119) رقم (4803) و(5/ 157) رقم (4932).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 201) رقم (5085)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 443) رقم (7864)، ومسلم في الصحيح (2722/ 73).

توهم أن بتكلفه يزكي نفسه بأوراده واجتهاده أو حركاته أو سكناته فهو في غطاء حجابه.

ومن «**نفائس العرائس**» شكى سبحانه وتعالى عن أهل الدعاوي الباطلة الذين يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً بالغفلة سمعوا كلام الأولياء وباعوا في سوق السالوس على الفقراء وأضافوا حقائق الصديقين إلى أنفسهم وأشاروا إلى مقام الرياضات والمجاهدات بغير علمهم وعملهم ولم يشموا رائحة الصدق في حالهم ومع هذه العيوب يثنون على أنفسهم فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 49] يلبس أنوار تنزيهه أولياءه وتقدس عن كل سوء صفاته وعن كل خاطر غير سبيل الحق أحباؤه.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ [الآية: 50] بتزكيتهم أنفسهم في زعمهم أنهم أبناؤه ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 50] أي: بافترائهم ﴿إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ [الآية: 50] ظاهراً من بين آثامهم.

أفاد الأستاذ: أن من أطلق لسان الدعوى من غير تحقيق في المعنى والمفتري في قالته في هذا الأمر لا ينطق بشيء إلا محبّته الأذان وانزجر له قلوب الأعيان فإذا سكت عاد إلى قلب خراب في البنيان.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 51] حظاً قليلاً من مواضع الخطاب وكشفاً يسيراً من وراء الحجاب ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [الآية: 51] وهو كل ما عبد من دون الله في كل باب ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 51] أي: لأجل مشركي مكة وفي حقهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 51] إشارة إليهم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 51] أقوم ديناً وأعظم يقيناً وذلك حين سأل قريش عن أخبار اليهود أديننا خير أم دين محمد عليه السلام فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى على ما رواه ابن عباس وعكرمة وجماعة من السلف[1] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية: 51] أبعدهم من رحمته وأدخلهم في نقمته.

---

(1) الدر المنثور (2/ 564).

﴿وَمَن يَلْعَنِ/ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [الآية: 52] بمنعه من العذاب ويدفع عنه 176/أ الحجاب ويقربه إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وهواه وجبته مقصوده من الأغيار وما سواه فمن لاحظ شخصاً أو طالع سبباً أو عرج على علة أو تابع هوى من بدعة فذلك جبته وطاغوته وأصحاب الجبت والطاغوت يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية والحجاب عن شهود الربوبية.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية: 53] زعمت اليهود أن الملك إليهم يعود والمعنى بل ألهم حظ من ملك المولى نصيباً كثيراً أو من ملك الدنيا قليلاً يسيراً ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [الآية: 53] أي: لو كان لهم نصيب من الملك تقديراً فإذا لا يوتون أحداً ما يوازي نقيراً وهو النقرة في ظهر النواة وهذا بيان لغاية شحهم ونهاية بخلهم فإنهم إذا بخلوا بالنقير وهم ملوك مع الجاه العريض والمال الكثير فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء مهانين إذلاء متفاقرين.

وأفاد الأستاذ: أن من جبل على الشح لا يزداد بسعة ذات يده إلا تأسفاً على راحة تنال الخلق به كأنه شرب قطرة ماءٍ من حياضه تحسى بل ترشف من ماء حياته.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 54] أي: بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه وأتباعه وأحبابه ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 54] يعني الكتاب والنبوة والعزة والنصرة ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 54] أسلاف محمد وأبناء عنّه الكريم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 54] أي: صحف إبراهيم الخليل والتوراة والإنجيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 54] النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 54] كداوود وسليمان فلا يستنكر أن يؤتيه مثل ما آتاهم أو زيادة على ما أعطاهم والحاصل أنه سبحانه ذمهم على صفتي البخل والحسد وهما شر الرذائل في الجسد.

﴿فَمِنْهُم﴾ [الآية: 55] أي: من اليهود وغيرهم ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الآية: 55] أي: بربه أو بمحمد عليه السلام أو بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [الآية: 55] أعرض ولم يؤمن بقلبه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [الآية: 55] لمن كفر كما أنه

كفي بالجنة ملكاً كبيراً لمن آمن به.

ومن «دقائق الحقائق» في قوله: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 54] هو الكرامات والولايات والمشاهدات فيكذبهم أهل الزمان ولا يطيعون أهل العرفان فإن ذلك كان الأولياء وأصحاب الإيقان قبل ذلك بين مكذب لهم ومصدق في التبيان.

176/ب وأفاد الأستاذ: أن الملك العظيم/معرفة الملك الكريم ويقال هو الملك على النفس أي: بعدم تضييع النفس ويقال: الإشراف على أسرار المملكة ويقال: الاطلاع على الخلق باطلاع أنوار الحق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 56] أي: الأفاقية والأنفسية أو الأدلة النقلية والفعلية أو المعجزات الفرقانية أو الآيات القرآنية ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [الآية: 56] أي: ندخلهم ناراً عظيمة وقودها الناس والحجارة ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [الآية: 56] احترقت وخربت حدودهم ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [الآية: 56] بل تعاد تلك الجلود بعينها أو بأن يزال أثر الإحراق عنها ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية: 56] ويدركوا ألم الحجاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ [الآية: 56] أي: غير منيع عن إرادته ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 56] يعاقب على وفق حكمته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء الكبار يقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة الأفكار كلما لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة جرهم أفكارهم بالغصة إلى ترك الإيمان بها والإزراء بأهلها على وجه الاستبعاد فمنهم مؤبد عقوبتهم أبد الآباد.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 57] من المتقين الأبرار ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: 57] مقدرين الخلود في دار القرار ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [الآية: 57] أي: من الأوزار والأقدار ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [الآية: 57] أي: دائماً لا تنسخه الشمس كثيراً ولا قليلا.

- وفي «حقائق السلمي» قيل: المراد بالظل التفويض وهو محل الراحة والأمن في الدارين.

وأفاد الأستاذ: أنهم اليوم في ظل الرعاية وغداً في ظل الحماية والكفاية بل هم في الدنيا والعقبى في ظل العناية والناس في هذه الجملة متفاوتون فمنهم من هو في ظل رحمته ومنهم من هو في ظل رعايته ومنهم من هو في ظل كرامته ومنهم من هو في ظل عنايته ومنهم من هو في ظل قربته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [الآية: 58] خطاب يعم المكلفين والأمانات كما قاله السلف وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة إلى الحجبة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص مورد الآية ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [الآية: 58] أي: بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ [الآية: 58] أي: نعم شيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ [الآية: 58] وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات/ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ [الآية: 58] بأقوالكم ﴿بَصِيرٗا﴾ [الآية: 58] بأحوالكم فيجازيكم عن وفق أعمالكم. 177/أ

وأفاد الأستاذ: أن رد الأمانات إلى أهلها تسليم أحوال الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث لا تفسد عليهم ويقال لله سبحانه أمانات وضعها عندك فردّ الأمانات إلى أهلها تسليمها إلى الله سبحانه سالمة من خيانتك فيها فالخيانة في أمانة القلب إدعاؤك فيها والخيانة في أمانة السر ملاحظتك إياها والحكم بين الناس بالعدل تسوية القريب والبعيد في العطاء والبذل وأن لا تحملك مخامرة حقد على انتقام لنفس أحد.

ومن «**نفائس العرائس**» أن الأمانة عهد الله الأزلي الذي عاهد به أرواح أهل القرب في مشاهدة جمال الرب حيث قبلت الأرواح من الربوبية سمات العبودية ومن المشاهد لطائف المحبة ووجدت أسرار الملك والملكوت عند سرادق الجبروت فكتمها عن الأغيار لأن صدور الأحرار قبور الأسرار فلما تلبست الرواح بقوالب الأشباح كادت أن يغشاها للضعف عن حملها فأمر الله بكتمانها عن الخلق حتى يؤدوها إلى الحق عند كشف جماله في الآخرة لأنه تعالى أهل تلك الأمانة وذلك قوله لنا: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72] الآية وأيضاً أمرهم الله بإظهار ما كوشف لهم من أحكام الغيب

عند العارفين وكتمانها عن الجاهلين.

قال الجريري: أفضل الأمانات أمانة الأسرار فلا تظهرها ولا تكشفها إلا لأهلها لأنهم أهل الأمانة العظمى وقال بعضهم: الأمانة أسرار الله وأهل الأمانة هم العارفون بالله والعالمون بأسرار الله وهم الناظرون إلى القلوب بأنوار الغيوب فيحكمون عليها فحقق الله أحكامهم وهو الذي قال تعالى فيهم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: بما في كتابه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 59] بما في خطابه ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [الآية: 59] في اجتهاد صوابه ويندرج فيهم الخلفاء والأمراء والعلماء والأولياء فإنهم أولو الأمر على المريدين الأصفياء ولا يبعد أن يستدل على صحة حجة الإجماع عند عدم النزاع.

177/ب وأفاد الأستاذ: أن الولي هو أولى بالمريد من/ المريد بالمريد ثم النكتة في إعادة ﴿أَطِيعُواْ﴾ [الآية: 59] في جانب الرسول وعدمها في جانب أولي الأمر للإيمان إلى أن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله وأما غيره فقد يأمر بغيرها ولذا قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: 59] أي: أنتم وأولو الأمر منكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾ [الآية: 59] فارجعوا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 59] أي: كتابه وتبيانه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 59] بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعد أوانه واستدل به منكرو القياس والأظهر أن هذا حجة عليهم بلا التباس فإن رد المختلف إلى المنصوص عليه من الكتاب والسُّنَّة إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه في طريق المقايسة فالآية تدل على أن الأحكام ثلاثة آية محكمة وسُنَّة قائمة وفريضة عادلة كما جاء في السُّنَّة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [الآية: 59] فإن الإيمان بما هنالك يقتضي ذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 59] أي: الرد المقبول ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية: 59] لكم وأفضل لأحوالكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (18/ 170) رقم (381)، وأحمد في المسند (1/ 131) رقم (1095).

[الآية: 59] عاقبة لمآلكم.

وحكي عن العالم الرباني أبي سليمان الداراني: كل ما عرض لي من الخواطر الحسنة عرضته على الكتاب والسُنَّة فإن وافقهما قبلته وإلا تركته فهما ميزان العدل والتبيان الفضل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من الكتاب وهم المنافقون وأهل الحجب ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [الآية: 60] أي: كثير الطغيان ظاهر العصيان وهو من يحكم بغير الكتاب والسُنَّة ويؤثر الباطل على الحق لأخذ الرشوة ونحوه من المقاصد السّيئة وقال أبو عثمان إلى آرائهم وأهوائهم وأمثالهم وأشكالهم ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [الآية: 60] أي: يرفضوه ويتركوه بالكلية حيث قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 256] الآية ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 60] عن طريق المعرفة وسلوك الحجة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 61] أي: ارتفعوا عن حضيض ظلمات غيار أغيار الغواية إلى أوج علويات أنوار الهداية ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية: 61] أي: المذبذبين في الدين المتحيرين في أمر اليقين ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [الآية: 61] أي: يعرضون إعراضاً مبعوداً ويحجبون بذلك عن بابنا حجاباً مردوداً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 62] أي: حالهم ومآلهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [الآية: 62] أي: نقمة أو محنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ / أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 62] بسبب شؤم ما عملته 178/أ أنفسهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك قيل أعظم المصائب اشتغالك عن الله وأعظم الغنائم اشتغالك بالله ذكره السلمي.

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ [الآية: 62] عطف على إصابتهم ثم أتوك حين أصابتهم للاعتذار عن قباحتهم حال كونهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [الآية: 62] أي: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين بالصلح المستحسن روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما عن

ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهود إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب الملقب بالأشرف ثم أنهما احتكما إليه ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال تتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قد قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق: كذلك قال نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل[1] فسمي الفاروق.

وأفاد الأستاذ: أن تضرع غير المخلص عند هجوم الضرورة به لا أصل له فلا ينبغي أن يكون به اعتبار لأن بقاءه إلى زوال المحنة والمصيبة العظمى ترك المبالاة بالمعصية ومن المصائب تمحيق وقتك فيما لا يجدي عليك نفعك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 63] من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق فلا ينفعهم الكتمان والحلف الكذب وإظهار الوفاق ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 63] عن جفائهم وإفنائهم لمصلحة استبقائهم ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾ [الآية: 63] انصحهم بلسانك لعله ينفعهم ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية: 63] أي: في حقها الخالص بهم أو سراً حيث ليس معهم غيرهم ﴿قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [الآية: 63] يبلغ المراد ويؤثر فيهم وهذا كله لكونه نبي الرحمة لجميع الأمة خاصهم وعامهم.

وقال الواسطي: فأعرض عن جهالهم وعظ أوساطهم من عقلائهم يعني وقل لعلمائهم.

وقال جنيد: كلمهم على مقادير عقولهم.

وقال الأستاذ: ابسط لهم لسان الوعظ بمقتضى الشفقة عليهم ولكن انقبض بقلبك على المبالاة بهم أو السكوت إليهم واعلم أن من لا يكون نحن له لا يغني عن بقيته شيئاً/. 178/ب

(1) تفسير القرطبي (5/ 264).

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [الآية: 64] فيما يحكم به لا ليطلب الحكم من غيره ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 64] أي: بسبب إذنه في طاعته وأمره أو بتوفيقه وتيسيره ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 64] بالمخالفة ثم ﴿جَآءُوكَ﴾ [الآية: 64] بالمراجعة إلى الموافقة ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] عما صدر عنهم من المعصية والغفلة ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية: 64] بالمسألة والشفاعة ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 64] ليعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بإعادة الرحمة إليهم.

﴿فَلَا﴾ [الآية: 65] أي: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بك وهم مخالفون لحكمك ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 65] أي: حقيقة الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 65] حتى يجعلوك حكماً لهم في جميع أعمالهم ويقبلوا حكمك فيما اختلفوا من مقالهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [الآية: 65] أي: مما حكمت به أو شاكاً من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الآية: 65] وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 66] بتعرضها للقتل بالجهاد أو كما قتل بنو إسرائيل من جملة العباد ﴿أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ [الآية: 66] بترك أوطانكم من البلاد ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 66] أي: المكتوب من القتل والخروج عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 66] وهم المخلصون فيهم ورفع قليل على البدلية من ضميرهم وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 66] من المبايعة مع المطاوعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 66] في عاجلهم وآجلهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [الآية: 66] في دينهم وحسن حالهم ومآلهم أو تثبيتاً لثواب أعمالهم.

﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 67] في العقبى.

﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 68] إلى المولى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69] وفي الحديث من عمل بما علم أورثه

الله علم ما لم يعلم[1].

قال محمد بن الفضل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 66] بمخالفة هواها و﴿أَخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ [الآية: 66] بإخراج حب الدنيا من قلوبكم ما فعلوه إلا قليل منهم في عدد المباني كثير في المعاني وهم أهل التوفيق في طريق التحقيق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن سقم إخلاصهم وقوة إفلاسهم ثم أخبر أنه لعلمه بتقصيرهم خلاهم عن كثير من الامتحانات في أمر تدبيرهم ثم قال ولو أنهم جنحوا للخدمة وشدوا نطاق الطاقة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 66] من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ [الآية: 66] ذلك لآتيناهم/ من عندنا ثواباً عظيماً ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ولأوليناهم عطاءً مقيماً والأمر بقتل النفس على بيان الإشارة يرجع إلى مخالفة الهوى وذبح النفوس بمنعها عن المألوفات الشاغلة عن المولى والخروج من الديار مفارقة أوطان إرادة الدنيا. 179/أ

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الآية: 69] في الفرائض والسنن الواصلة إليهم ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 69] بسبب الموافقة المقتضية للمرافقة مع كرام المخلوقين ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 69] بيان للذين وقسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم علماً وعملاً في الدين وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم في مراتب اليقين فالأنبياء هم الفائزون بكمال العلم والعمل الواصلون إلى مرتبة التكميل لأجل الأمل ثم الصديقون الذين بالغوا في التصديق المتعلق باليقينيات وفي الصدق بالقول والفعل في العلميات ثم الشهداء الذين أدى لهم المبالغة في الطاعة حتى بذلوا المهجة في إعلاء الكلمة ثم الصالحين الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في محبته وقاموا بحقوق الله وحقوق عباده ابتغاءً لمرضاته ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [الآية: 69] أي: رفقاء في جنته وقد ثبت بطرق متكاثرة كادت متواترة أنه ﷺ سئل عن الرجل

(1) كشف الخفا (2/ 220) رقم (2346).

يحب القوم ولا يلحق بهم فقال المرء مع من أحب[1] قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث[2].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 70] أي: من لطفه وكرمه وإحسانه ونعمه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [الآية: 70] باستحقاق أهله وسائر أحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد عليهم محلهم عن كل علة واستحقاق وسبب فإن ما لاح لهم وأصابهم صرف فضله وابتداء كرمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [الآية: 71] ما يحذر به من عدوكم ويعد من سلاحكم ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ [الآية: 71] أي: اخرجوا مسرعين متنفرين عن أهليكهم لجهادكم مع مخالفيكم ﴿ثُبَاتٍ﴾ [الآية: 71] جماعات متفرقة ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [الآية: 71] أي: مجتمعين كوكبة واحدة والمعنى بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الخيرات في جميع الأوقات والحالات قبل أوانِ الفوات وزمان الحسرات والندامات قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: 50] ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: 8] ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ/ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة: 11 ـ 12]. 179/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الفرار إلى الله من صفات القاصدين والفرار مع الله من صفات الواصلين فلا يجد الفرار مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله والفرار من كل غير شأن كل موحد لا غير.

﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ﴾ [الآية: 72] أي: صورة لِلمنافقين والمرائين ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [الآية: 72] أي: ليثقلنكم في تحمل الدين وليمنعكم عن الخروج مع المجاهدين ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ [الآية: 72] كقتل وهزيمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 72] أي: المبطيء ﴿قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ [الآية: 72] حاضراً في القضية فيصيبني ما أصابهم من المحنة والبلية.

﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 73] كنصرة وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [الآية:

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 595) رقم (2385).

73] أكده تنبيهاً على فرط الحسرة ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ [الآية: 73] أي: أدنى محبة وأقل مواصلة والجملة معترضة بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 73] في المقاتلة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 73] فآخذ نصيباً وافراً من الغنيمة وكان مخففة من المثقلة وقرأ ابن كثير وحفص يكن لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني كنت محذوف أي: يا قوم وأفوز نصب على جواز التمني.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 74] أي: يبيعونها بها وهم المخلصون الباذلون أنفسهم في سبيل المولى وطريق العقبى ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 74] بأن يموت على الشهادة أو يغلب بالفتح والنصرة فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ومكاناً كريماً ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 75] مبتدأ وخبر.

﴿لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 75] جملة حالية والمراد تحريضهم على أمر الجهاد بتأكيد القضية ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [الآية: 75] أي: وفي سبيل الله المأسورين بتخليصهم عن أيدي أعداء الدين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية: 75] بيان للمستضعفين ويريد بهم المسلمين الذين بقوا بمكة لصدهم المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتهنين ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [الآية: 75] أرادوا مشركي مكة شر العباد في خير البلاد ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [الآية: 75] يرى أمر ديننا ودنيانا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [الآية: 75] ينصرنا على أعدائنا وقد استجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خيراً من تولي الولاية والنصرة بفتح مكة على أيدي الحضرة النبوية فتولاهم ونصرهم أولاً ثم استعمل عليهم عتاب/ بن أسيد رضي الله عنه بعد فتحها فحماهم ورعاهم حتى صاروا أعزة أهلها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يصلون به إلى رضاه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يبلغ بهم الشيطان إلى طغيانه وهواه ﴿فَقَاتِلُوا﴾ [الآية: 76] أي: يا أولياء الله ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 76] ممن تبع هواه.

180/ أ

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 76] أي: بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 76] بالإضافة إلى كيده سبحانه للكافرين ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وقال سهل: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم والمنافقون خصماء أنفسهم على ربهم يبدرون إلى اختيارهم ولا يرضوا بما اختار الله مولاهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 77] أي: من ضعفاء المسلمين ﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [الآية: 77] عن قتال المشركين.

وقال الأستاذ: أخرجوا أيديكم عن أموركم وكلوا أحوالكم إلى معبودكم ويقال قصروها عن أخذ الحرام والتصرف فيه كالعوام ويقال كفوا أيديكم إلا عن رفعها إلى الله في السؤال بوصف الابتهال ويقال امتنعوا عن الشهوات ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 77] أي: وسائر العبادات وخصتا لأنهما من أمهات الطاعات ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 77] من المنافقين أو من الضعفاء في اليقين ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 77] أي: المشركين أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: كما يخشون أن ينزل عليهم بأسه فيهلكهم ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [الآية: 77] معطوف على اسم الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منه على الفرض أو بناءً على زعمهم وقيل: أو بمعنى بل مبالغة في تزييف أمرهم ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [الآية: 77] في هذا الحال ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: 77] وهو استزاده في مدة الكف عن القتال حذراً عن الموت وصرف المال.

وأفاد الأستاذ: أنهم استثقلوا أمره واستعجلوا لطفه والعبودية ترك الاستثقال ونفي الاستعجال والتباعد عن التبرم في الانتقال من الحال إلى الحال ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] يسير المنال سريع الزوال ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] أي: خاف المولى في جميع الأحوال ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية: 77] أي: ولا يتقصون أدنى شيء من جزاء الأعمال وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بصيغة الغيبة وفيه تغليب على كل قراءة.

/180ب قال محمد بن الفضل: متاع الدنيا/ قليل وأقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] الدنيا وأهلها والركون إليها.

وقال الأستاذ مكنك من الدنيا ثم قال لنبيه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] فلم يعدها شيئاً لك ثم لو تقصدّت منها بشق تمرة لتخلصت من النار وحظيت بالجنة وهذا غاية الكرم واستقلال الكثير من نفسك لأجل حبيبك أقوى أمارات محبتك ويقال لما زهدهم في الدنيا قللها في أعينهم ليهون عليهم تركها ويقال ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ بجملتِهِ قليل والذي هو نصيبك منها أقل من القليل لو سلم عهدك من التبديل وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخسّ من الخسيس من رضي بالخسيس بدلاً عن النفيس وقد اختدع المؤمن من الكون بالتدريج فقال أولاً ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى ثم سلبهم عن الكونين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 73] .

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 78] بلا تصور الفوت ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [الآية: 78] أي: قصور مرتفعة أو حصون مجصصة.

وفي «نفائس العرائس» إن ظاهره تخويف للمخالفين وباطنة تجزية للمشتاقين أي: لا تحزنوا أيا المشتاقون إلى لقائي فإني آتيكم بأحسن ما تظنون في فأريحكم من سجن الدنيا وأوصلكم إلى مجلس وصلتي في العقبى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟﴾ [الآية: 78] أنا معكم فإذا حان وقت القربة أسلبكم من أيدي المنية وموتكم خروج أرواحكم بمشاهدتي كحجر المغناطيس حيث يظهر ينجذب الحديد إليه وبشر أحبائي أن الموت راحتهم والموت وصلتهم والموت تقريب ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: الكفرة ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 78] أي: نعمة كخصب وسعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 78] أي: بلا شبهة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 78] كقحطٍ وبلية ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية: 78] أي: أضافوها إليك على وجه السببية وقالوا: ما هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ محمد دخل المدينة نقصت أثمارها وغلت أسعارها كما قال قوم لنبيهم كما أخبره سبحانه عنهم بقوله: قالوا تطيّرنا بك وبمن معك ولا يبعد أن يكون الآية نظير قوله

سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: 11] ﴿قُلۡ كُلّٞ﴾ [الآية: 78] من الحسنة والسيئة/ ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] حاصلة وواصلة يبسط أو يقبض على وفق الإرادة والمشيئة. 181/أ

وأفاد الأستاذ: أن الموت فرح للمؤمن فالخبر عن قربه بشارة له لأنه سبب يوصله إلى الحق ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ويقال: إذا كان الموت لا بد منه فالاستسلام لحكمه طوعاً خير لك من أن تحمل كرهاً ثم أخبر أنهم لضعف بصائرهم ومرضِ عقائدهم إذا أصابتهم حسنة فرحوا بها وأظهروا الشكر لها وإن أصابتهم سيئة يهتدوا إلى خلافها فتحرك معهم العرق المجوسي فأضافوه إلى المخلوق فرد الله عليهم بقوله قل يا محمد ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] خلقاً وابتداعاً وإنشاءً واختراعاً وتقديراً وتيسيراً ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الآية: 78] الغافلين كأنهم في النوم ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [الآية: 78] ولا يستنبهون عن نوم غفلتهم حثيثاً فيتعظون بما يوعظون به من كتاب الله وكلام رسوله فإنهم لو فهموا مبانيه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل منه بل يتيقنوا أن غيره ليس في الوجود كما هو عند نظر أرباب الشهود.

﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ [الآية: 79] أيها المخاطب المعاتب في كل قضية ﴿مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ [الآية: 79] أي: نعمة ومنحة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 79] إذ لا منعم سواه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ [الآية: 79] أي: بلية ومحنة ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [الآية: 79] الدنية لأنها السبب فيها باستجلاب الأعمال الردية وهو لا ينافي قوله:﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة وقعت امتحاناً وإحساناً وإفضالاً والسيئة حصلت مجازاة لما كسبت أعمالاً فالآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: 17] خلقاً ﴿إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: 17] كسباً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: 17] إيجاداً أو إمداداً وهو في الحقيقة مقام الجمع المنتهي إليه حال أهل الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن ما أصابك من حسنة فمن الله فضلاً وما أصابك من سيئة فمن نفسك كسباً وكلاهما من الله سبحانه خلقاً وفي قراءة شاذة عن ابن عباس بعد قوله فمن نفسك وأنا كتبتها عليك ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾ [الآية: 79] يوجب لهم إلينا

وصولاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 79] أي شاهداً أو مشهوداً وخالقاً ومعبوداً.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 80] لأنه مبلغ عن مولاه ولا يأمرهم إلا بما يرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية تشير إلى الجمع الأتم لحال الرسول ﷺ فقال طاعته طاعتنا فمن تقرب منه تقرب منا ومقبوله مقبولنا ومردوده مردودنا ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 80] عن طاعته/ وأعرض عن محبته ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: 80] أي: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم أحوالهم إنما عليك البلاغ في كل باب وعلينا الحساب بالثواب والعقاب. 181/ ب

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية: 81] أي: المتولون وهم المنافقون والمراؤون إذا أمرتهم بأمر وبادر إليه المؤمنون ﴿طَاعَةٌ﴾ [الآية: 81] أي: أمرنا وشأننا طاعة وهذا حالهم في صحبتك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية: 81] أي: خرجوا من خدمتك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [الآية: 81] زورت خلاف ما قلت لها من أمر الوصول أو عكس ما قالت لك من القبول.

قال الأستاذ: يعني إذا حضروك استسلموا في مشاهدتك فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك فعادوا إلى ظلمات نفاقهم كما قالوا:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضنى عاد إلى نكسه
والشيخ لا يترك أخلاقه وإن توارى في ثرى رمسه[1]

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [الآية: 81] أي: يثبت ما يزورون من الويل وما يصورون في الليل ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 81] بالتجافي منهم وقلة المبالات بهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] في الأمور كلها لا سيما في أمرهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 81] موكولاً إليه ومعتمداً عليه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية: 82] أي: لا يتأملون في مبانيه ولا يتفكرون في معانيه ولا يتبصرون ما فيه ليعلموا حال موافقيه ومخالفيه وأنه ليس فيه شيء

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

يعارضه وينافيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 82] تعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] من تفاوت المبنى وتناقض المعنى لنقصان القوة البشرية وكمال القدرة الإلهية.

ومن «دقائق الحقائق» أنه سبحانه جزاك على تلاوته ولولا ذلك لكلت الألسن عن قراءته.

وأفاد الأستاذ: أن التدبر إثارة المباني بغوص الأفكار واستخراج المعاني بدقائق الاستنباط لإظهار الأسرار ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ [الآية: 83] أي: ما يوجب أحدهما بسببه ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 83] أفشوه وأخبروا به وقد قيل من اطلعوه على سر أذاع به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من يبثوا إليه أسرارهم فأظهر السر بعضهم لبعض فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم وما يسنح لهم خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق فسامع نجواهم الله/ وعالم خطاياهم الله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ [الآية: 83] أي: ذلك الخبر قبل إظهار الأثر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: إذا كان فيهم ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ذوي الرأي من علمائهم أو أمرائهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ [الآية: 83] أي: وجه إظهاره أو إسراره ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] يستخرجون تدبيره لهم. 182/أ

قال الواسطي: لو أخذوا طريق السُنَّة وسبيل أكابر الأمة في إرادتهم الخفية لأوصلهم ذلك إلى المقامات الجلية والحالات العلية من منازل الإيمان ومراتب الإيقان التي هي محل الاستنباطات وطرق المكاشفات.

وقال الحسن: استنباط القرآن على قدر تقوى العبد في ظاهره وباطنه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية: 83] بإنزال الكتاب وإرسال الرسول ليهتدي به أمته ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ [الآية: 83] بأنواع الضلالة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 83] من الأزمنة النادرة أو قليلاً منكم ممن تفضل الله عليه وهداه إليه من غير كتاب ورسول وبيان بل بعقل اهتدى به إلى صوب الصواب وطريق الإحسان

وعصمة من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما من أرباب هذا الشأن.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو بثوا أسرارهم عند من هو محرم بأخبارهم ومن هو من أهل القصة وشريك في هذه القصة لأزالوا عنهم الأشكال وأمدوهم بنور الهداية والإرشاد عن الوقوع في الغواية والضلال ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 83] مع أوليائه لهاموا في كل وادٍ من التفرقة كإشكالهم في الوقت.

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 84] أي؛ أنت وحدك ولو لم يقاتل أحد معك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: 84] إلا فعل نفسك إذ ترك غيرك لا يضرك وقال الأستاذ استقم معنا بتسليم الكل منك إلى أمرنا فإنك كما لا يقارنك أحد في رتبتك لعلوك على الكل في مرتبتك لا يكلف غيرك بمثل ما تكلف ولا يحمل غيرك ما تحمل لانفرادك عن أشكالك في قدرك ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 84] على القتال فإن حثك يبعثهم على جميل الفعال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 84] أي: كن على رجاء أن يمنع الله سبحانه شدة المخالفين على الموافقين إصلاح الحال ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ [الآية: 84] أي: أظهر صولة وشدة وقوة وقدرة ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [الآية: 84] أي: أكثر عقوبة ونقمة.

182/ب ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً/ حَسَنَةً﴾ [الآية: 85] أي: مقبولة في الشريعة ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [الآية: 85] وهو ثواب الشفاعة وجزء الدلالة على الخير والطاعة ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ أي مردود في الكتاب والسنة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [الآية: 85] نصيب من وزرها مساوٍ لها في قدرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [الآية: 85] مقتدراً من أقات إذا قدر فهو من القوة أو حافظاً ورازقاً واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه من ضعف البنية.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [الآية: 86] أي: من أنواع تحية السلام عند ملاقاة الكرام ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [الآية: 86] أي: أجيبوا الجواب الحسن ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [الآية: 86] بالجواب المستحسن فالجواب من فروض الكفاية عند وجود الجماعة وقيل المراد بالتحية العطية وواجب المثوبة أورد الهدية وعن علي كرّم الله وجهه سلم

على أهل الدنيا بترك السلام عليهم وعدم الإقبال والتوجه إليهم ولعل مقصوده مقام الغناء لاستغراق في بحر البقاء لمشاهدة اللقاء.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تعليم لهم في حسن العشرة وآداب الصحبة وأن من حملك فضلاً صار ذلك له في ذمتك قرضاً فإن زدت على فعله وإلا فلا تنقص عن مثله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [الآية: 86] أي: محاسباً على التحية والهدية والعطية وغيرها من الأمور الحسية والمعنوية ومجازفاً على وفق ما صدر عن صاحبها من تصحيح البنية.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 87] مبتدأ أو خبر وقال هذا الخطاب يتضمن نفياً وإثباتاً فالنفي يعود إلى الأغيار ويستحيل لغيره ما نفاه والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبته ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الآية: 87] في قبوركم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 87] يوم يقوم الناس لرب العالمين في المحاسبة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 87] أي: في ذلك الجمع ولا في ذلك المجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [الآية: 87] أي: وعداً ووعيداً ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون صرتم متفرقين ﴿فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية: 88] أي: في شأنهم ﴿فِئَتَيْنِ﴾ [الآية: 88] أي: جماعتين متفرقتين في أنهم هل داخلون معكم في إيمانكم أم خارجون عن حقيقة إيقانكم ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ [الآية: 88] ردهم إلى حكم الكفرة من ضلالتهم وطغيانهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [الآية: 88] من نفاقهم وعصيانهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون ﴿أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 88] وتجعلوه من المهتدين إلى سبيل مولاه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 88] بمتابعة هواه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [الآية: 88] / 183/أ إلى هداه لعدم تخلف إرادة الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم أفردوا العهد فيهم أنهم أعدائي لا ينالون مني في الدنيا والعقبى رضائي وأنكم لا تنقذون بهممكم من إقماته وإخزاته بقسمتي فإن المدار على القسم دون الهمم قلت نعم الهمم إذا طابقت القسم ثم النعم وإن كان الهمم أيضاً من القسم.

﴿وَدُّواْ﴾ [الآية: 89] أي: تمنى المنافقون ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 89] أيها

المؤمنون ﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾ [الآية: 89] أي: ككفرهم في سرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ [الآية: 89] أي أنتم وهم ﴿سَوَآءً﴾ [الآية: 89] مستوين معهم في غيهم ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 89] ولا تعتدوا عليهم في أمر دينهم لأنهم أعداء ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 89] بمتاركة أفعال الكفرة ومفارقة بلدان الفجرة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 89] أعرضوا عن المهاجرة المعتبرة ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ [الآية: 89] بالقهر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 89] بالنحر ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [الآية: 89] من البر والبحر ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ [الآية: 89] في جلب النفع ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 89] في أمر الدفع.

وأفاد الأستاذ: أن الآية فيها الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يتمنون أن يكون الصديقون منهم وهيهات أن يكون لمناهم تحقيق وما دام المخالفون لكم غير موافقين فباينوهم وخالفوهم ولا تطابقوهم ولا تعاشروهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الآية: 90] أو يتصلون إلى قوم في معاهدتكم بأن دخلوا في مصالحتكم وفارقوا أمر محاربتكم أو ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: أو الذين أتوكم كافين عن قتالكم ممتنعين عن قتال قومهم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ضاقت قلوبهم وحارت عليهم أمورهم كراهة ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 90] فإنهم حينئذٍ لاضطرارهم وترك اختيارهم يستحقون الشفقة عليهم والرحمة إليهم شكراً لنعمة الغلبة منكم لديهم بمشيئة الله تعالى ضعفهم وعجزهم فيكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 90] بأن قوّى قلوبهم وأزال الرعب عنهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] ولم يكفوا عنكم ولم يبالوا بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أن عند الأعذار إذن في معاشرة الأغيار بحسب الظاهر لا على وجه الإسرار رفقاً بالمستضعفين لنصيب الغير أي: ليحصل له الخير ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: عن منازلكم ولم يخالطوكم ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] لم يتعرضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية:

90] الاستسلام والانقياد لديكم ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 90] بالإذن لكم في أخذهم وقتلهم دليلاً.

وأفاد الأستاذ/ : أن الإشارة منه إلى أنه إذا عاشركم من ليس من أهل 183/ب القصة معرجين في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريقتكم وسلموا لهم أحوالهم فإن أمكنكم أن تلاحظوهم بعين الرحمة بحيث يؤثر فيه همتكم وإلا فسلموا لهم أحوالهم.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 91] أي: بالمكر والحيلة ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ [الآية: 91] دعوا إلى الكفر والضلالة ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية: 91] رجعوا إليها أقبح رجعة وأشنعها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية: 91] ولم ينبذوا إليكم العهد ولم يصالحوكم ﴿وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 91] ولم يمتنعوا عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 91] أي: وجدتموهم وتمكنتم منهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 91] حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل لظهور غدرهم ووضوح كفرهم والمعنى جعلنا لكم عليهم سبيلاً حيث بينا لكم دليلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من رام الجمع بين الضدين خاب سعيه ولم يرتفع عرضه فكما لا يكون شخص واحد منافقاً مسلماً لا يكون شخص واحد مريداً للحق مقيماً على أحكام العادة فإن الإرادة والعادة ضدان فالواجب مباينة الأضداد ومجانبة الأجانب في طريق الرشاد ومن كلام السادة الإرادة ترك العادة ولعل معناه إن عادة النفس الغفلة فالإرادة إحضارها إلى الحضرة ومن عادتها تعلقها بالخلق وهو أضر عليها من تشنفها بالحلق فالإرادة تعلقها بمتعلقات الحق ومقامات الصدق ومن عادتها متابعة الهوى فإرادتها موافقة الهدى ومن عادتها السمعة والرياء فإرادتها تصحيح النية وابغاء الرضاء ومن عادتها إرادة بقاؤها فالإرادة إرادتها فناؤها فإن في موتها حياتها وحصول لقائها.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [الآية: 92] أي: ما صح

لمؤمن كامل أن يقتل مؤمناً بغير حق في حال من الأحوال إلا حال الخطأ وهو ما لا يصاحبه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً والأظهر أن الاستثناء منقطع لئلا يوجب إذن الشرع بالقتل الخطأ لأن جهة الحرمة ثابتة فيه بناءً على ترك التروي ولهذا تجب فيه الكفارة إذ لو كان مباحاً محضاً لما وجب الكفارة ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي: فعليه/ إعتاق نسمة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة فكأنه إحياء مؤمن بدل من إفناء مؤمن ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية: 92] مؤداة إلى ورثته جبراً لكسر خواطرهم يقتسمونها كسائر المواريث خلافاً لمالك في الزوجين وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله ودية المرأة نصف دية الرجل وإذا بلغ قيمة العبد المقتول خطأ عشرة آلاف درهم مثلاً فإنه ينقص عن ديته عشرة دراهم ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [الآية: 92] يتصدقوا عليه بالدية بأن يعفوا عنها فقد ورد كل معروف صدقة.

184/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خفف أمر الخطأ على فاعله حتى حمل موجب قتل الخطأ على العاقلة والخواص عاقلة المستضعفين من الأمة وأهل المعرفة عاقلة المريدين والشيوخ عاقلة الفقراء فسبيلهم أن يحملوا أثقال المستضعفين فيما ينوبهم ﴿فَإِن كَانَ﴾ [الآية: 92] المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية: 92] كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم القاتل إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي: فعلى قاتله الكفارة دون الدية للورثة إذ لا وراثة بينهم وبينهم بالكلية ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ [الآية: 92] أي: من جماعة كفرة معاهدين أو أهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] ولعل تقديم الجملة الأولى هنا للمبالغة فيما يتعلق بحقوق أهل العهود والذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 92] دية لا عينها ولا ثمنها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [الآية: 92] فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [الآية: 92] متوالين ﴿تَوْبَةً﴾ [الآية: 92] ذا توبة كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 92] بحال العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 92] فيما دبر وأراد.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 93] حال من ضمير يقتل ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 93] فيه غاية المبالغة في التهديد ونهاية التشديد الأكيد واستدل بظاهره المعتزلة أن صاحب الكبيرة مخلد في العقوبة وعند أهل السُنَّة والجماعة مخصوص بالمستحل له ويؤيده سبب ورود الآية وإن لم يظهر بين العمد والخطأ حسن مناسبة المقابلة وقال بعضهم المراد بالخلود المكث الطويل كما في أصل اللغة فإن الدلائل على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم متظاهرة إلى أنه لا بد من قيد إن شاء الله جزاؤه لقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48] ولو بغير توبة من بعض عباده.

وقال الأستاذ: كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك ومن اتبع هواه سعى/ في دم نفسه ومن لم ينصح مريداً بحسن موعظته ولم يعنه بهمته 184/ ب فقد سعى في دمه فهو مأخوذ بحاله وحقيق بأن يكون عقوبته الأبدية إن لا يستمتع بما ضنّ به على المريدين من أحواله ولقد قال يا داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له جسراً قلت: هو أبلغ من رواية فكن له خادماً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 94] سافرتم وذهبتم إلى الغزو الذي هو طريق رضاه ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ [الآية: 94] من البيان وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من الثبات أي: فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه بتحقيق مقدماته ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ [الآية: 94] لمن حياكم بتحية الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بفتحتين أي: أظهر الانقياد والاستسلام بإظهار كلمة الإسلام وهي قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله عند العلماء الأعلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية: 94] أي: ظناً وإنما فعلت ذلك للتعوذ ظاهراً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 94] حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاذ في مآله وفيه إشعار بأن هذا الحال هو الحامل لهم على ترك التثبت وتحقق الاستعجال ولا يبعد أن يكون الهمزة الإنكارية في الجملة مقدرة ويلائمه قوله سبحانه ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية: 94] يغنيكم عن قتل أمثاله طمعاً لما عنده من أمواله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾

[الآية: 94] أي: أول ما دخلتم في هذه السعادة حيث تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم وأموالكم من غير أن يعلم أحد أحوالكم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 94] بالاشتهار في إيمانكم والاستقرار في إيقانكم واالاستقامة في مراتب إحسانكم ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الآية: 94] فافعلوا بالداخلين في الإسلام من الأحكام ما فعل الله بكم في أوائل الأيام ولا ينادوا إلى قتل أحد ظناً أنه دخل فيه خوفاً واتقاءً أو سمعة ورياءً فإن إبقاء ألف كافر أهون من إفناء مسلم واحد عنده سبحانه وكرر قوله فتبينوا لتأكيد الحكم وتعظيم الأمر وترتيبه ما ذكر من حالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الآية: 94] عالماً بأفعالكم وبصيراً بأعمالكم فاحذروه فإنه لا يخفى عليه شيء من أحوالكم روي أن سرية لرسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرادس ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل/ وصعد خوفاً أن يكونوا من أصحاب النبي ﷺ 185/أ فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم[1] لا وفيه دليل على أن المجتهد قد يخطئ وإن خطأه مغتفر لما ورد أن أسامة قال: يا رسول الله استغفر لي فقال: فكيف بلا إله إلا الله فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ثم استغفر له وقال له أعتق رقبة.

وقال الأستاذ: عاشروا الناس على ما يظهرون من أحوالهم ولا تتفرسوا فيهم بطائن أعمالهم فإن متولي الأسرار هو الله العزيز الغفار هذا إذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من أحكام النفس فأما من كان نظره بالله ولم يستتر عليه بشيء فليحفظ سر الله فيما كوشف به ولا يظهرن لصاحبه ما أراه الله فيه انتهى ولا يخفى أنه ليس لأرباب الكشف أن يعملوا بموجبه إذا كان على خلاف ظاهر الشريعة الغراء أما قضية الخضر فمحمولة على أنه من جملة الأنبياء.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (96/ 158).

﴿لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ﴾ [الآية: 95] أي: عن القتال ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 95] أي: موضع الحال ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [الآية: 95] بالرفع بدل من القاعدين أو صفة له وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 95] لا مساواة بين من قعد عن الجهاد وبين من قام بأمره من العباد والمراد الحث على المجاهدة لرفعه المرتبة الآنفة عن حط المنزلة ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [الآية: 95] أي: بدرجة عظيمة تندرج تحت درجات وسيمة ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية: 95] من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 95] الثناء الجميل والجزاء الجميل بحسن عقيدتهم وخلوص طويتهم وتحسين نيتهم وإنما التفاوت في زيادة الدرجات المترتبة على زيادة الحسنات ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 95] ومقاماً كريماً.

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 96] بدل تفصيل عن أجزاءٍ باعتبار كل واحدة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 96] لما فرط منهم ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 96] بما وعد لهم وقيل: فضل الله المجاهدين أي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على القاعدين أي: التاركين أجراً عظيماً/ كذا في «حقائق السلمي» ولا يبعد أن يقال 185/ب فضل الله المجاهدين في طلب العلم وتحصيل المعرفة على القاعدين أجراً عظيماً كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

والحاصل أن الجهاد الأكبر والأصغر سواء في عدم تسوية من قام به ومن قعد عنه فلا بد من العمل إلا أنه لا يعلق به الأمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية: 97] يحتمل الماضي والمضارع ويؤيد الآخر قراءة البزي بتشديد التاء وصلاً ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 97] في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة ومساكنة الكفرة فإنها نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة أو ركناً في أول الوهلة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 97] أي:

---

(1) نسب إلى الحطيئة. انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16).

الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [الآية: 97] في أي شيء كنتم في أمر دينكم حيث ما هاجرتم وما أظهرتم إسلامكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 97] بعدم القدرة على الهجرة وإظهار الملّة وإعلاء الكلمة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 97] أي: الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتاً بهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [الآية: 97] أي: إلى محل آخر تأمنون بها كما خرج المهاجرون من مكة إلى الحبشة والمدينة ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 97] لتركهم واجب الهجرة وتكثيرهم سواد الكفرة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 97] أي: مصيرهم إلى العقوبة أو مرجعهم إلى الحرقة والفرقة.

قال عبد الله بن المبارك: المقام في عرصات الشرك والعصيان من أوائل الخذلان وقد أمر الله تعالى بالفرار منها بقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.

وقال عثمان: أرض الفتنة لا تنبت فيها إلا الفتنة وأرض الرحمة تصيب الإنسان رحمته ولو بعد حين كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أسر نفسه وفي رق شهوته ليس له عذر حيث لم يهاجروا إلى ظل قربته وعزته ليتخلص من هوان نفسه وذلته إذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث إلا هواك انتهى والمعنى هداك يمنعك عن هواك ومولاك يغنيك عن سواك وهذا معنى ما قال بعض أهل الحال دع نفسك وتعال.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية: 98] أي: المماليك أو /186أ الصبيان ففيه مبالغة من أمر الهجرة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ/ حِيلَةً﴾ [الآية: 98] من وجدان أسباب الهجرة من المال والقوة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 98] إذ لا يعرفون الطريق ولا يجدون دليلاً﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 99] يتوقع من فضله أن يتجاوز في التقصير منهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ [الآية: 99] بمحو العيوب ﴿غَفُورًا﴾ [الآية: 99] بستر الذنوب.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 100] ابتغاء لمرضاة مولاه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

﴿مُرَٰغَمٗا﴾ [الآية: 100] يصادف منها متحولاً وطريقاً يسيراً ومنزلاً ﴿كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ [الآية: 100] وسعة في الرزق وإظهار الديانة ومخلصاً من الضلالة ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية: 100] في سبيله ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 100] بسبب وعده على مقتضى فضله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ [الآية: 100] لما سلف عنه ﴿رَّحِيمٗا﴾ [الآية: 100] بما خلف منه.

وأفاد الأستاذ: أن من هاجر في الله عما سوى الله وجد فسحة في ساحة القرب ووسعة في كنف الحب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه واتبع سبيل مولاه فيما هداه ومن قصده ثم أدركه الأجل قبل وصوله فلا ينزل إلا بغفوة وصله ولا يكون محط روحه إلا أوطان قربه.

ومن «**نفائس العرائس**» أن من هجر من أوطان نفسه إلى قضاء ولاية التفريد وأتلف مهجته في طريق محبة الله وسبيل التوحيد ولم يبق له مسكن يسكن قلبه فيه من العرش إلى الثرى يجد في الأرض المشرقة بنور وجه الله سبحانه مواطن الأنس ومساكن القدس وسعة أنوار قربته وسناء أسرار وصلته ويستثنى عن كل موطن ومرقد ومسكن ومقعد وعن كل مألوف سوى الأحد وفي أرض القدم وقضاء الأزل للعارفين المهاجرين منهم إليه مراغم وطنات الصفات ومشارب صوافي الحلل والجمال في بحار الذات وأيضاً من هاجر لله في سبيل الله وصار غريب الله في بلاد الله مستوحشاً مما دون الله يجد في أكناف أطراف الأرض مراغم صحبة أوليائه التي هناك سعة أنوار مشاهدة الله وسعة كنوز أزل الآزال ومشاهدة أبد الآباد ومن يخرج من طبيعته وهوى نفسه وحوله وقوته وإشارته وعبارته وعلمه ورسمه إلى الله في طلب مشاهدته وإلى الرسول في متابعته بنعت المحبة ويدركه الموت في تضاعيف السر بعد الامتحان والمحنة ويقع في منزلة العبرة بعد المجاهدة فقد وقع له أجر الوصلة لأن الله تعالى يجاريه لصدقه بقدم الأول قبل أن يهاجر عما دون الله تعالى وقبل أن يخرج عن جميع مراداته متبعاً لأمر/الله ومبتغياً ما يوصله إلى مرضاة مولاه. 186/ب

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 101] شرعتم بالسفر فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 101] أي: التي أطولها وهي الرباعية فمن تبعيضية واللام عهدية ونفي الجناح للتسلية لأن القصر مظنة المنقصة ونظيره في هذا الشأن قوله ﷺ شهرا عيد لا ينقصان[1] ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية: 101] شريطة باعتبار الغالب فإن أكثر أسفارهم في مبدأ الإسلام كان مخوفاً ولذا ﷺ قصر في سفر حال الأمن وقد قال عليه السلام لما سأله عمر رضي الله عنه عن القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[2] رواه مسلم ولذا قال أبو حنيفة القصر واجب وقال غيره رخصة ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الآية: 101] ولعل وجه إبقاء بعض الأفعال مع ارتفاع أسبابها بالإجماع كقصر الصلاة والرمل والاضطباع تنبيهاً للمتأخرين اللاحقين من الأمة على ما قاساه الأئمة السابقون من المحنة والمشقة ففيه حفظ الوفاء وتحقيق معنى الولاء.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 102] إماماً ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 102] أي: أمرتهم بإقامتها تماماً ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [الآية: 102] أي: فاجعلهم طائفتين لإدراك فضيلة الجماعة خلفك فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقم الطائفة الأخرى تجاه العدو يحرسون ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: المصلون أو الباقون أو كلهم أجمعون ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ [الآية: 102] يعني المصلين ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ [الآية: 102] أي: غير المصلين ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: خلفكم أو قدامكم يحرسونكم والخطاب له ولمن يصلي معه تغليباً لشرفه ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟﴾ [الآية: 102] لإشعارهم بالحراسة ﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟﴾ [الآية: 102] أي: الذين أتوا ثانياً للصلاة ﴿حِذْرَهُمْ﴾ [الآية: 102] وهو ما يتحصن به الغزاة كالدرع والجنة ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ كالسيف وسائر العدة

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 75) رقم (692)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 250) رقم (7992)، والبخاري في الصحيح (1912)، ومسلم في الصحيح (1089/ 31).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (686)، وأبو داود في السنن (1/ 464) رقم (1201)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 242) رقم (3034)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 583) رقم (1891).

والأمر بالأخذ عند الجمهور سُنَّة مؤكدة وتفصيل صلاة الخوف محلّه كتب الفقه على اختلاف الأئمة في الكيفية وفيه إشارة إلى أن العبودية لا ترتفع عن كل أفراد البشرية لا في الخوف ولا في الأمنية ولا حال وصف التفرقة ولا عند سلطان استيلاء الحقيقة ولو كان في عين الجمعية فإن الصلاة معراج للمؤمن إلى مقام القربة وحضور الحضرة ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: بترك تعلقكم/ بأسباب التوكل وتهيئته العدة مع قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: 102] والمعنى أنهم تمنوا أن ينالوا منكم في حال صلاتكم غرة فيشدون عليكم شدة وحملة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: على قدر استطاعتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 102] وعيد متضمن للوعد بأن يكون لِلمؤمنين فتحاً مبيناً.

187/أ

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 103] أي: أديتم صلاة الخوف وفرغتم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] فداوموا على الذكر في جميع أحوالكم ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ [الآية: 103] برجوعكم إلى وطنكم أو بسكون قلوبكم عن رعبكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 103] أي: الطريقة المعهودة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [الآية: 103] مفروضاً محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في جميع الحالات.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية: 104] أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا في طلب قتال الذين يكفرون ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [الآية: 104] والآية نزلت في بدر الصغرى امتحاناً للمؤمنين الذين يقاتلون ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 104] أي: ليس شيء عليه يخفى ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 104] فيما يأمر وينهى.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 105] بالصدق ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 105] بسبب ما عرفك وأوحى به إليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ [الآية: 105] أي: لأجلهم وللذب عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ [الآية: 105]

مجادلاً للبراء من غيرهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ [الآية: 106] أي: لتقصيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ [الآية: 106] لمن يستغفره ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 106] بمن تشفع له وقيل واستغفر الله مما هممت به لما روي أنها نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له علم بها فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبريء اليهود فهم رسول الله ﷺ/ أن يفعل فنزلت ولعل هذا الهم من 187/ب الخواطر البشرية والعوارض النفسية التي لا تخلو عنها الأنفس القديسة من غير استقرار في المواطن القلبية فإنهم في أعلى مراتب الجمعية.

قال ابن عطاء: لتحكم فإنك ترى بنا وتنطق عنا وأنت بمرأى منا ومسمع في حضرتنا.

وقال الأستاذ: لا تناضل عن أرباب الحظوظ وكن مع أبناء الحقوق ومن جنح إلى الهوى خان فيما أودع نفسه من التقوى ومن ركن إلى نوازع المنى خان فيما طولب به من الحياء لاطلاع المولى.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الآية: 107] أي: يخونونها بالمعصية وكسب الخطيئة فإن وبال خيانتها راجع إليها في عقوبتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ ذا خيانة ﴿أَثِيمًا﴾ [الآية: 107] ذا إثم وسيئة قيل خيانة النفس اتباع مرادها وترك نصيحتها.

وأفاد الأستاذ: أنهم المؤثرون حظوظهم على حقوق مولاهم والراضون بالتعريج في أوطان هواهم دون التقاء إلى منازل رضاهم.

﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 108] يستترون حياءً منهم وخوفاً عنهم ﴿وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] وهو أحق بأن يستحي منه ويحذر عنه ﴿وَهُوَ

﴿مَعَهُمْ﴾ [الآية: 108] لا يخفى عليه سرهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ [الآية: 108] يدبرون ويزورون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية: 108] فيما يخاصمون من رمي البريء واليمين الكاذبة وشهادة الزور ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [الآية: 108] يحيط علمه بالكليات والجزئيات.

وأفاد الأستاذ: أن الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مطلع عليهم وناظر إليهم أولئك الذين وسم الله على قلوبهم بوسم الفرقة ليذوقوا في الآخرة ألم الحرقة.

وفي «**دقائق الحقائق**» عن محمد بن الفضل من لم يكن ربه أعظم شيء في قلبه كان جاهلاً به.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 109] مبتدأ وخبر ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 109] خاصمتم عن طعمة وقومه ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 109] جملة مبينة لما قبله ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 109] إذا أخذهم بالعقوبة ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الآية: 109] يدفع عنهم الفضيحة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ [الآية: 110] قبيحاً يسوء به غيره ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 110] لم يتعداه وخصه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 110] بالتوبة عن سوئه وظلمه ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ [الآية: 110] لذنبه ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 110] بمحو عيوبه.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ [الآية: 111] قاصراً ومتعدياً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية: 111] أي: لا يتعدى وباله إلى غيره ﴿وَكَانَ/ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 111] بفعله 188/أ ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 111] في جزائه.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ [الآية: 112] صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ [الآية: 112] كبيرة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾ [الآية: 112] بأحدهما ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ [الآية: 112] عن فعله ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ [الآية: 112] تكلف في حمله أو اكتسب بجهله ﴿بُهْتَٰنًا﴾ [الآية: 112] افتراءً ظاهراً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 112] ذنباً باهراً.

وأفاد الأستاذ: أن من نسب إلى البريء ما هو صفته من مخازيه عكس

الله عليه الحال فيما ينافيه وألبس ذلك البريء ثوب محنة من راميه وسحب ذيل العفو عن مساوئه وقلب الحال على المتعدي عن منواله بما يفضحه بين أشكاله في عامة أحواله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية: 113] بإعطاء رسالته ونبوته وتثبيت حفظه وعصمته ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [الآية: 113] أي: لأثر همهم فيك حين أرادوا أن يخدعوك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 113] فإن وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 113] لعصمتك عن موافقة قصدهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 113] القرآن والسُنَّة بالوحي الجلي والخفي في كل قضية ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [الآية: 113] قبل ذلك من خفيات الأمور لك ولغيرك ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [الآية: 113] لأنه أعظم مظهر الفضل والفضيلة من أفراد المملكة من الأنبياء والملائكة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما عصمه عن ترك حقه عصمه بأن كف عنه كيد خلقه والمحفوظ منا محروس عن غيرنا وأن الله تعالى قد اختصك بإنزال الكتاب واستخلصك بوجوه الاختصاص والإيجاب ولم يمنّ عليه بشيء مثل ما منّ عليه بما خصه به من العلم ويحتمل أنه أراد به علمه بالله وبجلاله وعلمه بعبودية نفسه ومقدار حاله في استحقاق عزه وجماله ويقال علمك ما لم تكن تعلم من آداب الخدمة إذ لم يكن متلبساً عليك معرفة الحقيقة ويقال: أغناك عن تعليم غيرك حتى لا يكون لأحد نوراً إلا مقتبساً من نورك ومن لم يمش تحت رأيك لا يصل إلى جميل برنا ولا يحظى بقربنا ووصلنا وكان فضل الله عليك في الآباد عظيماً لأنك كنت لنا بشرف العزة وكرم الرتبة في الآزال معلوماً ويقال وعلمك ما لم تكن تعلم من علو رتبتك على كافة أبناء جنسك ويقال علمك ما لم تكن تعلم أن أحداً لا يقدر قدرنا إلا بمقدار موافقته لأمرنا.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 114] مصدر بمعنى الفاعل أي: 188/ب من متناجيهم/ ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [الآية: 114] فإن الدال على الخير كفاعله

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ [الآية: 114] كالقرض وإغاثة الملهوف ونحوهما مما يستحسنه الشرع أو لا ينكره العرف من أهل استقامة الطبع ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 114] بتعهدهم وتفقدهم ودفع النزاع عنهم.

وأفاد الأستاذ: أن صدقتك على نفسك حملها على ما ينفعها ومنعها عن ما يضرها وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال من إنفاق النعمة وصدقة بالبدن بالقيام لهم بالخدمة وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة ثم الصدقة على الفقراء ظاهرة والصدقة على الأغنياء أن تجود عليهم بهم فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع منهم ومن المعروف إسعاد المسلمين فيما لهم فيه قربة إلى الله وزلفى وأعلاه التواصي بالطاعة ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه وحث الخلق على ما فيه نجاتهم بالهداية ولو بدعائه وسؤاله أو أصلح بين الناس بصدقة في حاله فإن لسان فعله أبلغ من بيان نطقه فهو الصديق في وقته ومن لم يهذب نفسه ولم يؤدب غيره ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 114] ما ذكر من الأمور الثلاثة ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 114] أي: لا لسمعة ورياء ومتابعة هواه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ [الآية: 114] بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 114] في دنياه وأخراه وقرأ أبو عمر وحمزة بالياء أي: يؤتيه الله إذ لا معطي سواه.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 115] يخالفه ولم يوافقه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 115] أي: غير سبيل الهدى عن طريق الهوى بإتيان رسول المولى وكتابه الأعلى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 115] أي: مما هم عليه من اعتقاد اليقين وأعمال الصالحين ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 115] نجعله والياً لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره من تحمل وبال الأثقال ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 115] ندخله في مكان الحرقة ومقام الفرقة أزل الآزل ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 115] أي: مرجعاً من سوء المآل على ضد ما لهم من الآمال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [الآية: 116] أي: لمن لقيه مشركاً من غير توبته ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 116] من معصيته ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 116]

لمن تعلقت مشيئته بمغفرته ولو كان مصراً على سيئته وفيه الوعد والوعيد فتكراره لدفع توهم النسخ أو للتأكيد ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 116] عن الحق والهداية فإن الشرك أعظم/ أنواع الضلالة وأبعدها عن صوب الصواب وطريق الاستقامة. 189/أ

وأفاد الأستاذ: أن إثبات الغير في توهم ذرة من الإبداع عين الشرك وما دون الشرك فللعفو فيه مساغ ومن توسل إليه سبحانه بما توهمه من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم كلا بل هو الواحد وما أحسن قول بعض أرباب الإشارة أخذاً من هذه العبارة كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عنا.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ [الآية: 117] من اللات والعزى ومناة والشمس والقمر والكواكب وسائر الجمادات ونحوها من جميع الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أوقعوا على الجمادات التسمية وانخرطوا في سلك التوهم من عدم المعرفة وركنوا إلى مغاليط الحسبان بالغفلة فضلوا عن الحقيقة ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا﴾ [الآية: 117] لأنه الذي أمرهم بها وأمالهم إليها وأغواهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادته والمريد هو الخارج بالكلية عن الخير والحامل على الضلالة للغير.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 118] وأبعده عن رحمته مولاه ﴿وَقَالَ﴾ [الآية: 118] أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ [الآية: 118] بأن أغويهم وأضلهم ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية: 118] مقداراً مقدراً معيناً معلوماً.

وقال مقاتل بن حيان: من كل ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الواسطي: إن كان إليك شيء من القدرة والقوة فأغو أحد سوى ما جعل لك من النصيب المفروض فمن هنا يظهر عجزه ويتبين ضعفه.

وأفاد الأستاذ: أن ما إبليس إلا مقلب في القبضة على ما يريده المنشىء

ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكاً في الإلهية وكلا إنما يجري الحق سبحانه على الخلق أحوالاً ويخلق عقيب وساوسه للخلق ضلالاً فهو الهادي والمضل وهو سبحانه المصرف للكل فيخلق تعالى في قلوبهم عقيب وساوسه إليهم طول الأمل ويحسن في أعينهم قبيح العمل ثم لا يجعل لأمانيهم تحقيقاً ولا يعقب لما أملوه تصديقاً فهو تعالى موجد تلك الآثار جملة ويضيفها إلى الشيطان مرة وإلى الكافر مرة فهذا معنى قوله:

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: عن طريق الصواب وسبيل الثواب ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] الأماني الباطلة بأن لا بعث ولا عقاب ولا حشر ولا حساب ويأمرهم/ بالتسويف في التوبة والتأخير عن الطاعة وبتزينهم طول الحياة 189/ب وإدراك الآخرة من غير العبادة وبدون ترك المعصية وأمثال ذلك من أنواع الوسوسة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] بالأمور التي بلا منفعة للأنام أو فيه الآثام ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 119] يشققونها لتحريم ما أحل الله من البحيرة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 119] عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما فسر به من فقئ عين الحامي والخصاء والوشم والوشر واللواط والسحق واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمال من الهدي ولا يوجب لها من الله الزلفى ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 119] بإيثار ما يدعوه إليه على ما دعاه إليه مولاه وبمجاوزته عن طاعة الله إلى طاعة من سواه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 119] لأنه ضيع رأس ماله وبدل حسن حاله بسوء مآله.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ [الآية: 120] ما لا يدركون ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [الآية: 120] ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية: 120] ما يغترّ به الغافل ويذهل عنه العاقل بإظهار الخير فيما فيه الشر لا غير وهذا الوعد إما للخواطر الفاسدة بإلغائه وإما بلسان أوليائه وقيل يعدهم طول العمر والموت غايتهم ويمنيهم الغنى والفقر سبيلهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إلا ما يقربهم من الدنيا ويبعدهم من الأخرى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 121] مرجعهم ومسكنهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 121] أي: نارها وخزيها وعارها ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا﴾ [الآية: 121] معدلاً ومهرباً للخلاص منها.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في المآل ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا متى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها والوقوف على صدق التوحيد عزيز، وأرباب التوحيد قليل كالإبريز.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الآية: 122] أي: حال كونهم مقدرين الخلود فيها سرمداً ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ [الآية: 122] ثابتاً وصدقاً ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [الآية: 122] أي: قولاً وعداً كان أو وعيداً والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده مرغبة للعباد في تحصيله وابتغاء/ تأييده. 190/أ

وقال الأستاذ: أي الذين أسعدناهم حكماً وقولاً أنجدناهم حتى أوجدناهم كرماً وطولاً ثم إما نحقق لهم الموعود من الثواب بما يكرمهم به من حسن المآب.

﴿لَّيۡسَ﴾ [الآية: 123] أي: حصول الدين ووصول اليقين أو ما وعد الله من الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾ [الآية: 123] بمجرد تمنياتكم أيها المؤمنون من أهل الخطاب ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [الآية: 123] بل لا بد في الطاعة من الاكتساب وفي المعصية من الاجتناب ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا﴾ [الآية: 123] صغيراً أو كبيراً قليلاً أو كثيراً زمناً طويلاً أو يسيراً ﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [الآية: 123] عاجلاً أو آجلاً وقد صح أن المصائب والأمراض في الدنيا جزاءً كما رواه الترمذي وابن جرير وروى أحمد وابن حبان أنه لما أنزل قال أبو بكر: كيف الصلاح بعد هذه الآية يا رسول الله فقال عليه السلام غفر لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تصيبك اللأواء أي:

الشدة قال بلى يا رسول الله قال: فهو ما تجزون به[1] ﴿وَلَا يَجِدْ﴾ [الآية: 123] أي: لا يصادف عامل السوء قبل جزائه والعفو عن بلائه ﴿لَهُۥ﴾ [الآية: 123] أي: لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 123] من غيره ﴿وَلِيًّا﴾ [الآية: 123] من يلي أمره فيما ينفعه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 123] من يلي نصره في دفع ما يضره.

وأفاد الأستاذ: أن من زرع الحنظل لم يجتن الورد والعنبر ومن شرب السم الزعاف لم يجد طعم العسل كذلك من ضيع حق الخدمة لم يستمكن على بساط القربة ومن وسم بالشقوة لم يرزق الصفوة ومن نفته القضية فلا ناصر له من البرية.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 124] بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 124] بيان لمن الشرطية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية: 124] حال مقيدة إذ لا اعتداد بالعمل دون الإيمان والمعرفة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 124] قرأ ابن كثير وأبو عمر وشعبة بصيغة المفعول ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [الآية: 124] مقدار نقير وهو النقرة التي في ظهر النواة والمعنى لا ينقص ثواب أعمالهم ولا يوضع عليهم من غيرهم أثقالهم.

وأفاد الأستاذ: أن من تعنى في خدمتنا لم يبق عن نيل نعمتنا بل من عنيناه في طلبتنا أكرمناه بوجودنا بل من جرعناه كأس اشتياقنا نولناه أنس لقائنا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 125] أخلص نفسه أو قصده أو انقاد ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 125] ولا يعرف رباً سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية: 125] أتى بالحسنات تاركاً للسيئات ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 125] الموافقة لدين/ الإسلام المتفق على صحتها جميع الأنام ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 125] مائلاً عن الأديان

190/ ب

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 78) رقم (4450)، وابن حبان في الصحيح (7/ 170) رقم (2910)، وأبو يعلى في المسند (1/ 97) رقم (98)، وأحمد في المسند (1/ 11) رقم (68).

الباطلة إلى دين الحق الذي هو التوحيد الناشىء عن كمال المعرفة ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [الآية: 125] صفياً خالصاً ليس في محبته خلل أصلا.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى لا أحد أحسن ديناً ممن أفرد قصده إلى الله وخلص عقده لله عما سوى الله ثم استسلم في عموم أحواله لله وبالله ولم يدخر شيئاً عن الله لا من ماله ولا من جسده ولا من روحه ولا من خلده ولا من أهله ولا من ولده وكذلك كان حال إبراهيم عليه السلام والإحسان بشهادة الشرع أن تعبد الله كأنك تراه ولا بد للعبد من بقية من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه سبحانه لأنه إذا حصل مستوفي بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه وهذا اتباع إبراهيم عليه السلام الحنيف الذي لم يبق له منه شيء على وصف الدوام ثم جرد الحديث عن كل سعي وكد وطلب وجهد حيث قال ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [الآية: 125] فعلم أن الخلة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد ويقال الخليل المحتاج بالكلية إلى الحق وكل نفس ليس له شيء منه بل هو بالله لله في جميع أنفاسه وأحواله اشتقاقاً من الخلة التي هي الخصاصة وهي الحاجة ويقال أنه من الخلة التي هي المحبة والخلة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ويتخلل سره حتى لا مساغ فيه للغير.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 126] ملكاً وخلقاً وملكاً يختار منهما من شاء ويبعد عن رحمته منهما من أساء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [الآية: 126] إحاطة علم وقدرة بهم فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها في مآلهم.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [الآية: 127] في ميراثهن أو في حسن المعاشرة مع اليتامى ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [الآية: 127] يبين لكم حكمه في حقهن ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [الآية: 127] عطف على اسم الله فالافتاء مسنداً إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: 11] ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه في أن المسند إليه بالحقيقة شيء واحد هو المعطوف عليه باعتبار المعطوف في ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ [الآية: 127] أي: في

شأنهن ﴿ٱلَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [الآية: 127] أي: فرض لهن من ميراثهن وأوجب لهن من حسن معاشرتهن/ وإعطاء صدقاتهن ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ 191/ أ [الآية: 127] أي: في نكاحهن بجمالهن ومالهن ولا تعطون مهورهن وتأكلون مالهن أو عن نكاحهن لدمامتهن فنهاهم عن عضلهن ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [الآية: 127] عطف على يتامى النساء إذ العرب ما كانوا يورثونهم كما لا يرثون الإناث منهم ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 127] أي: ويفتيكم في أن تقوموا لهم بالعدل في حقهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 127] أي: العلمي أو العملي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [الآية: 127] فيجازيكم على الجلي والخفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نهاهم عن الطمع الذي يحملهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النسوان واليتامى ويبين أن المنتقم لهم الله فمن راقب الله فيهم لم يخسر على الله بل يجد جميل الجزاء ومن تجاسر عليهم قاسى لذلك أليم البلاء.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ [الآية: 128] أي: علمت وتوقعت من زوجها لما ظهر لها من المخائل بعبوسة الوجه ونحوها ﴿نُشُوزًا﴾ [الآية: 128] ترفعاً عن صحبتها وتجافياً عن عشرتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [الآية: 128] بتقليل مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ [الآية: 128] أي: على المرأة والزوج ﴿أَن يُصْلِحَا﴾ [الآية: 128] بتشديد الصاد أي: يتصالحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [الآية: 128] بأن تحط بعض المهر أو القسم أو النفقة أو تهب له شيئاً تستميله به على طريقة الرفعة وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 128] أي: من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [الآية: 128] أي: جعلت حاضرة لِخصلة البخل مطبوعة عليها فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الرجل يسمح أن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها.

قال الثوري: ألزمت الأشباح مخالفة الحق في جميع الأحوال وشحها ما

يضرها من طلب الدنيا وطول الآمال ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ [الآية: 128] العشرة ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ [الآية: 128] ما يوجب النفرة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 128] من الإحسان والخصومة ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية: 128] به وبالغرض وسببه فيجازيكم على وفقه.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الخلق بعضهم مع بعض إذا تجردت عن حديث الحق فإنها بعرض الوحشة والملامة وممازجة النفرة والسآمة فمن أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه وخرج الكافة عليه باستصغار أمره واستحقار قدره/ ومن رجع إلى الله بِقلبه استوى له في الجملة والتفصيل أمره 191/ب واتسع لاحتمال ما يستقبله من سوء خلق الخلق صدره وهو يسحب ذيل العفو على هنات جميعهم وآثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 128] أي: واتضاعك في نفسك عن منافرة من يخاصمك أجدى عليك وأحرى بك من تطاولك على خصمك بإيثار الانتقام وشهود مالك في مزية المقام وأكثر الناس في أثر هذه المحبة وشح النفس قيام العبد لِحظه فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [الآية: 129] أي: لن تطيقوا أن تساووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 129] أي: من جميع الوجوه لأن العدل هو أن لا يقع ميل البتة وهو متعذر على وجه الحقيقة لأنه لا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والتفات حسن العشرة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [الآية: 129] أي: ولو بالغتم غاية المبالغة في جهة العدالة ولذا كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [الآية: 129] أي: إلى واحدة منها بترك المستطاع وبالجور على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ [الآية: 129] أي الواحدة الأخرى ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [الآية: 129] أي: التي ليست مزوجة ولا مطلقة فعنه ﷺ من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟﴾ [الآية: 129] ما أفسدتم من الأمر ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ [الآية: 129] ما ترتب عليه الوزر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 129] يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم ويرحمكم بالحفظ عن

الوقوع في عيوبكم.

وأفاد الأستاذ: في معنى الآية من الإشارة أنكم إذا انتصبتم في أموركم انعكس الحال عليكم وانعكس صلاح ذات بينكم فساداً لكم فإذا قمتم بالله في أموركم استوى العيش لكم وصفا عن الكدر وقتكم فلا تزيغوا عن نهج الأمر قفوا حيث ما وقفتم وانفذوا فيما أمرتم.

وقوله: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ [الآية: 129] يعني أنكم إذا منعتموهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم أضررتم بهن من الوجهين لا منكم نصيب ولا إلى غيركم سبيل إلى حبيب وأن هذا الحيف عظيم عند كل لبيب والإشارة من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك منك فتح عليك شهود حقه ووجود/ لطفه فإنّ من كان في الله تلفه فالحق سبحانه له خلفه وأن تصلحوا 192/أ ما بينكم وبين الخلق وتتقوا فيها بينكم وبين الحق فإن الله كان غفوراً لعيوبكم رحيماً بالعفو عن ذنوبكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ [الآية: 130] أي: وأن يتفارقا كما قرئ بها يعني وأن يفارق كل منهما صاحبه بقبول الفراق.ووقوع الطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ [الآية: 130] أي: من الزوجين عن الآخر ببدل أو ما يتسلى به ﴿مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ [الآية: 130] من فضله الواسع وغناه الشامل الشائع ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ [الآية: 130] في فضله ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 130] حكمة في حكمه وإتقاناً في فعله.

وأفاد الأستاذ: أن الصحبة التي لا بد منها صحبة القلب مع دوام الافتقار إلى الرب إذ الحق لا بد منه في الأول والآخر فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر وذلك في ظنون أصحاب التفرقة فأما أهل التحقيق والمعرفة فيعلمون أن حاجة الخلق بجملتها إنما هي إلى الله سبحانه بلا مرية ولا شبهة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية: 131] تنبيه على كمال سعته وقدر في خلق العلويات والسفليات من جهة الطول والعرض ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 131] يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم من

العلماء وغيرهم والكتاب لجنس الخطاب ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية: 131] أي: ووصيناكم أيضاً يا أولي الألباب ﴿أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 131] أي: في جميع الأبواب ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ [الآية: 131] أي: بالبعد عن هذا الباب وقبول الطرد والحجاب ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 131] أي: فاعلموا أن الله مالك الملك كله لا يتضرر بمعاصيكم وكفركم كما لا ينتفع بتقواكم وشكركم وإنما وصاكم لرحمته بكم وإصلاح أمركم لا لحاجته بعبادتكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ [الآية: 131] عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ [الآية: 131] في ذاته وصفاته حمداً لم يحمده أحد من مخلوقاته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كلف الكافة بالرجوع إلى الله ومجانبة من سواه والوقوف على حد أمره على وفق ما يرضاه وطبق ما قضاه ولكن فريقاً وفق وهدى وفريقاً خذل وأردى ثم عرف أهل التحقيق أنه غني عن طاعة كل ولي وبريء عن زلة كل غوي.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 132] كرره تأكيداً للدلالة على كونه غنياً حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] فكلوا أمركم إليه وتوكلوا في جميع أموركم عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى قطع الأسرار عن التعلق بالأغيار بأن عرفهم انفراده بملك/ ما في السموات والأرض مع الطول والعرض ثم أطمعهم في حسن توليه ورعاية الحماية وقيامه بما يحتاجون إليه بجميل اللطف وحسن الكفاية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] وكيلاً يصلح بملكه حالك ولا يختزل مالك. 192/ب

﴿إِن يَشَأْ﴾ [الآية: 133] أي: إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 133] بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: ويوجد قوماً آخرين مكانكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 133] أي: من إعدامكم وإيجاد غيركم ﴿قَدِيرًا﴾ [الآية: 133] تام القدرة كامل القوة والخطاب لمن عادى نبيه ﷺ من العرب فمعناه معنى قوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38] لما رواه

الطبراني أنه لما أنزل ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [الآية: 133] ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال: إنهم قوم هذا[1].

وأفاد الأستاذ: أن من استغنى عنه في آزاله فلا حاجة له في آباده ويقال لا نهاية للمقدورات فإن لم يكن عمرو فزيد وإن لم يكن عبد فعبيد والذي لا بدّ عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 134] كالمجاهد يجاهد للغنيمة والعابد يجتهد للرياء والسمعة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 134] أي: فما له يطلب أخسهما فليطلبهما أو أنفسهما فإن من جاهد مخلصاً لم تخطئه الغنيمة ولم تفته رئاسة الولاية وله ما هي في جنبه كلا شيء في الآخرة والمعنى فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده من الأمرين كقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20] فليختر العاقل اللبيب ما يعجبه من إعطاء الحبيب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية: 134] عليماً بأغراض عباده فيجازي كلاً بحسب مقاصده ومراده.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما علّقوا قلوبهم بالعاجل من الدنيا ذكرهم الله حديث العقبى فقال فعند الله ثواب الدنيا والآخرة تعريفاً لهم أن فوق هممهم من هذه الخسيسة ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة النفيسة فلما سمت قصودهم إلى العقبى قطعهم عن كل مرسوم ومخلوق بقوله ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 73].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 135] أي: مبالغين في القيام بالعدل مواظبين على إقامته مجتهدين في إدامته/ ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 135] أي: مقيمين شهادتكم لابتغاء رضاه ﴿وَلَوْ﴾ [الآية: 135] أي: وإن كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 135] أي: بان تقروا عليها وتعترفوا بها ولا يبعد أن يكون المراد بأنفسكم أولادكم ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية: 135] تعميم بعد تخصيص ﴿إِن

193/أ

---

(1) تفسير الطبري (9/ 299)، وتفسير القرطبي (5/ 409).

يَكُنْ﴾ [الآية: 135] أي المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [الآية: 135] فكلوا أمره إلى الله ولا ترحموا فقره ولا ترهبوا غناه ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [الآية: 135] أي: بالغني والفقير وحسن حالهما ومآلهما.

قال الجنيد: لن يصل إلى قلبك روح التوحيد وله عندك حق لم تقضه أو لم تؤده من حق العبيد ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 135] أي: كراهة أن تعدلوا عن الحق والهدى وقيل: اتركوا الهوى لأجل أن تصيروا موصوفين بالعدل والهدى ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ [الآية: 135] ألسنتكم عن شهاة الحق أو حكومة العدل والصدق بتحريفها وتغييرها من اللّي وقرأ ابن عامر وحمزة وإن تلوا من الولاية أي: لا تقبلوا على إقامة الشهادة والحكومة ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [الآية: 135] عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية: 135] فيجازيكم عليه قليلاً أو كثيراً صغيراً أو كبيراً.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين إيثار حق الحق على حق الخلق فمن آثر على الله سبحانه إما ولداً وإما والداً أو قريباً أو ادخر عنه نصيباً فهو بمعزل عن القسط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [الآية: 136] أي: دوموا على الإيمان وأثبتوا على الإيقان لتصلوا إلى مقام الإحسان والعرفان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 136] وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 136] أي: وجنس الكتب التي أنزلت من قبل ذلك المشتملة على الإيمان بجميع أنبيائه ورسله.

وقال الأستاذ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 136] من حيث البرهان آمنوا من حيث البيان إلى أن تؤمنوا من حيث الكشف والعيان ويقال آمنوا أنه وراء كل وصل وفصل ووجد وفقد ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 136] عن باب المقصود طريداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ [الآية: 137] أي: الذين تكرر منهم الارتداد وتركوا القرب واختاروا البعاد واستمروا عليه حتى

دخلوا طريق الميعاد ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية: 137] في تقصيرهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 137] لمقصدهم ومصيرهم في سيرهم.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 138] فيه إشارة إلى أن الآية السابقة في المنافقين والمترددين/ والمرائين آمنوا في الظواهر وكفروا بالسرائر 193/ب وماتوا على الكفر في الأواخر.

وأفاد الأستاذ: أن الذين تبدلت بهم الأحوال فقاموا وسقطوا ثم انتعشوا ثم عثروا ثم ختم بالسوء أحوالهم أولئك الذين قصمتهم سطوات العزة حكماً وأدركتهم شقاوة القسمة خاتمة وحالاً فالحق تعالى لا يهديهم لقصد ولا يدلّهم على رشد فبشرهم بالفرقة الأبدية وأخبرهم بالحرقة السرمدية.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 139] .

أفاد الأستاذ: أن من اعتصم بمخلوق فقد التجأ إلى غير مجير واستند إلى غير كهف وسقط في مهواة من الغلط بعيد قعرها شديد مكرها ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [الآية: 139] أي: يتعززون بموالاتهم ويتوقعون لهم الغلبة ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] أي: له القدرة والقوة فلا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب الله العزة لأوليائه والذلة لأعدائه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبَهُ لعزة غيرهم الصورية المجازية الفانية بالإضافة إلى عزتهم المعنوية الحقيقية الباقية.

قال الحسين: من اعتز بغير الحق فعزه الذل المحقق.

وأفاد الأستاذ: إن الذي أصابه ذل التكوين متى يكون له عز على التحقيق والتبيين ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره ويقال لا يدري أي حاليهم أقبح؟ طلب العز وهم في ذل القهر وأسر قبضة الله أو حسبان ذلك وتوهمه مما سواه ويقال لو هدوا بوجدان العز لما صرفت قصودهم إلى من ليس بيده شيء من الأمر ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] والعز على قسمين عز قديم فهو لله وصفاء وعز حادث يختص سبحانه به من يشاء من عباده فهو له تعالى ملكاً ومنه لطفاً.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ [الآية: 140] أي: جادين فيها أو هازلين منها ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: لئلا يكونوا سبباً لكفرهم أو شريكاً في وزرهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 140] أي: حتى يشرعوا في كلام على غير ذلك النظام.

وقال الأستاذ: لا تجاوروا أرباب الوحشة ولا تصاحبوا أصحاب الغفلة فإن ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاقكم ما يردونها من أنفاسكم ومن كان بوصف ما متحققاً شاركه حاضروه فيه حقاً فجليس من هو في أنس مستأنس وجليس من/ هو في ظلمة متوحش ويقال هجران أعداء الحق 194/أ فرض محتم ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين لازم والركون إلى أصحاب الغفلة قرع باب الفرقة ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ [الآية: 140] إذا قعدتم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: في الإثم شريكاً لهم إذا قدرتم عن الإعراض عنهم والإنكار عليهم وقد ورد «المرء على دين خليله فلينظر من يخالله»(1).

وأفاد الأستاذ: إن أوضح برهان على سريرة الرجل صحبة من يقارنه وعشرة من يخادنه فالشكل مقيد بشكله والفرع منتشر عن أصله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 140] أي: كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات جمعاً.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [الآية: 141] أي: ينتظرون وقوع المكروه لكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 141] أي: نصرة وغنيمة ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 141] أي: للمؤمنين منكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الآية: 141] في الدين والنصرة فاشركونا في سهام الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ [الآية: 141] أي: حظ من الغلبة والقوة ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 141] أي: للكفرة ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 141] ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم وأوفينا الأمر إليكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 188) رقم (7319)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 589) رقم (2378)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 55) رقم (9436)، وأحمد في المسند (2/ 303) رقم (8015).

[الآية: 141] أي يتثبطهم عنكم وتخويفهم منكم بالهزيمة فشاركونا فيما أصبتم من نعمة الغنيمة ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الآية: 141] بما يعلم منكم من السريرة ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] أي: حجة في العقبى أو استيلاء كلياً في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن المنافقين لما عدموا الإخلاص في الحقيقة وما ذاقوا فيما استشعروا من العقيدة امتازوا عن المسلمين في الحكم وباينوا الكافرين في الاسم وأوجب على أهل الحق التحرز عنهم والتحفظ منهم ثم ضمن لهم سبحانه جميل الكفاية وجزيل الحماية بقوله: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] وعداً على العموم فإن وبال كيدهم إليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق سبحانه منصور أهله والباطل بنصر الحق مجتث أصله.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 142] أي: بزعمهم أو يخادعون أولياءه ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [الآية: 142] أي: مجازيهم على خداعهم أو معاملهم على وفق أعمالهم في تزين أحوالهم إساءة آمالهم.

وأفاد الأستاذ: إن خداع المنافقين إظهار الوفاق في الطريقة واستشعار الخلاف في العقيدة وخداع الحق إياهم ما توهموه من الإخلاص وحكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص فإذا كشف الغطاء أيقنوا أن الذين ظنوه شراباً كان سراباً ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ/ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [الآية: 142] أي: كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 142] أي: يبالغون في رياء الناس من غير حقيقة الاستئناس ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 142] إلا ذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً وفيه إيماءٌ إلى أن أهل الدنيا لا يوفقهم الله أن يذكروا الله كثيراً وأن ذكرهم ولو كثير في العد لا يكون إلا قليلاً غير معتد وأن ذكر أهل الإخلاص وإن كان قليلاً في المبنى فهو كثير في المعنى.

194/ ب

وأفاد الأستاذ: أن علامة النفاق وجود النشاط عند شهود الخلق وفتور العزم عن فوات رؤية الحق بخلاف أهل الإخلاص حيث لا نظر لهم إلا إلى

الحق ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 143] أي: مترددين في أمر الدين ومتحيزين بين أصحاب الكفر وأرباب اليقين.

﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 143] منسوبين ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 143] منصوبين فليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرين ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [الآية: 143] أي: طريق رضاه.

وأفاد الأستاذ أن أحسن الخلق من نزع صدار العبودية ولم يجد له سبيلاً إلى حقيقة الحرية فلا له من العز شظية ولا في الغفلة هنية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [الآية: 144] فإنه صنيع المنافقين ودأب المرائين ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [الآية: 144] حجة بينة في عقابكم بموالاتكم لأعداء دينكم.

وأفاد الأستاذ: إن من بقي من الحق بقي مع الخلق فيتضاعف عليه البلاء.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 145] حيث خادعوا المسلمين وباطنوا الكفار وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة بمعنى الطبقة ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [الآية: 145] يدفع العذاب عنهم زمناً يسيراً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [الآية: 146] عن النفاق ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ [الآية: 146] العمل على وجه الوفاق ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 146] وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ [الآية: 146] لا يريدون بطاعته غير رضاه ولا يلتفتون في أمورهم إلى ما سواه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [الآية: 146] في زمرتهم ومعدودين في جملتهم.

قال ابن عطاء: ولم يقل من المؤمنين في القسم الأول ليعلم أن الاجتهاد لا يؤثر في سبق الأزل.

وأفاد الأستاذ: إن هذا إشارة إلى نقصان رتبتهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آفاتهم.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ [الآية: 147] استفهام وقع إنكار أي: يتشفّى به غيظاً أو يدفع به ضرراً ويستجلب/ به نفعاً وهو الغني المتعالي ذاتاً ووصفاً ﴿إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ [الآية: 147] أي: المنعم الحقيقي على نعمه ﴿وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [الآية: 147] به وفيه إيماءً إلى أن شكر المنعم واجب على العبد ولعل تقديمه على الإيمان لأنه وسيلة إليه وبمنزلة حجة عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ [الآية: 147] مجازياً بالعطاء الجزيل على العمل القليل ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] بظاهركم وباطنكم وشكركم وإيمانكم. 195/ أ

وقال الحسن: ما يفعل الله بتعذيبكم أنفسكم في المجاهدات إن شكرتم أي: طالعتم إحساني إليكم وقطعتم الهمم عن مراقبة غيري عليكم.

وأفاد الأستاذ: إن معنى الآية لا يعذبكم الله عذاب التخليد إن شكرتم في الحال وآمنتم في المآل ويقال إن شركتم وآمنتم صدقتم بأن نجاتكم بالله وإحسانه بكم ولا بشكركم وإيمانكم ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة فكأنه قال إن شاهدتم النعمة من الله ثم لا يقطعكم شهود النعمة عن شهود المنعم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] أي: مادحاً للعبد ومثنياً عليه مع ما يعلم من أعماله الصاعدة إليه فإن الله يثني على العبد بما يفعله من الطاعة مع عمله بما تصدر عنه من المعصية ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يعصي في أمره وقصده مخالفة ربه ولكنه يذنب لاستيلاء أحوال البشرية من غلبة الشهوات النفسية ويقال يشكره لأنه يعلم أن العبد يعلم في حال عيوبه أن له رباً غافراً لذنوبه.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية: 148] أي: من الكلم الصادرة عن كل أحد ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [الآية: 148] أو إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه عند الحاكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ [الآية: 148] بأقوالكم ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 148] بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: إن قول المظلوم في ظالمه على وجه الإذن ليس بسوء في الحقيقة لكنه يصح وقوع لفظة السوء عليه بالمشاكلة كقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾

﴿مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40] والجزاء ليس بسيئة ويقال إن من علم أن مولاه يسمع ويعلم ما يجري عليه استحى من النطق بكثير مما تدعوه نفسه إليه ويقال من لم يؤثر مدح الحق على قدح الخلق لمغبون في الحال عن درجة أهل الكمال ويقال من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد لله لم يبسط فيهم لسان اللوم فإن الرجل من القوم يقول لصاحبه أنا أحتمل من أدون خدمك حرمة/لك ما لا أحتمله من ولدي فإذا كان مثل هذا معهوداً بين الخلق فالعبد بمراعاة هذا الأدب بينه وبين مولاه أولى ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا يحب ذلك بخطوره ببال خواصه الكرام.

195/ب

﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾ [الآية: 149] أي: تظهروا طاعة وبراً ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ [الآية: 149] تفعلوه سراً فإن الله كان به عليماً خبيراً ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾ [الآية: 149] يقتضي لكم خيراً ويوجب لأمركم شراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ [الآية: 149] يكثر العفو عن عصاة الأنام مع كمال قدرته على الانتقام فتخلقوا بأخلاق الملك العلّام ومعنى الآية بطريق الإشارة أن تبدوا خيراً تخلقاً بآداب الشريعة أو تخفوه تحققاً بأحكام الطريقة أو تعفوا عن سوء تعلقاً بأبواب الحقيقة فإن الله كان عفوّاً بعيوبكم وذنوبكم قديراً على تحصيل محبوبكم وتحقيق مطلوبكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 150] كاليهود والنصارى في فعلهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 150] بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ﴾ [الآية: 150] أي: من الرسل والأنبياء ﴿وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ أي: من أهل الاصطفاء ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 150] بين ما ذكر من الأمر ﴿سَبِيلًا﴾ [الآية: 150] طريقاً زائفاً عن حق المرء متوسطاً بين الإيمان والكفر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 151] أي: الكاملون في كفرهم حيث لا ينفعهم بعض إيمانهم وشكرهم حقاً أي: يقيناً محققاً ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الآية: 151] لإهانتهم بعض أهل الحق ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 152] أي: بجميعهم ﴿وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ

﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية: 152] في الإيمان بهم لا في تفضيلهم لقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 152] أي: بعظمتنا ﴿أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 152] الموعودة من رحمتنا وقرأ حفص بالغيبة على تلوين المخاطبة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 152] لهم فيما فرط من سيئاتهم ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 152] عليهم بتضعيف حسناتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من لم يخرج عن عهدة الإلزام بالكلية فليس له من حقيقة الوصل شظية قال ﷺ: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»(1) ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 153] أي: ممن أخطأ في مسلك الخطاب ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 153] أي: جملة كما أتى به موسى على ما أخبر به سبحانه عنهم بقوله: فلما جاءهم بالحق من عندنا/ 196/أ قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 153] فيه تقبيح لأقوالهم وتنقيص لمرتبتهم وأحوالهم والسؤال الثاني وإن كان من آبائهم لكن أسند إلى أبنائهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لمبشرهم والمعنى إن عرفهم راسخ في ذلك وإنما اقترحوا هنالك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم في تلك المسالك والتقدير إن استعظمت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أعظم من ذلك ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: 153] أي: معاينة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [الآية: 153] أي: نار نازلة من السماء مهلكة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ [الآية: 153] أي: بسببه وهي تعنتهم وعنادهم أو سؤالهم بما يستحيل شرعاً بالنسبة إلى حالهم ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 153] أي: إلهاً لميلهم إلى المحسوس دون المعنى المأنوس ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 153] أي: المعجزات الواضحات ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 153] حيث قبلنا توبتهم ولم نستأصلهم هنالك ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 153] تسلطاً ظاهراً ونصراً باهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل وكفرهم قيل أعطي سلطاناً على نفسه في مخالفتها حالة أنسه وقيل: قوة عظيمة في استماع المخاطبة من كلام الحضرة.

(1) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في الآية أن من يكتفي بأن يكون العجل معبوده متى يسلم له أن يكون الحق مشهوده.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ [الآية: 154] بسبب أخذ ميثاقهم ليقبلوه عند امتناعهم قبول شريعة التوراة فيما كلفوه من الأمور الشاقة ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان موسى عليه السلام عند دخول القرية المعروفة ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ [الآية: 154] أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 154] أي: ساجدين أو متواضعين أو منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان داوود عليه السلام ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 154] أي: لا تظلموا في تعظيمه بترك اصطياد السمك فيه وقرأ نافع بتشديد الدال على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال بعد نقل حركة التاء إلى العين فروي قالوا: بإخفاء الحركة وورش بإتمامها ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 154] أي: عهداً مؤكداً على جميع ذلك وهو قولهم: سمعنا وأطعنا أولاً ثم نقضهم بقولهم سمعنا وعصينا آخراً.

196/ب ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الآية: 155] ما مزية للتأكيد/ في القضية والباء للسببية متعلق بفعل محذوف والفاء عاطفة على مقدر أي: فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا ببعضهم والأولى أن يقدر لعناهم كما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13] فالمراد بالميثاق المنقوض وهو كتمانهم بعث محمد ﷺ في كتابهم أو تركهم العمل بما في خطابهم.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى لارتكابهم هذه المناهي واتصافهم بهذه المخازي أحللناهم منازل الهوان وأنزلنا بهم من العقوبة والخذلان فنون الألوان ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 155] أي المتلوة أو المعجزة أو الآفاقية والأنفسية ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 155] أي: بغير جناية شرعية بل لمجرد عناد وشهود نفسية ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [الآية: 155] أوعية للعلوم لا تحتاج إلى شيء آخر من المرقوم أو ﴿فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 5] أي: في غطاء لا نسمع ما تقول وتدل عليه ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 155] فجعلها محجوبة عن العلم بالذات والصفات أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في

الآيات والتذكر بالموعظات ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 155] كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 156] بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 156] يعني بنسبتها إلى الزنى بعد ثبوت براءتها على خلاف جماعة آخرين من أهل الضلالة حيث عظموها فوق رتبتها.

قال الأستاذ: وكانت مريم ولية الله فشقي بها فرقتان أهل الإفراط وأهل التفريط وكذلك كان أولياء الله سبحانه فمنكرهم شقي بترك احترامهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة في إعظامهم.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 157] أي: افتخاراً ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية: 157] أي: بزعمه أو سموه رسولاً استهزاءً أو استئنافاً من الله له ثناءً ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [الآية: 157] أي: حقيقة فهم في مقولهم كذبة ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [الآية: 157] أي: وقع التشبه بين عيسى ومقتولهم حيث ألقى الله شبهه على رجل منهم من أراد قتله فيهم فقتلوه وصلبوه من غير علمهم وقد قيل من حفر لأخيه وقع فيه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الآية: 157] في شأن عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية: 157] أي: تردد من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [الآية: 157] أي: لكنهم يتبعون الظن في أمره ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [الآية: 158].

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 158] / أي: إلى محل ظهور سلطانه والمراد به 197/أ ردوا إنكاراً لقتله وإثباتاً لرفعه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية: 158] أي: غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 158] في قضائه وقدره.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [الآية: 159] أي: بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [الآية: 159] أي: الكتابي وهو وقت البأس وزمان اليأس حيث لا ينفع إيمان الناس وقيل: الضميران لعيسى والمعنى أنه إذا أنزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً بلا مراء ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [الآية: 159] بأنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 160] أي: بسبب ظلم عظيم صدر منهم

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [الآية: 160] أي: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146] الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الآية: 160] أي: وبمنعهم عن طريق الحق ناساً كثيراً ومنعاً كثيراً.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الآية: 161] أي: في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 161] بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 161] دون التائبين من المؤمنين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 161] وحجاباً مستديماً.

وأفاد الأستاذ: إن ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات فمن ركب محظوراً بظاهره حرم ما كان يجده من الأحوال المباحة له والألطاف الحاصلة له في سرائره.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] أي: الثابتون في علم اليقين كابن سلام وأصحابه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 162] أي سائر المؤمنين منهم لأن الكلام معهم أو من غيرهم بعمومهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 162] الجملة خبر المبتدأ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 162] نصب على المدح ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 162] بتقديرهم على سبيل القطع مفيد للمدح أيضاً لهم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 162] أي: إجمالاً وتخصيصاً كما آمنوا بما سبق تفصيلاً أو تعميماً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 162] أي: بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 162] حيث جمعوا بين الإيمان الصحيح والعمل النقيح وقرأ حمزة بالغيبة على تلوين العبارة قيل الراسخون في العلم هم العلماء بالله ذاتاً ووصفاً والعلماء بأمر الله وجوباً ونهياً والمتبعون سُنَّة رسول الله ثبوتاً ونفياً.

وأفاد الأستاذ: إن الراسخ في العلم هو أن يكون في الدليل مجتهداً وأن لا يكون في الحكم مقلداً بل يضع النظر في موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا يكون مساغ للشك في عقله ويقال الراسخ في العلم من يرتقي عن حد تأمل/ 197/ب البرهان ويصل إلى حقائق البيان ويقال الراسخ في العلم أن يكون بعلمه عاملاً حتى يفيده عمله علم ما خفي على غيره ففي الخبر «من عمل بما علم ورثه

الله علم ما لم يعلم».

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية: 163] أي: عموماً ولعل الابتداء بنوح لأنه أول من كفر به أمته بخلاف آدم وشيث وإدريس عليهم السلام ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية: 163] ابني إبراهيم ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 163] ابن إسحاق ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 163] أولاد يعقوب أو أحفاد إبراهيم ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية: 163] خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين مشاهيرهم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الآية: 163] وقرأ حمزة بالضم أي: كتاباً مزبوراً فيه أنواع الوعظ مسطوراً ﴿وَرُسُلًا﴾ [الآية: 164] أي: وأرسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: من قبل هذه السورة أو هذه المدة ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 164] أي: قبل ذلك أو مطلقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78].

وأفاد الأستاذ: إن سُنَّة الله في أوليائه ستر قوم وشهر قوم وبذلك جرت سُنَّته أيضاً في أنبيائه أظهر أسماء قوم وأجمل تفصيل ذكر آخرين والإيمان واجب لجميع الأنبياء عليهم السلام جملةً وتفصيلاً كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء تعميماً وتخصيصاً وكذلك أحوال العباد ستر عليهم بعضها وأظهر لهم بعضها ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [الآية: 164] وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم كما أن الخليل خص بالخلة من جملتهم وقد أعطى نبينا ﷺ مثل ما أعطى كل واحد منهم.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 165] بالثواب على الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 165] بالعقاب على المعصية ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [الآية: 165] أي: معذرة ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 165] فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وقف الخلق عند مقاديرهم وبين أنه أرسل

إليهم الرسل لتوفر دواعيهم إلى اجتباء ثوابهم واجتناب ما فيه استحقاق عذابهم وأنه ليس للخلق سبيل لا إلى راحة يطلبونها ولا إلى آفة يجتنبونها إما في الحال وإما/ في المآل ومن له إلى الله حاجة فأنى يكون له على الله حجة 198/أ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية: 165] غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 165] في قضائه وقدره ونزل في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله ﷺ: إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله فقالوا: ما نعلم ذلك. ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية: 166] أي: متلبساً بعلمه الخاص بدأ الذي أراد به أن يطلع عليه بعض عباده من صفاته ومغيباته أو أوامره ونواهيه أو أنزله إليك عالماً بأنك أهل لإنزاله عليك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 166] أيضاً بنبوتك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 166] قيل: هو الشاهد عليك وعلى خواطرك وأنفاسك فاتقه فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سلاه عند تكذيب الخلق إياه بما ذكره من علم الله بصدقه فيما ادعاه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 167] أي: بأنفسهم ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: منعوا غيرهم عن سلوك دينهم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 167] أي: عن الحق في الحال والمآل لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾ [الآية: 168] أي: استمروا على كفرهم وأصروا على ظلمهم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية: 168] أي: بعدما ماتوا على قبح حالهم وسوء مآلهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [الآية: 168] إلى الحق في الدنيا.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 169] أي: العقبى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: 169] لجري حكمه السابق على وفق علمه اللاحق ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 169] أي: ما ذكر من عدم الغفران ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 169] سهلاً لا يصعب عليه ولا يستعظم لديه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 170] بالأمر الثابت والقول الصدق ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 170] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 170] أي: إيماناً خيراً لكم أو يكن الإيمان خيراً لكم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه أخبر أنه غني عنهم فإن آمنوا فحظوظ أنفسهم اكتسبوها وإن كفروا فلأباهم لأنفسهم اجتلبوها والحق تعالى منزه الوصف عن التجمل بالوفاق والتنقص بالخلاف والشقاق ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ [الآية: 170] فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بشكركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 170] ملكاً وملكاً كرهاً وطوعاً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 170] بأحوالكم ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 170] فيما دبرلكم.

وأفاد الأستاذ أن المراد به أنهم إن خرجوا عن استعمال العبودية فعلاً لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبيده خلقاً كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] انتهى ولعل اختيار ما في آية تغليباً لأفراد الأكثر من غير ذوي العقول واعتبار/ من في أخرى تغليباً لأشرف الخلق من ذوي الفحول. 198/ ب

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [الآية: 171] أي: لا تجاوزوا عن صوب الصواب ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي: ولا تنقلوا عنه ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 171] أي: نقل الحق وقول الصدق المنزه عن الصاحبة والولد حيث أنه صمد لم يكن له كفواً أحد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 171] أي: لا أنه ولد الزنى كما بهت اليهود ولا ابن الله كما تفوهت النصارى ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [الآية: 171] أي: أوجده بكلمة كن على ما قيل وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 171] أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل في جيب درعها ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 171] أي: وذو روح شريف صدر عنه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل: سمي روحاً مبالغة لأنه كان يحيي الأموات الحسية أو القلوب القسية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 171] جميعاً من غير تفرقة ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ [الآية: 171] أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿ٱنتَهُواْ﴾ [الآية: 171] أي: عن التثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 171] نصبه كما سبق ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية: 171] الذات لا تعدد فيه بوجه ما في جميع الكائنات ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الآية: 171] أي: أسبح تسبيحه وأنزه تنزيهه من أن يكون له ولد فإنه إنما يكون لمن له مثل وكفؤ ويتطرق إليه فناءٌ ﴿لَّهُۥ

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية: 171] والملائكة تنافي الولدية ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 171] أي: موكولاً إليه أمر من يخالفه ويوافقه في القضية.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [الآية: 172] أي: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 172] فإن عبوديته شرف يتباهى به من سواه ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ [الآية: 172] بأجمعهم مع كمال قربهم ووقوفهم في مرتبة جمعهم وكونهم أقوى من غيرهم في نحو قلع الجبال والتصرف في سائر الأحوال وما أحسن من قال:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي[1]

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية: 172] أي: ولو على توهم استحقاق كرامته ﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ [الآية: 172] أي: يتكبر عنها مع أنفة من غير توهم فضيلة ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية: 172] أي: مع غيرهم ﴿إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 172] فيجازيهم جزاءً بديعاً منيعاً.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: يعطيهم ثوابهم كاملاً ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 173] أي: زيادة على ما يقتضيه عدلاً ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 173] أي: على وفق ما كان سبحانه بهم/ عليماً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 173] أي: مما سواه ﴿وَلِيًّا﴾ [الآية: 173] ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 173] يدفع العذاب عنهم. 199/أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ [الآية: 174] أي: دليل عقلي وتبيان جلي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 174] فالمعجزات هو البرهان والنور هو القرآن أي: جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة ولا وجه من وجوه الحجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149] .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 175] أي: لم يعتمدوا على ما سواه فصاروا ممن قام في مقام العبادة لله والتوكل على مولاه ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي

---

(1) نسب إلى الأعشى انظر: زهر الأكم (1/ 64).

﴿رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ [الآية: 175] أي: ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه وعدلاً ﴿وَفَضۡلٖ﴾ [الآية: 175] أي: إحسان زائد على قدر استحسانه كرماً وفضلاً ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: 175] أي: إلى قربه أو مكان وعده ﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الآية: 175] بالجمع بين العلم النافع والعمل الرافع وقيل: هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى.

وأفاد: الأستاذ أنه يحفظ عليهم إيمانهم عند التوفي في المآل كما ألزمهم بالإيمان والعرفان في الحال وهدايتهم هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية من الله تفضلاً لهم لا أنهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ولا بتعبهم وكدهم.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ [الآية: 176] أي: في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه على وجه الجلالة فقد روي في الصحيحين وغيرها أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [الآية: 176] سبق أن الكلالة من لا والد له ولا ولد وهو أعم من أن يكون رجلاً أو امرأة فالأخت لا بد أن تكون كلالة لأنها مذكورة في جواب فتوى الكلالة ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [الآية: 176] أي: مات ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [الآية: 176] أي: لا ذكر ولا أنثى ولا والد أيضاً فإن الأخت لا ترث مع الأب ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ [الآية: 176] أي: من الأبوين أو الأب فإن ولد الأم مضى حكمه في أول السورة ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ [الآية: 176] أي: والمرء يرث جميع مال أخته إن كان الأمر بالعكس ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾ [الآية: 176] أي: ذكر وأنثى ولا والد أيضاً ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [الآية: 176] أي: فصاعداً على ما في «المدارك» وغيره ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ [الآية: 176] أي: الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ [الآية: 176] أي: من يرث بالأخوة ﴿إِخۡوَةٗ﴾ [الآية: 176] أي: وأخوات فغلب المذكر أو اكتفى به ﴿رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ/ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 176] يبين الله لكم طرق هدايتكم في أمر دينكم ومعيشتكم ﴿أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [الآية: 176] كراهة أن تقعوا في الضلالة وتميلوا عن الهداية ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الآية: 176] فهو عالم بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

199/ ب



[مدنية]

وهي مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ إن سماع اسم الله يوجب الهيبة والهيبة تتضمن الغناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة والحضور يتضمن البقاء والقربة فمن أسمعه بسم الله أدهشه في كشف جلاله ومن أسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة، الآية: 1] الإيفاء الوفاء وهو القيام بمقتضى العهود وهي تعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف على وفق مراده وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات وعهود المعاملات مما يجب الوفاء به في جميع الحالات قيل أول عقد عقد عليك عقد إجابتك له بالربوبية فلا تخالفه بالرجوع إلى سواه في العبودية والعقد الثاني تحمل الأمانة لله فلا تخفر بها في مبتدأه ومنتهاه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ناداهم قبل أن بدأهم وسماهم قبل أن رآهم وأهّلهم في آزاله لما أوصلهم إليه في آباده وشرفهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 1] كلفهم بقوله: ﴿أَوْفُواْ﴾ [الآية: 1] ولما علم أن التكليف يوجب المشقة والبلاء قدم التشريف بالثناء على التكليف الموجب للعناء ويقال يا من فتحت بصيرتهم لشهود حتى لا تكونوا كمن أعرضت عنهم من خلقي ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 1] كل حي لا يميز في القضية والإضافة بيانية أي: البهيمة التي هي الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش لتصحيح الحال الآتية: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 1] أي: تحريمه وإلا محرم ما يتلى عليكم

من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] الآية ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [الآية: 1] حال من الضمير في لكم والصيد تحتمل المصدر والمنقول ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [الآية: 1] حال مما استكن في (محلي) والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] أي: من تحريم وتحليل للمريد.

ومن «**نفائس العرائس**» أن المحرم الذي ذكر الله من اكتسى إحرام أنوار غيرته في حرم مشاهدة قربه وحضرته قد منعه أن يصيد في بيداء العبودية صيود الحظوظ النفسية لأن صيده هو بنفسه تعالى لا غير الله ومن/ كان هو 200/أ صيده حرم عليه سواه.

وأفاد الأستاذ: إن تحليل بعض الحيوانات وإباحتها من غير جرم سبق منها والمنع من ذبحها من غير طاعة حصلت لها دليل على أن لا علة لصنعه وحرم الصيد على المحرم بخصوصه لديه لأن المحرم متجرد عن نصيب نفسه لقصده الله فالأليق بصفاته كف الأذى عن كل حيوان واجتنابه عن شهواته وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] معناه لا حجر عليه في أفعاله فيخص من يشاء بالنعمى ويفرد من يشاء بالبلوى فهو يمضي الأمور في آباده على حسب ما أراد وأخبر وقضى وعلم في آزاله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 2] جمع شعيره وهي اسم ما أشعر أي: جعل شعاراً ويعني بها مناسك الحج من أعماله ومواقفه لأنها علاماته وأعمال نسكه وقيل: المراد معالم دينه وقيل: فرائضه التي حدها لعباده وقيل: جميع محارمه.

وأفاد الأستاذ: إن إجلال الشعائر هو الإخلال بالأوامر ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 2] أي: ولا تحلوه بعدم تعظيمه أو بالنسيء فيه أو القتال به والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك في أشهر الحرام ولو في الحرم المحترم ﴿وَلَا ٱلْهَدْيَ﴾ [الآية: 2] أي: وبعدم التعرض لما أهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [الآية: 2] أي: ذوات القلائد من الهدي تخصيص بعد تعميم لشرفها وهي جمع قلادة وهي ما قلد بها الهدي من نحو فعل أو لحاء

شجر ليعلم به أنه هدي.

وأفاد الأستاذ: أن تعظيم المكان الذي عظمه الله وإكرام الزمان الذي أكرمه الله وتشريف الإعلام على ما أمر به الله هو المطلوب من العبد أمراً والمحبوب فيه حالاً﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 2] أي: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله وزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية: 2] أي: يطلبون أن يثبتهم ويرضى عنهم بزعمهم وهذاالحكم منسوخ الآن أيضاً فيهم وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله وإن أم البيت الحرام إذا لم يكن له أمان من أهل الإسلام[1].

وقال الأستاذ: وبالحري لمن يقصد البيت أن لا يخالف رب البيت وابتغاء الفضل والرضوان بتوقي موجبات السخط ومجانبة العصيان ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ [الآية: 2] أي: أحللتم كما قرىء به والمعنى/ صرتم حلالاً وخرجتم من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ [الآية: 2] أمر إباحة من غير إلزام. 200/ ب

وقال الأستاذ: وإذا خرجتم عن أسر حقوقنا فارجعوا إلى استجلاب حظوظكم فأما ما دمتم تحت قهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم لأنكم لنا قلت وفي الآية إشارة إلى ما روي عنه عليه السلام روحوا قلوبكم ساعة فساعة[2] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [الآية: 2] بسكون النون ابن عامر وأبو بكر أي: لا يحملنكم شدة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 2] أي: لأن منعوكم عنه عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [الآية: 2] أي: على الاعتداء والتجاوز عن الحد بالانتقام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض بين العامل ومعموله أغنى عن جوابه بلا يجرمنكم والآية نزلت حين أراد الصحابة منع بعض المشركين عن العمرة انتقاماً من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية على ما رواه ابن حاتم عن زيد بن أسلم[3].

(1) تفسير ابن كثير (2/ 11).
(2) تفسير ابن كثير (2/ 11).
(3) كنز العمال (3/ 37) رقم (5354).

وقال الأستاذ: أي كونوا قائمين بنا متجردين عن كل نصيب وحظ مما سوانا ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ [الآية: 2] أي: المأمورات ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 2] أي: عن المنهيات وحاصلهما العفو والإغضاء أو متابعة الهدى ومخالفة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن البر فعل ما أمرت به والتقوى ترك ما زجرت عنه ومن المعاونة على البر والتقوى الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتدي به أهل الكمال وكذا قوله ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية القاصرة ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية المتعدية وقيل: البر ما اطمأن إليه القلب[1] من غير أن ينكر بسبب ولا جهة من الريب والإثم بخلافه.

ومن «نفائس العرائس» معنى البر المحبة والتقوى المعرفة والإثم طلب حظ المشاهدة من المشاهدة والعدوان دعوى الأنانية في الاتحاد لأنه احتجب بحظ الربوبية عن الربوبية في العبودية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 2] احذروا عقابه واحترسوا عتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 2] وانتقامه أشد في كل باب.

وأفاد الأستاذ: أن العقوبة ما يتعقب الجرم مما يسوء صاحبه وشدة العقوبة حجاب المعاقب عن شهود المُعَاقِب فإن تجرع كاسات البلاء عن شهود المبلي أحلى من العسل والشهد.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [الآية: 3] أي: ما فارقه الروح من غير التذكية ﴿وَالدَّمُ﴾ [الآية: 3] أي: المسفوح لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145] ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [الآية: 3] .

وأفاد الأستاذ/ أن من الميتة المحرم تناولها أن تناول من عرض أخيك 201/ أ على وجه الغيبة ويقال كما أن في الحيوان ما يكون المذكى منه مباحاً والميتة منه حراماً فكذلك من أذبح نفسه بسكاكين المجاهدات فظاهر نفسه مباح قربه حلال صحبته ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخبيثة نفسه محظور قربه حرام معاشرته غير مبارك صحبته فإن السلف

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 228) رقم (18030)، وانظر: جامع الأحاديث (23/ 440) رقم (26378).

سموا الدنيا خنزيرة ورأوا وأن ما يلهي قربه وينسى المعبود كونه ويحمل على العصيان حصوله فهو محرم على القلوب ففي طريق القوم حب الدنيا حرام على القلوب وإن كان إمساك بعضها حلالاً على الأبدان والنفوس قلت: ومن كلام القوم الدنيا حرام على أهل العقبى والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل المولى وفي الحديث اتقوا مجالسة الموتى قيل: من الموتى قال الأغنياء[1]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ [الآية: 3] أي: ذبح ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية: 3] أي: من صنم ونحوه ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [الآية: 3] التي ماتت بالخنق ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ [الآية: 3] المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [الآية: 3] التي ترددت وطاحت من علو أو في بئر فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [الآية: 3] التي نطحتها أخرى فماتت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [الآية: 3] أي: منه فماتت ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [الآية: 3] أي: أدركتم ذبحه من هذه الأشياء وفيه حياة مستقرة فإنه حلال والزكاة في الشرع قطع الحلقوم والمريء بمحدّد ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [الآية: 3] واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ﴾ [الآية: 3] أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً كسفر ونكاح مثلاً ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وقيل: افعل وعلى الآخر نهاني ربي وقيل: لا تفعل والثالث غفل لا شيء عليه فإن خرج الأمر فعلوه وإن خرج النهي تركوه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة فالمراد به جنس القمار ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى الاستقسام ووجه كونه فسقاً أنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وفي معناه الرمل والفأل من القرآن فإن الحروف الهجائية لا دلالة لها على/ شيء من الأمور المستحسنة أو المستقبحة نعم إن كان الفأل 201/ب

(1) لم يخرج له أحد وإنما ذكر في تفسير البحر المديد (2/ 394)، وتفسير حقي (2/ 372)، (5/ 330)، (6/ 210) القول منسوب إلى عيسى عليه السلام، وفي تفسير حقي (7/ 351) نسبه إلى النبي ﷺ.

بالمعنى القرآني المشير إلى المعنى المراد في الجملة فلا بأس إلا أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة[1] والله سبحانه أعلم أو إشارة إلى تناول ما حرم وتعاطيه فإنه فسق وضلال وجهالة.

وأفاد الأستاذ: أن المذبوح على غير اسمه فإنه ليس بطيب فمن بذل روحه فيه وجد روحه منه ومن تهارشته كلاب الدنيا وقتلته مخالب الأطماع وأسرته مطالب الأعراض والأعواض فحرام ماله على أهل الحقائق وأما المنخنقة فالإشارة منه إلى الذي ارتبك في حال المني والرغائب وأخذه خناق الطمع وخنقته سلاسل الحرص فحرام على السالكين سلوك سنّتهم ومحظور على المريدين متابعة طريقتهم وأما الموقوذة فالإشارة فيها إلى نفوس حبست على طلب الخسائس حتى استكملت أكلها فهي التي ذهبت بلا عوض حصل منها والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة وعمي عن استبصار رشد الحقيقة فهو يهيم في مفاوز الظنون وينهمك في متاهات المنى والإشارة من النطيحة إلى من صارع الأمثال ونازع الأشكال وناطح طلاب الدنيا فخصموه بطلب حرصهم وهزموهم بزيادة تكليمهم وأكيلة السبع ما ولغ فيه طلاب الدنيا فإن الدنيا جيفة وأكلة الجيف الكلاب واستثنى منه المذكى وهو ما تفرد من متاع الدنيا لله لأن زاد المؤمن من الدنيا وما كان لله فهو محمود وما كان للنفس فهو مذموم والإشارة من قوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [الآية: 3] فهو ما أرصد لغير الله ومقصود كل حريص بموجب شرهه معبوده من حيث هويه قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23] يعني: اتخذ هواه إلهه ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى كل معاملة ومصاحبة بنيت على استجلاب الحظوظ الدنيوية لا على وجه الإذن إذ القمار ذلك معناه.وقلت المعاملات المجردة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [الآية: 3] أي: إيثار هذه الأشياء انسلاخ من الدين وخروج عن مرتبة اليقين ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: من إبطاله ورجوعكم عنه ومن أن يغلبوكم

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 332) رقم (8374)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 310) رقم (26396).

202/ أ فيه نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة عام حجة الوداع ﴿فَلَا/ تَخْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 3] أي: بعدما أظهرت دينكم أن يظهروا عليكم ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [الآية: 3] أي: أخلصوا الخشية لي في أمري ونهيي واتباع ديني.

قال: سهل أعجز الناس من خشي ما لا ينفعه ولا يضره والذي بيده النفع والضر كله يخاطبه بقوله فلا تخشوهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [الآية: 3].

وقال الأستاذ: أي بعدما انهتك عن قلوبكم آثار الحسبان وتحققتم بأن المتفرد بالإبداع أنا فلا تلاحظوا سواي ولا يظلّن قلوبكم إشفاق من غيري ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضر والخير والشر لا يحصل شظية منه إلا بقدرة الحق سبحانه فمن المحال أن ينطوي من مخلوق على رغب ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية: 3] حرف التعريف للمعهود والحاضر وما يتصل به من الوقت الحاضر ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: فلا زيادة بعده ولذا لم ينزل حرام ولا حلال بعدها أو بالنصر والإظهار على الأديان كلها.

وأفاد الأستاذ: أن إكمال الدين تحقيق القبول في المآل كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال فلولا توفيقه لم يكن للدين حصول ولولا تحقيقه لم يكن في الدين قبول وإنما أراد بذكر اليوم وقت نزول هذه الآية وتقييد الوقت في الخطاب بقوله اليوم لا يعود إلى عين إكمال الدين ولكن إلى تعريفنا ذلك في ذلك الوقت فالدين موهوب ومطلوب فالمطلوب ما أمكن تحصيله والموهوب ما سبق منه حصوله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [الآية: 3] أي: بتوفيقي وهدايتي.

وأفاد الأستاذ: أن النعمة ما لا يقطعك عن المنعم على الحقيقة بل يوصلك إليه في الطريقة والنعمة المذكورة هنا الدين وإتمامها وفاء المال واقتران الغفران وحصوله فإكمال الدين تحقيق المعرفة وإتمام النعمة تحصيل المغفرة وهذا خطاب لجماعة المسلمين ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين وإنما الشك يعتري في الآحاد والأفراد بل يبقى على الإيمان في الآباد ﴿وَرَضِيتُ﴾ [الآية: 3] اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [الآية: 3] من بين الأديان فلا أسخطه أبداً في سالف الأزمان.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك لما قسم للخلق أديانهم فخص قوماً باليهودية وقوماً بالنصرانية إلى غير ذلك من النِّحَل والملل وأفرد المسلمين بالتوحيد والعرفان ومزيد اليقين/ فقدم قوم الكمال على التمام فقالوا التمام يقبل الزيادة 202/ ب ولذلك وصف به النعمة لقبول النعم الزيادة ولا رتبة بعد الكمال ولذلك وصف به الدين ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة هنا وإنما ذكر باللّفظين على جهة التأكيد ثم أضافه إلى نفسه وإلى العبد أيضاً حيث قال: دينكم ونعمتي فوجه إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ووجه إضافته إلى نفسه من جهة الخلق فالدين من الله عطاء ومن العبد عناء وحقيقة الإسلام الإخلاص والانقياد والخضوع لجريان الحكم بلا نزاع في السر فمن اضطر متفرع على ذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [الآية: 3] إلى تناول شيء من هذه المحرمات ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [الآية: 3] أي: في حال قحط وزمان مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [الآية: 3] أي: غير مائل لمعصية بأن يأكلها للذة أو مجاوزاً حدّ الرخصة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 3] لا يؤاخذه بأكله ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 3] حيث رخص له بنفعه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة أو لمريد في السلوك وقفة ثم تنبه لعظيم الوقعة فبادر إلى جميل الرجعى باستشعار التحسر على ما جرى تداركته الرحمة ونظر الله سبحانه إليه بقبول الرجعة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 4] أي: من المطاعم المستحسنات ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [الآية: 4] أي: الحلالات والمستلذات بما لم تستخبثه الطبائع المستقيمات.

وأفاد الأستاذ: أنها الحلال الذي يحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل الحرام[1] يوجب قسوة القلب والوحشة مقرونة بقسوة القلب وضياء القلوب

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (3/ 146) رقم (4783)، وأحمد في المسند (4/ 379) رقم (19407).

وطيبة الأوقات متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات.

وفي «**نفائس العرائس**» قال يوسف بن الحسين الطيب من الرزق ما يبدو لك من غير تكلف ولا إشراف نفس وسأل أبو الحسن النوري عن القوت قال: القوت هو الله أقول القوت ذكر الحي الذي لا يموت ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ [الآية: 4] أي: وأحل لكم صيد ما علمتم من كواسب الصيد على أهلها من السباع من ذوات الأربع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ [الآية: 4] حال/ كونكم معلمين إياه الصيد وهو للمبالغة والتأكيد لما علم من قوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ [الآية: 4] والمكلب مؤدب الجوارح ومدربها بالصيد مشتق من الكلب وإن كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب لأنه غالباً يوجب التأديب ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 4] من الحيل في الترتيب وطرق التأديب فإن العلم بها الإلهام من الله المجيب أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وينزجر بزجره يتصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 4] وهو مما يأكل منه الأسباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقاً لكن كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئاً منه ولم يدركه صاحبه فيذبحه فهو حرام وبعض آخر منهم علي وابن عباس على حلته وإن أكل منه ثلثه على ما رواه ابن جرير ويؤيد الأول قوله عليه السلام لعلي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك وكذا مذهبنا على ما ذكره صاحب «**المدارك**» ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 4] أي: على ما علمتم والمعنى سموا عليه عند إرساله وهذا الأمر للندب عند الجهود خلافاً للإمام أحمد فإن ذكره عنده شرط للحلية وقيل: اذكروا اسم الله على أكله ولا تكونوا من الغافلين في فعله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 4] أي: مخالفته الموجبة للعقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية: 4].

203/ أ

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد بقوله لما كان الكلب المعلم ترك حظه وأمسك ما اصطاده على صاحبه حلت فريسته وجاز اقتناؤه واستغرق في ذلك حكم نجاسته وخساسته كذلك من كانت أعماله وأحواله لله سبحانه مختصة تجل رتبته وتعلو حالته ويقال حسن الأدب يلحق الأخسة برتبة الأكابر وسوء الأدب

يزيد الأعزة إلى حالة الأصاغر وهو تعالى سريع الحساب في القيامة بحيث لا يشغله شأن عن شأن ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] اليوم مع الأحباب والأولياء فهم لا يسامحون في خطره ولا في لحظه معجل حسابهم مضاعف في الوقت ثوابهم وعقابهم.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [الآية: 5] ذكر ما هو معلوم ليعطف عليه ما هو مجهول بقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [الآية: 5] وهو يتناول/ الذبائح 203/ ب وغيرها ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك فيهم ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية: 5] أي: الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث ما هو الأولى منهن ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 5] وإن كن حربيات خلافاً لابن عباس فيهن وأكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 5] مهورهن وتقييد الحل بإتيانها لتأكيد وجوبها والحث على المبادرة في أدائها ﴿مُحْصِنِينَ﴾ [الآية: 5] أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [الآية: 5] مجاهرين بالسفاح ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [الآية: 5] مسرين في الجناح فعن بعض السلف لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وهو مذهب الإمام أحمد ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3] الآية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 5] أي: بشرائع الإسلام بأن ينكره ويمتنع منه ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [الآية: 5] أي: في الدنيا ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 5] أي: إن من مات على طريق الكافرين.

وفي «**دقائق الحقائق**» من لم يشكر الله على ما وهب له من المعرفة واليقين فقد كفر بمعالي درجات الإيمان والدين فيه أحبط مأموله من الاجتهادات والرياضات في الشهور والسنين وسائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: 5] أن الطيب ليس ما تستطيبه النفوس لكن الطيب ما يوجد فيه رضا الحق سبحانه فيوجد عند ذلك راحة القلوب وفي قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: 5]

القدر الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات الربوبية لم يَعْرَ من أثر في القربة فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ [المائدة: 82] وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم وحل الطعام لهم والذبيحة بيننا وبينهم فيحل لنا أكل ذبائحهم ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا ولا يجوز منا تزويجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يعلى قلت: ولأن النساء غالباً يتبعن الرجال في حسن الحال وقبح الفعال ويتقلدن لهم في المآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 6] أي: أردتم القيام إليها وأنتم محدثون ممتنعون عنها.

204/أ وفي «التوضيح» أن في الآية/ من الإشارة إلى أن الوضوء عند عدم الحدث سُنَّة لكونه إيثاراً لظاهر الأمر وعند الحدث واجب بخلاف الغسل فإنه ليس بسُنَّة لكل صلاة يعني وإن كانت مستحبة فإنه الطهارة الكاملة وإنما لم يجب ولم يسن سُنَّة مؤكدة لدفع الحرج عن الأمة ورحمة على العامة ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الآية: 6] أمروا الماء عليها وزاد الإمام مالك الدلك على ذلك ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [الآية: 6] أي: معها أو مضافة إليها وهذا عند الجمهور خلافاً لزفر ومن معه ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [الآية: 6] الباء مزيدة أو للإلصاق أو تبعيضية فأبو حنيفة أوجب ربع الرأس لأنه ﷺ مسح على ناصيته ومالك مسح كله أخذاً بالاحتياط في الدين والشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين والتحقيق أن مطلق مسح الرأس فرض والربع واجب عندنا للدليل الظني والاستيعاب سُنَّة لتركه حال مسحه على ناصيته فالاحتياط في الفعل لا في الحكم ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [الآية: 6] نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي عطفاً على وجوهكم ويؤيده السُّنَّة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأمة وجره الباقون على الجوار كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 10] وقولهم: جحر ضب خرب.

والتحقيق أن ظاهر قراءة النصب يفيد وجوب الغسل كما أن ظاهر قراءة الجر يوجب المسح فغايته أن الآية تصير بمنزلة المجمل أو تدل على جواز الأمرين والأحاديث الصحاح بنية الغسل حال عدم لبس الخف والمسح حال لبس الخف فالقراءتان محمولتان على الحالتين وأما جواز المسح بدون الخف

فيرده الحديث الصحيح في الآثار «ويل للأعقاب من النار»[1] ثم في الفصل بينه وبين أخواته تنبيه نبيه على أن استحباب الترتيب أو إيجابه والله أعلم بمراده.

وفي «نفائس العرائس» بدأ بغسل الوجه لأنه منبت أنوار تجلي الحق التي برزت من الوحدانية للأرواح فعكست لطائفها على الوجوه من جملة الأشباح وأيضاً خص الوجه بالغسل ابتداء لأنه تعالى خلقه بنفسه ونقشه بنقش خاتم تلك الصفات والإشارة في الآية إلى تطهير الأسرار من الالتفات إلى الأغيار لاقتباس الأنوار بمياه الحزن التي تجري من عيون قلب المجروح بالمحبة على سواد في العين فإذا كان مطهراً من غير الحق فصلاته مواصلة وحركاته قربة وقربه زلفة/ وقيامه محبة وركوعه خشية وسجوده شهود وتحياته انبساط ودعواته 204/ ب مستجابة أي إذا قمتم عنكم إلى وصلتي ومشاهدتي طهروا أنفسكم من الحدوثية في بحار الربوبية حتى تصلوا إلي بي لأن الحدث كالعدم لا يقوم بإزاء القدم.

وقال أبو عثمان: شرائط الطهارة معروفة وحقيقتها لا ينالها إلا الموفقون من طهارة السر وأكل الحلال وإسقاط الوساوس عن القلب وترك الظنون والإقبال على الأمر والطاعة بحسب الطاقة.

وقال سهل: أفضل الطهارات أن يطهر العبد من رؤية طهارته.

وقال الأستاذ: كما أن في الشريعة لا يصح الصلاة بغير الطهور لا يصح في الحقيقة الصلاة بغير الطهور وكما أن للظاهر طهارة فللسرائر أيضاً طهارة وطهارة البدن بماء السماء وطهارة القلب بماء الندم والخجل ثم بماء الحياء والوجل وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة وجب في بيان الإشارة صيانة الوجه عن التبذيل للإشكال عند طلب خسائس الأغراض وكما يجب غسل اليدين في الطهارة يجب قصرهما عن الحرام والشبهة وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد وكما يجب غسل الرجل في الطهارة يجب صونها في الطهارة الباطنة عن النقل فيما لا يجوز ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [الآية: 6] أي بالغوا في غسل جميع الأعضاء ولذا أوجب أبو حنيفة غسل الفم والأنف في الحدث الأكبر وسنهما في الحدث الأصغر ﴿وَإِن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (60)، ومسلم في الصحيح (241/ 27).

﴿كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 6] أي: مسافرين أو على جناح سفر ﴿أَوْ جَآءَ﴾ [الآية: 6] أو بمعنى الواو كما قال الرازي أي وقد جاء ﴿أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [الآية: 6] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 6] اشارة إلى الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ [الآية: 6] أي حقيقة أو حكماً ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 6] أي: فاقصدوا التراب وما في معناه من هذا الباب ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [الآية: 6] على وجه الاستيعاب ولعل التكرير لاستقصاء التطهير دليلاً يتوهم فسخ التيمم في التأخير ولفظ منه دال على المسح ببعضه وهو لا ينافي جواز التيمم على الصخر الذي لا تراب عليه وقال بعض العارفين: إذا خطر لي خاطر الدنيا أتوضأ وإذا حدث لي خاطر العقبى أتغسل.

205/ أ وأفاد الأستاذ: أنه كما يجب الطهارة [الأعلى] / فيقتضي غسل جميع البدن فقد يقع للمريد فترة توجب عليه الاستقصاء في الطهارة الباطنة وذلك بتحديد عقد وتأكيد عهد والتزام غرامة واستدامة ندامة كما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويغسله ببركة إشارته ويعينه بما يؤوب عنه من زيادة حالته اشتغل بما تيسر له من اقتفاء آثارهم والاسترواح إلى ما يجده من سالف سيرهم ومأثور حكاياتهم ثم كما أن فرض التيمم على الشطر والنقصان فكذلك المطالبات على صفاء صاحب هذه الحالة يكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف والملالة ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 6] بالأمر بأنواع الطهارة للصلاة ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [الآية: 6] أي: تضييق لكم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: من الأحداث أو من الذنوب فإن الطهارة تكفير للعيوب وتنظيف للقلوب.

وأفاد الأستاذ: أنه يطهر ظواهركم عن الذلة بعصمته ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته ويطهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ويفرغ ظهوركم عن الوقوع في شباك الأشغال أو يطهر عقائدكم عن أن يتوهم تدنس المقادير بالأعلال ويلوح من جملة ما يريد الله الآية إشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحط رحله بساحة العبادة وإذا عدم اللطائف في سرائره فليستدم الوظائف على ظواهره وإذا لم يتحقق بأحكام الحقيقة فليتخلق بآداب الشريعة وليتعلق بأصحاب الطريقة وإن لم يتحرج عن ترك الفضيلة فلا يدنس تصرفه

بالحرام والشبهة ﴿وَلِيُتِمَّ﴾ [الآية: 6] أي: بشرعه ما هو مطهرةٌ لأبدانكم عن الأحداث ولقلوبكم عن الآثام ومكفرة لذنوبكم فيما بين الأنام ﴿نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: في الدين لتبلغوا إلى أعلى مراتب اليقين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 6] نعمته فيزيدها عليكم فيما تستقبلون.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة لقوم بنجاة نفوسهم وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم فشتان بين قوم وبين قوم ويقال إتمام النعمة وفاء العاقبة فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان فقد تمت سعادته وصفت نعمته ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم فإن وجود النعمة يكون لكل أحد ولكن إتمامها في شهود المنعم الأحد الصمد.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 7] أي: بالإسلام لتذكركم المنعم بكل الإنعام أو ترغبكم في شكره على الدوام/ ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [الآية: 7] 205/ ب أي: خصوصاً من بين الأنام كليلة العقبة وبيعة الرضوان أو الميثاق العام الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 7] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] أمرك فأثبتوا عليه بمتابعة أمره ونهيه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 7] في نسيان نعمه ونقض عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 7] بخفيات أحوالكم فضلاً عن جليات أعمالكم.

قال أبو عثمان: النعم كثيرة وأجل النعم المعرفة والمواثيق كثيرة وأجل المواثيق الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى التعريف السابق الذي لولاه لما علمت أنه من هو ويقال أمرهم بتذكر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم فلا للأغيار عنهم خبر ولا لهم عين ولا أثر ولا وقع لأحد عليهم بصر وقد سماهم بالإيمان وحكم لهم بالغفران قبل حصول العصيان ثم لما أظهرهم وأحياهم عرفهم التوحيد قبل أن كلفهم الحدود وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذرهم الخيانة فقابلوا قوله بالتصديق ووعدوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق فأمدهم بحسن التوفيق وثبتهم على سواء الطريق ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] ثم قال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 7] يعني في نقض ما أبرمتم من العقود والرجوع عما قدمتم من العهود ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

[الآية: 7] لا يخفى عليه من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 8] أي: قائمين بالحق لله لا للرياء والسمعة بما سواه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 8] أي بالعدل والحق لا بالجور والميل عن الصدق قيل كونوا أعواناً لأوليائه على أعدائه.

وقال الأستاذ: يعني لا يعوقنكم حصول نصيب لكم في شيء من الوفاء لنا والقيام بما يتوجه عليكم من حقنا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [الآية: 8] أي: لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ﴾ [الآية: 8] أي: العدل الذي هو موافقة الهدى ومخالفة الهوى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 8] أي: في الدنيا والعقبى وإذا كان هذا مع الكفار فما ظنك به مع الأبرار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 8] أي: في جميع الأطوار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 8] أي: في الليل والنهار.

وقال الأستاذ: أي لا يحملنكم ضغائن صدوركم على الحلول بحنيات الحيف/ فإن مرتع الظلم وبيء وموضع الزيغ مهلك دنيء ثم صرح الأمر بالعدل فقال ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ [الآية: 8] ولا يكون حقيقة العدل إلا بالعدل على كل حظ ونصيب والعدل أقرب إلى التقوى والجور أقرب من الردى ويوقع عن قريب في عظيم البلوى قلت وما أحسن قول العارف ابن الفارض: 206/ أ

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم[1]

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 9] الجملة في موضع المفعول الثاني على طريق الحكاية.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بالأعمال الصالحة ووعدهم بالمغفرة ليعلم أن العبد يكون له أعمال صالحة وإن كانت له ذنوب يحتاج إلى غفرانها بخلاف ما توهمه من قال أن المعاصي تحبط الطاعات ويقال: بين أن العبد وإن كانت أعماله صالحة فإنه يحتاج إلى عفوه وغفرانه ولولا ذلك لهلك خلافاً لمن قال أنه لا يجوز أن يعذب البريء ويجب أن يثيب المحسن ويقال لو كان ثواب

(1) انظر: داووين الشعر (11/ 134).

المحسن واجباً وعقوبة البريء غير حسن لكان التجاوز عنه واجباً ويكن حينئذٍ فضلاً يمن به عليهم قلت وفي هذا رد بليغ على المعتزلة وسائر المبتدعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 10] أي: بكتبنا أو بمعجزاتنا أو بدلالات مصنوعاتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية: 10] ملازموا عقوباتنا.

قال الأستاذ: لهم عقوبتان معجلة وهي الفراق ومؤجلة وهي الاحتراق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ [الآية: 11] بإهلاككم وإتلافكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ [الآية: 11] بمنعها أن تمد عليكم ورد مضرتها عنكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الآية: 11] فيما يأمركم وينهاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 11] فإن من توكل على الله كفاه في إيصال الخير ودفع الشر عن ما سواه وقد روي عن ابن عباس وكثير من السلف أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر جميعاً فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يواقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف[1] والآية إشارة إلى ذلك وقيل: إشارة إلى ما روي أنه ﷺ أتى بني قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم/ يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش إلى رحًى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يديه فنزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج أو في قوم أرسلوا أعرابياً لقصده فجاء وهو ﷺ راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله ﷺ وقال من يمنعك مني فقال: الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه ﷺ ذكره محمد بن إسحاق وعكرمة وغير واحد[2] وفي رواية فلما أخذه ﷺ قال: من يمنعك مني فقال: لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فنزلت[3].

206/ ب

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 32) رقم (4323)، والطبراني في المعجم الكبير (5/ 215) رقم (5135)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 597) رقم (1938)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 214) رقم (8277).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4136)، ومسلم في الصحيح (843/ 311)، وانظر: تخريج الحديث اللاحق.

(3) تفسير أبي السعود (3/ 13)، وتفسير البيضاوي (1/ 304).

وأفاد الأستاذ: أن الآية تذكرهم ما سلف لهم من نعمة دفع البلاء وهو ما قصر عنهم أيدي الأعداء وذلك من أمارات العنايات بالأولياء ولقد بالغ في الإحسان إليك من كان لك بظهر الغيب من غير التماس منك أو سبق شفاعة فيك أو رجاء نفع في المستأنف منك أو حصول ربح في الحال عليك أو وجوب حق في السالف لك ثم قال ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 11] يعني كما أحسنت إليكم في السابق من غير سابقة استحقاق ثواب فانتظروا جميل إحساني في اللاحق من غير رابطة استيجاب ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [الآية: 12] شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالأحكام التي أمروا بها روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال إني كتبتها لكم داراً وجعلت لكم بها قراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا فيها فإني ناصركم بها وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه للوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق بالوفاء واختار منهم النقباء وسار بهم إلى أريحاء فلما دنا من أرض كنعان ومكان أهل العدوان بعث النقباء يتجسسون أخبار الأعداء ونهاهم أن يحدثوا قومهم بالأنباء فرأوا أجراماً عظيمة وأحوالاً شديدة فهابوا فرجعوا فحدثوا قومهم بما طالعوا فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهود أو يوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف/ عليه السلام وستأتي تتمة القصة في بقية السورة. 207/ أ

وقال أبو بكر الوراق: لم يزل في الأمم الأخيار والأبرار والأبدال والأوتاد من الزهاد والعباد على مراتب العباد كما قال سبحانه وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وهم الذين كانوا مرجوعين إليهم عند الضرورات في المصائب والعاهات والبليات كما ذكر عن النبي ﷺ قال في هذه الأمة أربعون على خلق إبراهيم وسبعة على خلق موسى وثلاثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد عليهم الصلاة والسلام فهم على مراتبهم سادات الخلق وهداة الحق الذين ذكره ﷺ أن بهم يمطرون ويرزقون وبهم يدفع البلاء ويحصل النصر على الأعداء كذا في «**حقائق السلمي**».

وفي «**نفائس العرائس**» أن الله سبحانه لما أراد أمراً عظيماً من الربوبية بين عباده وبلاده وضعه على أوليائه ليقوموا به على وفق مراده معذرة لضعف الخلق

ونيابة عن تقصيرهم في الحق فإذا خرجوا من ذلك بنعت الرضا في العبودية سهل الله ذلك بعده على العامة لأن العامة خلقوا بنعت الضعف وأولياءه بوصف القوة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ أن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يحيي ويميت قال لأنهم يسألون إكثار الأمة فيكثرون ويدعون على الحبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون فتنبت لهم الأرض ويدفع عنهم أنواع البلاء[1].

والمناسبة بين الآية وما قبلها من الدلالة أنه لما أمر الله المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالعدل والحق في حكمه وذكرهم بأنواع نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود في القيام/ بالحدود على من كان قبلهم ولما انقضوها طردهم 207/ ب ولعنهم ليتعظ المؤمنون وينتبه الغافلون.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكرهم حسن فضله معهم وقبح فعلهم في مقابلة إحسانه لهم بنقضهم في عهدهم وعرف المؤمنين بحالهم تحذيراً عن أن يتنزلوا في منزلتهم فيستوجبوا مثل ما استوجبوه من عقوبتهم ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ [الآية: 12] أي: بالنصرة والمعونة لكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ [الآية: 12] أي: صدقتموه بما جاؤوا به من حكمي قيل اليهود مقرون بأن الصلاة والزكاة لا تنفعان إلا مع إيمان لكنهم مكذبون ببعض الرسل فذكر بعدهما الإيمان بجميع الرسل لأنه لا يحصل النجاة إلا بالإيمان بجميعهم ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نصرتموهم وعظمتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير.

وقال الأستاذ: أي لئن أقمتم بحقي وتركتم حقوقكم لأوصلن إليكم حظوظكم ولئن أجللتم أمري في العاجل لأجللت قدركم في الآجل وإقامة

(1) جامع الأحاديث (9/ 222) رقم (8289).

الصلاة أن يشهد من تعبده بها كما قال ﷺ أعبد الله كأنك تراه[1] ويقال شرطها أن تقبل على من تناجيه كما تستقبل القطر الذي هو قبلة الكعبة فيه وأما إتيان الزكاة فحقه أن يكتسب المال من وجهه وتصريفه في حقه ولا تمنع الحق الواجب فيه عن أهله ولا تؤخر الإيتاء عن وقته ولا تحوج الفقير إلى طلبه فإن الواجب عليك أن توصل ذلك إلى مستحقه وتعزير الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال واعتناق أمرهم بتمام الجد والاستقلال وإيثارهم عليك في جميع الأحوال قلت وفيه إيماءٌ إلى أن ذكر الإيمان بالرسل وتقديرهم للتعميم بعد التخصيص ببعض أمورهم من العبادة البدنية والمالية أو المركبة منهما في بعض القضية الفرضية ثم خص النفقة النقلية بقوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 12] بالإنفاق في السبل المرضية والطرق الإلهية ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية: 12] يحتمل المصدرية والمفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله والفقراء يبذلون مهجهم وأرواحهم في طلب الله فهؤلاء من مائتي درهم يخرجون خمسة وهؤلاء لا يدخرون عن أمره نفساً ولا ذرة ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: ببركة وجود حسناتكم فإن الحسنات يذهبن السيئات لا أن المعاصي تحبط/ 208/أ الطاعات ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 12] أي: بساتين مشتملة على الأشجار والأثمار والأزهار ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 12] على وفق أعمال الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أن التكفير هو الستر والتغطية فهو سبحانه يستر ذنوب العبد فيمحوها من ديوانه وينسي الحفظة سوالف عصيانه وينفي تذكر ما أسلفه من قبله ولا يوقفه في العرصة على ما قدمه من ذنبه ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضله ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم لكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 12] أي جادة الطريق لأجل عدم التوفيق الموصل إلى مقام التحقيق فإن الضلال بعد العهد أظهر في استحقاق العقوبة كالذنب بعد التوبة.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [الآية: 13] ما زائدة مؤكدة فبسبب نقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي نوع من أنواعه.

(1) سبق تخريجه.

قال أبو عثمان: نقض الميثاق الرجوع إلى الخلق بعد الإقرار الأول بالحق ﴿لَعَنَّهُمْ﴾ [الآية: 13] طردناهم من رحمتنا وأبعدناهم من قربتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [الآية: 13] أي: غليظة يابسة لا تتأثر فيها الموعظة وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي مبالغة قاسية أو بمعنى ردية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل جزاء العصيان الخذلان بالزيادة في العصيان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [الآية: 13] أي: كلام الله ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية: 13] أي: يبدلونه ويغيرونه عن أماكنه أو يؤولونه بغير وجهه.

وأفاد الأستاذ: أن قسوة القلب أولها فقد الصفوة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام القسوة فإن لم يتفق إقلاع من هذه الجملة فهو تمام الشقوة ويقال قسوة القلب عدم التوجع بما يمتحن به من الصد محنة الرد وذلك غاية الفراق ونهاية البعد ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 13] تركوا نصيباً وافراً مما وعظوا به من التوراة ونحوها حيث لم يعملوا بها وقيل معناه أنهم حرفوها فنزلت بشؤمه عن حفظهم أشياء كما روى ابن مسعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إن أول آفاتهم نسيانهم إذا ما عصوا إلا بعد ما نسوا فالنسيان أول العصيان والنسيان حاصل من الخذلان قلت وأول الناس أولى الناس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] فالنسيان والغفلة يوجب البعد/ عن الحضرة كما أن الذكر والفكر يقتضيان السعد بالقربة 208/ب ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: خيانة فهي فاعلة بمعنى المصدر كالعاقبة أو فرقة خائنة أو فعلة ذات خيانة والمعنى أن الخيانة عادتهم ودأب سالفتهم لا تزال ترى ذلك منهم وتشاهده فيهم لا تنفك عنهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فالاستثناء من ضمير منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [الآية: 13] أي: إن أظهروا إيمانهم أو دخلوا في أمانهم إلا قليلاً منهم لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فالاستثناء من ضمير منهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 13].

وأفاد الأستاذ: أن للصفح على العفو مزية وهو أن في العفو رفع الجناح

وفي الصفح إخراج ذكر الإساءة من القلب فمن تجاوز عن الجاني ولم يلاحظه بعد التجاوز بعين الاستحقار والإزراء فهو صاحب الصفح والإحسان تعميم الجود بإسداء الفضل.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الآية: 14] أي: وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم من اليهود وغيرهم وفيه إيماءٌ إلى أنهم سموا أنفسهم نصارى لادّعاء النصرة لله تعالى بزعمهم ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 14] كأمثالهم ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ [الآية: 14] أي: ألزمنا وألصقنا وأوقعنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية: 14] أي: بين فرق النصارى من النسطورية واليعقوبية والملكائية أو بينهم بين الطوائف اليهودية ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [الآية: 14] أي: يخبرهم بشنيع صنيعهم وجزاء مطيعهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: 14] لتناصرهم وأما المسلمون فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الحج: 78] فلا جرم لما اتسموا بالتناصر بدعواهم حرفوا وبدلوا فلما سمهم الحق بالإسلام صانهم من التبديل فعصموا ولما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم وأرباب الغفلة لا إلفة بينهم وأهل الوفاق لا مباينة لبعضهم من بعض قال ﷺ المؤمنون كنفس واحدة(1) وقال تعالى في صفة أهل الجنة ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: 47].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 15] يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب للجنس ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 15] كنعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [الآية: 15] أي: مما كنتم تخفونه وتحرفونه حيث لا يخبر به إذا لم/ يتعلق به أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه الدنيوي. 209/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وصف الرسول عليه السلام بإظهار بعض ما

(1) تفسير الرازي (5/ 143).

أخفوه وذلك علامة صدقه إذ لولا صدقه لما عرف ذلك ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم وذلك من أمارات خلقه إذ لولا خلقه لما غفر ذلك فإظهار ما أبداه دليل علمه والعفو عن ما أخفى برهان حلمه ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 15] يعني بهما القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز في غاية من الإجلال وقيل: يريد بالنور محمد ﷺ لأنه نور العالم وقيل: بعناية الأزل وصلتم إلى نور الكتاب المبين ونور التوحيد وأنواره الظاهرة والباطنة.

وقال ابن عطاء: العبد ينال بهذا النور ما هو أجل من النور كمن أخذ سراجاً في بيت مظلم يدور به في البيت فيجد به أجل من السراج.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 16] وحد الضمير لأن المراد بهما واحد ولأنهما في الحكم متحد ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية: 16] طرق السلامة والنجاة من العقوبة والملامة أو سبل الله المنزه عن كل منقصة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 16] أي: من أنواع الكفر إلى الإسلام والتوحيد ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 16] أي: بإرادته أو بتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 16] هو أقرب الطرق إلى الله الكريم الموصل إلى النعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغني عمن فقد البصيرة فمن استخلصه بقديم العناية أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحة الجمعيّة فامتحى عن سره شهود الأغيار وذلك نعت عن كل وقف على المحجة المثلى من الأبرار.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 17] هم اليعقوبية من النصارى الذين قالوا المسيح هو الله وقالوا باتحاد اللاهوت والناسوت ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 17] أي فمن يمنع من قدرته وإرادته ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 17] أي: من المنع أو من الدفع ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 17] عطف على المسيح عطف العام على الخاص فكل من المسيح وأمه مذكور مرتين مرة بالتصريح ومرة بالتلويح وقيل: فائدة عطف من في الأرض عليه لدلالة على أنهما من جنس ما في الأرض من الرتبة/ السلفية لا تفاوت بينها وبينهم في العوارض 209/ ب

البشرية والحاصل أنه سبحانه احتج بذلك على فساد مقولهم وضعف تصور عقولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات في قبضة الربوبية ومن كان كذلك فهو بمعزل عن رتبة الألوهية.

وأفاد الأستاذ: من اشتمل عليه أرحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ومن لاحت عليه شواهد التغيير أنّى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد فأي نقص يعود إلى الصمدية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الآية: 17] أي: فيهما أو في غيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] ومنه المسيح وأمه ونحوهما.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [الآية: 18] أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل: لأتباع ابن الزبير الخبيبيون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقيل: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 18] أنبياء الله وعن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناؤه وأحباؤه ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ [الآية: 18] أي: فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات ومن المعلوم أن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح تعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه بنوع تهذيب والمسخ والخسف وأمثالهما من قبيل تعذيب لا طريق تأديب ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ [الآية: 18] أي: ممن خلقه الله كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 18] أي: فضلاً وهم من آمن بالله ورسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية: 18] أي: عدلاً وهم من كفر بما يجب الإيمان به ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الآية: 18] أي: كلها سواء في كونه خلقاً لم وملكاً ومُلكاً ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 18] أي: المرجع والمسير فيجازي المحسن بحسناته والمسيء بسيئاته.

وأفاد الأستاذ: أن البنوة تقتضي المجانسة والحق سبحانه منزه عن المناسبة والمحبة التي بين المتجانسين توجب الاحتفاظ والمؤانسة وذات الحق سبحانه عن ذلك مقدسة فقال ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ [الآية: 18] / والمخلوق 210/أ

متى يصح أن يكون بعضاً للقديم والقديم لا بعض له لأن الأحدية حقه فإن لم يكن له عدد لم يجز أن يكون له ولد ويقال في الآية إشارة لأهل المحبة بالأمان من العذاب والعقوبة لأنه قال فلم يعذبكم بذنوبكم ويقال بين في هذه الآية أن قصارى الخلق إما عذاب وإما غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك في العيان والبيان.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 19] أي: الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقديم ذكره ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 19] أي: جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي وبيان الأحوال أن تقولوا أي: كراهة ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الآية: 19] أو لئلا تعتذروا وتقولوا ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ﴾ [الآية: 19] يرغبنا ﴿وَلَا نَذِيرٖ﴾ [الآية: 19] يرهبنا ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم﴾ [الآية: 19] أي: لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ [الآية: 19] أي: الجامع بين البشارة والنذارة الحاوي بوصف الكتاب ونعت الرسالة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية: 19] فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة على ما ذكره ابن سعد[1] في «**الطبقات**» عن ابن عباس والزمخشري عن الكلبي وألف نبي عليهم السلام وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة سنة وعشرون على ما ذكره وهب وقيل: سبع مائة وقال مقاتل وقتادة والضحاك: ستمائة ونقل عن ابن عباس أن بين ميلاديهما خمسمائة سنة وتسع وستون وأربعة أنبياء لأنه من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي على ما ذكره[2] البيضاوي.

وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه.

وأفاد الأستاذ: أن في كل زمان يقع فترة في سبيل الله ثم يجدد الحال ويعم الطريق بإبداء السالكين من كتم العدم ولقد كان زمان رسول الله ﷺ أكثر الأزمنة بركة فأحيى بظهوره ما اندرس من السبيل وأضاء بنوره ما انطمس من

---

(1) الدر المنثور (2/ 749). (2) تفسير البيضاوي (1/ 309).

الدليل وبذلك من عليهم وذكره عظيم نعمته فيهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 20].

أفاد الأستاذ: أنه كان الأمر لبني إسرائيل على لسان نبيهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم وكان الأمر لهذه الأمة بخطاب الله لا على لسان/ مخلوق ثم أمر بأن يذكروه فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] فشتان بين أمره بذكره سبحانه وبين من أمر بذكر نعمته ثم جعل جزاءهم ثوابه الذي هو فضله وجعل جزاء هذه الأمة خطابه الذي هو قوله ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ [الآية: 20] فأرشدكم وشرفكم بهم وأيدكم كلما هلك نبي قام نبي فيكم من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى عليهم السلام ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء الكرام ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [الآية: 19] أي: وجعل منكم أو فيكم السلاطين العظام امتناناً بأن منهم سادة الدنيا وقادة العقبى وقيل: لما كانوا مملوكين في أيدي القبط وأنقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكاً وقيل: المعنى جعلكم أصحاب الخدم والحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم سمي ملكاً رواه ابن أبي حاتم عن رسول الله ﷺ وهو المنقول عن ابن عباس[1] وغيره.

210/ب

وقال أبو سعيد القرشي: ملككم سياسة أنفسكم وحراسة أنفاسكم وقيل: أي قانعين وقيل: وزراء أنبيائكم.

وقال الحسين: أحراراً من رق الكون وما فيه.

وأفاد الأستاذ: أن الملك من المخلوقين من عبد الملك الحقيقي ويقال: الملك من ملك هواه والعبد من هو في رق شهواته تاه أو جعلكم ملوكاً لم يحوجكم إلى أمثالكم ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم وسهل سبيلكم إليه في عموم أحوالكم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 20] أي: من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى ونحوها من سائر الأنعام أو من الفضل والشرف في الدين أيام أوانهم والمراد بالعالمين عالمي زمانهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لئن آتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أغنى عن الإيتاء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده والاستقلال بوجوده أتم من الاستغناء

(1) تفسير ابن كثير (3/ 73).

بمقتضى جوده.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [الآية: 21] أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت دار الأنبياء وقرار الأصفياء ومطهرة من أهل الشرك والأعداء ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 21] قسمها وقدرها لكم أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون سكناكم إن آمنتم/ وأطعتم مولاكم فاثبتوا على آثاركم 211/ أ لتدخلوا في داركم ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ [الآية: 21] أي: ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبارين وجاهدوهم فتكونوا غالبين وقيل لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله المستعان ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 21] ثواب الدارين وجزم تنقلبوا على العطف أو نصب على الجواب وقيل معجبين بأنفسهم غير راجعين إلى ربهم في أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الارتداد على قسمين عن الشريعة وإقامة العبودية فذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل وعن الإرادة وذلك يوجب العقوبة التي هي الفراق على القلب.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾ [الآية: 22] أقوياء متغلبين ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [الآية: 22] إذ لا طاقة لنا بهم ولا مقاربة لنا معهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لاحظوا الأغيار بعين الحسبان فتوهموا منهم الحدثان فداخلهم هواجم الرعب فأصروا على ترك أمر الرب ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدهم في أسر التقدير قوالب متعرية عن إمكان الإيجاد فلم يقع على قلبه ظل التوهم من العباد.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [الآية: 23] هما كالب ختن موسى على أخته مريم بنت عمران ويوشع ابن أخت موسى على ما قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الآية: 23] أي: الله ويتقونه أو يخافون أمر الله وعقابه ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ [الآية: 23] أي: بالإيمان والثبات على الإيقان ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ [الآية: 23] أي: باب قريتهم والمعنى باغتوهم في المضيق وآمنوهم من قضاء الطريق ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ﴾ [الآية: 23] أي: وأنتم متوكلون ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾

[الآية: 23] لتعسّر الكرّ عليهم في مضائق بلادهم من عظم أجسادهم أو لأنهم أجسام لا قلوب فيها أو لتيقن إنجاز وعده في نصرة نبيه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 23] أي: موقنين به ومصدقين لوعده إذ من شأن المؤمن أن يتوكل على ربه قيل لذي النون ما التوكل في هذا الباب قال خلع الأرباب وقطع الأسباب.

وقال الأستاذ: ويحتمل أن يقال التوكل من شرط الإيمان وظاهر التوكل الذي لعوام المؤمنين العلم بأن ما قضاه فلا مرد له وحقائق التوكل ولطائفه التي لخواص المؤمنين شهود الحادثات/ بالله ومن الله والله فإن فقد ذلك انتفى عنه اسم الإيمان. 211/ ب

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [الآية: 24] بيان للإبداء الواقع بها ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [الآية: 24] أي: يعينك أو وأخوك الأكبر ﴿فَقَٰتِلَآ﴾ [الآية: 24] أي: الجبارين من أعدائك ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [الآية: 24] ننتظر نصرك وما أحسن ما قال بعض الصحابة يوم بدر حين المشورة إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون رواه البخاري في المغازي والإمام أحمد والنسائي وابن أبي حاتم[1].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي﴾ [الآية: 25] أي: في بذلها لله واستعمالها في رضاه ﴿وَأَخِيۖ﴾ [الآية: 25] قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله لما خالفه قومهم وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 25] أي: الخارجين عن دائرة اليقين بأن يحكم لنا بما نستحقه ويحكم عليهم بما يستحقون في أمر الدين.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ [الآية: 26] أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ [الآية: 26] لا يدخلونها بسبب المعصية ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 26] روي أن موسى عليه السلام سار بعد الأربعين بما بقي من بني إسرائيل ففتح بيت المقدس وأقام فيه ما شاء الله ثم قبض قال البغوي وهو الأصح وقد نقل عن كثير من

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 109) رقم (20089)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 333) رقم (11140)، وأحمد في المسند (1/ 389) رقم (3698).

السلف أن موسى وهارون ماتا في التيه ولم يبق أحد من التيه سوى يوشع وكالب إلا مات فيه ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام كما رواه ابن حاتم عن ابن عباس وهو منقول عن مجاهد وغيره ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: لا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم حيث ارتحلوا عنه والأكثر على أن موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه سبحانه حيرهم في مفاوزهم حتى عموا عن مقاصدهم فصاروا يبيتون حين يصبحون وكذلك من حيره الحق في مفاوز التفرقة بالقلب يتقلب ليلاً ونهاراً في مطارح الظنون ثم لا يحصل إلا على مناهل الحيرة فيحطون حيث يرحلون فلا وجه للرأي الصائب يلوح لهم ولا خلاص من قفص التجويز يساعدهم والذي التجأ إلى شهود الصمدية استراح عن النقلة فكره ووقع في روح الاستبصار روحه.

212/أ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ/ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ [الآية: 27] أي: خبرهما وهما قابيل القاتل وهابيل المقتول ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 27] أي: بالنبأ الصدق وكان من شأنهما على ما ذكره ابن جرير عن ابن عباس أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فقالا نقرب قرباناً فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر بعض زرعه فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذي فدي به إسماعيل عليه السلام أتي به من الجنة فحسد قابيل أخاه وذكر أكثر المفسرين أن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن ذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل ذميمة وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك وأمرهما أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل فحسده وهذا معنى قوله ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [الآية: 27] أي: ما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو غيرها ولم يثنّ لأنه في الأصل مصدر ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [الآية: 27] وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ [الآية: 27] لأنه سخط حكم ربه ولم يخلص في تقربه وقصد إلى أخسّ ما عنده ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [الآية: 27]

توعده بقتله لفرط حسده على تقبل قربانه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 27] أي: المعاصي والمعنى أنك أتيت من قبل نفسك بترك التقوى وعدم الرضا بحكم المولى لا من قبلي فلم تقتلني ولا ذنب لي.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ [الآية: 28] أي: مخالفة لأمر ربي ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 28] خوفاً من الله في فعلي وتحرياً لما هو الأفضل عندي ولذا قال ﷺ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل كما أخرجه ابن سعد في الطبقات[1] وفي رواية كن خير ابني آدم[2] وفي أخرى كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم[3].

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي﴾ [الآية: 29] أي: بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ [الآية: 29] أي: الذي عليه قبل ذلك حتى لم يتقبّل من أجله قربانك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي على ما رواه ابن جرير عنهم ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 29] أي: لاستحلال دمي أو لعدم الرضا بقضاء ربي ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 29] وقال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته/ بالانزجار. 212/ب

وأفاد الأستاذ: أنه تحقق بأن العقوبة لاحقة به على ما يسلفه من ذنبه فرضي بانتقام الله دون انتصافه لنفسه فإنه إذا رأى المظلوم ما يحل بالظالم من أليم بلائه هان عليه ما يقاسيه من عنائه ويطيب قلبه برضائه.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ [الآية: 30] أي: سهلته وزينته وهونته للقتل ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 30] أي: قتله إياه مع كونه أخاه ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ﴾ [الآية: 30] أي: صار ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 30] ديناً ودنيا إذ بقي بقية عمره مطروداً حزيناً.

قال ممشاد الدينوري: كان معصية آدم من الحرص ومعصية إبليس من الكبر ومعصية ابن آدم من الحسد فالحرص يوجب الحرمان والكبر يوجب الخذلان والحسد يوجب الخسران.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ [الآية: 31] أي: إلى غراب ميت وخص لأنه يتشاءم به ﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 31] أي: التراب حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ [الآية: 31] أي:

(1) كشف الخفا (2/ 134) رقم (2022)، والمقاصد الحسنة (1/ 524).
(2) كشف الخفا (2/ 134)، والتلخيص الحبير (5/ 225) رقم (2146).
(3) المقاصد الحسنة (1/ 523) رقم (846)، وكشف الخفا (2/ 134) رقم (2022).

الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 31] أي: جيفته لما روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به بل قيل أنه حمله على عنقه ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ [الآية: 31] كلمة هلكة وجزع وحسرة والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك وظهور شأنك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [الآية: 31] لأهتدي إلى ما اهتدى إليه من بحث التراب ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ [الآية: 31] عطف على أكون ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [الآية: 31] على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله سنة على رقبته وتبرئ أبويه منه لفعله واسوداد لونه وعدم الظفر بما فعله من أجله.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بسبب قتله أخاه ظلماً ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 32] أي: حكمنا عليهم وقضينا على من بعدهم ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الآية: 32] أي بغير قتل نفس يوجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 32] أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق ونحوهما ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] أي: لأن من استحل دم مسلم كأنما استحل دماء الناس إذ لا فرق عنده بين نفس ونفس كما قاله ابن عباس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [الآية: 32] أي: حرم قتلها وكف عنها أو أنجاها من مهلكة وقعت فيها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] والمقصود من الجملتين تعظيم النفس من جهة إفنائها وإبقائها ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها وإنما خص بني إسرائيل/ بالذكر من بين الأمم وإن كان القتل محرماً من لدن آدم على طريق الأعم لأنهم على ما روي أول آية نزلت عليهم الوعيد من الإنباء وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم على الأنبياء وبسبب سفكهم الدماء والحاصل أنه كما ورد عنه ﷺ: «من سن سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقد جاء في الحديث ما قتلت نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وذلك لأنه سن القتل ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ [الآية: 32] أي: بني إسرائيل خصوصاً ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 32] بالمعجزات الظاهرات على صدق ما ذكروا من الأخبار والواقعات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بعدما كتبنا عليهم

213/ أ

هذا التشديد وبيّنا لهم هذا الوعيد الأكيد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [الآية: 32] بالقتل ولا ينالون وفيه إيماءٌ إلى أن الصلحاء في كل زمان قليلون.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 33] أي: يحاربون أولياءهما أو يخالفون أمرهما ونهيهما من قاتل النفس وقاطع الطريق ونحوها ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 33] بالشرك والمعاصي والفتنة والإغراء بين أهلها بالعداوة ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ [الآية: 33] أي: يبالغ في قتلهم حتماً من غير صلب أن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [الآية: 33] أي: مع القتل أن قتلوا وأخذوا المال فقال أبو حنيفة ومالك يصلب حياً ويطعن حتى يموت وقال الشافعي يقتل ثم يصلب نكالاً لغيره من نحو فعله ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الآية: 33] بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى أن أخذوا المال ولم يقتلوا وحصل لكل نصاب القطع فيما أخذوا ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 33] أي: يحبسوا إن اقتصروا على الإخافة كما قاله أبو حنيفة أو ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 33] أي: ذل وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 33].

أفاد الأستاذ: أن السعي بالفساد على ضربين بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار وذلك بقطع ما كان متصلاً من ورادات الحق وكسوف شموس العرفان والستر بعد الكشف والحجاب بعد البسط واستشعار الوحشة بعد الأنس وتبديل توالي التوفيق بتتابع صنوف الخذلان والنفي عن بساط العبادة والإخراج إلى متابعة النفوس وذلك/ 213/ب والله خزي عظيم وعذاب أليم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 34] استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى كما يدل عليه قوله ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 34] وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على أنه بعد القدرة لا يسقط الحد وإن أسقطت العقوبة وأن الآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، هذا وعمل كثير من السلف كعلي وأبي موسى وغيرهما يدل على أنه يسقط أيضاً حقوق الإنسان إلا إذا أخذ مالاً معيناً فيجب الضمان.

وأفاد الأستاذ: أن من أقلع عن معاصيه وارتدع عن ارتكاب مساوئه قبل أن ينتهك عند ستر السداد لا تقام عليه في الظاهر حدود الشريعة لاستبهامها على الإمام ولا يؤاخذه الحق سبحانه بقضايا إجرامه أخذاً بظاهر ما يثبت من حاله في استصحاب السداد فإذا بدا للإمام صفحة جرمه أقيم عليه الحد وأن تقنع بنقاب التقوى وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده إلى ما كان عليه من معاودة تقريب الحق سبحانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الآية: 35] أي: القربة بطاعته كذا فسره جميع من تكلم في التفسير من السلف والمعنى اطلبوا ما تتوسلون به إلى ثوابه وقرب جنابه من فعل الطاعة وترك المعصية وفي الحديث الوسيلة منزله في الجنة.

وقال جعفر: اطلبوا منه القربة إليه.

وأفاد الأستاذ: أن ابتغاء الوسيلة هو التبري عن الحول والقوة والتحقق بشهود الطول والمنة ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء وتجريد الأحوال عن الإعجاب وتخليص الأنفاس عن الحظوظ.

وفي «**نفائس العرائس**» اتقوا الله في النظر إلى السوى وابتغوا إليه الوسيلة بنعت التقوى ولا يكون عندكم الوسيلة إليه شيئاً دونه لأنه هو الوسيلة إليه ألا ترى إلى قول الشاعر:

أيا جود معن ناجِ معناً بحاجتي ... فما لي إلى معن سواك شفيع[1]

وسيلته محبته ومعرفته والاستعانة بطاعته ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 35] بمحاربة/ الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة عن وصوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 35] بالقرب إليه والمكانة لديه. 214/ أ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 36] من صنوف الأموال ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 36] من أنواع المنال ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 36] على المنوال ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 36] ليجعلوه فدية لأنفسهم في الوبال ﴿مِنْ عَذَابِ

(1) لم يسم الشاعر وإنما قاله في مدح معن بن زائدة وله فيها قصة. انظر: المستطرف (1/ 351)، وغرر الخصائص (1/ 145).

يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 36] في المال ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 36] في حال من الأحوال ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 36] مؤلم بكمال النكال وأنواع الإنكال.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم يتقبل من الأحباء مثقال ذرة وغداً لا يقبل من الأعداء مثل الأرض ذهباً وفضة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [الآية: 37] بالاضطرار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 37] في دار البوار.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [الآية: 38] أي: أيمانهما ما قرىء بها وتفضيل المسألة في الكتب الفقهية ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ أي من أخذِ مال الغير بغير أمر المولى﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عقوبة في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 38] أي: في الانتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 38] فيما شرع من الأحكام.

﴿فَمَن تَابَ﴾ [الآية: 39] من السارق وغيره ﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ [الآية: 39] على نفسه وتعديه على مثله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 39] في أمره بالتخليص عن عهدة التبعة في حكمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 39] أي: يرجع بالرحمة إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 39] يغفر ذنبه ويرحم بالعصمة بعده.

وأفاد الأستاذ: أن من أستوى في أحكام التوبة فتدارك ما ضيعه وندم على ما صنعه وأصلح من أمره ما أفسده أقبل الله عليه بفضله فغفره وعاد إليه باللطف فجبره.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 40] خلقاً وملكاً ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 40] ولو مطيعاً ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 40] ولو عاصياً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 40] أي: ناصر القدرة بما تعلقت به المشيئة والمعنى ألم تعلم أنك عاجز عن الخروج من ملكي ولم تقدر من الهرب مني ومن عذابي وإني أعذب من أشاؤهم المخالفون لأمري وأغفر لمن أشاؤهم المراجعون لحكمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه لا يعذب من يعذب بعلة ولا يرحم من يرحم بعلة وأنه إنما يتصرف في عبيده بحق ملكه وأن الحكم حكمه والأمر أمره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: 41] أي: لا يوقعك في الهم والحزن ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 41] أي: صنع الذين يقعون في إظهار

الكفر سريعاً إذا وجدوا فيه فرصة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 41] أي: من المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الآية: 41] أي: ومن اليهود ونحوهم من الكافرين ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [الآية: 41] أي: هم سماعون/ 214/ ب والضمير للفريقين أو من اليهود قوم سماعون واللام للعلة والمفعول محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [الآية: 41] لم يحضروا مجلسك تكبراً من الأغنياء أو إفراطاً في البغضاء ولو كانوا من الفقراء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية: 41] أي: بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظاً بإهماله أو تغيير بنائه وإما معنًى بحمله على غير مراده وإجرائه في غير مورده ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 41] المحرف ﴿فَخُذُوهُ﴾ [الآية: 41] فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ [الآية: 41] بأن أفتيتم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ [الآية: 41] قبول ما أفتيتم به نزلت على ما في الصحيحين وغيرهما في رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وقد بدلوا الرجم في التوراة بمائة جلدة والتحميم والإركاب على حمار مقلوباً فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ واستفتوا وقالوا إن حكم بمثل ما قلنا اعملوا ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر ﷺ بالرجم وألزمهم أنه حكم التوراة فرجما وعلم من ذلك للعباد أن كفرهم للعناد ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [الآية: 41] ضلالته أو فضيحته ﴿فَلَن تَمْلِكَ﴾ [الآية: 41] فلن تستطيع ﴿لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 41] في دفع فتنته.

قال الخواص: من يرد افتراق أوقاته لن تملك جمع حالاته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية: 41] من خبائث الشرك والمعصية والآية حجة على المعتزلة وقال أبو عثمان يطهر قلوبهم بالمراعاة والمراقبة بالحياء من ربهم في المخالعة ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الآية: 41] فضيحة وخذلان للمنافقين وجزية وهوان لليهود ومن نحا نحوهم من الكافرين ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 41] وهو الخلود في النار أبد الآبدين.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من أقصاه الحق عن محل التقريب وأرخى له عنان الإمهال وكله ومكره ولبس عليه حاله وسره فهو ينهمك في

أودية حسبانه وإنما يسعى في أمر نفسه ويعمل بما يعود إليه وباله فأمر نبيه ﷺ بترك المبالاة بأمثالهم وقلة الاهتمام بأحوالهم وعرفه أنهم بمعزل عن رحمته وأن من ردته القسمة الأزلية لا ينفعه الإعلال في الاستقبال/ فقال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً يعني أن من أهله الله للحرمان وقيده بشكال الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة ولطائف القبول إليه غير موصولة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الآية: 41] أولئك الذين لم يعجن طينتهم بماء السعادة فجبلوا على نجاسة الشرك والمعصية فإن عدم الطهارة الأصلية لا ينتفي بفنون العالالات العارضية ويقال من أرسل عليه غاغة الهوى وسلط عليه نوازع المنى وأذله بسوء القضاء فليس يلقي عليه غير الشقاء ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 41] ردوا من الهوان إلى الهوان وغصوا بالفراق وعذبوا بالاحتراق فلا يدري أي حالتهم أقرب من استيجاب الذل بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشرك والجحد قلت الأول أقرب والثاني:

215/أ

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ [الآية: 42] كرره للتأكيد أو اللام مزيدة للتأييد ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [الآية: 42] أي: الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بضمتين وهما لغتان قيل: سماعون للدعاوى الباطلة ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [الآية: 42] أي: بدينهم وعبادتهم العاطلة.

وفي «**نفائس العرائس**» وصف الله سبحانه أهل السالوس الذين في هذا الزمان يجلسون في الزوايا ويظهرون التزهد والتقشف في الخبايا ويطرحون على أعناقهم الطيالسة يسمعون مدائح أهل الدنيا بالمخايلة لهم مثل قولهم ليس في الدنيا مثلك يا شيخ وأنت كذا وكذا وهو يشتري غرورهم وأقاويلهم الباطلة وهم يمدحونه لأجل الشفاعة عند الأتراك والظلمة ويجعلونه وسيلة إلى السلطان ويعطونه رشوة لاستجلاب مرادهم بحكم الشيطان فهو يسمع الكذب ويأكل السحت طهر الله وجه الأرض منهم ووقانا من صحبتهم وسوء أفعالهم فإنهم قوام الدين وأكلوا الدنيا بالدين ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [الآية: 42] تخيير لرسول الله ﷺ إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض وهو قول للشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان ذميين لأنا التزمنا بالذب عنهم ودفع

الظلم منهم لأن الآية ليست في أهل الذمة بل في أهل العهد كما صرح به الرازي وعند أبي حنيفة يجب مطلقاً أما لو ترافعوا إلينا مع مسلم فوجب إجماعاً وقال كثير من السلف كابن/ عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم أن الآية منسوخة بقوله 215/ب ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 49] لأن الجزم بالحكم للتخيير بينه وبين الأعراض عنه ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 42] بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك منهم ومن غيرهم ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 42] بالعدل الذي أمر الله تعالى به للتأديب وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الآية: 42] أي: يرضى عنهم ويثيبهم ويحفظهم عما شانهم ويعظم شأنهم.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ [الآية: 43] أي: يجعلونك حكماً بينهم ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 43] منصوص في قضيتهم ففيه تعجيب من تحكيمهم مَن لا يؤمنون به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ [الآية: 43] أي: يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 43] أي: بعد التحكيم فيما بينهم ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 43] لا بك ولا بكتابهم فيستحقون ما قدر الله من عذابهم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ [الآية: 44] يهدي إلى الحق على طريق الصدق ﴿وَنُورٌ﴾ [الآية: 44] يبين ما استبهم من الحكم فيما بين الخلق على وجه العدل ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ [الآية: 44] أي: أنبياء بني إسرائيل أو موسى ومن بعده إن قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسكاً القائل به ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [الآية: 44] أي: انقادوا بحكم الله وانقطعوا عما سواه ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [الآية: 44] عطف على ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [الآية: 44] أي: وكذا حكم لهم زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم في أحكامهم وأنبائهم ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 44] لسبب أمر اللّه اياهم بأن يحفظوا[1] كتابه عن التضييع والتحريف وأن يظهروا ما فيه من الأحكام على وجه الترصيف ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 44] أي: رقباء لا يتركون أن يغيروا شيئاً منه يبينون ما يخفى منه أو

شهداء بأنه من عند الله لا من عند غيره ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [الآية: 44] خطاب لعلماء اليهود على وجه يتناول علماء هذه الأمة أيضاً بأن لا يخافوا غير الله في حكوماتهم ولا يداهنوا في حكم الله مراعاة لظالم أو مداراة لحاكم ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾ [الآية: 44] لا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها في كتابي ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ [الآية: 44] وهو الرشوة والجاه المانع من جنابي.

216/أ قال محمد بن الفضل: لا تطلبوا الدنيا بعمل العقبى ﴿وَمَن/ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 44] أي: مستهيناً به منكراً له ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 44] ففي مسلم عن البراء أن الآيات الثلاث نزلت في الكفار[1] فكفرهم لإنكارهم به وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه.

وفي «**حقائق السلمي**» قيل من لم يحكم للناس كحكمه لنفسه فقد كفر نعم الله عنده وظلم نفسه بذلك وخرج عن طاعة ربه. وقال جماهير السلف: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب دون من أساء من هذه الأمة.

وقال الحسن البصري: من لم يحكم به فهو فاسق ومن لم يحكم به من أهل الكتاب فهو كافر وقيل أن هذه الآية في هذه الأمة أو طلاق الكفر للتغليظ والشدة أو المراد به كفر النعمة فيكون كفراً دون كفر كما روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ورواه الحاكم في «**مستدركه**» وقال صحيح على شرط الشيخين[2] وهو قول عطاء وطاووس وغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في الآية على وجه البشارة أنه سبحانه يخبر أنه استحفظ بني إسرائيل التوراة فحرفوها فلما وكل حفظ التوراة إليهم ضيعوها بالتغيير والتحريف بخلاف هذه الأمة فإنه سبحانه تولى حفظه عليهم كما قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فلا جرم لو غير واحد من القرآن حركة أو سكوناً نادى عليه الصبيان بتخطيئه فمن اتخذ غيره حكماً ولم يخمد تحت جريان حكمه رضى واستسلاماً فعن شرك خامر قلبه وكفر قارن سره وهيهات أن يكون مع الله سواه.

---

(1) تفسير الطبري (10/ 346) رقم (12022)، وتفسير ابن كثير (3/ 115).

(2) تفسير الطبري (10/ 356) رقم (12053...)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 485) رقم (6468).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فرضنا على اليهود ﴿فِيهَآ﴾ [الآية: 45] أي: في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [الآية: 45] أي: يقتل بها ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [الآية: 45] أي: تُفْقَأ ﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ [الآية: 45] تجدع ﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ [الآية: 45] أي: تقطع وقرأ نافع بالإسكان حيث يقع ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [الآية: 45] أي: يقلع وقد رفع الكسائي العين وما عطف عليه على أنها جملة مستأنفة ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [الآية: 45] أي: ذات قصاص أو فيها قصاص أو مقتصة بها فيما يمكن الاقتصاص منها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي برفعهما على أنها إجمال للحكم بعد التفصيل ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ [الآية: 45] من المستحقين ﴿بِهِۦ﴾ [الآية: 45] بالقصاص بمعنى فمن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 45] أي: التصدق والعفو ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [الآية: 45] للمتصدق والعافي يكفر الله به ذنوبه لما روى ابن مردويه عن رسول الله ﷺ وفيه فإن كان ربع الدية فربع خطاياه وإن كان الثلث فثلث خطاياه وإن كان الدية حطت[1] عنه/ خطاياه وكذلك روى ابن أبي 216/ ب حاتم عن جابر بن عبد الله وهو قول الحسن البصري وقتادة والنخعي وقيل للجاني أي: لا يؤاخذه الله به كما أن القصاص كفارة لذنبه فهذا قول ابن عباس ومجاهد والشعبي ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 45] من القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 45] حيث لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل الواجب على الحاكم قيل نزلت لما اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع وضعيف ورجل بامرأة ونحو ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ [الآية: 46] أي: أتبعنا النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية: 46] حاكماً بما فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [الآية: 46] أي: بيان وبرهان والجملة في موضع النصب بالحال ولذا قال ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية: 46] أي: موافقاً لما سبقه في أصول الدين وأكثر أحكامه ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 46] خصوا لكونهم المنتفعين.

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: وآتيناه الإنجيل وقلنا لهم ليحكم وقرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم أي: وآتيناه ليحكم ﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ

(1) تفسير ابن كثير (3/ 124)، والدر المنثور (3/ 92).

﴿يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 47] أي: الخارجون عن طاعة ربهم.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 48] أي: القرآن متلبساً بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 48] من جنس الكتب المنزلة أي: مطابقاً لما فيها من القواعد المقررة والأصول الممهدة ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 48] أي: رقيباً على سائر الكتب بحفظه من التغيير ويشهد له بصحة الثبات والتقرير ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [الآية: 48] أي: بين أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 48] أي: عليك وكذا بما أوحي إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية: 48] أي: مقاصدهم التي يحرفونها ويذكرونها بين يديك ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 48] وظهر أمره لديك ﴿لِكُلٍّ﴾ [الآية: 48] أي: لكل أمة ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ [الآية: 48] أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ [الآية: 48] شريعة ظاهرة لائحة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ [الآية: 48] طريقة واضحة واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة.

قال بعض الصوفية: الطرق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق وقيل: كل قد فتح له طريق إلى الله فمن استقام على الطريق وصل إلى الله سبحانه ومن زاغ وقع في سبيل الشيطان وأتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 48] جماعة متفقة على ملّة واحدة وطريقة متحدة في جميع الأزمنة من غير نسخ وتحويل في بعض الأقضية ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية: 48] لكن أراد ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن/ من الأزمنة هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل بالأحكام الدينية ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 48] أي: فابتدروا إلى الطاعات وسارعوا إلى العبادات انتهاز الفرصة والأوقات. 217/أ

وأفاد الأستاذ: أن استباق الزاهدين برفض الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى واستباق العارفين بنفي المنى واستباق الموحدين بترك الورى ونسيان الدنيا والعقبى في محبة المولى ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] وعد للمبادرين ووعيد للمقصرين ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 48] بالجزاء الفاصل بين المقصر والعامل.

وفي «نفائس العرائس» أن الله جعل في بحار القدم والبقاء شرائع لورود الأرواح القدسية ومشارب لقلوب العارفة وسواقي لعقول الصادرة من أنواره الواردة ولكل واحد منها شرعة من تلك البحار فلبعض شرعة العلم ولبعض شرعة القدرة والقوة ولبعض شرعة الصمدية ولبعض شرعة الحكمية ولبعض شرعة المحبة ولبعض شرعة العظمة ثم جعل لها منهاجاً من الصفات إلى الذات ومن الذات إلى الصفات ومن الصفات إلى الصفات ومن الذات إلى الذات ومن الأسماء إلى النعوت ومن النعوت إلى الأسماء ومن الأسماء إلى الأفعال ليعرفه كل واحد بقدر ذوقه وشربه وجعل بينهم تباعداً وتقارباً في مراتب قربه وقد قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60] فمن وافق شربه شرب صاحبه لم يقع بينهم الخلاف في الشرعة والمنهاج ومن لم يكن شربه موافقاً لشرب صاحبه لم يعرف أحدهما مكان الآخر ويكون بينهما نزاع وذلك من غيرة الله عليهم وعلى نفسه لئلّا يركن بعضهم إلى بعض ولا يطلع عليه أحد سواه وذلك رحمة الله على الجمهور قال عليه السلام اختلاف العلماء رحمةٌ لاختيارهم في طريقهم بحقائق العبودية وعرفان الربوبية وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 48] يعني: شيوخاً وأكابر بغير المريدين والسالكين ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية: 48] من المقامات البهية والحالات السنية كيف تخرجون من دعواكم بحقيقة عبوديتي وتخرجون جواهر العلم من كتابي وحكمتي ثم خاطبهم جميعاً بقوله: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 48] عرفهم مكان تقصيرهم/ أي: ما أدركتم مني في جنب ما عندي لكم كقطرة في بحار فسارعوا إلى خيرات مشاهدتي وجميل عطياتي ثم أفردهم مما وجدوا إلى عين جلاله لقوله ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] إليه مرجع افتقاركم من مقاماتكم لزيادة القربة والمعرفة في حالاتكم وهناك يظهر تفاصيل درجاتكم وما غاب عنكم من حقائق أنواري ودقائق أسراري وهذا معنى قوله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 48] .

217/ ب

﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ [الآية: 49] أي: وأمرنا بأن أحكم ﴿بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 49] فيهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية: 49] أي: مشتهياتهم على خلاف هديهم في حكوماتهم ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 49] أي: يضلوك ويصرفوك عنه فيما يخيلون عليك.

وقال الأستاذ: قم بالله فيما تحكم وأقم حقوقه فيما يؤخر ويقدم ولا تلاحظ الأغيار فيما تؤثر وتذر فإن الكل محو في التحقيق عند نظر أهل التوفيق ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 49] الحكم المنزل بهم ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 49] وهو ذنب التولي عن حكم ربهم وفيه إشارة إلى أن ذنوبهم كثيرة وأن هذا بجنبها يسيرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 49] أي: وأن قليلاً منهم لصالحون.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية: 50] أي: الملّة الجاهلية من الميل والمداهنة بمقتضى المشتهيات النفسانية ﴿يَبْغُونَ﴾ [الآية: 50] يريدون وعن حكم الله يعدلون وقرأ ابن عامر بالخطاب في تبغون أي: أتعودون في ظلمة الحجاب بعدما انكشف لكم النقاب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 50] أي: بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 51] أي: لا تعاشروهم معاشرة الأحياء فإنهم لكم أعدى الأعداء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 51] على مخالفتكم ومعاداتكم لإجماعهم على مضادتكم ومناوأتكم.

وقال الأستاذ: لا تجنحوا إلى الملاينة مع أعداء الله سبحانه إيثاراً لسكون إلى حظّ واحتشاماً من قيام بحق أو ركوناً إلى قرابة نسيب أو استحقاق المودة حميم أو تهيباً من استيحاش صديق بل صمموا عقودكم على التبري منهم بكل وجه فهم بعضهم أولياء بعض والضدية بينكم وبينهم قائمة إلى الأبد ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 51] أي: من والاهم منكم فإنه من جملتهم ويحشر في زمرتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ/ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ 218/أ [الآية: 51] أي: الذين يوالون الكفار من المنافقين أو الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي من الفاسقين وقيل: الظالم من أبى أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل: الظالم من وضع في قلبه غير ذكر الله وسوى محبة مولاه.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 52] أي: شك ونفاق وغرض في معاملتهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 52] أي: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [الآية: 52] بأن ينقلب أمر الدولة للكفرة ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ

بِٱلْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] أي: أن يظهر للمؤمنين النصرة الظاهرة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [الآية: 52] كضرب الجزية وإجلاء بعض أرباب العداوة ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ [الآية: 52] يعني هؤلاء المنافقين ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية: 52] أي: على ما حدثت بهم أنفسهم من أنه لا يتم أمر المؤمنين وقال الأستاذ يعني أن الذين سقمت ضمائرهم وضعفت في التحقيق بصائرهم سبق إلى قلوبهم هوادة الأعداء خوفاً من معرّتهم وطمعاً في المأمول من صحبتهم ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز وذل الإعراض عنه سبحانه لأملوا الموعود من كفايته والمعهود من جميل رعايته ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد ومقام الإحسان فتفرقوا في أودية الظنون والحسبان وعن قريب يأتيكم الفرج أيها المؤمنون وترزقون الفتح بحسن الإقبال والظفر بالسؤال بسابق الاختيار فيستشعرون الندم ويقاسون الألم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 53] بالرفع قراءة الكوفيين على أنه كلام مستأنف ويؤيده قراءة نافع وابن كثير وابن عامر مرفوعاً بغير واو وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 53] أي: بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما منّ الله عليهم حيث جعلهم من المخلصين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 53] أي: حلفوا أغلظها في أزمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [الآية: 53] في باطنهم كظاهرهم وأنهم أحباؤكم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 53] فإنهم أعداؤكم ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 53] في أمر الدنيا والدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [الآية: 54] قرأ نافع من يرتد أي: من يرجع إلى عقبه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: بدلاً عنهم ﴿بِقَوْمٍ﴾ [الآية: 54] ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [الآية: 54] أي: يهديهم إلى سبيل محبته ويثيبهم في طريق طاعته ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [الآية: 54] حيث يعظمونه ويطيعونه ويذكرونه ولا ينسونه ولا يشكرونه ولا يكفرونه فقيل:/ هم أهل اليمن كما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقيل: 218/ب الأشعريون لما روى ابن جرير أنه ﷺ قال: قوم هذا مشيراً إلى الأشعري وقيل: الفرس لأنه ﷺ سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه[1] قيل

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 411) رقم (423).

هم أبو بكر وأصحابه كما روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري وهو قول علي وقتادة.

وقال الواسطي: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم بفضل حبه لهم أحبوه وكذلك بفضل ذكره لهم ذكروه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 54] متذللين لهم عاطفين عليهم متواضعين إليهم مع علو شأنهم لديهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 54] متعالين ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29] والمنافقين متكبرين على الظالمين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 54] أي: بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وقلوبهم باختلاف أحوال اجتهادهم في أفعال إجهادهم فقيل: الجهاد ثلاثة مع نفسك وعدوك وقلبك والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا يتمكن فيه غفلة الرب ومجاهدة النفس أن لا يرتكب المعصية ومجاهدة الشيطان أن لا يغتر في حاله عن الطاعة ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: لتصلبهم في دينهم وقطع الرجاء والخوف من غير ربهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 54] أي: ما سبق من أحوال الأولياء ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 54] فيوفقه طريق الأحياء ويرزقه متابعة الأنبياء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 54] كثير الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن هو أهله من أرباب الشكر والثناء وأصحاب الصبر في حال الابتلاء.

وفي «**نفائس العرائس**» أن الآية فيها ذكر شرف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المؤمنين وبين تعالى أن المحبة من خواص صفته الأزلية لأنه كان بذاته يحب أحباءه وكان ذاته موصوفاً بالمحبة الأزلية وكما أنه تعالى يحب الأولياء بذاته وصفته فهم يحبونه بذواتهم وصفاتهم من جميع حالالتهم لأن مصدر المحبة القدم وليس هناك فعل ومحبة العباد مصدرها قلوبهم وليس هناك فعل وأصل المحبة وقع بغير العلة من الآلاء والنعماء والأفعال والحركات في البناء كان سبحانه أحبهم بعلمه في الأزل قبل إيجادهم اصطفائية فكأنه قد أحب نفسه لأن كونهم لم يكن إلا بكون وجوده وجوده سبب وجودهم/ وهو تعالى أحب فعله ومرجع الفعل صفته ومرجع الصفة ذاته فكأنه أحب ذاته ولم يكن الغير في البين فكان هو المحب وهو المحبوب وصفته المحبة وهم يحبونه بتجلي الصفة في قلوبهم وهو مباشرة نور محبته في فؤادهم فلما تجلت عيون

219/أ

أرواحهم بنور محبته وطلبت مصدر أصل الصفة فوجدت مشاهدة الأزل عياناً بلا حجاب فأحبتها بالمحبة الأصلية التي لا تتحول من مصرف الأزل أبداً فإذا كان كذلك فالمحب والمحبوب والمحبة في عين الجمع واحد وهذا إشارة إلى قوله بلسان نبيه ﷺ حيث أخبر عن المحب المتحد المتصف بصفاته حيث قال في أثناء الحديث فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً[1].

وفي هذا المعنى أنشد المجنون:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنا أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا[2]

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد أنه سبحانه جعل صفته من لا يرتد عن الدين أن يحب الله ويحبه الله ففيه بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يحب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً يحب أن يكون لله محباً فأما إذا لم يكن له محبة فبالخطر صحة إيمانه وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد فمحبة الحق للعبد لا تخرج من وجوه إمّا أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه أو المدح له والثناء عليه أو يقال إنه بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله فكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبته إرادته لإكرامه والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة واللفظتان تعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله سبحانه واحدة وبها يريد سائر مراداته ويختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلّق لله وأما محبة العبد لله سبحانه فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه وتحمله تلك الحالة على إيثار موافقته أمره وترك حظوظه فيه وإيثار حقوقه سبحانه بكل وجه وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما يكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه/ 219/ ب فيقال: المحبة ارتياح القلوب بوجود المحبوب ويقال: المحبة ذهاب المحب بالكلية في ذكر المحبوب ويقال المحبة خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه من وجوه المحبة تنتجه الهمة فمن كانت همته أعلى كانت محبته أصفى بل أوفى بل

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى الحلاج، انظر غرر الخصائص الواضحة (1/ 251).

أغلى ويقال: المحبة سكر لا صحو فيه ويقال: المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه وسقم لا يعرف دواؤه ويقال: المحبة غريم يلازمك لا يبرح ورقيب من المحبوب يستوفي له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ويقال: المحبة [قضية] توجب المحبة فمحبة الحق أوجبت محبة العبد لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [الآية: 54] ولولا أنه يحبهم وإلا لما أحبوه ويقال: لولا أنه أخبر عن المحبة وإلا أنّى يكون للطينة جسارة ذكر المحبة، ثم بيّن الله سبحانه صفة المحبين فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 54] يبذلون المهج في المحبوب من غير كراهة ويبذلون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور ثم قال في صفتهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 54] بنفوسهم من حيث استدامة الطاعات ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات ثم قال: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: ولا يلاحظون نصح حميم ولا يركنون إلى استقلال حكم ولا يجنحون إلى استجلاب حظ ونصيب ولا يزيغون عن سنن الوفاء بحال ثم بين سبحانه أن جميع ذلك إليهم لأمنهم فقال ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 54] متفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن يخص بذلك من عبيده.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 55] أي: إيماناً كاملاً كما بينه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 55] أي: يقومون بأمهات العبادات البدنية والمالية المستلزمة أن يقوموا بالبقية ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [الآية: 55] أي: خاشعون للحق متواضعون مع الحق.

وأفاد الأستاذ: أن الولي الناصر ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق سبحانه فأعداء الحق هم أعداء الدين وإنما حرف التحقيق يقتضي أن معنى ما عداه بخلافه وأعدى عدوك نفسك كما[1] في الخبر ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة عنها مع الخلق وبالمعارضة فيها مع الحق.

220/أ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 56] أي: من يتخذهم/ أولياء ويجعل من عداهم أعداء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الآية: 56] كما أن حزب

---

(1) سبق تخريجه.

الشيطان هم الخاسرون والغلبة بالبرهان والحجة وباعتبار العاقبة.

وقال سهل: الغالبون لأهوائهم.

وأفاد الأستاذ: أن حزب الله هم الغالبون عن حظوظهم الذين هم خصم الحق على أنفسهم لا خصم أنفسهم على مولاهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [الآية: 57] أي: مهزؤاً به وتلعباً في أمره ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 57] بالنصب عطف على الموصول الأول أي؛ ولا تتخذوا سائر الكفار أيضاً أولياء لأن جميعهم لكم أعداء وقرأ أبو عمرو والكسائي بالجر عطفاً على الموصول الثاني ثم الكفار وإن عم أهل الكتاب لكن يطلق على المشركين لتضاعف كفرهم وتزايد عداوتهم لأهل الدين وفي الآية إشارة إلى المحب في الله والبغض في الله كما ورد في الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه(1).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نبههم عن موجب التحيز عنهم والتميز منهم وأن المخالف في العقيدة لا يكون موافقاً في الحقيقة ويقال: أمرهم أن يلاحظوهم بعين الاستصغار كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاحتقار ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 57] في مراعاة أمره ونهيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 57] بوعده ووعيده.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ [الآية: 58] أي: الناس ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ [الآية: 58] أي: الصلاة أو المناداة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [الآية: 58] فإن اليهود كانوا حينئذٍ يستهزؤن ويضحكون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 58] .

أفاد الأستاذ: أن الأذان دعاء إلى محل النجوى فمن تحقق بعلو المحل فسماع الأذان يوجب له روح القلب واسترواح الروح ومن كان محجوباً عن حقيقة الحال لاحظ ذلك بعين اللعب وأدركه بسمع الاستهزاء وذلك حكم الله غاير بين عباده على ما يشاء.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [الآية: 59] هل تعيبون منا وتنكرون علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 59] أي: من الكتب على من قبلنا وهذا عين المدح والمعروف إجماعاً بيننا ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 59]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 178) رقم (2694)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47).

أي: خارجون عن ديننا وهذا هو الحق أيضاً لو أنصفتهم من قبلنا فالاستثناء من قبيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[1]

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ/ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 8 ـ 9] إيذاناً بأن الإيمان لأهل الكتاب لأنهم من أهل الحجاب. 220/ب

وقال الأستاذ: يعني ما لنا عندكم عيب إلا أنا تحققنا أننا محو في الله وأن الكائنات حاصلة بالله ولا نقتفي أثراً لما سوى الله في الله وهذا والله عيب زائل ونقص ليس له في التحقيق حاصل أقول بل هذا نقص في التحقيق كمال وعيب في نظر أرباب الكمال جمال.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من منعوتكم ﴿مَثُوبَةً﴾ [الآية: 60] أي: جزاءً ثابتاً ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] والمثوبة في أصلها مختصة بالخير كالعقوبة بالشر ونصبها على التمييز عن بِشَرٍّ بدفع توهم الخير ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 60] أي: هو من أبعدهم الله عن رحمته وسخط عليهم بارتكاب معصيته ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ﴾ [الآية: 60] وهم أصحاب السبت من اليهود ﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾ [الآية: 60] وهم كفار أهل مائدة عيسى من النصارى ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [الآية: 60] أي: ومن عبد ما سوى الله من المشركين وقرأ حمزة بضم الباء وجر الطاعون عطفاً على القردة للإشعار بالمسخ في المسيرة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ [الآية: 60] الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية: 60] لأنهم في مقام التذليل ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] أي: قصد الطريق الموصل إلى الرب الجليل والمراد الزيادة مطلقاً من صفتي التفضيل.

وقال الأستاذ: يعني أخس من المذكورين منّا قدراً وأقلهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله وأبعده عن نعت التخصيص فأضله ومنعه عن وصف التقريب فأبعده وحجبه عن شهود الحقيقة فطرده.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: منافقوكم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [الآية: 61] بما أنزل إليكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14] ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾

---

(1) نسب إلى النابغة. انظر: الحيوان (1/ 360)، ونهاية الأرب (2/ 303).

[الآية: 61] أي: في باطنهم وخيالهم ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 61] على حالهم جملة حالية والمعنى دخلوا وخرجوا كافرين ما أثر فيهم من صحبة المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 61] أي: من الكفر والكيد بالمسلمين بدخولهم عليهم حيناً بعين الحين.

وأفاد الأستاذ: أنهم أظهروا الصدق وفي التحقيق نافقوا فافتضحوا من حيث أوهموا ولبسوا فلا حالهم بقيت مستورة ولا أسرارهم كانت عند الحق مكتومة وهذا نعت كل مبطل عند أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة في أنوار فراستهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 62] أي: من المنافقين وغيرهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 62] أي: الحرام وقيل: الكذب لقوله تعالى عن قولهم الإثم ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [الآية: 62] / الظلم أو مجاوزة الحد عن المعاصي أو الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [الآية: 62] أي: الرشوة وخص بالذكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 62] لبئس شيئاً ما عملوه وإلى آخرتهم قدموه. 221/ أ

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [الآية: 63] زهادهم وعبادهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [الآية: 63] علماؤهم ورؤساؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ [الآية: 63] أي: عن كذبهم وافترائهم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [الآية: 63] أي: الحرام في بيعهم وشرائهم ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: 63] من عدم النكر والتنكير عليهم ووجود الميل إليهم وخص الصنع بخواصهم والعمل بعوامهم لأن الصنع عمل بعد تدرب فيه وتردد إجادة تحر ولأن ترك الحسنة أقبح من موافعة المعصية من حيث أن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم فيها قال ابن عباس وغيره ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء[1] منها.

وأفاد الأستاذ: أن الرباني من كان لله وبالله ولم يبق منه بقية لغير الله ويقال الرباني من توقى عن الآفات ثم ترقى إلى أعلى الساحات ثم تلقى ما كوشف به من زوائد القربات فخلا عن نفسه وصفا عن وصفه وقام لربه بربه وقد جعل الله الربانيين تائبين عن الأنبياء والمرسلين الذين هم أولوا الدين فهم خلفاء ينهون

(1) تفسير الطبري (10/ 449) رقم (12239)، وتفسير ابن كثير (3/ 144).

الخلق بهممهم وأحوالهم أكثر مما ينهون بأقوالهم فإنهم إذا أشاروا إلى الله حقق الله ما يرومون إليه ويحقق ما يعلقون هممهم عليه.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [الآية: 64] وذلك حين كف الله عنهم نعمة الدنيا بعدما جحدوا القرآن وأنكروا الدين وكانوا قبل ذلك في خصب ورخاء فقالوا هو ممسك يقتر الرزق، وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد إثبات يد وغل وبسط في عالم الوجود وقيل معناه أنه فقير كقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: 181] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [الآية: 64] دعا عليهم بالبخل والنكد وبالفقر والمسكنة والكبد أو المراد بغلّ الأيدي حقيقة (يغلون) أسارى في الدنيا ومسحبين إلى الحميم في العقبى فتكون المطابقة من حيث اللفظ دون المعنى وملاحظة الأصل في المبنى ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ [الآية: 64] أي: نعمتاه أي: الدنيوية والأخروية والظاهرية والباطنية ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] أي: لأهلها مبذولتان فاليد بمعنى النعمة وقيل ثنيُ اليد مبالغة في الرد/ ونفي البخل عنه وإثباتاً لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيده ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية: 64] أي: هو مختار في إنفاقه فيوسع تارة ويضيق تارة أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته. 221/ ب

وقال الأستاذ: أي بل قدرته بالغة ومشيئته نافذة ونعمته سابغة وإرادته ماضية ويقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] يرفع ويضع ويدفع ولا يمنع ولا يخلو أحد عن نعم الدفع وإن خلا نعم النفع قلت وكذا لا يخلو أحد عن نعم النفع لما سبق في قوله من عدم المنع ولقوله سبحانه ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] أي: ممنوعاً.

ولعل الأستاذ أراد بالنفع المنفعة الأخروية والدنيوية النافعة للأمور الدينية.

ولذا قال ابن عطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك وأعطاك فالحق تارة يعطي للإكرام وأخرى للاستدراج مزلة الأقدام ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ [الآية: 64] أي: من اليهود ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 64] أي: من الأحكام والحدود ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية: 64] في الوجود والمعنى كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغياناً وكفراً بخلاف المؤمنين فإنهم يزيدون بنزول كل آية إيقاناً وشكراً قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: 26] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا

هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] كما يزداد المريض داء من الأدواء من تناول الغذاء الصالح للأصحاء فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما قال ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك[1] وفي رواية القرآن شافع ومشفع أو ماحل مصدق[2] ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ [الآية: 64] أي: أوقعنا بين طوائف اليهود أو بينهم وبين النصارى على ما قاله الحسن ومجاهد ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ [الآية: 64] أي: الظاهرة ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [الآية: 64] الكامنة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 64] فلا تتوافق قلوبهم وأحوالهم ولا يتطابق آراؤهم وأقوالهم ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ﴾ [الآية: 64] أي: اليهود ﴿نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ [الآية: 64] أي: مع المسلمين أو مع أحد ولو من المشركين ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 64] بأن أوقع بينهم منازعة مانعة لهم من الغلبة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 64] أي: للفساد وهو اجتهادهم في كيد العباد وهتك المحارم وإثارة الفتن في البلاد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 64] أي: لا يعزهم ولا يرضى عنهم ويجازيهم على فسادهم يوم الدين ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ/ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مع جرائمهم العظام ﴿ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 65] 222/ أ بمحمد عليه السلام ودخلوا في دين الإسلام ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 65] المعاصي والآثام والظلم للأنام ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية: 65] التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية: 65] فيه تنبيه عن عظمة عيوبهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام يجبُّ ما قبله من كفرهم وعصيانهم وبعض العلماء على أن من آمن ولم يراع التقوى لم تكفر سيئاته التي عمل بها في الكفر وفي الآية نوع إشعار إليه وكذا في حديث الصحيحين دلالة عليه فعن ابن مسعود قلنا أنؤاخذ بأعمالنا في الجاهلية والإسلام فقال عليه السلام: أما من أحسن منكم إسلامه فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية[3].

لكن قال النووي: المراد بحسن الإسلام إيمان صحيح لا نفاق فيه والمراد من الإساءة النفاق انتهى.

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (120/ 189)، وأبو يعلى في المسند (9/ 65) رقم (5131).

وهذا تأويل حسن وإن قيل هو خلاف المتبادر وفيه أن التأويل لا يكون إلا كذلك وأن إبقاؤه على ظاهره مخالف لقواعد أهل السُّنَّة ومقوٍ لمذهب المعتزلة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى إنما وعدهم الغفران بشرط التقوى ودليل الخطاب أن لا يغفر لمن لم يتقِ منهم في العقبى وقال لظالمي هذه الأمة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32] ثم قال في آخر الآية بعد ذكر الأقسام ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: 23] وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56] أي: أهل أن يتقى فإن تركتم التقوى فهو أهل أن لا يغفر انتهى.

وهذا يشير إلى الفرق بين مسلمة أهل الكتاب وبين مؤمني هذه الأمة في الخطاب.

ثم قال الأستاذ: ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ولكنهم وقفوا فوقفوا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 66] بإذاعة ما فيها ولطاعة أحكامهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 66] أي: القرآن أو سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث أنهم مكلفون بها كالمنزل إليهم ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [الآية: 66] أي: لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض بأن نزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض قيل أراد به التوسعة كما يقال فلان في الخير من فرقه إلى قدمه وعبر عن الأخذ والانتفاع بالأكل لأنه أجل منافعهم وإيماءً إلى محط نظرهم إنما هو في شبع/ بطنهم لحرصهم وشرهم وفي الآية إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 ـ 3] وفي الحديث إلى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب. 222/ب

وقال الأستاذ: أي لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا لهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال الطيبة حتى إن ضربوا يمنة ما لقوا غير اليمن وإن ذهبوا يسرة ما وجدوا إلا اليسر ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [الآية: 66] جماعة عادلة متوسطة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين صاروا في هذه الأمة وساروا في هذه الملّة.

وأفاد الأستاذ: أن المقتصد هو الواقف على حد الأمر لا يقصر فيه فينقص

ولا يجاوز فيزيد ويقال المقتصد الذي تساوى في همته الفقد والوجود في الحادثات ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[الآية: 66] وهم كفارهم يقال في حقهم ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 66] أي: بئس ما يعملونه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 67] أي: أخبر جميع ما أوحي إليك غير مراقب من أحد نفعاً وضراً ولا خائف مكروهاً وشراً.

وفي «**حقائق السلمي**» قيل: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 67] من الرسالة ولا تبلغ ما خصصناك به من محل الكشف والمشاهدة فإنهم لا يطيقون سماع ما أطقت حمله من مشاهدة الذات والتجلي في الصفات.

وقال الأستاذ: أي لا تكتم شيئاً مما أوحينا إليك ملاحظة لغير إذ لا غير في التحقيق إلا رسوم موضوعة وأحكام القدرة عليها جارية ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [الآية: 67] أي: لم تبلغ جميعه كما أمرتك به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الآية: 67] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالته أي: فما أديت شيئاً منها لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن حكمة الدعوة ينتقض به ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 67] أي: أنا ناصرك وحافظك فلا تخف أحداً غيري في تبليغك أو عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض أعدائه اطمئناناً لقلبه وسره فروى الترمذي وقال الحاكم صحيح الإسناد أنه كان رسول الله ﷺ يحرس من قبل ذلك فلما نزلت هذه الآية تركت الحراسة[1] وقيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل ثج رأسه الأشرف أو المراد حفظة روحه ﷺ.

وفي «**الحقائق**» قيل: لصون سرك عن الاشتغال بهم والنظر إليهم.

وقال/ الأستاذ: جمعاً بين المعينين بحفظ ظاهرك من أن يمسك أذاهم فلم 223/ أ يسلط بعد هذا عدو عليه ويصون سرك عنهم حتى لا يقع فيه احتشام منهم ويقال ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 67] حتى لا تغرق في بحر التوهم بل تشاهدهم كما هم وجوداً بين طرفي العدم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 67] أي: لا يمكنهم مما يريدون من الهلاك بك وبالمسلمين أو المعنى بلغ أنت رسالتك

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 342) رقم (3221)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 251) رقم (3046)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 256) رقم (11663).

والله الهادي وليس عليك هداهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية: 68] متعد به من الدين ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 68] المراد إقامة أصولهما وما لم ينسخ من فروعهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 68] من سائر الكتب المنزلة ومن جملة إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لِحكمه.

وقال الأستاذ: أي ليس انتعاشكم ولا نظام معاشكم ولا قدركم في الدنيا والعقبى ولا مقداركم ومنزلتكم في حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهي والمحافظة على أحكام الشرع ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية: 68] كرره ليتعقب عليه قوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 68] أي: فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 69] أي: باللسان كالمنافقين أو المراد بهم الكاملون من المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 69] سبق تفسير في سورة البقرة ورفع الصائبون هنا على الابتداء والخبر محذوف أي: كذلك والجملة معترضة بين أصحابي الكتابيين والنكتة أنهم طائفة مائلة إلى كل من الملّتين وقيل: إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل: الصابئون منصوب بالفتح فإنه كما جوز بالياء جوز بالواو ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 69] أي: بجنانه أو ثبت على إيمانه ومات على إيقانه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية: 69] أي: قام بأحكام الإسلام وأركانه ومن في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 69] في العقبى ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 69] على ما فاتهم من الدنيا والجملة خبر إن.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 70] ليقوموا بوعدهم وليوفوا بعهدهم ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ [الآية: 70] ليبينوا لهم أمر دينهم وليذكروا لهم طريق يقنيهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ/ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: بما لا تشتهي نفوسهم ومُخالف أهواءهم من الشرائع وميثاق التكاليف التي يكون دواءهم. 223/ب

وقال الأستاذ: وداروا مع الهوى فوقعوا في البلاء ومن أمارات الشقاء

الإصرار على متابعة الهوى ﴿فَرِيقًا﴾ [الآية: 70] أي: من الأنبياء ﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 70] عدل عن قتلوا مراعاة للفاصلة وبناءً على حكاية الحال الماية استحضاراً لتلك الحال الشنيعة وتنبيهاً على أن ذلك دأبهم وحالهم في الأوقات الماضية وقصدهم في الأزمنة الآتية.

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ [الآية: 71] أي: ظنوا أنهم مع هذه الأفعال القبيحة ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 71] أي: لا يصيبهم عقوبة وبلية وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي برفع تكون على أنّ أنْ هي المخففة عن المثقلة وأصله أنه لا تكون فتنة.

وقال الأستاذ: اغتروا بطول الإمهال فأصروا على قبيح الأعمال فلما أخذتهم فجأة النقم لم ينفعهم الندم واشتد بهم الألم ﴿فَعَمُواْ﴾ [الآية: 71] عن الدين ودلائل اليقين ﴿وَصَمُّواْ﴾ [الآية: 71] عن استماع الحق من النبيين كعبدة العجل وغيرهم من المذنبين ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 71] أي: ثم تابوا فقبل الله توبتهم أو وفقهم بالتوبة فتابوا عن معصيتهم والمعنى بثم أنهم تمادوا في الضلالة إلى أن حصل لهم الهداية بالتوبة ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [الآية: 71] أي: كرةً بعد أخرى ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ [الآية: 71] بدل من ضمير الجمع أو من قبيل لغة أكلوني البراغيث ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 71] فيجازيهم على وفق أعمالهم وطبق أحوالهم.

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [الآية: 72] وهم طائفة من أهل الحلول والاتحاد المسمون باليعقوبية.

وأفاد الأستاذ: أنهم سقمت بصائرهم والتبس أمارات الحدوث عليهم فخلطوا في عقائدهم استحقاق أوصاف القدم بنعوت الحدوث وصفات العدم ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 72] إني عبد الله ورسوله إليكم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ [الآية: 72] أي: أنا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 72] أي: في عبادته أو ما يخص به من أفعاله وصفاته ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الآية: 72] أي: منعه من اللذات الأبدية والمراتب السرمدية ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [الآية: 72] أي: منزلة نار الفرقة ودار الحرقة ومسكنه مقام الحجاب ومحل العقاب ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [الآية: 72] / أي 224/أ

وليس للكفار أنصار من الأغيار في دار البوار.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [الآية: 73] أي: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه فلا ينافي قوله سبحانه ما يكون من نجوى ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية القائلون بالأقانيم الثلاثة.

وقال الأستاذ: بلغ الخذلان بهم حداً كابروا الضرورة فحكموا للواحد بأنه ثلاثة ولا يخفى فساد هذا على مجنون في القضية فضلاً على عاقل له أدنى مزية ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية: 73] من مزيدة للاستغراق والمعنى ما في الموجودات ذات واجب مستحق العبادات من حيث أنه مبدأ جميع الكائنات إلا إله موصوف بالوحدانية متعالٍ عن قبول الشركة في المراتب الربانية من الصفات الصمدانية ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية: 73] أي: بالتوبة عن مقولهم ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 73] أي: ممن بقي على كفرهم أو مات على شركهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] مؤلم في جميع أحوالهم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: بجنانهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [الآية: 74] بلسانهم عن عقائدهم الفاسدة وأقوالهم الكاسدة ويرجعون بالتنزيه والتوحيد بعد هذا التقرير والتهديد ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 74] مع هذا الذنب الجسيم والمعنى يغفر لهم إن تابوا ويمنحهم من فضله إن أنابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم بعدم توبتهم واستغفارهم.

وقال الأستاذ: لم يغلق باب التوبة عليهم مع قبيح أقوالهم وفساد عقائدهم وأحوالهم تضعيفاً لِرجاء المؤمنين بخصائص رحمته وآمالهم.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [الآية: 75] والجملة وصف لرسول أو استئناف بيان لأحوال كل رسول أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا ومضوا من قبله فإنه خصهم الله تعالى بآيات كما خصه بها فإنه سبحانه إن خلق عيسى من غير أب فقيل خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب وإن أحيى الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [الآية: 75] صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء اللاتي يلازمن التصديق والصدق بالتوفيق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾

[الآية: 75] ويفتقران إليه كسائر الأنعام وقيل: هو كناية عن يغوطان ويبولان ﴿ٱنظُرۡ﴾ [الآية: 75] نظر تعجيب في عالم البيان ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 75] أي: العلامات الفارقة بين ذات القدم/ والحدثان ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية: 75] كيف يصرفون عن استماع الحق فلا يتأملون ولا يؤمنون. 224/ ب

وأفاد الأستاذ: أن من اشتملت عليه الأرحام المنتنة وتناوبته الآثار المتعاقبة أنّى يليق بوصف الألهية ثم مسته الحاجة حتى اتصف بالأكل وأصابته الضرورة إلى أن يخلص من قضايا الطعام فأنّى يليق به استيجاب بالعبادة واستحقاق التسمية بالإلهية انظر يا محمد [كيف] نزيد في إيضاح الحجة وكيف تلبّس عليهم سلوك المحجة.

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ [الآية: 76] يعني عيسى عليه السلام وأن ملك بعض ذلك إنما هو تمليك الله له هنالك فهو لا يملك من ذاته ولا في جميع حالاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلاء والمصيبة وما ينفع به من الصحة والسعة واختير ما في العبادة نظراً إلى ما هو عليه في ذاته من النسبة الجمادية توطئة لنفي القدرة عنه بالكلية وإيماءً إلى أنه بمعزل عن الإلهية وقدم المضرة لأن التحرز عنها أهم من تحري المنفعة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 76] بالأقوال ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية: 76] بالأحوال والأعمال الصحيحة والعقائد الفاسدة والنيات الخالصة والكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن تعليق القلب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير تمحيق الوقت بما لا يجدي وإذهاب العمر فيما [لا] يغنى إذ المتفرد بالإيجاد بريء عن الأنداد.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 77] أي: غلواً باطلاً في جميع الأبواب ولا تتجاوزوا عن صوب السداد والصواب فترفعوا عيسى عليه السلام إلى أن تدعو له الإلهية أو تضعوا فتزعموا أنه لغير رشده ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية: 77] يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد ﷺ في شريعتهم ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ [الآية: 77] أي: خلقاً كثيراً ممن شايعهم على ضلالتهم ﴿وَضَلُّواْ﴾ [الآية: 77] أي: واستمروا كلهم ﴿عَن سَوَآءِ

﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 77] أي: الموصل إلى رضاء الجليل ولقاء الخليل.

وأفاد الأستاذ: أن التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع الآيل وكلما كان بعد المسافة من الحق أتم وأشد كان اليأس من الرجعة أوجب وأسد ومتبع الضلال شر من مبتدعه في المآل لأن المبتدع يبني في الحال والمتبع يتم البناء به في الاستقبال ومن به كمال الشر شر ممن فيه ابتداء الشر قلت ولعله من هذه الحيثية وإلا فيناقضه من سنّ سُنَّة سيئة.

225/أ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 78] أي/ لعنهم الله أو أوقع لعنهم ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ [الآية: 78] في الزبور ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 78] في الإنجيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 78] أي: اللعن الشنيع المقتضي الحال الفظيع ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 78] أي: بسبب عصيانهم واعتدائهم في طغيانهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الأنبياء عليهم السلام حتى ذكروا الكفار بالسوء وأما الأولياء فاستخصهم بذكر نفسه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 43] فلعنة الكفار بلسان الأنبياء وذكر المؤمنين ببيان الحق على أحسن الإنباء فإنه لو كان ذلك ذكراً لكان فيه استحقاق فضيلة فكيف وهو ذكر بالجميل والمدحة ولقد قال قائلهم:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة قد سرني أني خطرت ببالك[1]

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 79] أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو عن ارتكاب منكر أرادوا فعله وتهيئوا له ولا ينتهون عنه ولا يمتنعون منه بل يصرون عليه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 79].

وأفاد الأستاذ: أن الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة للمخالف ولا إلفة بعد تميز الخلاف والسكوت عن جفاء يعامل به كرم ومروءة والإغضاء على ما يقال في محبوبك دناءة.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 80] يعني المنافقين ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 80] أي: يوالون المشركين بغضاً للمؤمنين ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 80] أي: ليس شيئاً قدموه ليردوا عليه يوم القيامة مما هيّؤوه ﴿أَن

(1) نسب إلى ابن الدمينة. انظر: الحماسة المغربية (1/ 97)، والتذكرة السعدية (1/ 45).

﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 80] أي: وهم جاحدون ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 80] فما بعد أن هو المخصوص بالذم والمعنى بئس موجب سخط الله وهو الحجاب وسبب الخلود في العذاب.

قال الواسطي: ما أظهر من الوسم المكروه على خلقه جعل ذلك مضافاً إلى غضبه وسخطه من غير أن يشوش عليه شيء في عقبه ألا ترى إلى قول الحكيم كيف يؤثر عليه ما هو أجراه أم كيف يغضبه ما هو أبداه وكيف يجري عليه الغضب على نحو ما يعرف من الآدميين ولا يكره شيئاً خلقه وتولى إظهاره وإن كان نفس ما أظهره مكروهاً في ذاته إذ لا ضرر عليه في شيء من خلقه كما لا رتبة له في شيء من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن شر خصال اللئام مطابقة من يضاد/ الأصدقاء الكرام فإذا كان سخط الله في موالاة أعدائه فرحمته ورضوانه في معاداة أعدائه وموالاة أحبائه. 225/ ب

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ [الآية: 81] أي: نبينا أو نبيهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 81] من القرآن والتوراة ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 81] لأن الإيمان الكامل يمنع عن محبة الأعداء ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 81] خارجون عن الدين بالاعتداء داخلون في مقام الأعداء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 82] فإنهم متفقون على الانهماك في حسدهم والتمادي في عنادهم والقساوة في قلوبهم وحرصهم على طول عمرهم وقلة رجوعهم إلى الحق وعدم رحمهم على الخلق ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 82] للين جانبهم وحسن تواضعهم وقوة كرمهم وإحسانهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل للعقبى كما أشار إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ [الآية: 82] أي: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ [الآية: 82] أي: زهاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 82] عن قبول الحق حتى يفهموا أو يتوضعوا خلاف اليهود فإنهم مستكبرون وفيه دليل على أن الأوصاف الجميلة محمودة وإن كانت في كفرة مبعودة.

وقد قال الإمام الحجة: إنّ الكافر الفقير أحق عذاباً في النار من الكافر

الغني ولو اشتركا في دار البوار وقال بعضهم أثنت عليهم حرمات الخدمة وإن كانوا على طريق المخالفة لأنهم لما أظهروا لزوم الباب صح لهم التزهد والرهبانية بنوع من الانتساب وإن قصدوا في تحقيق مقام الاكتساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن صفة العداوة وإن كان يجمعهم في المخالفة فمعرة بعضهم تزيد على بغض في بغض المقابلة وبقدر ما للنصارى من الترهب أثر فيهم بالمقاربة من أهل القرب وأنهم وإن لم ينتفعوا به من حيث الخلاص لفقد الإخلاص فقد ذكرهم الله سبحانه بمقاربة أهل الاختصاص.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: سماع القبول باعتبار بعضهم من أهل الوصول ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [الآية: 83] كالسيول ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 83] أي: النازل على الرسول وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 83] بمحمد عليه السلام ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 83] أي: من أمته فإنهم شهداء على/ الأمم يوم القيامة قيل نزلت في سبعين رجلاً من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يٓس فبكوا وآمنوا[1] فقال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فقالوا: 226/أ

﴿وَمَا لَنَا﴾ [الآية: 84] أي: مانع حاصل لنا ﴿لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 84] أي: في الجنة.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ [الآية: 85] أي: فجازاهم وأعطاهم بسبب قولهم عن صميم قلوبهم ﴿جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 85] أي: بساتين مشتملة على الأشجار ذوات الأثمار والأزهار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 85] أي: مقدرين الخلود في دار القرار ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الأبرار في هذه الدار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 86] عموماً ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 86] خصوصاً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية: 86] أي: ملازمون في العذاب الأليم والحجاب المقيم.

---

(1) تفسير القرطبي (6/ 256)، وتفسير البغوي (3/ 87)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 56) رقم (6716)، والدر المنثور (3/ 130).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 87] أي: من المشتهيات والمستلذات المباحات ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ [الآية: 87] أي: لا تتجاوزوا عن الحد بالتضييق على أنفسكم في تحريم الحلالات كما فعل بعض المترهبين من النصارى كسراً للنفس ورفضاً للشهوات ومبالغة في تحصيل الرضاءات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الآية: 87] بل يحب المقتصدين أو معناه لا تعتدوا حدود ما أحل لكم إلى تعاطي ما حرم عليكم ولا تعتدوا في تناول الحلال وخذوا منه بقدر الكفاية المعينة على عبادة ذي الجلال فإن الزيادة على هذا الحال وبال في المآل.

وقال أبو عثمان: لا تحرموا على أنفسكم المكاسب وطلب قوة الحلال من تلك المراتب ولا تعتدوا أي: لا رازقاً سوى ذي الجلال فإنه الرازق لكنه ربما أوصل إليك رزقك بمكتسب وربما حصل لك الرزق بلا سبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أمارات السعادة الوقوف على حد العبادة إن أباح الحق شيئاً قبله وقابله بالخشوع وإن حظر وقف ولم يتعرض للحظوظ ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسيم القرب في أوطان الخلوة وتحريم ذلك أن يستبدل تلك الحالة بالخلطة دون العزلة والعشرة دون الخلوة وذلك هو العدوان العظيم والخسران الجسيم هذا والآية نزلت في جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات/ الطعام 226/ ب واللباس وهموا بالاختصاء ولذلك قيل: الاعتداء هو الاختصاء وروي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً وبالغ في إنذارهم فترّقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا الطعام والدسم ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إني لم أؤمر بذلك إن لأنفسكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني[1] فنزلت.

---

(1) تفسير الطبري (10/ 519)، وتفسير ابن كثير (3/ 171).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 88] أي: كلوا ما أحل لكم وطاب مما رزقكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] في مخالفة ما أمركم به ونهاكم عنه فيما تفعلون وفيما تأكلون وتشربون وتلبسون قال بعضهم رزقه الذي رزقك ما هو من غير حركة منك ولا استشراق فيك وهو الطيب الحلال يحل محل الدعوة ويطيب قلبك بتناول تلك اللقمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال الصافي بأن يأكل على شهوده فإن نزلت الحالة عن هذا فعلى ذكره فإن الأكل على الغفلة حرام في شريعة الإرادة هذا وقيل: لما نزلت الآية السابقة في منعهم على ما اتفقوا عليه من أنواع الرياضة والمجاوزة عن مراعاة طريق السُنَّة قالوا: يا رسول الله إنا قد حلفنا على تلك الحالة[1] فنزل قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 89] هو الحلف على ما يظن أنه كذلك وإن لم يكن وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد وقيل: هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله وإليه ذهب الشافعي ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ [الآية: 89] أي: إذا حنثتم ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [الآية: 89] أي: بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتخفيف وابن ذكوان عاقدتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ [الآية: 89] أي: فكفارة حنثه وجزاء حنثه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: من أعدله أو أمثله أو من أقصده في النوع أو القدرة وهو نصف صاع من بر أو صاع من شعير وتمر ونحوهما وهو قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف واختار أبو حنيفة أو مد/لكل مسكين كما هو مذهب الشافعي ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [الآية: 89] وهي ثوب جامع يستر عامة البدن كقميص أو إزار ورداء عندنا وقيل: ما يستر به العورة وبه قال مالك والشافعي وأحمد وهو قول محمد من أصحابنا ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الآية: 89] أي: إعتاق إنسان مسلماً كان أو كافراً صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى وشرط الشافعي فيه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى أو في الآية إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً وتخيير المكلف في

227/ أ

(1) الوجيز (1/ 333).

التعيين والعتق أفضل ثم الكسوة ثم الإطعام فبديء بالأيسر والأيسر على الأنام ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 89] أي: واحداً منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله في يومه وليلته ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 89] أي: فعليه صوم ثلاثة أيام أو فكفارته صيام ثلاثة أيام متتابعات كما قرئ بها وبه قال أبو حنيفة لأن قراءة الشاذة بمنزلة السُّنَّة في الرواية خلافاً للشافعية حيث قالوا: لم يثبت كتاباً ولم ترو سنة وفي «تفسير المعين» للصفوي الشافعي أنها قراءة أبي وابن مسعود والشواذ وإن كانت ليست بحجة فلا أقل أن يكون خبر واحد وتفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع وعليه أبو حنيفة وأحمد ونص الشافعي في موضع من الأم على وجوب التتابع ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: المذكورة ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [الآية: 89] أي: وحنثتم وترك ذكر الحنث للعلم بأن الكفارة تجب بالحنث لا بنفس الحلف ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: بأن لا تبذلوها لكل أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت خير بها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 89] إعلام شرائعه من مأموراته ومنهياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 89] أي: نعمة التعليم وسائر تفضلاته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية إلى وقت يغلب على قلبك التعطش إلى شيء من إقباله أو وصاله فتقسم عليه بجماله أو جلاله أن يرزقك شظية من أفضاله فذلك في شريعة الرضا لغو من اليمن فيعفو عنك رحمة عليك لضعف حالك والأولى هو الذوبان والخمود بحسن الرضا تحت ما يجري عليك من أحكامه في الرد والصد وأن تؤثر استقامتك في أداء حقوقه على كرامتك بحسن تقريبه/ وإقباله كما قال قائلهم: 227/ ب

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد في تجديد العهد وتأكيد العقد فيقول وحقك لا نظرت إلى غيرك ولا قلت لغيرك ولا حلت عن عهدك وامتثال هذا وهذا كله في حكم التوحيد محو في مقام التفريد سهو ومن أنت في الرفعة حتى تعد من نفسك وأين في الدار غيره ديار

---

(1) سبق التعليق عليه.

حتى تقول بتركه أو تتحقق بوصله أو هجره كلا بل هو الله الواحد القهّار وكما أن الكفارة الشرعية إمّا عتق وإما كسوة أو إطعام فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام فكفارتهم على موجب الإشارة إمّا بذل الروح بحكم الوجد أو بذل القلب بصحة القصد أو بذل النفس بدوام الجهد فإن عجزت فإمساك وصيام عن المناهي والزواجر والملاهي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ [الآية: 90] أنواع المسكر ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [الآية: 90] أصناف القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ [الآية: 90] أي: الأصنام نصبت للعبادة أو حجارة كانوا يذبحون قرابينهم لآلهتهم عندها طلباً للقربة ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ [الآية: 90] سبق تفسيرها في أول السورة ﴿رِجْسٌ﴾ [الآية: 90] أي: ذوات قذر يعاف عنه العقول أو موجبات سخط أو أسباب إثم في المعقول والمنقول ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 90] لأنه مسبب في تسويله وتزينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [الآية: 90] أي: الرجس أو ما ذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 90] أي: تفوزون بالمقاصد الدينية والمراتب الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول والخمر حرام بإجماع أرباب النقول والإشارة فيه أنه يزيل نفاد العقل بما يوجب عليه من الالتباس ومن شرب من خمر الغفلة فسكره أصعب من سكر من سكر من شرب الخمر فشراب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة فمن سكر من خمر الدنيا فهو ممنوع عن الصلاة ومن سكر من شراب الغفلة فهو محجوب عن المواصلات وكما أن من شرب الخمر وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد بضرب سياط الخوف وكما أن السكران لا يقام الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته وكما أن مفتاح الكبائر شرب الخمر فأصل كل زلة وسبب كل بعد وحجبة الغفلة عن/ الحضرة، وحرّم الميسر في الشرع وفي شريعة الحب القوم مقهورون ومن حيث الإشارة فأبدانهم مطروحة في شوارع التقدير يطؤها كل عابر سبيل ومن الصادرين من غير القادرين وأرواحهم مستباحة بحكم القهر عليها خرجت القرعة من غلبات الحكم لديها قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: 141].

228/ أ

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 91] بوقوع هذه الأشياء ﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [الآية: 91] في ظاهركم وباطنكم خصوصاً ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [الآية:

91] ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 91] أي: يشغلكم بالخلطة والجلوة عن العزلة والخلوة ويمنعكم عن الحضرة ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 91] أي: وعن صلاة المواصلة ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [الآية: 91] منها أم أنتم مصرون عليها وبهذا التقدير في المبنى قيل المعنى فانتهوا كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: 20] أي: أسلموا.

وأفاد الأستاذ: أنه طال عهدهم بالحقيقة فقاسوا الهوان في مطارح القربة فصاروا سخرة الشياطين والفجرة فبقوا عن الصلاة التي هي محل النجوى وكمال الراحة وفسدت ذات بينهم بما تولد بينهم من الشحناء والبغضاء والعداوة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 92] فيما أمرا به ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ [الآية: 92] ما نهيا عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 92] أي: أعرضتم عن الطاعة وترك المراقبة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية: 92] وقد أدى الرسالة وأثبت الحجة وأوقع النصيحة فيرجع إليكم مضرة المعصية والمخالفة.

قال الواسطي: الحذر لا يزول عن العبد وإن كان مدرجاً تحت الصفات ولولا ذلك لبسطه العلم إلى قلة المبالاة بالأفعال والمقالات ولكن الأدب في إقامة المقامات هو المراعاة والموافقات كما ازدادت السرائر لعلماء الآخرة ازدادت لهم الخشية وقال أيضاً احذروا لا تلاحظوا طاعاتكم فتسقطوا عن درجة كمالاتكم.

وقال الأستاذ: كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف بقلبه من جهة حجبه وإنما ينتفي الحذر عن العبد عند تحقق الوعد بقوله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82] وذلك عند دخول الجنة وحقيقة الحذر نهوض القلب بدوام الاستغاثة مع مجاري الأنفاس في كل ساعة هذا وروى أحمد عن ابن عباس لما نزل/ تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أُحُد شهداء والخمر في بطونهم فأنزل الله تعالى: 228/ب

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 93] أي: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [الآية: 93] أي؛ مما لم يحرم عليهم بعد لقوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 93] أي: اتقوا المحرم من الشرك وسائر المعصية وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] أي: ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ﴿وَءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] أي: استمروا على اتقاء المعاصي ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [الآية: 93] أي: وتحروا للأعمال الجميلة وبها اشتغلوا ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باختلاف الحالات الثلاث من استعمال العبد التقوى بينه وبين نفسه أولاً وبينه وبين الناس ثانياً وبينه وبين الله ثالثاً وكذلك بدل الإيمان في الكرة الثالثة بالإحسان إشارة إلى قوله ﷺ وفي تفسيره الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه(1) أو باعتبار المراتب الثلاث من المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار أنواع ما يتقى فإنه يبتغي أن يترك المحرمات توقياً من أصناف العقوبات والشبهات تحرزاً للنفس عن الوقوع في المحرمات وبعض المباحات الشاغلة عن الطاعات والعبادات المانعة عن الوصول إلى مقامات أرباب الإرادات وأصحاب القربات في علوا الحالات ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] فلا يؤاخذهم بما يؤاخذ المسئين وفيه أن من فعل ما ذكر صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً ومن خالف شيئاً من ذلك كان لله مغضوباً.

وقال سهل: في قوله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [الآية: 93] أي: إذا طلبوا الحلال ولم يؤاخذوا فوت الكفاية من المال تحسيناً للحال وتحصيناً للمال.

وأفاد الأستاذ: أن من حافظ على الأمر والنهي فليس للقمة يتناولها من الخطر ما يضايق فيها وإنما المقصود من العبد التأدب لصحبة طريقه سبحانه فإذا اتقى الشرك تعرف ثم أتقى الحرام فيما تصرف ثم اتقى الشح فآثر وما أسرف أو يقال ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] المنع ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 93] بالخلف وهذا للعوام ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] شهود الخلق وأحسنوا شهود الحق/ وهذا للخواص 229/أ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] أعمالاً والمحسنين آمالاً والمحسنين أحوالاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: ليعاملنكم معاملة المختبر

(1) سبق تخريجه.

وأنتم محرمون ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: بتناول بعض منه بالأيدي لقربه وأنسه وبعض منه بالرماح لنفرته وبعده فإن الآية كما قال مقاتل ابن حبان نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش والطيور تغشاهم في رحالهم لم يروا مثلها قط بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم لأن فيها صغاراً وفراخاً على ما نص عليه مجاهد وطعناً برماحهم لأن فيها كباراً[1] ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: يرى ويميز ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 94] أي: من يخاف الله ولم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير مشاهد فيميز ممن لا يخاف لضعف إيمانه وقلة إيقانه والتقليل والتحقير في شيء إما للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال وارتكاب الأمور العظام فمن لم يثبت عنه فكيف يثبت عندما هو أعظم منه أو للإشارة إلى أنما يقع به الابتلاء بعض من كل بالإضافة إلى مقدوره سبحانه فإنه قادر على أن يبتلى بأعظم من ذلك ليبعثهم على الصبر ويهون عليهم الأمر ويؤيده أنه سبق الإعلام به قبل حلوله ليوطن النفس عليه بعد نزوله ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: الابتلاء بالصيد أو الإنذار والإعلام ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 94] أي: فالوعيد لاحق به وهو ملام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح الصيد لمن كان حلالاً وحرم الصيد على المحرم الذي قصد زيارة البيت مآلاً والإشارة فيه أن من قصد بيتنا ينبغي أن يكون الصيد منه في أمان لا يتأذى منه بحال من الأحوال حيوان ولذا قالوا البر من لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [الآية: 95] أي: محرمون جمع محرم والمراد بالصيد هنا المصيد وهو عام لكل حيوان متوحش في أصل الخلقة كما عليه الجمهور ومنهم أبو حنيفة واستثنى الشارع كما ورد خمس يقتلن/ في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب[2] العقور وفي رواية

229/ ب

(1) تفسير النيسابوري (3/ 208).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (2/ 387) رقم (3870)، وأبو يعلى في المسند (7/ 478) رقم (4503).

أخرى الحية بدل العقرب[1] والمراد بالغراب الذي يأكل الجيف دون الذي يأكل الزرع وعند الشافعي يجوز للمحرم قتل ما يؤكل لحمه من الصيد ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 95] ذاكراً لإحرامه غير مكره على فعله عالماً فإنه حرام عليه قتل ما يقتله والأصح عند السلف والخلف وعليه أبو حنيفة إن العمد والخطأ والنسيان سيان في لزوم الكفارة دون الإثم والعصيان فليس قوله متعمد التقيد وجوب الجزاء بل لقوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: 95] ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت[2] ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [الآية: 95] برفع جزء منوناً ورفع مثل مضافاً قراءة الكوفيين بمعنى فعليه أو فواجبه جزاء يماثل ما قتله من النعم ومن بيان للجزاء أو للمثل وقرأ الباقون على إضافة المصدر إلى المفعول والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتله وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي وأحمد ومحمد من أصحابنا وبحسب القيمة عند أبي حنيفة وأبي يوسف وهو المروي عن ابن عباس وقول إبراهيم وعطاء ومجاهد والقاسم فيقوّم الصيد حيث صيد أصيد أو بقربه فإن بلغت ثمن هدي تحير بين أن يهدي من الغنم ما قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من برأو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم تبلغ يخير بين الإطعام والصيام واللفظ للقول الأول أوفق وللثاني أتم وأعم والله أعلم ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ [الآية: 95] أي: بالجزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ [الآية: 95] أي: رجلان صالحان ﴿مِّنكُمْ﴾ [الآية: 95] أي: من المسلمين والجملة صفة جزاء واستئناف بيان وهو يؤيد قول ابن حنيفة لأن التقويم أمس بالاجتهاد والنظر من المماثلة في الخلقة والهيئة إليهما وقرأ ذوا عدل على إرادة الجنس والإمام كما هو مذهب الشافعي ﴿هَدْيًۢا﴾ [الآية: 95] حال منتظرة من الضمير في به ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [الآية: 95] أي: واصلاً إلى حرمها بأن يذبح فيه ويتصدق به ثم وهو الأفضل أو يتصدق به حيث

(1) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (4/ 367) رقم (2944)، وابن خزيمة في الصحيح (4/ 191) رقم (2669).

(2) تفسير النيسابوري (3/ 210)، والكشف والبيان للثعلبي (5/ 160).

يشاء كما هو مذهبنا ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ [الآية: 95] عطف على جزاء ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ [الآية: 95] عطف بيان وقرأ نافع/ وابن عامر كفارة طعام بالإضافة البيانية كقولهم: 230/ أ خاتم فضة ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [الآية: 95] أي: أو ما ساواه من الصيد فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً والعدل في الأصل مصدر أطلق للمفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تميز للعدل وأو للتخيير في الآية عند الأكثر ومنهم أبو حنيفة وهو الأصح من قولي الشافعي ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [الآية: 95] أمره متعلق بمحذوف أي: أوجبنا عليه ذلك ليذوق ثقل فعله وجزاء هتكه لحرمة إحرامه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [الآية: 95] أي: من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 95] أي: مثل هذا الفعل ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [الآية: 95] أي: فهو ينتقم الله منه ومع ذلك عليه الكفارة فيه وعن ابن عباس لا كفارة عليه فإن الأمر أشد بالنسبة إليه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 95] أي: قوي قادر غالب على أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية: 95] ممن أصر على مخالفة حكمه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية أن من قصدنا فعليه بحسم الأطماع جملة ولا ينبغي أن يكون له بحال من الأحوال نوع مطالبة وكما أن الصيد حرام على المحرم إلا أن يتحلل بقالبه فكذلك الطمع والطلب والاختيار على الواحد حرام ما دام محرماً بقلبه ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد فإذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة وإذا لاحظ العارف الأغيار أو طمع في شيء أو اختار لزمته الكفارة ولكن لا يكتفي منه بجزاء المثل ولا أضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع أو رغب بل كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير قليل وكثير وصغير وكبير.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 96] أي: مصيده وقيل اصطياده في حال الإحرام وعدم الجرم وهو الأصح المنقول عن أكثر السلف والمراد به ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال أكله لقوله ﷺ في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته[1] وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل: يحل السمك وما

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 237) رقم (491)، وابن ماجه في السنن (1/ 136) رقم (386)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/ 100) رقم (69)، والدارمي في السنن (1/ 201) رقم (729).

يؤكل نظيره في البر﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ [الآية: 96] أي: أكل ما قدمه البحر أو نصب عنه بخلاف ما طغا فإنه لا يحل عندنا ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 96] تمتيعاً لكم نصب على المفعول له والمعنى منفعة لكم أيها المقيمون من المؤمنين ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [الآية: 96] أي: ولسياريكم من المسافرين حيث يتزودونه قديداً ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ [الآية: 96] أي: ما صيد فيه أو الاصطياد فيه فعلى/ الأول يحرم على المحرم ما 230/ ب صاده الحلال وإن لم يكن له مدخل بالدلالة والإشارة ونوع من السببية والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو صيد لكم ما ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [الآية: 96] أي: محرمين ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 96] أي: إلى موضع حكمه تجمعون.

وأفاد الأستاذ: إن حكم البحر بخلاف حكم البر فإذا غرق العبد في بحر الحقائق سقط حكمه من بين الخلائق فصيد البحر مباح له لأنه إذا غرق صار محواً فما إليه ليس به ولا منه إذ هو محو فيه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: 21].

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ [الآية: 97] أي: صيرها وسميت كعبة لتكعبها وارتفاعها ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] أي: المحترم في كل مقام وهو عطف بيان للكعبة على جهة المدح والمفعول الثاني ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: قواماً لدينهم ودنياهم وسبب انتعاشهم في أمر معادهم ومعاشهم يلوذ به الخائف الضرير ويأمن فيه الضعيف والكسير ويربح فيه الفقير وقرأ ابن عامر قيّماً بالقصر على أنه مصدر أعل عينه كما أعل فعله.

قال الشبلي: الكعبة أمام أعين الناس والحق أمام قلوب الأولياء من أهل الاستئناس ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] قيل: أي حرام في مجاورته ارتكاب المخالفة أزيد من سائر المقام وقيل: حرام على من يراه أن يرى وضعه دون واضعه وهو الله.

وفي «**حقائق السلمي**» قوله ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: من زل عن قيامه وأعرج بالتدنس بمعصيته وآثامه فتعلق به أقامه ببركاته وآثار الأنبياء فيه إلى حال استقامته.

ومن «**نفائس العرائس**» أنه سبحانه ألبس الكعبة سناءَ قدس آياته ونورها

بصفح مشارق صفاته من مطالع ذاته وصيرها مرآة حسنة وجماله لينظر أنظار نظار معارفه وأبصار عُشاق كواشفه داء عظمته وكبريائه لقيامهم على مشاهد قربه ومواقف قدسه ليطلبوا منها رؤية براهين كمال صفته ومشارق صنيع جلال قدمه وحرم تِلك المنازل على الأغيار دون الأخيار ومنع الأخيار عن الدخول فيها مع بقاء نفوسهم ليعلموا أنها ممنوعة من تناول الكل لهم ليعرفوا عين القدم أنه منزه عن خطوة كل حادث جعل الكعبة بيته وجعل بيته قلب العالم وظهر بجلاله منه لعيون العارفين كما ظهر لموسى من طور سيناء هكذا جعل قلب العارف كعبة مشاهدته في حرم صورته وسد بابه عن كل طائف غير نظره فيظهر/آثار 231/أ جلاله من صورهم ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [الآية: 97] معطوفات على الكعبة والمراد بالشهر الحرام ما يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه فالألف واللام للعهد وقيل للجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعض فالمعنى جعل الله الأشهر الحرم قياماً للناس فيه الحج والأمن من القتال والمراد بالهدي ما أهدي إلى الكعبة ومن القلائد ذوات القلائد ومن الهدي وهي ما قلد به من نعل أو لحاء شجرة ليعلم أنها هدي وكانوا يأمنون بتقليد الهدي ويحصل به القيام في أمرهم على وجه النظام ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 97] أي: الجعل المذكور أو ما ذكر في السورة من الأمور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 97] فإنه شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة على وجودها دليل كمال حكمة الشارع في حكمه وبيان إحاطة علمه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 97] أي جزئي وكلي ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 97] ختم للتخصيص بالتعميم لإفادة التكميل والتتميم.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الله سبحانه بأن يكون بيته اليوم ملجأ يلوذ به كل مؤمل ويستقيم ببركة زيارته كل جائز وحائد عن نهج الاستقامة يستنجح بالابتهال هناك كل ذي إربٍ من صاحب أدب والبيت حجر والعبد مدر والحق سبحانه ربط المدر بالحجر ليعلم أنه الذي لم يزل لا سبيل إليه للحدثان والغير فسبحان من يغير ولا يتغير.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 98] لأرباب الحجاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 98] بمن هداه إلى الصواب وأعطاه الثواب.

وأفاد الأستاذ: أنه شديد العقاب للأعداء غفور رحيم للأولياء ويقال شديد العقاب للخواص بتعجيل الحجاب إن زاغوا عن الشهود لحظة غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه توبة وحسرة.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ [الآية: 99] أي: التبليغ وقد بلغ وعلى الله هداية من وصل إليه وبلغ.

وقال الأستاذ: أي المنفرد بالإلهية الله، والرسول وإن جل قدره فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً بتسييره سبحانه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 99] أي: تظهرون وتسرون.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [الآية: 100] أي: الحرام والحلال والمؤمن والكافر والعاصي والمطيع والجاهل/ والعالم والغافل والذاكر. 231/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الخبيث ما اكتسبه الغافل عن الله في حال اكتسابه والطيب ما اكتسبه عن شهود الحق وقت انتسابه ويقال الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما أخرج منه حقه سبحانه ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك والطيب ما قدمته لأمره من عملك أو مالك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ﴾ [الآية: 100] أي: وأحزنك قلة الطيب فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة ولأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى على ما ورد عن النبي المصطفى والخطاب في أعجبك لكل معتبر من أرباب العقول السليمة بدليل قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 100] أي: فاحذروا العقاب وما يترتب عليه من الحجاب في تحري الخبيث وإن كثر وإيثار الطيب وإن قل ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 100] أي: راجين أن تبلغوا مقام الفلاح بالملازمة على حال الصلاح والإصلاح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: إن تظهر تحزنكم وتضركم ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: على لسان رسولكم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ﴾ [الآية: 101] أي: عن أشياء لم يكلف بها كما في حديث أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا

تبحثوا عنها على ما رواه الدارقطني وغيره عن ابن ثعلبة الخشني مرفوعاً[1] وروى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد وابن جرير أنه لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] قال سراقة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد ثلاثاً فقال: لا ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم[2] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الآية: 101] لا يعاجلكم بالعقوبة ويعفو عن كثير من المخالفة وعن عباس أنه ﷺ كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل أين أبي؟ فقال: في النار فقال: آخر من أبي؟ فقال: حذافة وكان يدعي لغيره فنزلت رواه ابن جرير وغيره[3].

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] أي: المسألة المغمة دون المسائل المهمة أو سأل عن الأشياء الملمة ﴿قَوْمٌ/ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 102] متعلق بيسألها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 102] أي: بسببها حيث تركوها وهجروها ولم يعملوا بها أو أنكروها وفي الحديث الصحيح ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم[4] قال بعضهم لا تسألوا عن مقامات الصديقين ودرجات الأولياء العارفين المحققين فإنه إن بدا لكم منهم شيئاً فأنكرتم ذلك هلكتم. 232/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أسبل عليكم ستر العطف فلا تتعرضوا لعلم ما أخفي عنكم بالعطف فينتقص بالتجسس عليكم عيشكم ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الأكابر فلا تستوجبون ذلك فيسوءكم تقاصر رتبتكم ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندكم وجهاً من التفاؤل ولا تطلبوا أسرار الباري

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (2/ 249) رقم (1111)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 12) رقم (19509)، والدارقطني في السنن (4/ 183) رقم (42).

(2) تفسير الطبري (11/ 110)، وتفسير ابن كثير (3/ 207).

(3) تفسير البيضاوي (1/ 371).

(4) أخرجه مسلم في الصحيح (1337/ 412)، وابن حبان في الصحيح (1/ 198) رقم (18)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 319) رقم (3598)، وأحمد في المسند (2/ 247) رقم (7361).

واركنوا إلى روح المنى في استدفاع ما أظلكم ولا تبحثوا عن سر ذلك ودعوا الأمر مجملاً وقوله ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] يعني توهم قوم أنهم محررون عن التأثير بما يصادفهم من فجأة التقادير وذلك منهم ظن كما قال بعضهم:

تبين يوم البين أن اعتزامه
على الصبر من إحدى الظنون الكواذب[1]

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [الآية: 103] ولما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم إذا ولدت الناقة خمس أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي: شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب إلا لخدم الأصنام ومن أنهم يقول الرجل منهم إنْ شفيت ونحوه فناقتي سائبة ويجعلها بالبحيرة في تحريم الانتفاع وعدم احتباسها عن كلأ وماءٍ حيث وجدتا ومن أنهم إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لأجلها ومن أنهم إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا كلأ قصد شربه أو رعيه والمعنى ما صير اللّه بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامياً مشروعة لديه ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 103] أي: بتحريم ذلك ونسبته إليهم افتراء عليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 103] أي: قوم جهلة كالأنعام لا يفرقون بين الحلال والحرام وبعضهم عقلاء في الجملة ولكن يمنعهم تقليد آبائهم مع حب الرياسة والعناد عن الاعتراف بالقضية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أحكام ابتدعوها فردهم الحق سبحانه عن الابتداع/ وأمرهم بحسن الاتباع وأخبر أن ما صدر من عاداتهم لا يعد من جملة عباداتهم. 232/ب

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى متابعة حكمهما وموافقة أمرهما ونهيهما ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ [الآية: 104] أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية: 104] أي: أمر ديننا ودنيانا بناءً على قلة علمهم وكثرة

(1) نسب إلى أبي غانم. انظر: أمالي الزجاجي (1/ 5)، وأخبار أبي القاسم الزجاجي (1/ 16)، وانظر: الأغاني (5/ 427).

جهلهم واختبار تقليد من قبلهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 104] الهمزة للإنكار من تقليد غير العلماء الأبرار والمعنى أيقتدون بآبائهم الجاهلين ولو كانوا لا يغفلون شيئاً من أمر الدين ولا يهتدون إلى طريق اليقين ويتركون متابعة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء العاملين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: احفظوها والزموا إصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [الآية: 105] بالقيام بما وجب عليها من فعلها وتركها فلا ينافي قوله ﷺ من رأى منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه فمعنى اهتديتم إذا ائتمرتم بالمعروف وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه حسب طاقتكم فيه كما رواه ابن جرير عن سعد بن المسيّب وروي عن غيره واحد من السلف والخلف[1].

وذهب كثيرون من السلف وتبعهم بعض الخلف على أن فيه رخصة لترك الحسبة إذا علم عدم قبولها أو يكون فيها مفسدة أو أضرار له منها ويدل عليه حديث إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك أمر العام فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم[2].

ولذا قال بعض العارفين: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت إلى أن تموت ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 105] وعد للمهتدين ووعيد للمتمردين وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره في أمر الدين فالأولى هو الاشتغال بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير يكفيه أن يمشي وقد جبر بعض كسره فأما إذا

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1330) رقم (4013)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 94) رقم (11293)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 85) رقم (7559)، وابن حبان في الصحيح (1/ 541) رقم (307).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 91) رقم (19980)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 257) رقم (3058)، وأبو داود في السنن (4/ 215) رقم (4343)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 127) رقم (9731).

233/أ ادعى التقدم على غيره والطمع في إنجاد من سواه من أمره فمحال من/ الحدس والظن في تخليه ويقال من تفرغ إلى غيره تشاغل عن نفسه ومن اشتغل بنفسه لم يتفرغ إلى غيره.

ومن «**نفائس العرائس**» أنه سئل أبو عثمان عن هذه الآية فقال عليك نفسك إن اشتغلت بإصلاح فسادها وستر عوراتها وترويح كسادها شغلك ذلك عن النظر إلى الخلق والاشتغال بهم عن الحق.

وقال محمد بن علي: عليك نفسك إن كفيت الناس شرها فقد أديت حقها ودخل خادم الحسين بن منصور عليه في ليلة توعد من العدو لقتله فقال له: أوصني فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك أي: إن لم تشغلها بعبادة مولاها شغلتك في مشتهاتها وهواها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الآية: 106] أي: فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على التوسعة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية: 106] أي: شارف حالته وظهرت أمارته وهو ظرف للشهادة ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ [الآية: 106] بدل منه أو ظرف، حضر ﴿ٱثۡنَانِ﴾ [الآية: 106] فاعل شهادة أي: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف أي: شهادة بينكم شهادة اثنين من نعتهما أنهما ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 106] من أقاربكم كما نقل عن عكرمة وروى ابن جرير عن الحسن البصري والزهري واختاره صاحب «**المدارك**» أو من المسلمين ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ [الآية: 106] أي من غير أقاربكم أو من غير المسلمين فيكون منسوخاً لأن شهادة الذمي على المسلم لا تسمع إجماعاً على ما ذكر البيضاوي[1] ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 106] أي: سافرتم فيها ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [الآية: 106] أي: قاربتم الأجل عطف على ضربتم وجواب الشرط محذوف أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا مسلمين فيجوز شهادة غيرهم من الذميين ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ [الآية: 106] أي: تقفونهما وتصبرونهما صفة للآخران ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 106] أي: صلاة العصر[2]

(1) تفسير البيضاوي (1/ 374).
(2) تفسير الطبري (11/ 176)، وتفسير ابن كثير (3/ 217).

كما روى ابن عباس في رواية العوفي وهو قول أكثر السلف أو بعد أي صلاة كانت وهو قول الزهري ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: فيحلفان به ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [الآية: 106] إن شك أحد الوارثين فيهما وأراد حبسهما لأيمانهما والجملة معترضة بين المقسم به وبين المقسم عليه وهو قوله: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ [الآية: 106] أي: لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضاً من الدنيا والمعنى لا تحلف كاذباً بالطمع لنا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية: 106] أي: المقسم له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية: 106] / قريباً منا دفعاً لما يتوهم من أنه قد يسامح في حقه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ [الآية: 106] أي: إن كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ [الآية: 106] . 233/ ب

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [الآية: 107] أي اطلع ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ [الآية: 107] أي: الآخرين ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [الآية: 107] أي: فعلاً ما أوجبا إثما بينهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ [الآية: 107] أي: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [الآية: 107] خبر لقوله فآخران ثم بينهما لأنهما بقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ [الآية: 107] بصيغة المجهول أي: جني عليهم وهم الورثة فضمير استحق للإثم والمعنى ارتكب الذنب بالقياس إليهم وقرأ حفص مبنياً للفاعل وهو ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ [الآية: 107] أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بها كذب الكاذبين والأوليان يراد به الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وقرأ حمزة وأبو بكر الأولين بصيغة الجمع على أنه صفة للذين أو بدل منه وسموا الأولين لأنهم كانوا أولين في الذكر في قوله شهادة بينكم ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ [الآية: 107] عطف على أن يقومان أي فيحلفان ﴿بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ [الآية: 107] أي: أصدق وأولى بالاعتبار والقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ [الآية: 107] أي: ما تجاوزنا الحق فيها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ [الآية: 107] أي: إن اعتدينا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 107] أنفسهم أو الواضعين الباطل موضع الحق ومحصل الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطاً فإن الوصي الواحد يكفي اتفاقاً فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غير المسلمين أو من

غير قرابتهم ثم وقع نزاع وارتياب فيهما أقسماً على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أو على رؤوس الأشهاد فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي لأمانته أو لتغيير الدعوى فإن سبب نزول الآية على ما رواه الترمذي وأبو داوود أن رجلاً من المسلمين خرج مسافراً و معه رجلان/ من أهل الكتاب ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جام فضة مخوصاً بالذهب فرافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت فحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذوا بالظاهر من هذا الحديث أنهما كانا وصيين لا شاهدين ويؤيده ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود من أن المراد بالشهادة الوصاية فلا يكون نسخاً في الآية وعليه غير واحد من الصحابة والتابعين[1] وأما الإمام أحمد والقاضي شريح قالا في خاصة مثل هذه الواقعة شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون في سفر وأن يكون في وصية لكن قال الزهري وابن زيد أن حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرين فإن شهادة الكافر كانت في بدءِ الإسلام ثم نسخت. 234/أ

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ [الآية: 108] أي: أقرب إلى أن يأتي الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة ووفق ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الآية: 108] أي: ترد اليمين على المدعين وهم أولياء الميت بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وجمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم والمعنى أنه أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب أو أيهما وقع كان فيه الصلاح ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 108] أي: فيما نهيناكم عنه بالمخالفة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ [الآية: 108] أي: ما أمرناكم

(1) أخرجه البيهقي في السنن والآثار (15/ 435) رقم (6078)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (15/ 398) رقم (4928).

سمع الإجابة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 108] الخارجين عن الطاعة إلى الحجة أو المحجة أو طريق الجنة أو سبيل المحبة.

وأفاد الأستاذ: أن حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع فنسخ وبيان التفسير يخبر عن تفصيله والنسخ هو الإزالة وذلك في العبادات جائز ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدين لأن في الابتداء فرضهم القيام بالظواهر من حيث المجاهدات فإذا لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فيسقط عنهم أو ردّ الظاهر وتجنيس القرب فهو كالنسخ من حيث الصورة إذ اتصافهم بمراعاة القلوب والحالات أنهم من تأدبهم بأحكام المعاملات.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية: 109] منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر/ يوم 234/ب يجمعهم ﴿فَيَقُولُ﴾ [الآية: 109] أي: لهم ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ [الآية: 109] أي: أي إجابة من إقرار أو إنكار أجبتم وهذا السؤال لتوبيخ قومهم أو لتعظيم يومهم ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109] أي: بما أنت تعلمه منا ومن غيرنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [الآية: 109] فتعلم ما أجابونا وأظهروا لنا وأضمروا الخلاف عنا وقيل: المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك فأقروا بالجهل واعترفوا بالعجز وقيل: ذلك من إقامة الأدب لا جهل لما أجابوا.

وقال سهل: لا علم لنا بمرادك في سؤالنا وقيل: لا علم لنا إلا ما علمتنا فإنك أنت أعلم بهم منا وليس علمنا كعلمك بنا.

وقال الأستاذ: به يكاشفهم بنعت الجلال فتنخنس فهومهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن التحقيق ويقولوا ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109] وهكذا يكون الحالة غداً من قال بشيء أو مال إلى شيء مما يكون نعتاً لمخلوق فعند ظهور أوائل التعزز تتلاشى الجملة فالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك والأنبياء يقولون ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109].

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 110].

أفاد شيخنا عطية رحمه الله: أن عيسى إما منصوب تبعاً لما بعده وهي اللغة الشائعة وإما مرفوع محلاً أي: وما بعده صفة له وهي تكون منصوبة إذا كانت مضافة ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾ [الآية: 110] أي بالنبوة والرسالة ﴿وَعَلَىٰ

وَالِدَتِكَ﴾ [الآية: 110] أي: بالصديقية والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذٍ بسؤال الرسل عن الإجابة وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات المتعددة فكذبهم طائفة وسموهم سحرة وعلا آخرون واتخذوهم آلهة ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ [الآية: 110] قويتك وأعنتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الآية: 110] أي: بجبريل يسير معك حيث تسير أو بالنفس التي تحيي به النفس حيوة أبدية ويؤيده قوله ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ [الآية: 110] أي: تدعوهم إلى الله تعالى ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ [الآية: 110] كائناً فيه ﴿وَكَهْلًا﴾ [الآية: 110] والمعنى تكلمهم في حالة الطفولية والكهولية بالتسوية والمراد إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 110] أي: الحفظ والكتابة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 110] أي: الفهم والحذاقة ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [الآية: 110] أي: هيئة مثل هيئة الطير ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: لك في ذلك ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [الآية: 110] أي: في تلك الهيئة ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ [الآية: 110] وقرأ نافع طايراً ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: بطير بأمري أو إرادتي ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ [الآية: 110] الذي ولد/ أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 110] الذي عجز عنه الأطباء ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: بتيسيري ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 110] أي: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: بقدرتي وحكمي.

235/ أ

قال أبو علي الروذبادي: غاية الربوبية في غاية العبودية فمن استقام على بساط العبودية أظهر الله عليه من أوصاف الربوبية بقضائه وقدره قلت: وفي هذا المعنى ورد من كان لله كان الله له ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ [الآية: 110] أي: منعتهم عن قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 110] حين إتيانك لهم بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا﴾ [الآية: 110] أي: ما هذا الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 110] واضح وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام.

قال الأستاذ: تذكير وجوه النعم يستخرج خلاصة المحب المستور والهيمان في حديث المذكور وكل وقت للأحباب يمضي صار لهم حديث يتلى

من بعدهم أما عليهم وإما عنهم.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 111] أي: ألهمت إلى علماء الدين وأرباب الزهد واليقين الواصلين في مقام المخلصين فالوحي بمعنى الإلهام كما قاله الحسن البصري والسدي وغيرهما من العلماء الأعلام ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [الآية: 111] يجوز كون أن مصدرية ومفسرة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 111] أي: بك وبرسلك ﴿وَٱشْهَدْ﴾ [الآية: 111] أي: أنت وكفى بك شهيداً ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 111] أي: منقادون مطيعون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما خصهم بالوحي إليهم إلهاماً لانبساط ضياء عيسى عليه السلام إكراماً وفي الأثر «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 112] قيل: هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكم والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بإجابة سؤالك أي: هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي بتاء الخطاب ونصب ربك أي: هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارفٍ لك ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 112] في سؤال المائدة واقتراح المعجزة فإنها سبب للمهلكة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] بكمال القدرة وصحة النبوة.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ [الآية: 113] أي: نشارك بالأكل منها والانتفاع للتقوى على الطاعة بها ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [الآية: 113] بانضمام علم الاستدلال على كمال القدرة بعلم المشاهدة فإنه ليس الخبر/ كالمعاينة ﴿وَنَعْلَمَ﴾ [الآية: 113] 235/ب أي: علم عيان وإيقان بعدما علمنا علم إيمان وبرهان ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [الآية: 113] أي: فيما وعدتنا من ادعاء النبوة وإجابة الدعوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 113] أي عند من لم يحضرها من السالكين.

وأفاد الأستاذ: أنهم طلبوا المائدة ليسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة فغدروا وأجيبوا إليه إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة ويقال كل يطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته فمنهم من كان

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2689/ 25).

سكونه في مائدة من الطعام يجدها ومنهم من كان سكونه في فائدة من الكلام يردها ومنهم عزيز من يجد الغناء عن برهان يتأمله أو بيان يطلبه.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 114] أي: لما رأى أن لهم عرضاً صحيحاً في هذا المبنى وأنهم لا يقلعون عن هذا المعنى ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [الآية: 114] أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه فضمير يكون للمائدة على حذف مضافين والعيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص وقيل العيد السرور الذي يعود فلا حذف لكن في الإسناد مجاز لأنها سبب للسرور ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [الآية: 114] بدل من لنا بإعادة العامل أي: عيداً لسابقينا ولاحقينا روي أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارى عيداً ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [الآية: 114] أي: آية كائنة منك دالًّا على كمال قدرتك وصحة نبوة عبدك وهي معطوفة على ﴿عِيدًا﴾ [الآية: 114] ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ [الآية: 114] المائدة والشكر عليها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية: 114] أي: خير المطيعين لأنه خالق الرزق بلا عوض ومعطيه بلا غرض.

وأفاد الأستاذ: أنه شتان بين أمة طلب لهم نبيهم سكوناً بإنزال المائدة عليهم وبين أمة بدأهم الله سبحانه بإنزال السكينة عليهم في قلوبهم ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: 4] وفرقاً بين من زيادة إيمانه بآياته التي تتلى عليهم وبين من سكونهم إلى كرامات وعطايا تباح لهم.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: إجابة لسؤالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿فَمَن يَكْفُرْ﴾ [الآية: 115] أي: بي وبرسولي وبنعمتي ﴿بَعْدُ﴾ [الآية: 115] أي: بعد نزول المائدة ﴿مِنكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: من المقترحين ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ [الآية: 115] أي: تعذيباً كأنبت نباتاً على أن العذاب اسم للتعذيب كالسلام/ للتسليم والمتاع للتمتيع إذ لو جعل اسماً لما يعذب به لقيل بعذاب لأن التعذيب لا يتعدى إلى مفعولين وجوز أن يكون مفعولاً به على السعة ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ [الآية: 115] الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد إلى الموصوف فإن لا أعذبه صفة ﴿أَحَدًا﴾ [الآية: 115] أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على الحذف والإيصال ﴿مِّنَ

236/أ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 115] أي: عالمي زمانهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى وقعت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام خوفاً على المعترضين وقال اللّهم اجعلني من الشاكرين اللّهم اجعله رحمة ونعمة ولا تجعلها نقمة ومحنة ثم قام فتوضأ وصلى ثم كشف المنديل عن وجه المائدة وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس[1] ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا على نعمه يمددكم الله ويرزقكم من فضله[2] وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشرطية استعفوا عن طلب المائدة فلم تنزل على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير بإسناد صحيح عن الحسن البصري ومجاهد والجمهور على أنها نزلت وأنهم كفروا بها وعصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير لأجلها[3] وكيف لا وقد قال تعالى إني منزلها وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترح المعجزة وعن بعض الصوفية أن المائدة هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء روح العارف كما أن الأطعمة غذاء البنية قيل: وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى بترك العصيان وثبات الإيقان حتى تمكنوا من الاطلاع عليها والوصول إليها فلم يقلعوا عن سوء الفعال وألحوا في السؤال فسأل عيسى ربه لأجل اقتراحهم بيان الحال فبين الله تعالى أن إنزاله/ سهل ولكن فيه خطر لهم 236/ ب وخوف عاقبة أمرهم فإن السالك إذا انكشف لهم ما هو أعلى من مقامه لعلة لاحتله ويزل فيه بعض قدمه فيضل ولا ينفعه إظهار ندمه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجابه إلى سؤاله لهم ولكن توعدهم بأليم

---

(1) بلا قشر.

(2) تفسير ابن كثير (3/ 229)، وتفسير القرطبي (6/ 370)، وتفسير النيسابوري (3/ 232)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 162).

(3) تفسير الطبري (11/ 229)، وتفسير ابن كثير (3/ 226).

العقاب لو خالفوا بعده ليعلم العالمون أن المراد إذا حصل والكرامة إذا تحققت فالخطر أشد والحال من الآفة أقرب ومهما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ومحن الأكابر إذا حلّت جلت.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 116] أي: يوم القيامة تقريعاً وتوبيخاً للنصارى على رؤوس الأشهاد وحين رفع عيسى إلى السماء وقالت النصارى ما قالته على ما قاله السدي وغيره واختاره الطبري[1] ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 116] صفة إلهين أو متعلق باتخذوني أي: من غيره ففيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده قيل: لما سمع عليه السلام هذا الخطاب المتضمن للعتاب ارتعدت مفاصله وانفجرت عين من الدمع من أصل كل شعرة في بدنه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 116] أي: أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك في ملكك ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله ولا يجوز لي أن أتقوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [الآية: 116] إلا مما أخفيه كما تعلم ما أعلنه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: ما تخفيه من معلوماتك في ذاتك فالمراد بالنفس الذات مأخوذاً من النفاسة لا من النفس بفتحتين حتى يحتاج إلى القول بالمشاكلة فإنه جاء لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك من دون المزاوجة والمقابلة.

قال جنيد: تعلم ما أنا عليه وما لك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أطلعتني عليه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] أي: المطلع على الذنوب والعيوب.

وأفاد الأستاذ: أن المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث فليس هذا خطاب تعنيف بل خطاب تشويف ثم إن عيسى عليه السلام حفظ أدب الخطاب فلم يزك نفسه بل بدأ بالثناء على الحق سبحانه فقال سبحانك تنزيهاً/ عما لا يليق بوصفك ثم قال ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: إني كنت مخصوصاً من قبلك بالرسالة ومن شرائط النبوة

237/أ

(1) تفسير الطبري (2/ 539).

العصمة فكيف يجوز أن أقول ما لا يجوز لي ثم قال ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [الآية: 116] وكان واثقاً بأن الحق سبحانه علم منه نزاهته من تلك المقالة ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [الآية: 116] أن علمك محيط بكل معلوم ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تعرفني بإعلامك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] الذي لا يخرج معلوم عن علمك ولا مخلوق عن حكمك.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [الآية: 117] عطف بيان لضمير به أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهد لأحوالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [الآية: 117] بالرفع إلى السماء لقوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: 55] والتوفي في الأصل أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42] ﴿كُنتَ أَنتَ﴾ [الآية: 117] أي: وحدك ﴿ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 117] المراقب لأحوالم والمطلع على أقوالهم وأفعالهم.

وفي «**دقائق الحقائق**» كنت مراقباً لهم بما أجريت عليهم من محتوم قضائك بهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية: 117] أي: مطلع عليه ومراقب إليه.

وأفاد الأستاذ: في معنى الآية ما دعوتهم إلا إلى عبادتك ولا أمرتهم إلا بتوحيدك وتقديسك وطاعتك ﴿مَّا دُمْتُ﴾ [الآية: 117] حياً ﴿فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] كنت واجداً لهم على هذه الجملة فلما فارقتهم كان تصرفهم في قبضتك على مقتضى مشيئتك فأنت أعلم مني بما كانوا عليه من وصفي وفاقهم وخلافهم رفعتي اقتصادهم وإسرافهم.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [الآية: 118] ولا اعتراض على المالك المطلق أن يفعل في ملكه بملكه ما يشاء من أمره وفيه تنبيه نبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وعبدوا غيرك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 118] أي: مع كفرهم فلا يمتنع جوازه غفلاً ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] في أحكامك على عبادك وقيل تقديره أن تعذبهم أي: من كفر منهم فإنهم عبادك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية:

237/ب 118] أي: من أسلم منهم فإنك أنت العزيز الحكيم غالب على أمرك حكيم/ في حلمك لا يجب عليك شيء فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل.

وقال الورّاق: أن تعذبهم بتقصيرهم في طاعتك فإنهم عبادك مقرين لك بالتقصير في عبادتك وإن تغفر لهم ذنوبهم فأنت أهل العز والكرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن حكم المولى في عبيده نافذ بحكم إطلاق ملكه فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ [الآية: 118] يحسن منك تعذيبهم وكان لك ذلك ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] أي: المعز لهم بمغفرتك لهم ويقال: أنت ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية: 118] القادر على الانتقام منهم فالعفو عن القدرة سمة الكرم وعن العجز أمارة الذل ويقال أن تغفر لهم فإنك أعز من أن تتجمل بطاعة مطيع أو تتنقص بذلة عاصٍ وقوله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] رد على من قال غفران الشرك ليس بصحيح في الحكمة.

وذكر صاحب «العرائس» عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس أحد فيها وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً[1] أقول إن صح عنه فيجب أن يحمل على أن مراده بجهنم طبقة من طبقات النار يعذب فيها عصاة المؤمنين دون الكفار للإجماع على أن الكفار مخلدون في النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الآية: 119] وقرأ نافع بنصب يوم على أنه ظرف مستقر رفع خبر أو المعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن من يعجل ميراث صدقه في دنياه من قبول حصل له من الناس أو رئاسة عقدت له أو نفع وصل إليه من جاه أو مال فلا شيء له في أجله من صواب صدقه لأن الحق سبحانه خص يوم القيامة بأن ينفع فيه للصادقين صدقهم ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 119] أي: من تحت الأشجار أو من تحت تصرف أهلها الأبرار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: 119] مقدرين

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 247) رقم (7969)، وانظر: تفسير الطبري (15/ 484) رقم (18580).

الخلود في دار القرار ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 119] أي: مقام الرضا هو الظفر الجسيم والآية بيان النفع المقيم.

وأفاد الأستاذ: أن رضا الحق سبحانه إثبات محل لهم وثناؤه عليهم ومدحه لهم وتخصيصهم بإفضاله وفنون نواله ورضاهم عن الحق سبحانه في آخرهم ووصولهم إلى منالهم.

﴿لِلَّهِ/ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ [الآية: 120] أي: من العلويات 238/ أ والسفليات جميعهن وفيه تنبيه نبيه على كذب النصارى وغيرهم وفساد دعواهم في المسيح وأمه والأصنام وأمثالهن.

قال الأستاذ: تمدح الحق سبحانه بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات الصالحة لإيجاد المصنوعات ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من رسم وأثر وعين وطلل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [الآية: 120] من الإبعاد والإسعاد والصد والرد والنفع والصنع، والقمع والمنع.

فهرس المحتويات